

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 036021325

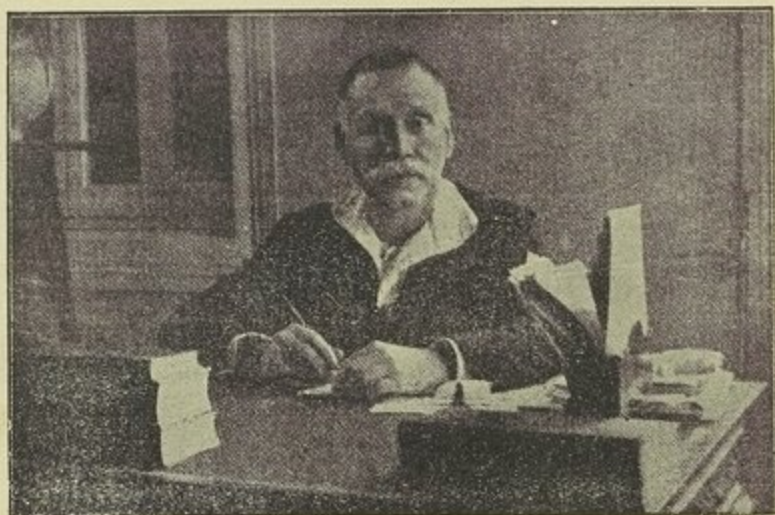
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

JUN 15 2007

مذكرات الحاج أحمد شفيق باشا

بقلم



الحاج أحمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديوي ووكيل الجامعة المصرية الأهلية
ومخرج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بالجامعة

الجزء الثاني

عباس حلي الثاني

القسم الثاني من يناير سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤
حقوق الطبع والترجمة محفوظة لل المؤلف

الطبعة الأولى

طبعة مصر - شركة ساهمة مصرية

سنة ١٣٥٥ هـ - سنة ١٩٣٦ م



مؤلفات صاحب هذه المذكرات

الرق في الاسلام : باللغة الفرنسية وترجمته باللغتين العربية والتركية
قناة السويس : باللغة العربية وبه خريطة وصور وثمته ٥ قروش
مصر الحديثة ونفوذ الأجنبي فيها : . الفرنسية وبه كثير من الصور والخرائط
وثمته ٢٥ قرشاً

حوليات مصر السياسية في عشرة أجزاء

منها الثلاثة الأولى تمهيد والسبعة حوليات

التمهيد الأول : فذلك من محمد علي إلى نشوب الحرب . الحاية وتولية السلطان
حسين . تأليف الوفد ونبي سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ .
إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملنر ومقاطعتها .
مفاوضات سعد وملنر . الاعتداءات . (٨٧٢ ص و ٤١ صورة
وأربع خرائط وثمته ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثاني : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات
وقعها بالقوة . الوفد الرسمي باندرة وإخفاقة . سعد وصحبه في
سيشل . اعتقال أعضاء اللجنة المركزية للوفد . ثروت وألني .
(٩٢٧ ص و ٣٢ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثالث : تصريح ٢٨ فبراير ورجوع المنفيين . لجنة تحضير الدستور .
تعويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين .
(٧٣٤ ص و ١٧ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الأولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء
على سعد . مفاوضات سعد مع مكدونالد . مقتل السردار . الانذار
البريطاني . حل البرلمان . (٦١١ ص و ٢١٩ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الثانية : الوفد والعرش . تأليف حزب الاتحاد . إخلاء السودان .
الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة ألني النضال
بين الأحزاب . الحكم في قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ على

2274
8681
366

v. 2, pt. 2

عبد الرازق . الدعوة إلى عقد مؤتمر وطنى عام . تسلم جغسوب
لايطاليا . (١١٠٤ ص و ٧٤ صورة وثمته ٤٠ قرشاً)

الحولية الثالثة : الأحزاب المؤتلفة . الانتخابات الثالثة . عدلى يخلف زيور .
عيد الجهاد الوطنى . (٧٠٦ ص و ١٩ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الرابعة : القضية المصرية والأحزاب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة
الملك رسمياً لايطاليا وفرنسا وانجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت
وتشميرلن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الأجنبية .
(٧٨٢ ص و ٦ صور وثمته ٣٠ قرشاً)

الحولية الخامسة : ملك الأفغان فى مصر . أعمال البرلمان . ولى عهد إيطاليا فى مصر .
النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع
اتفاق ثروت مع انجلترا . وفاة حسين رشدى . النزاع الحزبى .
محمد محمود يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس فى الأقاليم .
مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وفاة ثروت . النضال
بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص و ٢٤ صورة
وثمته ٥٠ قرشاً)

الحولية السادسة : الاتفاق على مياه النيل زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا
وانجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة .
عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة .
(١٦٠٠ ص و ٢١ صورة وثمته ٥٠ قرشاً)

الحولية السابعة : النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس
وهندرسون . اسماعيل صدقى يخلف النحاس . تأجيل البرلمان .
موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف
حزب الشعب . (١٦٠٠ ص و ١٣ صورة وثمته ٥٠ قرشاً)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على
اختلاف نزعاتها ؛ فهى دائرة معارف سياسية جامعة

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق
فى يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة و ٣٥٥ صورة وثمته ٣٠ قرشاً)

القسم الأول من الجزء الثانى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٣
(٤٥٦ صفحة و ١٧٦ صورة وثمته ٢٥ قرشاً ومن أول يناير سنة ١٩٣٧ ثمته ٣٠ قرشاً)

فهرس القسم الثانى من الجزء الثانى

عهد عباس حلى الثانى

سنة ١٩٠٣

بينى وبين حسن عاصم باشا ص ٤ الخلاف بيننا

رسائل رشيد بك عن سياسة المهابين ص ٤ حضوره لمصر ورجوعه للاستانة . يالى جوقلى .

زيارة البرنس حسين كامل للاستانة . مسألة القيوكتخدا والمؤلف . مناجم طاشوز

تذمر الغازى مختار باشا من الخديو ص ٦ شكوى نجله للمابين من عباس . تنقيص امتيازات

الغازى . رأى بطرس باشا

فوضى الرتب ص ٧ الوسطاء وتنافهم . أسعار الرتب . رأى بطرس باشا . جواب سموه لى

إخفاق مؤامرة فى مصر لخلع عبد الحميد ص ٨ يدبرها رجب باشا مشير فيلق طراباس الغرب

وأفضاره . مطالهم المالية من عباس . الرفض

رحلة الخديو إلى الاستانة وأوربا ص ١٠ السفر . الحاشية . فى الطريق . إهشاء الخديو أسرار

عائلة السلطان . الوصول للاستانة . الاستقبال الحسن فيها . الحاشية بين يدى السلطان .

يالى جوقلى . مأدبة الوداع الرسمية . السفر إلى فينا ومنها إلى باريس

زيارته غير الرسمية للندرة والتفاهم مع الانجليز ص ١٤ الاستقبال فى لندرة . ضيافة السير

ارنست كاسل لنا . استقبال عائلى فى بكنجهام . اعتبار السفراء الخديو كأمر مستقل .

عباس يشهد زواج جورست . هديته الثمينة . الاستعراض فى عيد جلوس الملك . القدام

فى قصر بكنجهام . القهوة التركية . مأدبة بلفور الرسمية . ثور بمبلغ ١٥٠٠ جنيه

فى المعرض الزراعى . دعوة الأمراء للخديو فى وندسور . مأدبة رسمية فى قصر

بكنجهام . دعوة الملك لتكرار زيارة عباس . كيف كان الرد . الملك يطلب من

عبد العزيز عزت باشا تذكير الخديو بالدعوة . الخديو عضو شرف فى ناد للسباق .

عباس وملك إنجلترا فى ضيافة السير ارنست كاسل . إلى الملتقى . زيارة صاحب كتاب

روح الاسلام لعباس . وفد جمعية مسلمى لندرة . كلام سموه والمشاق التى يلقاها الهنود

فى الحج . غضب السلطان . ارنست كاسل والسر فى ربح الأوراق المالية . الخديو ومستر

بلنت . نتائج زيارة لندرة . الرجوع إلى باريس . تبادل الزيارة بين عباس ورئيس الجمهورية

فى حمامات ديفون ص ٢١ لطيفة السمك الطازجة

مهمتى فى طاشوز ص ٢٢ هكسيوس ومعصرة الزيت . العراقيل . مقابلاتى لهكسيوس . العمارة الخيرية

بقوله . جزيرة ليس فيها أثى حتى الدجاجة . السفر إلى دده أغاش . حادث مريع .

الوصول إلى فيينا وتقريرى عن طاشوز

العودة إلى الاستانة ص ٢٦ الاستقبال فيها . تناول الغداء في بلدز . محادثة السلطان عن نوابا ثوار

بلغاريا الفظيعة . خطأ ينبل رتبة

العودة إلى مصر ص ٢٧ وصولنا للاسكندرية

الشيخ على يوسف في لندرة وباريس ص ٢٧ ما علمه في لندرة . أخباره عن سياسة الفرنسيين

نحو مصر

هدية الخديو لمالجا اللقطاء بمصر ص ٢٨ زيارة سموه

البرجد في البحر الأحمر ص ٢٨ سرقته . انتداب محمد سعيد للتحقيق

شقيقة ملك الانجليز في مصر وكبار الزوار الأجانب ص ٢٨ الحفاوة بها . الدوق

أوف كنوت وزيارته لحزان أسوان . الحفاوة بولى عهد ألمانيا وشقيقه . مأدبة للدوق

دوساكس . ولى عهد النمسا وحفاوة صديقه عباس

افتتاح دار الآثار العربية ص ٣٠ خطبة مدير الأوقاف

مسألة صندوق التوفير ص ٣٠ الخلاف بين عباس وكرومر . أخذ رأى العلماء . المشروع . تقديمه

لكرومر . قبوله

سنة ١٩٠٤

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتى ص ٣٤ كسوة تشریف منحلة تثير غضب الخديو من رد

جاف للمفتى . البكرى يشعل النار . مساعدوه . تغيير أعضاء مجلس إدارة الأزهر .

نصيحتي للمفتى . زياته لعباس وتقديم استقالته . الخديو يرفض . خضوع الشيخ .

خطاب من البكرى . محور الدسائس . فشله . الفتوى الترنسالية . قيام العالم ضد

المفتى . التمهير بالشيخ في جريدة حمارة منيق وغيرها . كرومر لا يصدق

محاولة أخرى للسيد البكرى ص ٤٠ استقالة السكرتير الشرقى لكرومر وكذلك أصحاب المقطم

مدام جوليت آدم والانجليز ص ٤١ مأدب ونزه وحفاوة من الخديو والمصريين . مقالة في مجلته

ضد الانجليز . اعتراض كرومر . لا ينسى عباس مركز انجلترا في انجلترا وهو سيكون

عما قريب أقوى مما هو الآن

الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا ص ٤٢ أهم ما يخص مصر . ليس لمصر أن تعتمد إلا على نفسها

فضائح فوزى الرتب ص ٤٣ رتب لموظفين معزولين . إلغائها . تهديد الانجليز بسحب امتياز

إعطاء الرتب

في العائلة الخديوية ص ٤٤ بين الرئيس نعمه الله خاتم أفندى والبرنس جميل طوسون

سخط الخديو على حسن عاصم باشا ص ٤٥ الأسباب

يوسف طلعت باشا والدة ص ٤٦ خلاف بين الابن والوالد . زوطله

سفر الخديو إلى أوروبا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم ص ٤٨ تردد الخديو في زيارة الاستانة ثم عدوله . تعلقات الخديو لي . هدية الخديو للسلطان . سفر الخديو لأوروبا . وصولنا الاستانة . الاستقبال . الوالدة والحرم في التيازو الخصوصى . مقابلتى لتحسين بك . سفرى لقينا . مقابلتى للخديو . رجوعى للاسكندرية . مهمتى في سكة حديد مريوط . العودة إلى فينا . زيارة الخديو للغازى مختار باشا المريض . سفر الخديو للاستانة . انتقاده . رسالة ودية من ملك الانجليز للخديو . الخديو والمعينة في حضرة السلطان . امتنان جلالتة من وجود بطرس باشا . حديث السلطان والخديو . الانعام على كريمى الخديو . مأدبة عشاء رسمية . ملاحظاتى على أدوات المائدة . بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة . مأدبة اخرى ومشاهدة التمثيل . إنعامات كثيرة . المجيدى المرصع لمصطفى فهمى باشا وبطرس غالى باشا . وشاية عن عدم مقابلة الباشكاتب لى . شهادتى الخطبة للسلطان . شكر تحسين بك . استغراب عباس وبطرس . مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو ولبطرس . دير الأقباط بالقديس . العودة إلى مصر . علاقات الخديو مع الانجليز ص ٥٥ مقابلة مصطفى فهمى للخديو . امتنانه من إنعام السلطان ومن غضب عباس على مصطفى كامل . كرومر على مائدة الخديو في المنزه . استعراض الخديو للجيش الانجليزى في ساحة عابدين . وقوفى تحت العلم أخف من رفعه على عابدين . تدخل الانجليز في مسألة أمير الحج

تركيا والحدود الغربية ص ٥٨ تعدى الأتراك على ميناء السلم . الخديو يعلم كرومر بهذا التعدى . احتجاج الحكومة . رجوع السلم لها

قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباس ص ٥٩ صورة خطابه للخديو قضية زواج صاحب المؤيد ص ٦٠ الحيلولة . الحكم بفسخ العقد . تجديد العقد بواسطة الشيخ راضى قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف ص ٦٢ طلبه الاشراف على محاسبة النظار . سحب طلبه بتدخل الحكومة والانجليز

تعيينى رئيساً للديوانين العربى والأفرنجى ص ٦٣ غضب عباس على حسن عاصم باشا . إقالته

سنة ١٩٠٥

الخديو وأصحاب المقطم ص ٦٤ استالة الخديو لغارس نمر . مسألة الانعام عليه برتبة السير ارنست كاسل في مصر ص ٦٥ هديتى لشقيقته وشكرها لى الدسائس فى الأزهر أيضا ص ٦٥ الشيخ سليم البشرى والشيخ المنصورى روح الشغب فيه . استقالة على البيلوى . تعيين الشيخ . خطبة عباس فى حفلة تعيينه . استقالة المفتى والشيخ عبد الكريم سلمان . فشل الخطوة الاولى في إصلاح الأزهر شركة للزبرجد والنحاس ص ٦٦ بين هكسيوس وعبد الرحمن كلى بك وحنا عنصره . الاتفاق لجنة الاحتفالات الخديوية ص ٦٧ شكر عباس

غادة تعمل على استمالة عباس ص ٦٧ تقديم رواية « اميليا » التي تمثل حالتها . فشلها
رحلة الخديو إلى الاستانة وأوربا ص ٧٠ وصوله إلى الاستانة وسروره من الاستقبال . بقائه
في مصر لمشاركة النظار . سفره إلى فينا . ومنها إلى لندرة . الحفاوة . شكوى البرنيس
زبيدة لملك الانجليز . تكدر سموه . أوامره لي . رجوعه للاستندرية . كرومر
واتقاده على مسألة البرنيس . استيلاء عباس . الترضية

وفاة الشيخ محمد عبده ص ٧١ تشييع جنازته . عتب عباس على
الخديو وحسن عاصم باشا ص ٧٣ أوامر باتقاد بعض كبار الموظفين . عريضتهم بالاخلاص للخديو
بعد العودة من أوربا ص ٧٤ رواية الخديو لي عن تأم السلطان من الأرمن وما سيعمله معهم . إفشاء
الخديو هذا السر للانجليز

قاضي مصر وطلبه السفر للاستانة ص ٧٤ إذعانه لطلب أجازة . تعيين قاضي مكة بدلا عنه
منصب القبول كتحدا ص ٧٥

تعيين مفت جديد ص ٧٥ انتخاب الشيخ بكري محمد عاشور الصدي . تذر مصطفى فهمي من
تدخل بطرس

سنة ١٩٠٦

مسألة طابا ص ٧٧ احتلال مصر لها . معارضة الأتراك . بركة الصدور للخديو . رد الحكومة المصرية .
القوة تسحب إلى جزيرة فرعون . طلبها تعيين مندوبين لتعيين الحدود . عدم الموافقة .
إرسال المدرعة ديانا . محاولة الصدارة عدم فصل الحدود . طلب سحب المدرعة
تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية ص ٧٩ رد الحكومة بالرفض . رسالة عباس السرية
للصدارة بطريقة الحل لصالح الدولة . الرد السري . رد الصدارة الرسمي
سفرى للاستانة لانتهاء المسألة ص ٨٥ التعليقات . في المابين . زيارتي للصدر . نصيحته لعباس .
حديثي مع سفير انجلترا . ملاحظته على الصحف المصرية . تشدد الباب العالي أولا
احتجاج الحكومتين المصرية والانجليزية الرسمية ص ٨٧ الأتراك يقتلون أعداء الحدود
ويغيرون أعمدة التلغراف . الدارعة منرفا . الاحتجاج . طلب تعيين لجنة لفصل الحدود
بلاغ انجلترا النهائي ص ٨٨ المطالب . قبولها . السلطان والصدر وناظر الحرية ناقون على الغازي .
رضا الرأي العام عن سياسة الخديو

تعيين أعضاء اللجنة وتحديد التخوم ص ٩٠

ملك الانجليز حانق على عباس ص ٩١ معلومات البرنس حسين . توسط كاسل لاصلاح ذات
البن . كاد عباس أن يدفعني للحرب مع تركيا

ولى عهد انجلترا بمصر وخطاب البكري له ص ٩٢ استقباله بالمحطة . مأدبة عشاء . في عابدين .
استقباله أعضاء مجلس الشورى . خطاب مفتوح له من البكري يطلب الدستور .
سفره إلى انجلترا

الحديث في الاستانة ص ٩٥ حفاوة السلطان به . سفره للحجرات . رجوعي لمصر
عود إلى دسائس الأزهر ص ٥٩ المفتي ومسألة امتحان طالب . تعنيق له لطفه في شيخ الجامع .
إقالة ابنه من وظيفته في الأوقاف الحديثية

وفاة البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين ص ٩٧

وشاية يعقبا إنقاص مرتبي ص ٩٧

حادثة دنشواي ص ٩٩ مشاجرة بين سكانها وبعض الانجليز . نتيجتها . تأليف المحكمة المختصة .
الحكم الفظيع . رجوع الوفاق بين عباس ومصطفى كامل . السير جرای ينسب الحادث

للتعصب . حملات مصطفى كامل في الصحف . استبدال القلق بالتعصب بعد الحملات

الحديث والنظار والانجليز ص ١٠٢ ترشيح كرومر لسعد زغلول في نظارة المعارف . رأى بطرس
في بعض المسائل

تأسيس شركة ليتاندارد والاستاندارد ص ١٠٣ المعاونات المالية . انتقاد كرومر الشديد .
تأثر عباس

مسألة الرتب أيضاً ص ١٠٤ كلام كرومر بخصوصها بشدة . انفعال سموه منه

سنة ١٩٠٧

الانجليز وعيد الجلوس الحديث ص ١٠٥ الجو قائم والاحتكاك بين الحديث وكرومر مضطرم
الاسباب . ترضية كرومر لعباس في عيد جلوسه . عيد الجلوس في الأزهر . انتدائي
لحضوره وكلتي فيه

كيف أنشئت الجامعة (الأهلية) وانتخب رئيسها ص ١٠٦ الجامعة أم الكتائب ؟ لحافظ
عوض . مصطفى كامل الغمراوي ينادي للجامعة . تبرعه لها . عباس يشجع المشروع .
أول اجتماع عند سعد زغلول بك . المجتمعون . الاكتتاب . الانتخابات . رأى كرومر
فيها . مأموريتي مع اسماعيل اباطه باشا عند سعد . الاجابة غير مرضية . البحث عن
برنس لرأسه الجامعة . مخابرة مع البرنس احمد فؤاد باشا . انتخابه رئيسا وانتخابي وكلا

التزام على مشيخة الأزهر ص ١١١ محمد شاكر أو حسونة النواوي ؟ انتخاب الثاني

مدرسة القضاء الشرعي ص ١١١ عدم رضا عباس عن المشروع . النظار يؤيدون سعداً ما عدا
غفرى باشا . عباس يقبل مكرها . حدة سعد . غضب عباس الشديد . ثناء كرومر على سعد

تقرير كرومر عن الحركة الوطنية ص ١١٢ رأيه في الحزب الوطني

إصدار جريدتي ليتاندار والاستاندارد ص ١١٣ حملة مصطفى كامل على رجال الاحتلال

أحاديث سياسية للحديث ص ١١٣ ماقاله لمكاتب الطان . التهذيب الأوربي . إنكار التعصب . التسامح .
كرمه للاستبداد . لزوم اتحاد الأمة . التيمس تقول إن عباس من حزب مصطفى كامل
تهديدها له . حديث آخر مع المستر ديس الانجليزى . الاحتلال أمر طبيعي . الشرقيون

مبارون للسلطة المطلقة . طلبه من الانجليز ترك السلطة له . مستحيل تنازله عن أى امتياز الاعتراف بالجميل لذلك إدوارد . عباس ينكر مقاله ديس ما عدا تفضيل الانجليز على غيرهم . صحيح الحديث عن المؤيد

استقالة اللورد كرومر وتعيين السير الدون جورست مكانه ص ١١٧ خطته . سياسة جديدة . اجتذاب الخديو واستمالة الأحزاب . الاستحسان والرجاء . زيارة كرومر لعباس للوداع . قوله بأن علاقته الشخصية كانت حسنة ، أما السياسة فسيئة . طلب المجلس التناهي هو اللعب بالنار . إطلاق رصاصة تكون الفاضية على مصر وخديويها . انتقاده على حديث سموه مع الطان . جواب عباس على أقواله . رده الزيارة في الوكالة . مقابلة جورست لعباس . ارتياح الخديو لتعيينه . لتسكن وجهتنا واحدة وعملا لمصر . كرومر يتحدث بطرس عن زيارته لعباس ووعدته بتبرئته من الحزب الوطنى . سعى الانجليز لحضور كبار المصريين حفلة وداع كرومر . رفض الكثيرين طعن كرومر في الحفلة . رد الشيخ على يوسف المتن على أقوال كرومر

جورست وسياسة الوفاق الجديدة ص ١٢١ خطبته في استقباله الرسمى . اعترافه بسيادة الدولة . الحكم للخديو . رد عباس . مساعدته وإخلاصه له . البرنس حسين وانتقاده على التصنيق على المدبرين . جورست يعد توسيع اختصاصاتهم . حديث بين عباس وجورست . لأول مرة يعرض معتمد انجليزى ترشيح مستشار . موافقة عباس . عهد جديد . وصايا جورست للوظفين الانجليز . ارتياح عباس . إطلاق يده في منع الرتب والنياشين أرمنى يهدد الخديو ص ١٢٣ تشتت أفكاره . الأسباب . خطابات تمس الخديو في بدموزلى وشريكه اسطفان بك الأرمنى . الترضية . أحمد شوقي واستقالته . بطرس وعتابه على لمنعه الأزمة المالية ص ١٢٥ فدان يشترى بمائة جنيه ويبيع بألف وثلثائة . امتناع المصارف عن التسليف تأخير تقارير كرومر وخطة الحزب الوطنى . إفلاس كثير من المحلات التجارية قيام الأحزاب المصرية ص ١٢٦ الحزب الوطنى . تأليفه . برنامج . شروط قبول الأعضاء فيه . حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية . تأييد الخديو له . ملخص مبادئه . حزب الأمة . تأليفه . المجردة لسان حاله . مبادئه . كرومر يعرضه

من استبداد عباس ص ١٣١ تشغيل موظف في مشال غم شئون مختلفة ص ١٣٢ رحلة عباس لسبوة . مشتراى وزميلين في المعية أراضى فيها . ردها لأصحابها بأمر عباس . مشتراه لها باسم ولى العهد . سعى الخديو لاجتذاب الأهالى . تعليم ولى العهد وشقيقه

سنة ١٩٠٨

الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر ص ١٣٦ طلب الشيخ الشربى زيادة ميزانية الأزهر . محادثتى معه « إذا أعطينا أخذنا » . وفاته . مقابلة خلفه . الشيخ حسونه وتكرار الطلب . مناقشتى معه واستأثنته لوضع نظام جديد للأزهر . رأى الشيخ محمد حسين العدوى

في الإصلاح . اشترك الشيخ محمد شاكر معي في عمل مشروع الإصلاح . تشكيل لجنة لمراجعته . تقرر لها . طلي من اللجنة الاعتراف بأنه ليس فيه ما يقتضي وأصول الدين الاسلامي . قيام الشيخ محمد راضي على رأس بعض المشايخ ضد القانون . غضب الخديو على الشيخ حسونة وزواله بمسعى . طرد الشيخ محمد راضي من التشريفات . انعقاد المجلس الاعلى للأزهر والمعاهد الدينية لأول مرة . لماسا لم ينجح الشيخ محمد عبده في معالجته إصلاح الأزهر ؟

مسائل الرتب ص ١٤١ كيفية منحها للتجار والأعيان والعهد . ما يقوله حسين زكي بك عن المتاجرة فيها وتوزيع الأرباح . التنافس بين حسين زكي بك وأحمد شوقي بك . غضب الأول وتهديده بكشف الستار عن الأسرار . استرضائه

سياسة الوفاق بين جورست والخديو - الدلائل - ص ١٤٢ الخديو وقتي زغلول . الشيخ محمد عبده وأنصاره يطلبون سحب السلطة من عباس . الخديو والنظار

وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد رئيساً للحزب الوطني ص ١٤٤ يوم تشييع جنازته كان يوماً لم يسبق له نظير . تهينة الخديو لمحمد فريد

لائحة المعاشات الجديدة ص ١٤٥ الفرق بينها وبين لائحة توفيق

سفر الخديو للاستانة وأوربا ص ١٤٦ بقائي في مصر مع النظار

قاضي قضاة السودان ص ١٤٦ استلام الخديو عن السواقي في التعيين . تعيين الشيخ مصطفى المراغي إعلان الدستور في تركيا ص ١٤٦ المطالبون به . دخول جيش سالونيك للاستانة . إذعان عبد الحميد . وصف الانقلاب

خواطر تحسين باشا عن علاقة عبد الحميد بعباس ص ١٤٩ ما قاله عن سموه وعني . برج قصر جبوقلي والمزاعم عنه

عودة الخديو إلى مصر ص ١٥١ مارواه عن الاحتفال العظيم به في قوله

الحركة الوطنية وطلب الدستور في مصر ص ١٥٣ الأسباب . المطالبة في مجلس شوري القوانين الوفد الأباغلي في لندرة لتعضيد الخديو . رأى الخديو في طلب الدستور . خلاف بين علي شعراوي باشا واسماعيل أباطه باشا . الانجليز وملاحظتهم على تأخير أعمال مجلس الشوري . المستشار المالي وقوله كيف يمكن طلب البرلمان مع وجود الاحتلال

علاقة مصر بتركيا وانجلترا ص ١٥٦

من استبداد عباس أيضاً ص ١٥٨ طرد موظفين في سن الشيخوخة . تعذيب وقاد تركي . خصم مراتب وإنذارات لأقل هفوة

بطرس يخلف مصطفى فهمي ص ١٥٨ ترشيحه لي لنظارة المعارف . سعد كلامه قاس مثل الحجر ولكن جورست يطلب إبقائه في النظارة . بطرس مسئول أمام الخديو وكل ناظر أمام الرئيس . ترشيحي ثانياً للبالية . عدم استغناء عباس عنى

مدير الأوقاف العمومية الجديد ص ١٦٣ تعيين خليل حمادة باشا . تقديم له رؤساء الأوقاف

النظار الجدد والأزهر ص ١٦٤ مناقشة عتيقة بين سعد ورشدي حول الأزهر . خلاف بين سعد
والمستشار المالي . حكم بطرس باشا على سعد
التهاتف للدستور ص ١٦٤ الاستعراض في عيد ميلاد ملك الانجليز . عباس والنظار في شرفة سراي
عابدين . طلبية مدرسة الحقوق تهتف لسموه وللدستور
رساله تهديد للخديو ص ١٦٥ جمعية الانتقام المصري
الانجوايز يعبثون بالاحتياطي ص ١٦٥ مشترى القنصليد الانجليزى وأسهم الترنسفال بمليون
وثلاثمائة ألف جنيه
الانجليز والوظائف ص ١٦٦ جورست يخفض عدد المعلمين الانجليز من ستة وأربعين إلى أربعة
الخديو والأعمال الهامة ص ١٦٦ مناقشة سموه مع النظار في الأعمال . اشتغال سموه بالمسائل الشرعية
مجلس شورى القوانين والدستور ص ١٦٧ لاجلس نيابى بل طلب اشتراك الأمة مع الحكومة
اضطراب الأمن ص ١٦٨ انتشار أشرار في داخلية البلاد
قاضى مصر والولاية الشرعية ص ١٦٨ عباس خديو سياسى والقاضى خديو شرعى . انتداب
محمود شكرى باشا للمخابرة مع الباب العالي
المشادة بين الخديو والحزب الوطنى ص ١٦٩ ادعاؤه على الخديو بأنه خائن
تدخل الخديو في الانتخابات ص ١٧٠ فشله . نصف مليون بالعاصمة يحضر عنهم ألف وخمسمائة

سنة ١٩٠٩

ترشيحى لأمانة جمرک الاسكندرية ص ١٧١ عدول سموه
الحزب الوطنى والموظفون ص ١٧٢
المستشار المسالى والنظار ص ١٧٢ الخلاف بينهم في المجلس . مسألة سكة حديد الواحات . لائحة
المعاشات الجديدة . عباس لم يشهد مناقشات بهذه الحدة
تعيين البرنس حسين كامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين ص ١٧٣ طلب توسيع
اختصاص المجلس
بعث قانون المطبوعات واضطهاد الصحافة ص ١٧٣ قانون سنة ١٧٨١ . تذبذب عباس في
الرأى . فكر الشيخ على يوسف . الخلاف بين النظار ورئيسهم . استيلاء بطرس باشا .
تهديد سعد وسعيد ورشدي بالاستقالة . الحل وانقراض الأزمة . مكافآت بزيادة مرتبى .
أنا لا آتمن سواك . انتقاد سموه على رجوع النظار في أقوالهم . سرور بطرس .
لو كانت قبلت ترشيحاته ، ومنهم المؤلف ، لما حصل هذا الاختلاف
صدى القانون ص ١٧٨ حملات الصحف ضد قرار الحكومة . عدم احتفاء الطلبة بعباس . اجتماع
الحزب الوطنى . تهديد النظار بالقتل . مظاهرة الطلبة . القانون في مجلس الشورى

قبوله بمدد الانقسام . إندار اللواء والحكم على الشيخ جاويز . البرلمان الانجليزى
يوصى بدم التضيق على حرية الصحف . اللواء ومدحها قاتل اللورد كرزون فى الهند .
الطنن فى أعضاء محكمة دانشواى من المصريين . مظاهرة سياسية . الخديو يعمل ضد
محمد فريد بك

افتتاح بور سودان ص ١٨٠ الاستقبال والحفاوة . الخديو يضع آخر حجر . مأدبة . دعوة
السردار . حفلة الوداع وشكر عباس
شئون الأزهر ص ١٨٢ تشكيل لجنة للبحث فى مطالب الطلبة والعلماء . استقالة الشيخ حسونة
وتعيين الشيخ سليم البشرى للمرة الثانية
تولية السلطان محمد رشاد وسفر الخديو للاستانة وأوربا ص ١٨٢ تهنئة عباس للسلطان
الحفاوة بسموه . رجوع الخديو لمصر
انتدبى لإدارة الاوقاف الخديوية ص ١٨٣ حفلة امتحان مدرسة خليل أغا . خطبى . إن
الحسنات بذهن السيئات

حضور عزت العابدين باشا إلى مصر ص ١٨٤ مقابلته للخديو
مرض السيد البكرى ص ١٨٤ تخيله اضطهاد الخديو وكل العالم له . تطمين له
مهمة سياسية لمحمود شكرى باشا فى الاستانة ص ١٨٥ موافقة الخديو للقاضى الجديد الذى
يرشحه الباب العالى . التصريح لمصر بالاقتراض
مسألة امتياز قناة السويس ص ٨٦١ رأى العام ضده . نصيحة عباس لبطرس . موافقة عباس
على عرض المشروع على الجمعية العمومية . تدخل الباب العالى . سعد يدافع عن
المشروع . رفضه

سنة ١٩١٠

عباس يؤدى فريضة الحج ص ١٨٩ صدور الأمر إلى القائمقام بطرس باشا . الثناء على الحكومة
العثمانية . التنويه بذكر الخلافة الاسلامية للسلطان . شعور الخديو نحو الأمة المصرية
الوصول إلى مكة . إبلاغى الشريف حسين السلام الخديوى . إعداد المحال اللازمة .
استقبال الخديو فى جدة وبحرة ومكة . مروره بين الأعلام والمصاييح . صلاته صلاة
الصبح فى الحرم . الطواف والسعي . نزوله فى دار الامارة . أنت تقيم فى ملكك
إطلاق المدافع عند الشروق . تشریفات وزيارات . تفقد التكية المصرية استشار
الاهالى بنزل الأمطار . وليلة الخديو لكبار القوم . وكيل الولاية . ترحيه قدوم الخديو
الخروج إلى عرفة . التلبية المؤثرة . الوقوف على جبل الرحمة . التلبية . المنظر الرائع
النزول إلى منى . استعراض حرس الحمل . الضحايا . قراءة القرمان . الحمل الشامى
ومحل بن دينار . رمى الجرات . توزيع الصدقات فى مكة . تشيد الحجاج المدنيين .
اغفر اغفر إن لم تغفر من يغفر . أسواق متبع الجوارى . أستاذ يامانى مسلم . عباس
وبعض الحاشية على الخير من مكة إلى بحرة . كبر الركائب ووقوعنا . حفلة الوداع

في جدة . منها إلى الوجه بمرأثم إلى البدائع . طريق وعر . الجنود العثمانية تراقب
 الحديبو . من البدائع إلى المدينة بالقطار . الاستقبال بها . زيارات في الحرم ومقبرة
 المدينة ومسجد قبا . صلاة الجمعة بالحرم . خطبة السيد محمد البيلوي . معاملة عباس
 بعض رجال المعية بالشم واللبن . شكر المودعين والقيام إلى تبوك . الوصول إلى حيفا .
 الاستقبال الرسمي . تحيل فقراء الحجاج على حساب الخاصة . الوصول إلى القاهرة .
 مسألة امتياز قناة السويس في الجمعية العمومية ص ٢٠٤ خطبة عباس . الغتاف في الشوارع ضد
 المشروع والحديبو والنظار . تقريران من صابر باشا صبري وطلعت بك حرب
 ضد المشروع . رفض المشروع بالإجماع . حديث للحديبو
 مقتل بطرس باشا ص ٢٠٨ اعتداء الورداني عليه . في مستشفى الدكتور ملتون . تقبيل عباس له
 تأثر بطرس وشكره . وفاته . تشييع جنازته رسمياً . النظارة الجديدة . محمد سعيد باشا
 يخلف بطرس . التحقيق والجاني . جمعية مصرية . الحكم بالاعدام
 روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر ص ٢١٢ مأذبة في عابدين وأخرى عند الرئيس احمد
 فؤاد باشا . خطبة روزفلت بالجامعة بدعوة رئيسها . الوطنيون وروزفلت . ما كتبه
 الشيخ على يوسف ضد روزفلت في المجلات الأمريكية كطلها . سفر روزفلت إلى
 لندرة . خطابه الشديد عن المصريين في جلد هول . موافقة السير ادوارد جراي على
 تصريحات روزفلت بخصوص مصر . خطبة فريد بك في لندرة ضد روزفلت وجراي
 تعييني مديراً لديوان الأوقاف العمومية وبعض أعماله فيه ص ٢١٥ زيارتي للنظار
 كتي لروساء الأوقاف . فوضى الديوان وإنشاء فلم استعلامات . نظافة المساجد
 تعيين مفتش للمعاهد من غير العلماء وعضهم . توسيع اختصاص الموظفين . طلب الصحف
 واتباع هذه الخطة في دوائر الحكومة . تعديل المجلس الأعلى للأوقاف . رحلة لزيارة
 مأمورات الأوقاف . افتتاح مسجد مرسى مطروح . الاحتفال بذكرى محمد على الكبير
 حالة التكايا والمساجد السيئة . ضرر المقاهي بجوار المساجد . التوظيف والترقي في
 الديوان . انتقال الموظفين . القاعدة . حالة بعض الموظفين . تعيين تلامذة . الظهورات
 وفاة ملك الانجليز ص ٢٢٦ الرئيس محمد على يشيع الجنازة . الاحتفال بالجنازة في ثكنة قصر النيل
 سفرى للأسكندرية لقضاء فصل الصيف . اختياري لرياسة لجنة امتحان مدرسة
 المعلمين الناصرية ص ٢٢٧ ملاحظاتي . شكر ناظر المعارف
 قضية ديوان وطنيتي ص ٢٣١ الحكم على الشيخ الغاياني والشيخ جاويش وآخرين
 الخطوة الثالثة لاصلاح الأزهر ص ٢٣٢

سنة ١٩١١

اشتداد روح المعارضة . سجن محمد فريد بك ص ٢٣٥ المعارضة في مجلس شورى القوانين
 حول الرتب والنياشين لأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية ص ٢٣٦ تكريم
 المعارضين . تكريم الأغلبية

رحلتى للصعيد والسودان ص ٢٣٧
 الخطوة الثالثة فى إصلاح الأزهر ص ٢٤١ تنفيذ قانون الأزهر الجديد
 رأى الخديو وغورست فى المعارضة فى مجلس شورى القوانين ص ٢٤٢ رأى الخديو فى
 المعارضة . رأى غورست فيها
 المؤتمر القبطى ص ٢٤٤ معارضة بطرس باشا لها . كلية الأستاذ واصف بطرس غالى عن المنصرين .
 انعقاد المؤتمر ومطالبه
 المؤتمر المصرى ومباحثه ص ٢٤٥
 حديث غورست والخديو عن المؤتمرين ص ٢٤٧ حديث الخديو عن المسألة القبطية
 سفر الخديو للاستانة ص ٢٤٧ حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيجارو بباريس . زيارته لايطاليا
 وحفاوة ملكها به
 وفاة رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى ص ٢٤٩ — وفاة غورست وتعيين كشتنر
 ص ٢٥١ — اتجاه السياسة الجديدة ص ٢٥١ . الانعام على بنيشان إيطالى ص ٢٥٢
 أعمالى فى ديوان الأوقاف ص ٢٥٢ الأوقاف الأهلية . قسم القضايا . فلم التحصيلات . الاحتياط
 للبعاشات . الاشهار فى المزار العلى . تعديل مواعيد الأقساط . تحديد مساحة الصبغ .
 تطهير المساق والمصارف . المستوصف العبايى . مسجد مصر الجديدة . أول تقرير عن
 أعمال الديوان
 أكبر أنجال السلطان رشاد فى مصر لتحية ملك إنجلترا ص ٢٥٧ وصوله للاسكندرية . سفر
 الخديو والوفد الشاهاني إلى بورسعيد . وصول ملك إنجلترا وملكيتها إلى بورسعيد .
 استقبالها . زيارة الملك للخديو وللأمير ضياء الدين أفندى . عود الخديو وضيوفه إلى
 القاهرة . سفر جلالة الملك . الانعام بنيشان على الأمير . زيارات للأمير . سفر
 الخديو والأمير للاسكندرية . سفر الوفد الشاهاني للاستانة . إهداء السلطان صورته
 لعباس . أثر الهدية فى نفس عباس

سنة ١٩١٢

الحرب الطرابلسية ص ٢٦٢ جواب الباب العالي على إنذار إيطاليا . استغاثة السلطان بملوك أوربا
 موقف مصر منها ص ٢٦٥ مظاهرات الأهالى . مجهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن
 عزام . كشتنر وسياسة مع المصريين . جيوش السنوسى
 البرنس فؤاد ص ٢٦٧ تذبذب الخديو ، عبد الحيد بك شديد ومهمته
 الخديو والحزب الوطنى ص ٢٦٧ الحزب على كراهة الحكومة
 المؤامرة على الخديو وكشتنر ومحمد سعيد ص ٢٦٨ . اتهام فريد بك للخديو ص ٢٦٩

محاكمة الشيخ جاويش ص ٢٧٠ استقالة سد باشا

كتشنر في مصر ص ٢٧٢ تدخله في جميع الشئون

تعلية خزان أسوان ص ٢٧٥ . بينى وبين الشيخ على بوسف ص ٢٧٥

أعمال في ديوان الأوقاف ص ٢٧٧ جناح جديد . رئيس قسم القضايا . تنظيم قسم الهندسة
عبادة الجذام . مستشفى الأمراض غير القابلة للشفاء . صندوق الاقتصاد والتعاون .
تدليل لائحة الديوان . تعلم بعض العلوم الأزهرية . الشعة الأزهرية لترقية الوعظ .
فرش المساجد وإنارتها بالكهرباء للمرة الأولى . إلغاء إدارة المساجد بالمهدة . استبدال
القبود بالخبز في المقارى . قسم الصحة . تنظيم مخزن الأدوية . تشييد موهدي طنطا
ودمياط . مصاريف المعاهد الدينية . عدد المأموريات . انتخاب العمال الأكفأ
مشروعات تحت النظر . ما قاله لى البرنس حسين كامل ورأى كتشنر على

سنة ١٩١٣

حرب البلقان ص ٢٨٨

مساعدات مصر للدولة ص ٢٨٨ مؤتمر لوندرة . إسقاط كامل باشا وتولية شوكت باشا . ألمانيا
والاتحاديون . عودة الحرب . مظاهرات النصر في الاسكندرية . هزيمة بعد انتصار
وسقوط أدرنه . قتل الصدر باشا . سعيد حليم صدر أعظم

خطة لاستقلال مصر ص ٢٩٠ عقد الصلح

البرنس فؤاد وعرش ألبانيا ص ٢٩١ . أفراح الخديو ص ٢٩١ — صفقة طيبة
(أرض المطاعنة) ص ٢٩٢

اختبارى الأوقاف الخصوصية الخديوية ص ٢٩٤ عباس يكلف بالبحث عن يصلح للأوقاف
الخديوية . ترشيح لعل بك أبي الفتوح . كيف تسلمت إدارة الأوقاف الخديوية
بالحاج عباس

مدير الأوقاف العمومية يباع ويشترى بدراهم معدودة ص ٢٩٦

عباس يصيب عصفورين بحجر ص ٢٩٧

تحويل الأوقاف إلى نظارة ص ٢٩٧ كتشنر يستشير الصدر الأعظم وشيخ الاسلام . النظام الجديد
للأوقاف . الانتقام من عبد الرحمن فهمى بك

إنشاء الجمعية التشريعية ص ٢٩٩ قانونها اختصاصاتها . قانون الانتخاب . كتاب أبيض لكتشنر عنها
انتخاب المندوبين . أول بيان انتخابي . المنشورات الانتخابية . انتخاب النواب
المعنيين . رئيس الجمعية ووكيلها المعين . انعقاد الجمعية

مساعى الصلح بين الخديو ومحمد فريد بك ص ٣٠٣ وساطة مدام روشيرون

شئون مختلفة ص ٣٠٣ تقرير كتشنر

سنة ١٩١٤

- تصريح لرئيس الجمعية التشريعية ص ٣٠٤ سعد باشا ووكالتها . مآذب لأعضائها . افتتاح الجمعية
لائحتها الداخلية
- عيد الجلوس الخديوى ص ٣٠٧ — حادثة الطيار فدرين الفرنسى ص ٣٠٧ — سقوط
نظارة محمد سعيد ص ٣٠٩
- كتشنر يلجأ للخديوى ص ٣٠٩ تنمة فى شئون الجامعة المصرية . الاكتتابات للجامعة . هدايا مدرسية
أجنبية وقبول بعض صغار الطلبة مجاناً
- الاحتفال بوضع الحجر الأساسى للجامعة ص ٣١٠ امتحان العالمية . بعثات الجامعة
رحلة الخديوى فى الوجه البحرى وظهور نفوذه ص ٣١٢
- تآلم كتشنر لنجاح الرحلة ص ٣١٧ صورة الأمر الكريم الصادر لعطوفة رشدى باشا بتولى شئون
القائمقامية الخديوية أثناء غيبة سموه
- تكريم واصف بطرس غالى ص ٣١٨ لحة عنه . تكريمه
وداع المجمع العلمى لماسبرو الجامعة المصرية تكرم ماسبرو
- مبيع سكة حديد مريوط — تهديدات كتشنر للخديوى — تفكير عباس فى التنازل عن
العرش — حادثة الاعتداء على حياة الخديوى وشعور المصرين نحوها

الحرب العظمى

- المخابرات بين الخديوى بالاستانة وقائمقامه بمصر ص ٣٣١
- الانجليز يمنعون عباس من العودة لبلاده ص ٣٣٢ نصيحة الأتراك له بالرفض
- ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ ص ٣٣٨
- مطالب الانجليز من مصر بعد إعلانهم الحرب ص ٣٣٩ مصر تقطع علاقتها مع ألمانيا
والنمسا . إخراج معتمدى ألمانيا والنمسا من مصر
- انتدأى بمهمة سياسية خطيرة لدى عباس ص ٣٤١ عباس يروى لى حادثة الاعتداء . عثمان
مرضى باشا يحدثنى بما دار فى التحقيق
- تبشير عباس للمصريين بشفائه ص ٣٤٩
- وفاة مصطفى فهمى باشا ص ٣٥٠ تعزية عباس لسعد والرد
- إلحاح الانجليز بترك عباس للاستانة والاقامة فى إيطاليا ص ٣٥١ نصيحة الأتراك له بالرفض
قطع علاقه بالانجليز ص ٣٥٣

تابع المخابرات الرسمية والحوادث ص ٣٥٥ الرتب والنياشين

رسالة انتقاد من عباس إلى رشدي يعقبها ثقة وثناء ص ٣٥٨ — منع الحج ومنع
التضحية والاكتتاب للصليب الأحمر جبراً ص ٣٦٠ — زيارة عباس لشكر الخليفة
والعائلة السلطانية والسفراء ص ٣٦١ — عباس والصدر والحزب الوطني ص ٣٦٢
الاتفاق الثلاثي بين ألمانيا وتركيا وعباس ص ٣٦٩ — الحملة التركية على مصر ص ٣٧٥
منشور من الخديو إلى رعاياه مصريين وسودانيين ص ٣٧٨ تابع الحملة التركية على مصر

تحديد مهمة الحملة ص ٣٩٥ الصباحي يحمل الاوامر

عود إلى الحملة ص ٣٩٨ — طلب الاتحاديين إعانات مالية من عباس ص ٣٩٩ — تركية
تعلن الحرب على روسيا وانجلترا وفرنسا ص ٤٠١ — البعثات الخديوية للحاق بالحملة
التركية ص ٤٠٣ — قلق إيطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتداد القلق لإعلان
الجهاد ص ٤١٥ — كيف تخابر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين
ص ٤١٨ قبض الانجليز على بعض المصريين الموالين للخديو ونفهم إلى الخارج

عرش مصر بين عباس وعز الدين وسعيد حلیم ص ٤٢٢ — مهمتي السياسية في إيطاليا
ومحادثات هامة ومقابلي مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات أخرى مع
المصريين وغيرهم ص ٤٢٣ محادثتي مع محب باشا . محادثتي الأولى مع البرنس محمد على باشا . محادثتي
الأولى مع مسيو بقتشلي . محادثتي مع كبير الأمراء . محادثتي مع نابی بك

محادثتي مع الملك ص ٤٢٩ محادثتي الثانية مع نابی بك . محادثتي الثانية مع بقتشلي . محادثتي الثانية
مع البرنس محمد على . محادثتي الثالثة مع مسيو بقتشلي . محادثتي مع محمد يكن . محادثتي
الثالثة مع نابی بك . محادثتي مع البرنس عزيز حسن . البرنس جميل . مقابلي مع
دومرينو . محادثتي الرابعة مع نابی بك

المساعي لخروج الخديو من الاستانة وإقامته في فينا ص ٤٣٤ تهديد سفير ألمانيا للاتحاديين
حديث عباس بفيينا مع جريبارس عن حادثة الاعتداء ص ٤٣٨ — رأى عباس في حل
مسألة السودان ص ٤٣٨ — كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين
ص ٤٣٩ — قلق عباس بعد الانقلاب في مصر ص ٤٤٠ — الحفاوة بالخديو في فينا
ص ٤٤٣ — شؤون مختلفة ص ٤٤٤ — كلمة ختامية ص ٤٤٨

فهرس الأعلام

الواردة في القسم الثاني من الجزء الثاني من « مذكراتي في نصف قرن »

٣٢٦	احمد جودت	(١)	
٣٥٧٣١٧١٠٦	احمد حافظ عوض بك	٣٦٥٣١٢٣٠٥	ابراهيم آدم بك
٢٢٧٢٠٩١٦٢	احمد حشمت باشا	٤٠١٣٧٧٧	
٢٩٨٢٥٤٢٥١		١٥١١	ابراهيم التشرىفاتى بك (باشا)
٣١٣٣٠٩٢٩٨	احمد حلى باشا	٥٤	
١٨٣٧٣٥١٢٥	احمد خيرى باشا	٢١١١٧٠١٠٠	ابراهيم الهلباوى بك
٢٩٤٢٠٩١٩٤١٩١١٩٠		٢٦٨٢٤٦٢٣٧	
٢٩٦		٩٧	ابراهيم حلى باشا ، البرنس
٥٤٢٥٣٥٢١١١٠	احمد زكى باشا	٣٦٧٣٦٦٣٦٤٢٣٥٢٣١٠	
١٤٠١٣٢١٢٠٧٣٦٣٥٦		٢٨٦٢٨٤٢٣٧٦٢٣٦٩٢٣٦٨	
٣٢٢٣١١٢٥١٢١٦١٦٣		٤٠٢٣٩٧٢٣٩٦٢٣٨٩٢٣٨٨	
١٧٧١٠٩	احمد زكى بك	٤٠٨	
٤٠٤	احمد سلام افندى الملازم ثانى	٣٠٢١٥٥	ابراهيم سعيد باشا
١١٤٢٦٤٢٧	احمد شوقى بك الشاعر	٣١٤١٤٣٩٠	ابراهيم فتحى باشا ، اللواء
١٤٢١٢٥١٢٤١٢٠١١٥		١٣٩١٣٨٧٦	ابراهيم فؤاد باشا
٣٤٢٢٢١٢٣١١		٣٢٠٢٥٤٢	
٢٩٧٢٩٦٢٩٣١٩٠	احمد صادق بك	٢١١٢٠٨	ابراهيم ناصف الوردانى
٣٥٧٣١٧٢٣٠٥		٦١٢٠	احمد أبو خطوة ، الشيخ
٢٥٧	احمد ضياء الدين نجل السلطان	٢٨٢٢٧٩	احمد الأزهرى بك
٢٦٠٢٥٩٢٥٨		٧	احمد العريس بك
١١٦	احمد عبد اللطيف المسكبى المحامى	١٨٢١٣٥١٣١	احمد الزناقى ، الشيخ
٣٠٢٢٤٦٢٣٧		٢٦٦	احمد الشريف السنوسى ، السيد
١٨٤١٤٩٢٨٦	احمد عزت العابد باشا	٣٤٦١٥١٢٤	احمد جلال الدين باشا
١٢٨١٢٧١٠٠	احمد فتحى زغلول	٣٦٥	

٢٧٦ ٢٧٨ ٣١٧ ٣٣٨ ٣٤٣	١٤٢ ١٤٣ ١٧٩ ٢٠٨ ٢٠٩
٣٦١ ٣٦٢ ٤١٢	٢٣٣ ٢٣٤ ٢٤١ ٢٤٢
اسماعيل حسانين باشا ٢٩٨ ١١١	احمد فؤاد، البرنس (الملك) ١١٠ ٣٠
٣٢٢	١١١ ٢١٢ ٢٤٩ ٢٦٧ ٢٩١
اسماعيل حق بك ٣٨٦ ٣٥٢ ٣٠٦	٣٠٩ ٣١٠ ٣٢٢
٤٠٠	احمد فؤاد، الدكتور ٣٦٦ ٣٦٥ ٣٤٩
اسماعيل رأفت بك ٣٢٣ ٣١٢ ٣١١	٣٦٧ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٥
اسماعيل سري باشا ٢٠٩ ١٦٦ ١٦١	٣٩٨ ٤١١ ٤١٤ ٤١٥
٢٥٤ ٢٧٥ ٢٨١ ٣١٣ ٣١٤	احمد مختار باشا، الغازي ٥١٣ ٣٠ ٢٢
٣١٧ ٣٢٢	٧٩ ٨٣ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٩ ٩٠
اسماعيل كامل افندي ٣٨٩	احمد مظلوم باشا ١٦٨ ١٢٢ ٣٢
اسماعيل صدقي باشا ٢٣٣ ١١١	٣٠٢ ٣٠٤ ٣٠ ٣٢٠
٢٣٤ ٣١٧ ٣٢١	احمد لطفي السيد بك (باشا) ١٢٦
اسماعيل كمال بك ١٤١ ١٠٩ ٩٨	١٧٠ ٢٣٧ ٢٤٦
اسماعيل ليب بك ٣٦٤ ٣٦٣	احمد طاهر افندي ٣٨٩
٣٦٥ ٣٧٢ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩	احمد يحيى باشا ١٥٢ ١٥٤ ١٥٥
٣٨٠ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٥ ٣٨٧	١٨٦ ١٨٧
٣٩٦ ٤٠٧ ٤٠٩ ٤١٥	أخنوخ فانوس ٢٤٥ ١٠٩ ٤١
اسماعيل مختار باشا، اللوام ٣١٢ ٣٠٥	ادوارد السابع ٢٢٦ ١١٦
٣٩٧	ادوارد جري، السير ٢١٣ ١٠١ ٨٩
البابي الحلبي ٢٩٤ ٢٩٢	أرنست كامبل، السير ١٩١ ١٨١ ٦٠
الدون جورست، السير ٤٣ ١٥١ ١٤	٢٠ ٢١ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠
١١٧ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢	اسطفان بك الارمني ١٢٥
١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧	اسماعيل أباطه باشا ١٢٨ ١٢٢ ١١٦
١٥٣ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٩ ١٦٠	١٣٤ ١٤٥ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤
١٦١ ١٦٣ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨	١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٩ ١٦٧
١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٣ ١٧٦	١٧٣ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٩ ١٨٠
١٧٧ ١٧٨ ١٨٢ ١٨٥ ١٨٦	١٨٧ ١٨٩ ٢٤١ ٢٤٤ ٢٧٣

٢٢٥٥ ٢٢٤٤ ٢٢١٨ ٢٢٠٠	١٨٧ ١٨٨ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٤٣
بكرى محمد عاشور الصدفى، الشيخ ٧٦	٢٤٧ ٢٧٣ ٣٢٨
٢٤١ ١٩١	أمين سامى باشا ٣١٣
٢٠١٧ ١٦ ١٥ ١٠ ١٧ ٢٠	اندر اوس بشاره باشا ٢٩٤
١٤٣ ٢٠ ١٩	أنور باشا ١٤٦ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٥٣
يويل، المستر (السكرتير الشرقى لكرومر)	٣٦٧ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧٣ ٣٧٥
٤٠	٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٩ ٣٨٣ ٣٨٤
(ت)	٣٨٥ ٣٨٧ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧
تحسين بك (الباشكاتب) ٥٤٥ ٥٠ ٤٩	٣٩٨ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٧ ٤١٦
١٤٩ ٨٥	أوف كنوت، الدوق ١٧٨ ١٧٧ ٢٩
توفيق الحضرى بك ٣١٢	٢٧٥
٨٩	(ب)
توفيق فهمى بك، القائم مقام ٣٨٣ ٣٨٢	٣٧٥ ٣٧٣
٤٠٦ ٤٠٨ ٤٠٩	باول، المستر ٩٢ ٢٠ ١٤ ١٠ ٢
(ث)	١٢٥ ١٣٢
ثابت بك (أثوابجى باشى السلطان) ٢٥٩	بطرس غالى باشا ٤٠ ٣٩ ٨ ٧ ٦
٤١٣ ٢٦٠	٤٤٤ ٤٨ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥
(ج)	٥٦ ٥٧ ٥٨ ٦٢ ٧١ ٧٤ ٧٥
جاستون ماسيرو ٣٢٢ ١١١	٧٦ ٧٧ ٧٩ ٨٢ ٨٥ ٨٧ ٩٥
جاويد بك ٣٩٣ ٣٩٢ ٣٧٢ ٣٦٨	١٠٠ ١٠٢ ١١٠ ١١٩ ١٢٠
٤٠٠ ٣٩٥	١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٣٨
جراهام، المستر ١٧٣ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٣	١٣٩ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤
جمال باشا ٣٩١ ٣٩٠ ٣٨٢ ٣٦٨	١٥٦ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١
٤١٤ ٤٠٨ ٤٠٢ ٣٩٥ ٣٩٢	١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦
جميل طوسون، البرنس ١٠٣ ٤٤	١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧١ ١٧٣
٣٠٧	١٧٤ ١٧٥ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩
جول فدرين	١٨٠ ١٨٣ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧
جوليت آدام (الكاتبه الفرنسية) ٤٢ ٤١	١٨٨ ١٨٩ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٣

٢٤١١٨٢٦٦	سلیم البشری ، الشیخ	٧٨٠٧٧	
٤٠٦	سلیمان نعمان باشا الحکیم	٢٩١٠٤	رشید بک
٣٦٥٣٦٤٣٦٢	سید کامل ، الدكتور	٩	رشید بک (بالسفارة العثمانية بلنדרه)
٣٧٥٣٧٢٣٧١	٣٦٩٣٦٦	٧٥٠	
٣٨٣٣٨٢٣٨٠	٣٧٩٣٧٨	١٤	رفرسو ، المریکز دی
٤١٢٣٩٤٣٨٨	٣٨٦٣٨٤	٤٠٦٢٥٩٢٤٩	رمزی طاهر باشا
٤١٣٤١٣		٤٠٨	
٣٤٤٣٤٢١٢٣	سیسل . اللورد	٢١٣١١٢	روزفلت رئیس آمریکا
٣٨٤٣٦٦	سیف الله یسری باشا	٢١٤	
٤٠٨٣٩٧		٤٠٦	رؤوف باشا الترقی
(ش)		(ز)	
٢٦١٤١٢١١	شاكر باشا ، المشیر	٧٠	زبیده ، البرنسیس
٣٧٦	شکیب أرسلان	٤٦٤٥	زرفوداکی
٣٤٣٣٤٢٣٣٢	شیتهام ، السیر ملن	(س)	
٣٥٠٣٤٥٣٤٤		١٠٥١٠٢	سعد زغلول بک (باشا)
١٧٧١٧٦١٧١	شیتی بک	١٢٧١١٩١١٠	١٠٨١٠٩
(ص)		١٦١١٦٠	١٤٣١٤٢
٢٧٩٢٠٧	صابر صبری باشا	١٨٦١٧٧	١٧٦١٧٥
١٠٣١٠٢	صادق رمضان ، الدكتور	٢٠٥١٨٨	١٨٧١٨٦
١٠٠٩	صباح الدین بک (ابن الداماد)	٢٧٢٢٧١	٢٦٨٢٠٩
٦٢٢٦١٠٦٠	صفیة السادات	٣٢٠٣٠٤	٣٠١٢٧٦
(ط)		٤١٣٣٧٥	٣٥٨٣٥٣
١٤٦	طلعت بک التلغرافچی الترقی	٢٩٧٢٨٩	١٢١٣٣٤٣٣٧
٣٧٦٣٧٥٣٦٨	٣٦٧٣٥٢	٤٠١٣٤٦٣٣٤٣٣٧	
٤٠٠٣٩٩٣٩٦	٣٩٢٣٨٨	٢٢٦٢١٦	٢١٢٢٢٦
٤١٦		٢٩٨٢٥٩	٢٤٩٢٤٩
٢٠٧	طلعت حرب بک (باشا)	سلبی ، المستر (سکرتیر وزیر خارجیه)	
٣١٢٣١١	طه حسین	٣٢٩	بریطانیا

٣٨٤ ٣٠٢ ر	١٠٦ ر ١٠٥ ٥١	طورنيزون باشا
٧٥٦١	١٢٦ ١٣٢ ر ١٤١	
١٤٣ ٦٦ ٦٥	(ع)	
٣٠٢ ر ١٥٣	٣٩٥ ر ٣٨٧	عباس حلیم ، الأمير
٣١٦ ر	٧٣٣٠	عبد الحلیم عاصم باشا
٣٤٩	٣٧٦	عبد الحمید الزهراوى ، الشيخ
٤٠٦ ٣٥٨ ر		عبد الحمید سعید (نجل ابراهيم سعید باشا)
٣٦١	٣٨٩ ر ٣٧٥	
٣١٢ ٣٠٥ ر ١٠٠	٢٦٧	عبد الحمید شديد
٣٣٥ ٣٣٢ ر ٣١٧ ٣١٦ ر ٣١٤ ر	٦٥ ر ٦١ ٦٠	عبد الخالق السادات ، السيد
٣٤٩ ر ٣٤٧ ر ٣٤٣ ر ٣٤١ ر ٣٣٨ ر	٢٠٨ ر ١١١	عبد الخالق ثروت باشا
٤١٢ ر ٣٦٢ ر ٣٦١ ر ٣٥٧ ر ٣٥٦ ر	٣٢١ ر ٢٦٩ ر ٢٣٣ ر ٢١١ ر ٢١٠ ر	
٣١٤ ر ٣٠٨ ر ٣٠٢	٣٠٢ ر ٢٤٦	عبد الخالق مدكور باشا
٣٥٨ ر ٣٥٧ ر ٣٥٦ ر ٣٣٠ ر ٣٢١ ر	١٠٦ ر ٦٦	عبد الرحمن الشربینی ، الشيخ
٤١٢ ر	١٣٧ ر ١٣٦ ر ١١١ ر	
٣٣٥	٣٣٠	عبد الرحمن عزت بك القاضي
٣٣٠	٢٨٢ ر ٢٧٩	عبد الرحمن فهمی بك
٢٣٨ ر ١٧٢	٢٩٨ ر ٢٩٣ ر	
١٤٣ ر ٦٦ ٦٥	٣٧٦	عبد الرحمن يوسف باشا
٢١١ ر ٢١٠	١٤٣	عبد الرحيم الدمرداش ، الشيخ
٣٧٨ ر ٣٦٥ ر ٣٦٣ ر ٣٠٢ ر ٢٤٦ ر	٣٠٢ ر ٢٩٦ ر ١٧٠ ر	
٢٣٢ ر ٢٣١	١٧٣ ر ١٠٩	عبد العزيز جاویش ، الشيخ
٣٢٢ ر ١١١	٢٤٦ ر ٢٣٢ ر ٢١٢ ر ١٨٠ ر ١٧٩ ر	
٣٨٤ ر ٣٦٩ ر ٢٩٢	٣٦٨ ر ٣٦٦ ر ٣٦٥ ر ٣٦٣ ر ٢٧٠ ر	
٣٢٢	٣٩١ ر ٣٩٠ ر ٣٧٨ ر ٣٦٩ ر	
١٥٥ ر ١٥٤ ر ١٥٢	١١٠ ر ١٠٩ ر ٨	عبد العزيز عزت باشا
٢٣٦ ر ١٨٦ ر ١٧٩ ر ١٦٧ ر ١٥٧ ر	١٦٣ ر ١٤١ ر ١٨ ر ١٦ ر ١٥ ر	
٣٨٤ ر ٢٤١ ر	٢٦٨	عبد العزيز فهمی بك (باشا)

كاوتسكى، الدكتور ١٠ر١٢٥٨ر٣٤٧	علي يوسف، الشيخ ٧و١٥و٢٦و٣٥
كتشنر، اللورد ٢٥١ر٢٥٧ر٢٦٠ر٢٦٦	٣٦و٦٠و٦٢و٦٥و٦٧و٧٢و١٠٤
٢٦٧ر٢٦٨ر٢٧٢ر٢٧٣ر٢٧٥	١٠٨و١١٦و١٢٠و١٢١و١٢٤
٢٨٦ر٢٩٠ر٢٩٧ر٢٩٨ر٣٠١	١٢٥و١٢٨و١٦٢و١٦٨و١٦٩
٣٠٥ر٣٠٦ر٣٠٩ر٣١٧ر٣٢٦	١٧٤و١٨٤و١٨٥و١٨٩و٢١٣
٣٢٨ر٣٣٥ر٣٤٢ر٣٤٤ر٣٤٦	٢٣٧و٢٤٦و٢٧٥و٢٧٦و٢٧٧
٣٥١	عماد الدين وهبي بك ٢٩٧و٣٢٧و٣٦٧
كرومر، اللورد ٢٩ر٣٠ر٣١ر٣٢ر٣٣	٣٧٤و
٣٥ر٣٧ر٣٨ر٣٩ر٤٠ر٤٢ر٤٦	عمر سلطان باشا ١٠٣و٣٣٠
٤٨ر٥٥ر٥٦ر٥٨ر٦٢ر٧١ر٧٥	عمر طوسون البرنس ١١٠و١٢١و٢٤٩
٧٦ر٨٢ر٨٣ر٩١ر٩٢ر١٠١	٢٥١و٢٦٥و٢٨٨
١٠٢ر١٠٣ر١٠٤ر١٠٦ر١٠٩	(ف)
١١٠ر١١٧ر١١٨ر١١٩ر١٢٠	فارس نمر، الدكتور ٦٤ر٣٢٧ر٣٢٨
١٢١ر١٢٤ر١٢٨ر١٤٤ر١٥٢	٣٢٩ر
١٦٣و١٧٣و٢١٢و٢٣٢و٢٧٣	فاطمة هانم اسماعيل، البرنسية ٣١٠
٣٢٨و	٣١١ر
كمال الدين حسين، البرنس ١٩١و١٩٣	فتح الله بركات باشا، محمد ١٠٥و١٥٥
١٩٤و	٢٣٦ر٢٤١ر٣٠٢
كوندى استيفن، السير ١٤و١٥	فرنسوا فرديناند، الارشيدوق ٢٩
(ل)	فريد باشا (الصدر) ١٢ر٤٩ر٥٣ر٨٦
لطيف سليم باشا ٣و١٠٤	١٤٧ر٢٩٠ر٣١٠
لويس مالت، السير ٣٥٣	فنسان كوربت، المستر ١١٧ر١٦٥
(م)	فؤاد سليم بك ٣٦٦ر٣٩٨ر٤١٤
م. أفندى ٣٧١و٣٧٢و٣٨٩و٣٩٧	(ق)
ماتشل إنيس ١٥و٧٤و١٢٢	قطه باشا ١٧٧ر١٩٠
محمد أبو الفضل الجيزاوى، الشيخ ٣٥	قلىنى فهمى باشا ٣٠٢
٣٧و١٠٦و١٣٩و٢٢٣	(ك)
	كامل باشا (الصدر) ٢٥٧ر٢٥٩ر٢٨٩

٢٩١ و ٢٧٧ و ٢٧٦ و ٢٧٥ و ٢٦٨	محمد البيلالوى ، السيد ٢٠٠ و ١٩٠
٣٠٥ و ٢٩٨ و ٢٩٦ و ٢٩٤ و ٢٩٢	محمد البورينى ، الشيخ ٣١٢
٤١٤ و ٣٢٦ و ٣٠٩ و ٣٠٨ و ٣٠٧	محمد الصباحى ٣٩٧ و ٣٤٧ و ٢١٠
محمد سليمان أباطه بك ٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٢٠	محمد القاضى جمال الدين أفندى ٧٥
محمد شاكى ، الشيخ ١١١ و ١٠٦ و ١٠٢	٣١٠ و ٢٩١
١٩٠ و ١٨٠ و ١٤٦ و ١٣٩	محمد أمين بهجت بك ٣٣٠
محمد شكرى باشا ١٧٠ و ١٠٠	محمد بخيت ، الشيخ ٦١ و ٣٥ و ٣٣ و ٣١
محمد عارف باشا ٣٥٢ و ٣٠٨ و ٣٠٥	٦٢ و ٩٦ و ٢٢١ و ٢٥١
٣٧٧ و ٣٧٦ و ٣٧٠ و ٣٦٢ و ٣٥٣	محمد بدر الدين بك ٤١١ و ٣٤٩
٣٩٥ و ٣٩٢ و ٢٩١ و ٣٨٧ و ٣٨٤	محمد بكرى عاشور الصدى ، الشيخ ٩٥
٣٩٩ و ٣٩٠ و ٤٠١ و ٤٠٤ و ٤٠٦	١١١ و
محمد عبد المنعم ، الأمير ٤١٣	محمد توفيق البكرى ، السيد ٣١ و ١٥
محمد عبده ، الشيخ ٣٤ و ٣١ و ٣٠ و ٢٠	٦٠ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٤٠ و ٦٠
٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٦ و ٦٥ و ٦٦ و ٧١	١٤١ و ١٨٤ و ١٨٥
١٠٢ و ١٤٠ و ١٤٣ و ٢٣٢	محمد توفيق بك (شقيق صاحب المذكرات)
محمد عثمان ، الشيخ ٣٧٧ و ٣١٢ و ٧٣ و ٧٠	٢٩٢
٤٠٨ و ٤٠٧ و ٤٠٤ و ٣٨٤	محمد جلال الدين باشا ٢٩١
محمد عزت بك (باشا) ١٠ و ٨ و ٦ و ٤	محمد حافظ رمضان ٢٥١ و ٢٤٦
٥١ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٥ و ٤٤ و ٢١	محمد حسانين مخلوف العدوى ، الشيخ
٧٠ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٠	٢٣٣ و ١٨٢ و ١٤٠ و ١٣٨ و ١٣٧
٩٨ و ٩٧ و ٩٥ و ٩٤ و ٨٧ و ٧٥	محمد راشد ، الشيخ ٢٢٢ و ٤٠ و ٣٤
١٩٤ و ١٩٠ و ١٤٧ و ١٢٠ و ٩٩	محمد رشاد السلطان ٣٣٦ و ٢٦١ و ١٨٢
٣٧٦ و ٣٦٩ و ٣٥١ و ٢٦٠ و ٢٥٩	٤١٢ و
٤٠٨ و ٣٩٦ و ٣٨٩	محمد رشيد رضا ، الشيخ ٢٦٩ و ٢٣٧
محمد علوى باشا ، الدكتور ٣٢٢ و ١٥٥	محمد سعيد باشا ١٦٥ و ١٦٣ و ١٦١ و ٢٨
محمد على ، البرنس ١١٠ و ١٠٢ و ٣٠ و ٢٩	١٧١ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧
٢٥٨ و ٢٥٧ و ٢٢٦ و ٢٢٢ و ١٧٨	٢٢٥ و ٢٠٩ و ٢٠٧ و ١٨٧ و ١٨٦
٣٠٧ و ٢٩١ و ٢٨٨ و ٢٧٩ و ٢٥٩	٢٢٣ و ٢٣٤ و ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥٨

٣١٣	محمود سامى بك	٣٤٣	محمد على حليم باشا، البرنس
٢٣٦ و ١٨٦	محمود سليمان باشا	٣١٠	محمد على دلاور بك
١٤٦ و ١٣٥ و ٦	محمود شكرى باشا	٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٢١	محمد عماد الدين بك
٢٨٩ و ٢٠٥ و ١٨٥ و ١٨٣ و ١٦٩ و	محمود شوكت باشا	٣٦٥ و ٢٩٧	محمد فريد بك
٣٨٧ و ٢٨٩ و ١٤٧	٤٠٠ و	١٤٤ و ١٠٩ و ١٠٦ و ١٠٣	١٤٥ و ١٦٥ و ١٨٠ و ٢١٠ و ٢١٣ و
٣٥٠	محمود صدقي باشا	٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٣٦ و ٢٣٥ و ٢١٤ و	٢٧٠ و ٢٣٠ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و
١٦٢ و ١٦١ و ١٥٩	محمود نغرى باشا	٢٧١ و ٣٦٨ و ٣٦٧ و ٣٦٦ و ٣٦٥ و	٣٨٢ و ٣٨١ و ٣٧٨ و ٣٧٧ و ٣٧٥ و
٣٢٠ و ١٧٦ و	محمود فهمى بك (باشا) (باشمهندس	٣٨٨ و ٣٨٧ و ٣٨٥ و ٣٨٤ و ٣٨٣ و	٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٧ و ٤٠٢ و ٤٠٨ و
٢٣٧ و ٢٧٩ (الأوقاف)	١٩٠ و	٤١١ و	محمد فهمى بك (التشريفاتى)
٩٨ و ٩٧ و ٩٦ (بك)	مدحت شكرى بك	٣١٢	٣٦٢ و ٣٣٤ و ٣٣٢ و ٣١٧ و ٣١٤ و
٣٩١ و ٣٨٨ و ٣٨٧	مرقص سميكة بك	٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٧٨ و	محمد لبيب البتانوى بك
٣٠٢ و ٢٣٧ و ٢٣٦	مشاقه باشا	٢٠٤ و ١٩٩	محمد محب باشا
١٦٦ و ١٦٥	مصطفى رياض باشا	٣١٧ و ٣١٣ و ٢٩٨	٣٤٣ و ٣٣٨ و ٣٣٧ و ٣٣٦ و ٣٣٥ و
٢٤٩ و ٢٤٥ و ٣٠	مصطفى فهمى باشا	٣٥٦ و ٣٥٥ و ٣٥٣ و ٣٥١ و ٣٤٥ و	٣٧٥ و ٢٦٢ و ٣٦١ و ٣٥٨ و ٣٥٧ و
٥٥ و ٥٤ و ٤٨ و ١٦	١٠٢ و ٨٢ و ٧٦ و ٧٤ و ٦٤ و ٥٧ و	٤١٢ و	محمد مصطفى المراغى، الشيخ
١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠ و	١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٣٠٩ و ٣١٤ و	٢٣٢ و ١٤٦	محمد نافع باشا
٣١٤ و ٣٠٩ و ١٦٠ و ١٥٩ و ١٥٨ و	٤١٠ و ٣٥٠ و ٣١٩ و	٣١٤	محمد وجيه أفندى
١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠ و	مصطفى كامل بك	٢٩٣ و ٢٣٧ و ٢٢٠	محمد ياور بك
١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠ و	١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٣٠٩ و ٣١٤ و	١٥ و ١٤ و ١٠	محمد يوسف بك
١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠ و	١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٣٠٩ و ٣١٤ و	١٧٩ و ١٠٩ و ١٠٠	محمود ابو النصر بك
١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٢٠ و	١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٣٠٩ و ٣١٤ و	٢٦٨ و ٢٤٦ و ٢١١	

يوسف صديق باشا ١٦١ و ٣٠٥ و ٣٢٦	مصطفى ماهر باشا ١٦٠ و ١٧١ و ٢١٥
و ٣٢٩ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٩ و ٣٥٦	و ٣٣٠
و ٣٦٢ و ٣٦٤ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧٣	منصور رفعت ٣٣٠
و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٣٧٩ و ٣٨١	منصور شكور باشا ٣٢٥
و ٣٨٥ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠	منير باشا (السفير العثماني بباريس)
و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥	١٤ و ٤٣٦
و ٣٩٧ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤١٥ و ٤١٦	موزلي، المستر ٢٧ و ١١٤ و ١١٥ و ١٢٥
يوسف ضيا باشا ٧٣ و ١٢٠ و ١٣٣	موسى غالب باشا ١٤٥ و ٢٢٠ و ٢٣٧
يوسف طلعت باشا والد أحمد طلعت	(ن)
باشا ٤٧ و ٤٨	نجيب غالى بك (باشا) ٢١١ و ٣١٨
يوسف عز الدين افندى ٣٩٨	و ٣٢٠
يوسف كمال، البرنس ٣١٠	نعوم شقير بك ٨٧ و ٨٨ و ٩٠
يوسف وهبه باشا ٣١٧ و ٣٢١	نيقولاى أوكونور ٨٩
واطسون باشا ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١	(ه)
ونجت، السير رجينلد (السردار)	هكسيوس السويسرى ٢٢ و ٢٣ و ٢٥
و ١٨١ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٥٧ و ٢٥٩	و ٢٨ و ٢٩
و ٣٤٤	هينز المستر ٢٩٨
(ي)	(و)
ي . بك ٣٧١ و ٣٧٩ و ٣٨٩ و ٣٩٧	واصف غالى بك ١٤٣ و ٢٤٤ و ٣١٨
يعقوب أرتين باشا ١١١ و ٢٥٤	و ٣٢٠ و ٣٢١

فهرست الصور

الواردة في القسم الثاني من الجزء الثاني من « مذكراتي في نصف قرن »

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
٥	رشيد بك	١٠٧	مصطفى كامل الغمراوي
٦	محمود مختار باشا	١٢٦	حسن عبد الرازق باشا
٧	أحمد شوقي بك	١٢٧	أحمد لطفي السيد
٩	صباح الدين بك	١٢٧	مصطفى كامل باشا
١٢	فريد باشا	١٢٧	الشيخ علي يوسف
١٤	اللورد بلفور ، أرثر	١٣٥	ولي العهد وشقيقه مع أساتذتهما
٢٤	دير ليفيرون بجبل أتوس	١٣٧	الشيخ سليمان العبد
٣٣	محمود الداماد باشا	١٤٤	جنازة المرحوم مصطفى كامل باشا
٣٣	قصر بكنجهام	١٤٥	محمد فريد بك
٤١	مدام جوليت آدم	١٤٦	الشيخ محمد مصطفى المراغي
٤٧	يوسف طلعت باشا	١٤٨	أنور بك — نيازي بك —
٤٧	أحمد طلعت باشا		طلعت بك — محمود شوكت باشا
٦٠	السيد عبد الخالق السادات	١٥٣	إسماعيل أباطه باشا
٧٠	البرنيس زبيدة هانم	١٥٣	أحمد يحيى باشا
٧٨	الأمير الای براملي بك	١٥٥	علي شعراوي باشا
٧٨	الأمير الای سعد رفعت بك	١٥٦	فتح الله بركات بك
٨٧	القومندان ويموث	١٦٠	سعد زغول باشا
٨٨	عمود الحدود برفح	١٦١	محمد سعيد باشا
٩٠	اليوزباشي اسماعيل المفتي افندي	١٦١	اسماعيل سري باشا
٩١	السير أرنست كاسل	١٦٢	حسين رشدی باشا
٩٧	البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين	١٦٢	أحمد حشمت باشا
١٠٠	أحمد فتحي زغول باشا	١٦٣	خليل حماده باشا
١٠٠	إبراهيم الهلباوي بك	١٨٣	السلطان محمد رشاد

صفحة	بيان الصور	صفحة	بيان الصور
١٩٦	الكعبة — جدة	٢٥٠	البرنس عمر طوسون باشا
١٩٧	المحمل الشريف — بحرة — منى	٢٥٨	صورة الأمير ضياء الدين أفندي ولي
١٩٨	منظر عموى المنى والحجاج يحيمون فيه		عهد السلطنة ومعه الخديو والحاشية
	الحجاج على جبل الرحمة بعرفات	٢٧٨	محمد على دلاور
٢٠٢	استقبال الخديو بمحطة المدينة المنورة	٢٧٨	محمد سليمان أباطه بك
٢٠٢	المدينة المنورة	٢٨٧	رؤوف باشا القومسيير
٢٠٣	الركب المدني وهو داخل المدينة	٢٩٥	المؤلف وكبار موظفي الأوقاف
	في عودته من الحج	٣٠٦	افتتاح الجمعية التشريعية
٢٠٣	تبوك بمحطة معان	٣٢١	واصف بطرس غالى بك
٢٠٤	التسكية المصرية بالمدينة المنورة	٣٢٣	المؤلف
٢٠٧	طلعت حرب بك	٣٢٩	الباب العالى
٢٠٧	أحمد محمد خشبه	٣٤٨	صورة بالأشعة تبين الاصابات
٢١٤	السير لإدوارد جراى		بذراع الخديو وفه
٢٢٠	حسين واصف بك المهندس	٣٥٩	حسين رشدى باشا
٢٢١	افتتاح مسجد مرسى مطروح	٣٦٤	سعيد حلم باشا
٢٢٦	البرنس محمد على	٣٨٠	الدكتور سيد كامل
٢٣١	الشيخ على الغاياتى	٣٨٦	المؤلف بالبدلة العسكرية
٢٣٣	عبد الخالق ثروت باشا	٣٩٢	جمال باشا
٢٥٠	البرنس حسين كامل باشا	٤٠٧	توفيق فهمى بك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و به نستعين

الهداء

الى مصر ..

الوطن الذي فيه نشأت وإياه أحيت وله أخلصت ووفيت أقدم
هذه المذكرات لأشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر في
غير تزييف ولا التواء وما أخشى غير الله هو حسبي محمد بن عبد الله

[illegible]

منقول من إحدى مذكراتي على مقامها الأصلي



عباس حلمي الثاني

سنة ١٩٠٣

بينى وبين مسن عاصم باشا . رسائل رشيد بك عن سياسة المايين .
 تدمير مختار باشا من الخديو . فوضى الرتب . اخفاق مؤامرة في مصر لخلع
 عبد الحميد . رحلة الخديو الى الاستانة وأوربا . زيارته غير الرسمية للندرة
 والتفاهم بينه والانجليز . عباسى في ديفون المرسى . مرعى في طاسوز .
 العودة الى الاستانة . العود الى مصر . الشيخ على يوسف في لندرة وباريس .
 هدية الخديو ملجأ اللقطاء . الزبرجد في البحر الأحمر . شقيقة ملك الانجليز
 في مصر وكبار الزوار الاجانب . افتتاح دار الآثار المصرية . مسألة
 صندوق التوفير .

بيني وبين حسن عاصم باشا . لما أحيل محمود فهمي باشا رئيس الديوان العربي إلى المعاش ، وخلفه حسن عاصم باشا ، أراد أن يسيطر على جميع الأقلام العربية والأجنبية والتركية ؛ وكان يصدر أوامره إلى الموظفين الذين هم تحت رياسته مباشرة ؛ فاستأنت للاعتداء على اختصاصي . . وصارحته بذلك ، طالباً منه استصدار أمر بهذه السلطة ؛ إذ أنني لو فرطت في حقوق التي منحني إياها الخديو ، وهي الاستقلال في عملي ، والتوقيع على كل ما يصدر من المعية باللغة الفرنسية ، كنت مقصراً في الواجبات الملقاة على عاتقي . ولما لم ينته الأمر بيننا إلى حل ، عرضت المسألة على الخديو ؛ وبعد أيام جاءني دومرتينو باشا وقال لي : « إن سموه لا يحب أن تمس وظيفتك فيما يختص بالأعمال الخصوصية لسموه ؛ وأما التوقيع على ردود المكاتبات الرسمية فتكون من حسن عاصم باشا إذا كانت باسمه ؛ أو بتوقيعك إذا كانت باسمك . » وأبلغني أن سموه قال لحسن عاصم باشا عند تعيينه . « إن شفيق وعزت قد اكتسبا شبه استقلال في أعمالهما ، فيجب مراعاة ذلك . »

وقد تبين لي أن عاصم باشا كان يعتقد أنني غير مرتاح لتقلده رئاسة الديوان الخديوي ، ويستدل على ذلك بأنني لم أهتبه ؛ ولكنني لم أتأخر عن التهنية إلا لأعذار طارئة ، ولم يخرج الأمر عن سوء تفاهم عادي ؛ ثم تقابلنا بعد ذلك وتفاهمنا ، وسارت الأمور بيننا على وفاق ، وأصبح ميالا إلى أخذ رأيي في الأعمال العامة ، وفي نصوص الخطاب التي يلقيها الخديو في الاحتفالات الرسمية ، وغيرها .

رسائل رشيد بك عن سياسة المايين . رشيد بك من رجال تركيا الفتاة ؛ وقد حضر لمصر ، ورحب به عباس حتى إنه وظفه في الخاصة ، وأخيراً توسط له سموه وأعادته إلى الأستانة . وهو ينتمي إلى أحمد جلال الدين باشا ، السر خفية ؛ وقد استخدمه الخديو للوقوف على بعض المسائل من الباشا المذكور ، فوردت منه عدة رسائل في سنة ١٩٠٢ ، تكلم فيها عن مسألة بالي جبوقلي ، وشكوى مالكة من عدم دفع السلطان ثمنه الذي اشتراه به ؛ وتكلم كذلك عن حضور البرنس حسين كامل باشا للأستانة (*) ، ونزوله ضيفاً عند أحمد جلال الدين باشا ، وبأن شركة هافاس علقت سفر البرنس تعليلاً قد يؤدي إلى استيائه ، وأن البرنس لديه من الأسباب ما يجعله يعتقد بأن التلغراف موحى به من منير باشا ، وأن أحمد جلال الدين باشا يؤكد أن سفر البرنس ليست له

آية صلة بمسألة طاشوز ؛ ويظن - رشيد بك - أن المسألة من تدبير جماعة تركيا الفتاة .

وقال مستر سندوز مدير شركة هافاس إن هذا التلغراف خطأ ، ولم يرسل إلا على سبيل الاستطلاع وجس النبض استجلاء للعلوم المعطاة من أناس هم على صلة بمنير باشا ، وقد أدلى سندوز بكثير من المعلومات فيما يتعلق بالدسائس التي يدسها حزب أبي الهدى ؛ وقد أذاع هذا الحزب في الأقطار الإسلامية منشوراً ضد الخديو (*) ، ووعد سندوز بالسعى للحصول على نسخة من هذا المنشور .



رشيد بك

وفي ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ أرسل رشيد بك يقول إنه سأل نوري باشا من رجال المايين عن مسألة تعيين شفيق بك في منصب القبول كخدا ، فصرح بناء على ما جاء في تذكرة الصدارة ، بأن العرف المتبع يقضى بعدم تعيين أحد في هذا المنصب من غير موافقة الاستانة ، وأن رشيد بك أعرب عن أسفه لذلك واطلع على الرسالة الموجهة من الصدر الأعظم إلى الخديو ، على أثر إعرابه عن رغبته في تعيين شفيق بك ، فاذا بها تنص على أن هذا المنصب لا يمكن أن يشغله غير موظف تركي ،

وأنه ترك للخديو حق اختيار الشخص الذي يريد أن يشغله . وقد جاء من رشيد بك في ٣ فبراير بهذا الخصوص أنه لا يبعد أن يعين شفيق بك بعد أن أقبل الصدر الأعظم من منصبه وحل آخر محله ، ويعرب عن رغبته في مخاطبة الخديو في شأن هذا المنصب ، مبيناً لسموه أنه ليس من مصلحته تركه خالياً إلى ما شاء الله ومستصوباً لإسناده إلى شفيق .

وجاء في إحدى رسائله أيضاً أن الخاصة السلطانية باعت مناجم طاشوز إلى أحد الألمان بمبلغ سبعة عشر ألف جنيه .

نزهر مختار باشا من الخديو . في فبراير أقيمت الحفلة الراقصة السنوية في سراى عابدين فاستوقفني الغازى أثناء الحفلة وسألني سؤالاً علني منه أن الخديو تحدث معه بما لم يرضه عن تقرير رفع من ولده إلى المايين بخصوص الأوقاف الخديوية فأجبت بما أعلم (راجع صفحة ٤٠٩ من القسم الأول) .

فقال لي الغازى : « وإن الخديو يقول إنك رأيت هذا التقرير بعينك . » فأجبت نفيًا .



محمود مختار باشا

وعقب الحفلة علمت أن الخديو اتفق مع النظار على أن يكون استقبال مختار باشا في المقابلات بعد البرنسات ، وأن السبب في ذلك استياء سموه من تصرف الدولة في مسألة طاشوز ، والاستقبال الفاتر الذي قوبل به في الاستانة ؛ وأما وشاية نجل الغازى فليست بذات أهمية في هذا القرار . وقد أخبر الغازى الدولة بذلك فأرسل فريد باشا الصدر الأعظم برقية شديدة اللهجة لعباس يطلب فيها إرجاع الغازى إلى مكانه

في التشريفات ، لأن آداب سموه لا تسمح باهانة رجل كالغازى في العمر والمقام . وقد خشى مختار باشا أن يرد الخديو على هذا منتقداً أعماله في مصر فتكون هذه نقطة سوداء له في الاستانة فوسط محمود شكرى باشا في الأمر ، فحدث الخديو في ذلك وعلم أن سموه لا يحمل شيئاً لختار باشا شخصياً ، ولكنه يعمل ذلك رداً على أعمال السلطان .

وقد كان المتبع أن يعطى للغازى قطار خاص عند سفره . أما في هذا العام فقد منع ذلك ؛ ولما حان موعد سفره لقضاء فصل الصيف بالاسكندرية وعرف أن النية متجهة إلى حرمانه من القطار الخاص ، وسط محمود شكرى باشا في الأمر فسمح الخديو بذلك على شرط أن يستأذن المعية ففعل .

وكان المظنون أن العلاقات تعود كما كانت ، ولكن لما سافر الخديو بعد ذلك بأيام إلى الاسكندرية ، لم يكن الغازى بين مستقبله كعادته ، وقد أثار عمله هذا استياءً في السراى ولوماً من هيئة القناصل ، فخشي الغازى عاقبة ذلك وأرسل مصطفى كامل بك ليتوسط في الصلح ، وقد أرسلني عباس مع عزت بك إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية

لأخذ رأيه في الموضوع ، فكان من رأيه أنه لا مانع من استقبال الغازي إذا حضر بنفسه ، ولكن لا داعي إلى دعوته .

وقال لي مصطفى كامل بك عقب مقابلة له مع الخديو والغازي : « إن الغازي سيكتسب برقية مطولة بالشفيرة يقول فيها للسلطان ها هو ذا الخديو لم يشأ التوجه إلى إنجلترا ، قبل أن يقدم فرائض العبودية لجلالته ويطلب منه أن يحسن استقباله ، وكان الغازي يرمى بهذا المسعى إلى إرجاع امتيازاته . و انتهت المسألة بصلح ظاهري ؛ غير أن هذه الامتيازات لم ترجع إلى ما كانت عليه .

فوضى الرتب . كانت مسألة الرتب منذ حين موضعاً للساعي والمساومات



احمد شوقي بك

المختلفة ؛ وقد لوحظ هذا العام أن المسألة بلغت حدّاً عظيماً من الفوضى ، وأن الرتب أصبحت كالسلع السهلة ؛ وكان لهذه التجارة وسطاء كثيرون : منهم الشيخ علي يوسف وحسين بك زكي وأحمد بك العريس وأبراهيم بك الموبلجي ومصطفى المصري — وهو مقيم بالاستانة ويأتي كل شتاء لأخذ بضاعة من مصر — وأحمد شوقي بك الشاعر ومصطفى كامل الذي كان ينفق ما يأخذه في الدعاية لقضية مصر ؛ وكان لكل رتبة سعر مخصوص يدفعه الطالب ، فالرتبة الثالثة يدفع عنها ٢٥٠ جنيهاً والثالثة مع لقب بك ٣٠٠ جنيه والثانية ٤٠٠ جنيه والمتاخر ٥٠٠ جنيه .

وكثيراً ما كان يعتدى بعض الوسطاء على بعض ، ويختلس البعض ثمرة جهود الآخر . ولقد جاءتني عدة رسائل من أحمد شوقي بك يشكو فيها الشيخ علي يوسف وحسن بكري بك ، وقد أفهما أحد الذين أنعم عليهم بواسطته أن هذه الرتبة لم تكن إلا بمجهود الشيخ علي يوسف !

ولما كثرت الانتقادات على ذلك حتى من رجال المعية ؛ مثل أحمد خيرى باشا وعزت بك وغيرهما ؛ ونظراً لما كان بيني وبين بطرس غالى باشا من صداقة فقد تحدثت معه بصفة

خاصة في إحدى زياراتي له ، وأشارت إلى بعض المسائل التي تؤخذ على الخديو ، وفي مقدمتها مسألة الرتب ، وأن الواجب على النظار أن يبذلوا النصيح لسموه باخلاص في ذلك . فقال بطرس باشا : « ولكن المحيطين بالخديو هم الذين يزينون له ذلك . » فقلت له : « إن هؤلاء يعملون ذلك لمصالحهم الشخصية ، وإن الواجب ألا يترك المخلصون للخديو من أمثالكم هذه المسألة حتى يستفحل أمرها . » ولما لم يقم بطرس باشا بسعي في ذلك السبيل تشجعت وعزمت على أن أقوم به بنفسى ؛ وفاتحت سموه في مسألة الرتب ، فأجابنى قائلاً : « يا شيخ أنا عارف ما أفعله فليس لأحد في المعية ولا غيرها دخل ؛ وأنا لى فئة خاصة يبحثون على مستحقى الرتب ويعرضون على بعضاً منهم وأنا أمنحهم !! » ولما تفاقم الأمر أصبحنا نخشى أن يتدخل الانجليز فيتنهزوا فرصة منح رتبة لشخص يحكم عليه في تزوير أو غيره — كما حدث ذلك — ويشهروا بالخديو ؛ ولولا حسن التفاهم القائم الآن بينه وبين الانجليز لما تأخروا عن ذلك ، ومن الحوادث التي تدل على استفحال هذه الفوضى أنه أريد مرة إعطاء رتبة لعمدة ؛ وبما أنه معتبر موظفاً في الحكومة ولا تعطى له الرتبة إلا بطلب منها ، وهذا ما يتعذر وقوعه ، فقد أوعز إليه بأن يستعفى ، وأوعز لمأمور المركز أن يؤخر إرسال استعفائه للديرية بضعة أيام ، منح في خلالها الرتبة ثم استرد استغفاه !!!

انخفاض مؤامرة في مصر لخلع عبد الحميد . في ٧ يوليو سنة ١٩٠٢ أثناء مأدبة في يلدز أمر السلطان بالألا يقدم الخديو مساعدة إلى اسماعيل كمال بك وزملائه من رجال تركيا الفتاة الموجودين بأوروبا لأن حالتهم ساءت ، فرد الخديو بأن أحداً منهم لم يتقدم إليه بطلب مساعدة .

غير أنه في شتاء هذا العام حضر كمال بك لمصر وقدمه عبد العزيز عزت باشا للخديو فرحب به ، وتقابلا مراراً وتكلما سوياً في أمور تختص بالسياسة التركية ؛ ويظهر أن اسماعيل كمال أخبر سموه بوجود جمعية غرضها الحصول على خلع السلطان ، وطلب مساعدة مالية من سموه ، فأجابه إلى ذلك وأعطاه أربعة آلاف جنيه بتحويل على أحد مصارف إنجلترا ، والمحول هو عبد العزيز عزت باشا . ثم إن سموه أجرى النفقة عليه مدة إقامته في مصر .

وفي ذات يوم أرسل لى سموه ولعزت بك وعبد العزيز عزت باشا للحضور للقبعة ، ولما اجتمعنا علينا منه أن صالح بك سكرتير الداماد حضر وطلب مقابلة سموه

فلما قابله عرفه بأن الجمعية أرسلته ليعرض عليه مشروعاً لخلع السلطان دبره رجب باشا مشير الفيلق العثماني في طرابلس الغرب، وقد كان بعيداً عنها. فانه اتفق مع هذه الجمعية بواسطة مندوبين أحدهما انجليزي والآخر تركي هو رشيد بك بالسفارة العثمانية بلندره، على أن ترسل له باخرة ترسو



صباح الدين بك

بالقرب من طرابلس بحجة تعليم العساكر استقلالها ويتوجه لمدينة طرابلس، ثم يبحر عليها إلى الاستانة، ويضم إلى هذا الاتفاق كبار الضباط في جنات قلعة وفي الاستانة ومن ضمنهم قومندان قشلاق السليمية باسكدار وآخرون في نفس بلد. وقال صالح بك أيضاً إن صباح الدين بك النجل الأكبر للداماد مستعد للحضور لعرض التفاصيل إذا رغب الخديو؛ وفعلاً حضر لمصر متسكراً يلبس قبة.

ولزم الفندق فلم يخرج منه إلا قليلاً حيث قابل عباساً في سراي القبة مرتين، وطلب من جنابه العالي إما أن يشتري أو يؤجر لهم باخرة من جيبه الخاص. فلماذا طلبنا الخديو لمعرفة رأينا وقد رأينا منه أنه يميل نوعاً لتصديق قول ابن الداماد واحتمال تنفيذ مشروع الجمعية، ولكنتنا نحن الثلاثة، اتفق رأينا على أنه لا يمكن تنفيذه لوجود صعوبات، وربما كان صباح الدين يرمى فقط إلى اقتناص بضعة آلاف من الجنيهات من سموه، وأن مركز سموه على أي حال يقضى عليه بالابتعاد عن فتنة كبيرة كهذه، لأنها لو اكتشفت لكانت العاقبة شراً، ولو شكى السلطان من سموه للدول لأنحت عليه باللائمة. ومن حسن الحظ أنه اقتنع بهذا الرأي، وصمم على الابتعاد عن هذا العمل. وفي هذه الأثناء علمنا منه أنه أحضر لمصر اسماعيل كمال ورتب له ٥٠ جنياً، ولكنه لم يصرح لنا بأمر الأربعة آلاف جنيه التي تحولت له بواسطة عزيز باشا لانتجاء، وإنما علمت ذلك من محمد بك عرني لأن صباح الدين لما فهم عدم اهتمام الخديو بكلامه

وسط اليك المذكور ، فحضر وقابل سموه وأراد إقناعه فكلفني الخديو أن أذهب إلى عرقي بك ، وأقول له أن يفهم ابن الداماد أن انتظاره في مصر لا يجدى نفعاً ؛ وعندئذ عرفني بمسألة الأربعة آلاف جنيه ، وقال : « إن اسماعيل كمال صرف منها ٢٥٠٠ جنيه ؛ وإن سموه حجز في البنك بانجلترا ما تبقى ، وإن صباح بك يطلب رفع هذا الحجز . » وقد تقابل عرقي بك بعد ذلك مع الخديو ولا أعلم ماذا كانت النتيجة . والظاهر أن سموه ارتاب فيما بعد في مزاعم اسماعيل كمال .

وقد علمت عند زيارتي للندرة أن اسماعيل كمال تمكن من سحب مبلغ الألفي جنيه ، رغم اشتراط سموه عند الايداع أن يكون السحب باذن عبد العزيز باشا عزت . ولما ارتاب الخديو في الأمر أمر بوقف الصرف ، وطالب بالمبلغ كله ، ولكن وجدت صعوبات دون استرداد المبلغ المسحوب وكان في نية سموه أن يتخذ الاجراءات القضائية ضد البنك الذي قام بالدفع ، ولكنه عدل فيما بعد خشية التشهير والفضيحة .

رحلة الخديو الى الاسكندرية وأوروبا . تقرر السفر إلى الاسكندرية ومنها إلى لندره ثم الذهاب لليفون والرجوع عن طريق الاسكندرية ؛ وقد أمر الخديو أن أكون برفقته باستمرار في هذه الرحلة ، ماعدا المدة التي سيكون فيها بالاسكندرية فيكون مع سموه على عبادي باشا قومندان المحروسة وعزت بك .

وتقرر أن يرافقنا أولاً زكي باشا من الاسكندرية إلى فينا وفيها ينضم إلينا الدكتور كاوتسكي وفي باريس دومرتينو باشا وعبد العزيز عزت باشا ومحمد ياور بك ، وأن يتوجه بروستر بك إلى لندرة قبلنا ، وأن ينزل الخديو في لندرة ضيفاً على السير ارنست كاسل بناء على دعوته .

السفر : فغادرنا الاسكندرية يوم ٣ يونيو . وفي ٦ منه وصلنا إلى الكلازومين ومنها أرسلنا برقيات إلى مصر والاسكندرية بالوصول لجاء الرد من السلطان نفسه مما جعلنا نستبشر خيراً ؛ وقد بلغنا أن مصلحة الصحة بالاسكندرية أرسلت لرئيس الحجر الصحي في أزمير لتحية الخديو عند وصوله ، فكان هذا الرئيس وجميع الموظفين في خدمة سموه ؛ وكانت هذه دلائل تحسن الجو بين الخديو والسلطان .

وفي ٩ منه غادرنا مكان الحجر الصحي ، وأرسل الجناح العالي برقية بذلك للباين والتهنئة بالمولد النبوي لجاء الرد من السلطان مباشرة أيضاً .

وقد احتفلنا نحن بليلة المولد على ظهر المحروسة ؛ وفي أثناء حديثي مع الخديو

في مساء ذلك اليوم قال لي سموه إنه يريد حفظ حقوقه في كل ما حصل في السنة الماضية من الاهانات ، وكذا ما حصل في الشتاء الماضي حتى قال إنه سيمتنع من قبول حسني باشا لأنه يعتبره جاسوساً — مع أنه في الحقيقة أفضل من غيره — وقال سموه أيضاً : « إن هذا السلطان سيء السريرة ، لأنني لو كنت دونت ما كان يقوله في حق إخوته من إدمانهم على السكر (*) وخصالهم الذميمة وامتداحه لنفسه وما كان يرويه عن حريمه لكنت ملأت كتاباً . » وقال : « إننا نحن الذين أفسدنا الأمور ، فشتان بين استقبالنا في أول زيارة واستقبالنا الآن . »

فقلت : « نعم لو كنا تباطأنا في الزيارة على السلطان بعدها عامين أو ثلاثة لكننا حافظنا على مركزنا . » قال نعم . وانهزت هذه الفرصة وقلت : « حقيقة إن الأتراك مقصرون ولا يخافون إلا عند المعاكسة ، فلو كان أفندينا في الصيف الماضي بعد الاستقبال السيء الذي لقيه عند حضوره للاستانة ، زار إنجلترا وقابل الملك كما سبق عرضته على أعتاب سيدي ، لكانت المقابلة عند رجوعه لدار السعادة أحسن بكثير مما وقع ، فأجابني : « كان السلطان يعتبر زيارتي لإنجلترا نكابة به . » فقلت : « حقيقة إن أفندينا يراعى خاطر جلالة فوق اللازم . »

وفي ١٠ يونيو وصلنا الدردنيل ، فلاحظنا أن العساكر العثمانية والطوابي تؤدي النحية بمجرد ظهور اليخت بدون أن يرفع العلم .

الخدوي في الاستانة : وعند الوصول إلى جناق قلعة شاهدنا نفس الاهتمام والاستقبال المشير شاكر باشا وحسني باشا فابلغا الخديوتحية السلطان ، وحضر ترجمان الأول لسفارة إنجلترا بالنيابة عن السفير . ثم توجهنا إلى يلدر حيث استقبل سموه إبراهيم بك السرتشريفاتي ونوري باشا الماينجي الأول ؛ وبعد الاستراحة قليلاً تناولنا الغداء وقد كان الخديو معترفاً برفض الأكل إذا كان مع غير السلطان ، ولكنه غير فكيرته لما لقيه من مظاهر الترحيب . ثم دعي سموه لمقابلة السلطان ومكث بحضرته نحو ثلثي الساعة . وبعد خروجه استدعانا السلطان فثقلت بين يديه مع زكي باشا وعزت بك نخاطبنا

(*) وهذه المناسبة أقول عن علم أن هدايا الخليفة لأخيه مراد السلطان المعزول الذي كان معتقلاً في سراي جراغان ، كانت عبارة عن مشروبات روحية من أجود الأصناف وغرضه من ذلك أن ينغمس في السكر باستمرار .

معبراً عن سروره بمقدم الجناب الخديوى ، وتمتعنا جميعاً بالصحة ؛ وكان يتحدث بصوت خافت ويرتدى معطفاً يغمر وجهه .

وقد علمنا أن الحديث بين عباس وعبد الحميد دار عن سياحة سموه ثم عن تعدد الزوجات وعدم استحسان جلالته له ، وكانت هناك مسألة شراء يالى جبوقلى من طرف السلطان وإهدائه للخديو ، فاعتذر الخليفة لسموه عن عدم إتمام الصفقة لتشدد أصحاب اليالى .

ولما انصرفنا توجهنا إلى بيك لتحية الوالدة ، وما كدنا نستقر حتى حضر شاكر باشا ، وعرض على الخديو كتاباً من الصدارة بأنها لم تتمكن نهائياً من شراء يالى جبوقلى وأن الصدر يرى إخلاءه ؛ فقال الخديو لأبأس ، وأراد عزت بك أن يعترض فقال له شاكر باشا : إن الواجب تنفيذ أوامر الجناب العالى . ، وعلى أثر انصراف شاكر باشا ، استدعانا سموه وهو فى كدر شديد ، وتباحثنا فى الموضوع ثم استقر الرأى على مفاوضة أصحاب اليالى ، ومنهم أمر الله بك التابع لدولة روسيا ، فى استئجاره على حساب الخديو . وبعد مفاوضات كثيرة اتفقنا معهم على ذلك ودفعنا الأجرة . وأبلغنا أمر الاتفاق للسراى ؛ وفى الوقت ذاته استأذن الخديو للسفر يوم ١٦ منه ، ولما عرض الأمر على السلطان أمر برد الأجرة التى دفعناها وطلب تأخير السفر . وقد حصل تزاور بين الخديو والسفراء كالمعتاد بين يومى ١١ و ١٣ يونيو .

مأدبة بقصر يلدز : وفى ١٤

منه دعا جلالة السلطان سموه إلى مأدبة عشاء رسمية تقام فى الغد للوداع .

وفى ١٥ يونيو ذهبنا إلى السراى وصعدنا إلى كشك شاليه ، فوجدنا هناك الصدر والكلاء ورجال معية السلطان ؛ وبعد قليل طلب الخديو لمقابلة جلالته فدخل ثم جاء الطلب لنا ، وأخبرنا بكراسينا المخصصة لنا ، فدخلنا إلى غرفة المائدة وجلسنا بعد قدوم السلطان ، يصحبه الخديو والصدر فريد باشا . وكانت المائدة



فريد باشا

مستطيلة وقد جلس السلطان وعن يمينه الخديو وعن يساره الصدر ويقابلهم ثلاثة من أنجال السلطان. وبعد الطعام، خرج السلطان والخديو والصدر، وجلسوا في غرفة على حدة؛ وجلسنا نحن في صالون كبير. وقد حضر الصدر أثناء استراحتنا فلاحظنا كثيراً، وبما لاحظته أن بقية النظار لا يحفلون به، وعند الخروج ودع عباساً إلى آخر درجات السلم؛ وقد أبدى سموه سروره من الترتيب في هذه المأدبة وحفاوة السلطان به، وعناية الصدر براحته، وإن كان قد أبدى رأيه فيه بأنه رجل لا يليق لمنصب الصدارة.

Dîner	اقسام طعامي
du 19 Rebet-el-vel 1321 et du 215 Juin 1903.	في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢١ وفي ٢١ حزيران سنة ١٩٠٣
<i>Consomme Ségigne, Petites bouchées et beurecks, Bar sauce Joinville, Filet de bœuf Royale, Suprême de volailles truffées, Homard en belle-vue, Asperges, Punch, Poulets de grain rôtis, Pilaw, Ananas à la creole, Bavaroise à la vanille, Glaces.</i>	طاولي از معص جورداني ايكي وع بورك صالحه لورد قهسي سيزه لي صيفر قهسي تروفي مطاوي طاولي قهسي صغوق استنوز قوشنو تاز نخ بلنج كبابي پلاو بشلي اناناس طالعيسي والبالو قزم دودنمه

سفر الخديو إلى فينا : وفي ١٦ يونيو جاء شاكر باشا لوداع الخديو من قبل السلطان ؛ وكان السفر قد تقرر على الوابور الرومانى . ولما وصلنا إلى ميناء قسطنجة ، كان فى الانتظار محافظ البلد فتقدم للجناب الخديوى مرحباً ؛ وكذلك عدد عظيم من الأهالى المسلمين . ثم نزلنا جميعاً بين صفين من البوليس حتى وصلنا للقطار الذى تحرك بعد منتصف الليل إلى بخارست فوصلها فى الصباح ؛ وقد حضر مندوبون عن الحكومة الرومانية لتحية سموه ولكنه كان نائماً فاعتذرت لهم ، وشكرتهم حسب تعليمات سموه لى منذ أمس .

وفى ١٨ منه وصلنا إلى فينا ونزلنا بفندق أمبريال وقد زار سموه وزير الخارجية ثم الماركيز دى رفرسو سفير فرنسا بفينا .

السفر إلى باريس : وأمضينا فى فينا يومين ثم سافرنا إلى باريس فوصلناها صباح ٢١ منه . وكان بانتظارنا محمد ياور بك . وقد حضر السفير العثمانى منير باشا للسلام على الخديو فرد له سموه الزيارة .

زيارة غير الرسمية للنمره والتفاهم بينه والامجليز . كان الخديو قد عزم منذ



اللورد آرثر بلפור

العام الماضى على زيارة لندرة والحضور حفلة زواج السير الدون جورست التى ستكون يوم ٢٥ يونيو .

فى ٢٤ يونيو تقرر أن أسافر مع ياور بك ومعنا الخدم إلى لندره ولما وصلنا إلى محطتها جاء دو مرتينو باشا وبروستر بك ، ثم أبرقنا للخديو بتمام الاستعداد للقبالة ؛ ولما وصل سموه فى نفس اليوم إلى محطة شارنج كروس ، كان فى استقباله السير كوندى استيفن نائباً عن جلالة الملك وحاملاً سلامه ، وقد تعين مهنداراً للخديو ، والسير بارتون نائباً عن وزير الخارجية ،

والسير أرست كامل والسير الدون جورست ، والمستر ماتشل مستشار الداخلية المصرية ، واسكندر فهمى باشا العضو الوطنى بمصلحة السكك الحديدية المصرية . وبعد أن صافهم ركب سموه مع مضيفه السير كاسل إلى منزله الذى أعد لنزولنا .

وفى اليوم التالى توافد الكثيرون من الكبراء ورجال المعية الملكية للسلام ، فقيدوا أسماءهم ، وحضر مندوب من قبل اللورد أرثر بلفور رئيس الوزارة يدعو سموه إلى مأدبة عشاء ، ثم حضر اللورد نفسه للتحية ، ثم السفراء إذ أن الخديو يعامل فى لندره كأمر مستقل ، فيحضر السفراء أولاً للسلام عليه ، ثم يرد لهم الزيارة ، بخلاف الزيارات فى الاستانة .

فى قصر بكنجهام : وعند الساعة الثالثة جاءت عربة ملكية ركبها الخديو يرافقه السير كوندى استيفن ودومرتينو باشا ، إلى سراى بكنجهام حيث استقبلهم الملك والمملكة وكريمتهما الكبرى ، وكانت المقابلة عائلية لأن سموه كان فى هذه الزيارة بصفة غير رسمية .

الخديو يشهد الاحتفال بزواج جورست : وفى ٢٥ منه خرج سموه توأ إلى منزل عروس السير الدون جورست الذى احتفل بقرانه فى هذا اليوم ؛ وقد ذهبت مع عبد العزيز عزت باشا وياور بك ، فحضرت الاحتفال فى الوقت الذى جاء فيه الجناب العالى ؛ وكان المنزل غاصاً بكثير من المدعوين وبينهم وزير الخارجية وكانت الهدايا التى وردت للعروس مرتبة فى غرفة كبيرة ، ومن بينها هدية الخديو وهى قرط وأساور وعقد وخاتم كلها من الزبرجد المحلى بالماس ، وكانت أثنى هدية قدمت للعروس . وقد أخذت صورة لسموه بين العروسين فى حديقة المنزل . وعند رجوعنا بعد الحفلة ، وجدنا بطاقات لجلالة الملك والبرنس دوجال والدوق أوف كنوت وبعض الأمراء .

حفلة الاستعراض بمناسبة عيد جلوس الملك : وفى صباح ٢٦ منه اشتد الزحام فى منزل السير كاسل الذى نزل به الخديو ، ووفد كثيرون من كبار الانجليز من الأعيان والموظفين الذين كانوا بمصر ومارشالات مثل روبرتس وجنرالات وغيرهم لا ينقطع سيلهم ، وقد قابل الخديو بعضهم كما قابل السيد محمد توفيق البكرى والشيخ على يوسف وكانوا قد وصلوا إلى لوندره فى اليوم السابق .

وعندما كان الخديو مع جلالة الملك أمس ، دعا سموه لحضور حفلة استعراض

عسكري مناسبة عيد جلوسه (*) في هذا اليوم ، فبعد انتهاء الزيارات وحوالى الساعة العاشرة صباحاً حضرت عربتان ملكيتان ؛ ركب في إحداها الخديو ومهنداره ودومرتينو باشا ، وفي الثانية عبد العزيز عزت باشا وضابط كان في خدمة الجيش المصرى برتبة ياور للسردار للذهاب إلى مكان الاستعراض ؛ وكان سموه يرتدى بذلة فريق ونيشان الامتياز المرصع ونيشان فيكتوريا ؛ وبعد الاستعراض دعى سموه لمأدبة عائلية في قصر بكنجهام ؛ وقد أمر الملك بعد الطعام بقهوة تركية للخديو فقدمت لسموه وصانعا مصرى في السراى الملكية .

وفي المساء ذهب سموه لمأدبة اللورد بلفور الرسمية ، وقد شهدا كثيرون من الأمراء الانجليز ؛ وكان عن يمين رئيس الوزارة ولى العهد وعن يساره الخديو . وبعد عودة سموه كلفنى بكتابة رسالة إلى مصطفى فهمى باشا عن رحلته فكتبته ووقع عليها سموه بخطه ، وأرسلناها . وفيها أن الحفاوة التى لقيها من السلطان كانت حسنة ، والحفاوة التى استقبل بها فى لندره كانت أعظم سواء من الملك والأمراء ورئيس الوزارة وكبار الانجليز فى لندرة والموظفين منهم فى الحكومة المصرية .

مشاهدة معرض زراعى : وفى صباح ٢٧ منه ركبنا القطار من لندرة إلى ضاحية أقيم بها معرض زراعى ، فشهدنا بعض نواحيه ، ثم توجهنا إلى كشك معد للملك والأسرة الملكية ، وكانت به موسيقى عسكرية حيث الخديو عند وصوله ؛ وقد وجدنا ولى العهد فى الاستقبال . وبعد الاستراحة ذهب بنا إلى مدرج ثم سرح أمامنا عدد من الثيران المعروضة من مختلف الأجناس الانجليزية ومن بينها ثور بيع بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه . وبعد ذلك ودعنا ولى العهد وعدنا بالقطار إلى لندرة .

دعوة الأمراء للخديو : وقد لى الجناب العالى بعد العودة ، دعوات من شقيق الملك والدوقة أوف كنوت ، والبرنيسيس أوف باتنبرج أخت الملك ، ثم رد سموه الزيارة للأمراء .

الخديو فى المسرح : وبعد تناول العشاء دعانا السيرارنست كاسل لحضور إحدى الروايات فى تياترو لاجيتيه ، ، وقد بلغنا أن ثمن كل كرسى خمسة جنيهات فعجبنا لغلاء الأسعار فى هذا المسرح .

(٥) الحقيقة أن يوم ٢٦ يونيو ليس يوم التولية ولكنه فى يناير ، ولما كان ذلك الشهر فى العادة شهر الأمطار والبرود والتلوج ولا يمكن عمل استعراض فيه لذلك حددوا يوم ٢٦ يونيو لهذا الاحتفال فى إنجلترا فقط ، وأما فى الرسميات فالتانى من الملوك تأتى فى اليوم الحقيقى للتولية .

مأدبة الخديو للسير إرنست كاسل : وفي مساء ٢٨ يونيو أعاد الخديو في محل نزوله مأدبة للسير إرنست كاسل وأخته وابنته وقربنها ، ودعى إليها المهمندان والدكتور سيمونسن .

في قصر وندسور : وفي ٢٩ منه ركبنا قطاراً خاصاً إلى وندسور حيث السراى الملكية وهناك كان في الانتظار عربتان ملكيتان كل منهما بأربعة جياد ؛ وبمجرد وصولنا وضع سموه إكليلاً من الزهور على قبر الملكة فيكتوريا ؛ ثم طفنا في السراى التي صارت متحفاً للأسلحة التاريخية ، ومما شاهدناه علم نابليون الأول وسيفه ، وعلم التعايشي ومصحف كبير من مخلفات المهدي ، وكثير من أثار الدراويش . وفي المتحف كثير من الصور الزيتية والصيني النادر ؛ وبعد إتمام الزيارة تناولنا شيئاً من المرطبات ثم ركبنا العربات إلى كنيسة السراى الملكية ، وبها مقابر بعض الأسر الملكية الانجليزية . ثم عدنا بعد ذلك إلى لندره فزار سموه وزير الخارجية ، إجابة لدعوة سابقة منه إلى مأدبة غداء ، وكان اللورد قد دعا ، إكراماً للخديو ، كثيرين من عظماء الانجليز ، وجلس سموه عن يمين الماركةيزة والدوق دى بورتلاند عن يسارها ، وكانت في المدعوين السير توماس ساندرس ابن عم اللورد كرومر ، والسير واللادى رينل روود ، والسير فرانك لا سلس قنصل جنرال انجلترا في مصر سابقاً .

وبعد الظهر قام الخديو بعدة زيارات من بينها زيارة لسفير فرنسا .
مأدبة شبه رسمية في قصر بكينجهام : وكان من المدعوين رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وبعض كبار الانجليز في مصر ، وقد استقبل سموه من رجال التشريفات استقبالا فخماً ، ثم استقبله ولى العهد بعد ما صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى .

وعلى المائدة جلس الملك وعن يمينه الخديو ، ثم اللورد بلفور ؛ وعن يسار الملك الدوق أوف كنوت وأمامهم ولى العهد وعن يمينه الدوق أوف كبريدج وعن يساره الماركةيز أوف لانسداون وزير الخارجية ، ثم باقى المدعوين حسب درجاتهم وفي آخر الحفلة وقف الملك والمدعوون وشرب نخب صحة الجناب العالى قائلاً ما ترجمته :
« إني مسرور بوجودكم وأهتم بمصالح سموكم الشخصية ، وبصالح مصر ، وإني أمل أن أرى سموكم بيننا في غالب الأوقات . » ثم شرب قدحا وشرب الجميع معه ، وجلس . وقد انتظر الملك برهة منتظراً أن يرد سموه على كلمته ، ولكنه لاحظ أن سموه كان ذاهلاً فتكلم مع الدوق أوف كنوت ، وهذا حادث دومرتينو باشا ، فأومأ إلى الخديو فانتبه من

غفلته ، واعتبرته الحيرة لأنه لم يكن ينتظر وقوع هذا المنظر ، وأخيراً وقف ورفع قدحه قائلاً : « إننى أشرب فى صحة جلالة الملك . » ثم التفت إليه وتمتم بصوت خافت كلمات لم يسمعها أحد .

وقد كان الخديو فى هذه الحفلة موضع إكرام الأسرة المالكة وكبار رجال الحكومة . وبعد الانتهاء قال الملك لعبد العزيز عزت باشا : « ها أنت ذا قد سمعت دعوتى للجناب الخديو لشكرار زيارته لندره فعليك تذكيره . » وربما كان الغرض من ذلك تشجيع سموه على قطع زيارته للاستانة والاكتفاء بزيارة العاصمة الانجليزية ، وذلك ما كان يدور بيننا بعد الحفلة .

الخديو عضو شرف فى نادى السباق : وفى ٣٠ يونيو أجاب الخديو دعوة السير إرنست كاسل للتوجه إلى نيوماركت وتمضية ليلتين فى قصره هناك ، ومشاهدة المسابقات التى ستحصل فيها ، فذهب فى صباح ذلك اليوم مع المهنددار ودومرتينو باشا والسير إرنست كاسل الى المحطة ، وركبوا قطاراً خاصاً . ولما وصل سموه توجه إلى القصر ؛ وهو واقع وسط حديقة غناء شاسعة وفيها أنواع من خضر وفاكهة نادرة المثال ومعنى بها غاية الاعتناء ، وهناك أيضاً خيول السباق ملك السير وعددها أربعة وأربعون منها ٢١ مضمونة تنزل السباق ، ولها اسطبل بديع جداً والامكنة التى توضع بها مؤوتها عند الأكل فى غاية النظافة .

وكان السير إرنست كاسل قد دعا كذلك جلالة الملك لضيافته والمبيت عنده هذه الليلة ، فأرسل جلالته يدعو الجناب العالى للغداء معه فى ساحة السباق ، وقد قضى جنباه فى هذه الضيافة يومين ؛ ولما عاد علمت تفاصيل هذه الرحلة ، وذلك أن سموه بعد حضور السباق اقترح جلالة الملك تعيينه عضو شرف فى النادى المسمى « جوكنى كلوب » فاجتمع مجلس إدارة النادى فى الحال وقرر ذلك باجماع الآراء ؛ وكان هذا شرفاً عظيماً لدى كبراء الانجليز لأن هذا النادى لا يضم سوى المعروفين منهم لدى الملك وليس به من الأجانب إلا امبراطور ألمانيا . ولذلك سارع الأعضاء إلى تهنئة سموه بهذا الشرف العظيم وأبلغوه أنه فى العام المقبل سيقام سباق باسم جنباه ، فشكر لهم سموه جميل عواطفهم . وبعد انتهاء المآدب التى أقيمت قال الملك للخديو عند وداعه للعودة إلى لندره : « إنى أقول لك الى الملتقى . » وكررها ثلاثاً .

الخديو وجمعية مسلى لندره : وقد عاد الخديو إلى لندره فى ٢ يوليو وكان قد

حضر لزيارته قبل عودته الكاتب والمشرع الأشهر السيد أمير على أحد أكابر قضاة الهند وصاحب كتاب «روح الاسلام» فأسف لعدم لقاء سموه . وترك بطاقة ؛ ولما أخبرت الخديو بذلك أبدى أسفه وبعد الغداء حضر وفد من «جمعية مسلمي لندره» مؤلف من السيد على بلكرامى وزير المعارف بحيدر آباد الدكن سابقاً ، وأستاذ بعض اللغات الهندية بكلية كمبردج ، والسيد عبد الله المأمون السهروردى ، وعبد الرحيم خان من رؤساء طائفة الافريدين وغيرهم ، وقد ألقى رئيس الوفد خطبة بين يدى سموه عرفة فيها بأغراض الجمعية من اتحاد المسلمين ونشر الاسلام ورفع كلمته ؛ ثم رحب بسموه وأظهر سرور المسلمين من عنايته بالامور الدينية ولا سيما بالأزهر الشريف ؛ فرد سموه عليه شاكراً ، ثم وجه أنظارهم إلى قلة عدد الطلبة الهنود بالأزهر ، وأنه عند زيارته الأخيرة له لم يجد به غير سبعة فقط ، وحشم على إرسال أكبر عدد ممكن من الطلاب إليه .

وأشار سموه أيضاً إلى شعوره بالمشاق التي يعانها الحجاج ، وأن أمير الحج المصرى يبذل جهده فى حماية الحجاج الهنود وغيرهم من البلاد الأخرى أسوة بالمصريين ؛ وقال سموه : «إن الحج ركن من أركان الدين الاسلامى ، وإبطال هذه الفريضة بسبب هذه المشاق والمتاعب يكون ضربة قاسية وخطراً كبيراً على الاسلام الخ .» وتبرع سموه للجمعية بمبلغ خمسين جنياً مصرياً ؛ وانصرف الوفد شاكراً بعد أن أهدى إلى سموه فهرساً بكلمات القرآن ، يدل المطالع على موضع كل كلمة ، وفى أى آية ومن أى سورة ، وكذلك ترجمة كتاب «تمدن العرب» لجوستاف لوبون وقد ترجمت التيمس الخطاب ورد سموه عليه .

حديثى مع السير إرنست كاسل : وقبل السفر تحدثت الى السير كاسل معرباً عن إعجابنا بكرم ضيافته لنا ، فزله وعرباته ومائدته وغيرها كانت كلها ملكاً لنا وكانت على خير حال ؛ وبعد ذلك قلت له : «إننى مع احتفاظى بذكرى هذه الضيافة أريد تذكاراً خاصاً لى ، ذلك هو إفهامى السر فى الربح من الأوراق المالية .» ففكر هنيهة ثم قال : «تشتري الأوراق عند انخفاضها وتبيعها عند ارتفاع أثمانها .» قلت : «إن هذه هى العقبة فكيف أعلم أنها منخفضة اليوم وسترتفع غداً ، ولو علمت ذلك لا اكتشفت السر بنفسى .» فضحك وقال : «هذا مرجعه إليك .» وضحكنا .

الخديو ومستر بلنت : والثى الوحيد الذى كدر الخديو فى لندره ، هو أن

المستربلنت المعروف بصداقته للعرايين كان قد اتصل بسموه بصلات الود في العهد الأخير بواسطة الأستاذ الشيخ محمد عبده ؛ وقد كتب لسموه من ضيعته القريبة من لندره ؛ يرجو تشريفه بها لمشاهدة الخيول العربية التي يعنى هو بتربيتها وإنتاجها ، فأمر سموه بروستر بك باجابه ملتسمه وتحديد وقت لهذه الزيارة ؛ ولكنه لما تحدث مع السير إرنست كاسل في هذا الموضوع أشار عليه بعدم الزيارة ، لأن مستربلنت مكروه من الملك ، فتألم الخديو لذلك وقال في أثناء حديثه لنا : « عجباً للانجليز ، كيف يدعون حرية الفكر ، ويحجرون على في بلادهم ! »

وفيما عدا هذا الحادث كانت زيارة لندره فاتحة عهد جديد في صلة سموه بالانجليز .

نتائج هذه الزيارة : ويمكن تلخيص أثر زيارة الخديو لندره فيما يلي :

التعارف - فانه عرف كثيراً من الانجليز وعرفوه كذلك ؛ وقد علمت أن بلفور رئيس الوزارة أعجب بسموه ، لما هو عليه من جميل الخصال ، وأبدى إعجابه لكثيرين . كانت الزيارة في غاية المودة والمحبة ، وظهر من تسابق كبار الانجليز لزيارته ودعوته والاحتفال به . أنهم يرغبون اجتذابه إليهم ، وقد كان الاحتفاء به عاماً ، حتى إن التيمس قالت في مقالة افتتاحية : « إن العظماء قلما يستطيعون الانزواء بأنفسهم والتخلص من مراقبة العيون النازرة إليهم ليتمتعوا بالعزلة التي كثيراً ما يتحسرون عليها ويتلفهون إليها ، ولقد تحولت زيارة الخديو المعظم الخصوصية إلى زيارة شبه رسمية ، لا ينقصها إلا ما استراح منه سموه من مشاق الرسميات التي تقتضيها هذه الزيارات ؛ ولما زار سموه بلادنا في المرة السابقة لم يحسن استقباله في هذه الديار كثيرة القلب ، ونال من المرض ما أثر تأثيراً كبيراً على الحماس الذي دب في جسم الأمة احتفاء وترحيباً بسموه . وأما في هذه المرة فقد كان الجو صحواً بهيجاً ، وشهد سموه في أحسن مظاهره وأرق حالاته ، وبذلك مهد له الوقوف على أحوال الأمة الانجليزية على حقيقتها ؛ وسواء أكانت زيارات جنابه رسمية أم غير رسمية فهو دائماً لدينا ضيف كريم ترحب به الأمة ؛ وربما كانت زيارة عادية كهذه أحب إلى مجموع الأمة وأقرب إلى ميول قلوبها ، لأن مثل هذه الزيارات تبرهن على ارتياح قلبي للوجود بيننا ، وتدل على الثقة أكثر مما تدل الزيارات الرسمية . »

وقد كتبت معظم الصحف كذلك ، حتى الصحف الصغيرة التي تنشر في الأقاليم ونشر بعضها صورة سموه .

كانت العلاقات بين عباس والانجليز قد تحسنت منذ زيارته الأولى للندره ؛ وها قد وضع مقدار الحفاوة التي قوبل بها من الأمراء خاصة والشعب عامة ، والمودة التي أظهرها الملك له ، وتمنياته تكرار الزيارة في وقت كانت سياسة السلطان قبله غير مرضية . كل ذلك زاد التحسن ، وشعر عباس بسرويه بوجود الثقة بينه وبين الانجليز . فهل استمرت هذه الثقة ؟ (*)

الرجوع إلى باريس : وفي صباح ٣ يوليو ودعنا السير كاسل وكثيرون غيره . ثم رافقنا المهندار حتى دوفر . وقد أرسل الخديو قبل مغادرته لانجلترا برقية يعبر بها عن شكره وعظيم امتنانه للملك . وكان قد كلف السير كاسل بمثل هذه التكرات .

وصلنا إلى باريس في المساء ؛ وفي اليوم التالي ذهبت مع سموه الى سراى الاليزه وتركت بطاقة باسمه ، وكذلك في وزارة الخارجية ؛ وقد رد مسيو دلناسيه الزيارة في فندق بوسيت الذي نزلنا به .

عباس في ديفون ~~للمستشفى~~ . وبقينا في باريس إلى ١٠ يوليو ؛ ثم سافرنا إلى ديفون لأخذ الحمامات حسب المعتاد .

وفي ١٢ منه جاء خطاب من عزت بك بالاستانة يقول فيه : « طلبت أمس إلى المايين بالتلغراف . فلما قابلت الباشكاتب أعطاني صورة مقالة مترجمة عن التمس ، ومرسلة من سفارة الدولة بلندره ، عباره عن رد الخديو على خطبة وفد الجمعية الاسلامية بلندره . وقال عزت بك ولما أتممت قراءتها قال الباشكاتب : « إن جلالة السلطان يأمركم بتبليغ الخديو أسف جلالته كثيرأ من الجملة المختصة بالحجاج ، مع وجود مجال أوسع للكلام في ذلك الصدد نحو الاسلامية والاسلام ؛ وجلالته لم يقبلها قطعياً ، ويرغب معرفة ما إذا كانت هذه الجملة حقيقة صدرت من نفائسه أو هي من محرر الجريدة ؛ وإن كان صحيحاً ، فما سبب ذكرها ، وما هي المشاق التي عاناها الحجاج ؟ مع أن السلطان لا يصدق صدورهما من سموه في بلاد أجنبية ، وفي وسط الأجانب . وجلالته منتظر الجواب بالتلغراف الرقي ، ويطلب أيضاً إرسال صورة من خطاب الخديو للاطلاع عليه . » وقد أبدى الخديو استياءه لسفير الدولة في باريس عند وجوده بها ، وطلب منه التحرير للمايين قائلاً : « كيف يغضب السلطان من ذكرى لأشياء أعلمها حق العلم ؛ وأنا لا أغضب من طلب جلالته عمل شبه تحقيق معي بهذا الخصوص ؟ ، فلي السفير الطلب ، وجاء الرد بأن السلطان تناسى هذه المسألة ؛ وعلى الخديو ألا يفكر فيها .

لطيفة ، السمك الطازة . . وكان يصحب الخديو بديفون عادة الطبيب كاو تسكى بك . وترنيزون باشا ، المير اخور ، ، والسكرتير (وهو فى الغالب أنا) . وفى مرة خرجنا ، نحن الثلاثة ، بصحبة الخديو ؛ وركبنا عربة بأربعة جياذ للرياضة على جبل ، جورا ، ، وصعدنا إلى مكان مرتفع . ومكثنا حتى جاء موعد الغداء ، فذهب ترنيزون باشا إلى مطعم هناك ، وكان هو الذى يتولى عادة إعداد قائمة الطعام . وكان يميل إلى التظاهر بالاندماج فى البيئة الشرقية ، فيتكلم بالعربية العامية ، ويتفوه بألفاظ أولاد البلد ، ويأتى ببعض حركاتهم ، كأن يتجشأ بصوت مسموع . . الخ .

فلما ذهب للطعم وعاد ، ذكر أصناف الأطعمة به ، وخص بالذكر السمك ، فنوه بوجوده ، وقال إنه طازة . . وقد اختار الخديو أكلة السمك ؛ ولكن ما كاد يحضر حتى تبين أن له رائحة كريهة لطول مكثه ، فسأله الخديو ، أهذا هو السمك الطازة ؟ ، وهنا قال ترنيزون : أنا ظننت يا سمو الخديو أنه أطيب من كده ! ، عندئذ أغرقنا فى الضحك على هذا الاشتقاق العجيب ، ثم سأله : من الذى علمك اسم التفصيل هذا ؟ ، فأجاب : أستاذى فى العربية محمود شكرى باشا ! ،

مأثرتى فى طاشوز . ثم بقيت فى ديفون حتى يوم ١٥ اغسطس حيث كلفنى الخديو بالسفر الى طاشوز ؛ لمعرفة حالتها وكتابة تقرير عنها بمساعدة مسيو هكسيوس مدير معمل الزيوت ، على أن أعود بعد رحلتى الى فينا حيث ألحق بسموه هناك .

وسبب ذلك أنه تم إنشاء معصرة الزيت بهذه الجزيرة بمعرفة هكسيوس بعد صعب كثيرة ، ولكن هذا المشروع لم ينجح تماماً لعمل السلطة التركية على عرقلة أعماله ، وتحريضها الأهالى على عدم بيع محاصيلهم من الزيتون إلا بثمن مرتفع ، حتى فكر هكسيوس فى وقفه فى العام الآتى ، ليعلم الأهالى مقدار الخسارة التى تتألم .

ونظراً لهذه الصعوبات أراد الجناب العالى استبدال مدير الوقف محمود رفعت بك بالكونت سورمانى الموظف بالديوان الخديوى ، لأنه قد يكون أقدر على تلافى الحالة . وفى أثناء استعداده للسفر لطاشوز ، جاء بلاغ من السفارة الإيطالية فى الاستانة الى قنصل جنرال إيطاليا بمصر ، بمنع الكونت من السفر ؛ لأنه لو توجه فيمنعه قنصله فى قوله . وقد كان هذا من جراء تهاون الخديو فى الاسراع بهذه المسألة ، حتى تمكنت تركيا من السعى لدى إيطاليا . وقد كان هذا سبباً فى استياء الخديو ، وتوتر العلاقات بينه وبين الاستانة ، وما ترتب عليه من توتر فى علاقة بسموه بالغازى احمد مختار باشا

كما سبق التنويه عنه في مسألة نجله محمود مختار باشا .

غادرت جنيف في ٢٥ أغسطس إلى برنديزي ، ثم ركبت البحر إلى بتراس ، ومنها بالسكة الحديدية إلى بيريه حيث أقلتني باخرة صغيرة اسمها « طاشوز » ، تابعة للأوقاف الخصومية ، إلى الجزيرة . وهذه المرحلة الأخيرة من سفرى كانت شاقة جداً لأن البحر كان هائجاً وكانت الأمواج تتقاذف الباخرة حتى طغت المياه على غرفة الرهان ، وخيل إلى أنى على وشك الهلاك ولا سيما أنى لم أذق الطعام مدة ٢٤ ساعة . وقد قابلت بالجزيرة مسيو هكسيوس وفى اليوم التالى لوصولى اضطررت للسفر على نفس الباخرة سالكا طريق قوله لتفقد حالة عمارة محمد على الخيرية ، وقد استغرقت هذه الرحلة أربع ساعات ذهاباً وإياباً ولكنها كانت رحلة موفقة باعثة على الارتياح .

وفى اليوم الثالث تجولت فى بعض قرى الجزيرة بصحبة مسيو هكسيوس وشاهدت معصرة الزيت ، وفى اليومين التالين فحست الدفاتر ، وحالة الأوقاف وهى فرصة اغتنتمتها لأخلد إلى الراحة ، لأن التعب كان قد أخذ منى مأخذه ، ثم عدت فاستأنفت السفر مستقلاً الباخرة ومعى مسيو هكسيوس إلى جبل أتوس الشهير المعروف باللغة التركية باسم « أبناروز » ، وهو فى جزيرة ليس فيها أنشى حتى الدجاجة ! ويقم فيها جماعة من الرهبان والنساك من يونانيين وروس وصريين وبلغاريين وغيرهم ولهم أملاك وكثير من أشجار الزيتون فى جزيرة طاشوز . ثم زرنا دير فاتييدى وهو أقدم أديرة جبل أتوس وأحفلها بالتحف وبه مكتبته الأثرية القديمة التى تحوى مؤلفات نفيسة بينها مؤلفات سترابون المصورة ، وهى فيما يزعم أمين المكتبة النسخ الوحيدة من نوعها . والدير واقع فى جوار الرعة التى عمد « أكسرس » ، إلى شقها اجتناباً للبرور بالرأس الأرضى الممتد فى الجزيرة وهو الرأس الذى تحطم عليه جانب من أسطوله ؛ ورهبان الدير يشتغلون فى الزراعة والصيد ، ويعيشون عيشة النساك ، وكثيراً ما يطرق الجزيرة زائرون من كل جهة ، وفى السجل المعد لتدوين أسماء الزائرين اسم ملك إيطاليا الحالى وفوكيه وروتشيلد وغيرهم من عظماء العالم .

وفى جبل أتوس نحو عشرين ديراً للروم والروس ، وأغلب الرهبان من الروس وهم يمتلكون أهم الأديرة وأغناها ، ويبلغ مجموعهم نحو خمسة عشر ألف راهب .

ولما عدنا إلى طاشوز استأنفنا التجول حول الجزيرة منذ مطلع الشمس ثم تركناها وسافرنا بحراً إلى دده أغاش فوصلناها الساعة السادسة مساءً ، فى جو صاف



دير ايفرون بجبل أنوس

بديع ، وغادرتها متأخرين عن الموعد المقرر المعتاد ، وكان القطار غاصاً بالجنود والضباط والركاب غير أنى تمكنت بواسطة البشيش ، من تدبير ديوان خاص لى ورفيقى هكسيوس ، ولاحظنا فى أثناء السفر أن الجنود قائمون على خفارة الطريق . وفى منتصف الساعة التاسعة وقف القطار فجأة فى مكان بعيد عن إحدى المحطات فسأل الركاب الكسارى عن السبب فأجابهم بأن الحرارة التى اعترت القاطرة لثقل القطار وازدحامه تقضى بهذا الوقوف . وبينما نحن فى هذا الحديث إذا بشرذمة من الفرسان تدنو منا بسرعة ، فكانت الظلمة حالكة فلم نبصرها ولكن وقع حوافر الخيل طرق آذاننا فزاد ذلك فى رعبنا وحسبنا له ألف حساب لأننا ظننا أنهم أفراد إحدى العصابات البلغارية وكان كلما اقترب الصدى زاد قلقنا ، وما زلنا نضرب أنفسنا فى أسداس حتى أبصرنا الفرسان فإذا بهم فرسان أتراك مقبلون علينا من الجبل على خيول بيضاء ، وتقدم الضابط إلى سائق القطار سائلاً عن سبب وقوفه ، ثم أمر أحد الفرسان بالعودة إلى زملائه لتطمينهم وكان ذلك من بواعث التطمين للركاب فهدأ روعهم . على أن هذا الاطمئنان كان وقتياً وكان القلق الذى استحوذ علينا مقدمة لقلق آخر أشد وقعاً ، ذلك أنه ما كاد القطار يسير بنا مدة حتى عاد فوقف بنا قبل محطة قللى بورغاز ثم عاد

القهقري إلى أوزون كوبرى ، وحينئذ دب الرعب فى القلوب مرة أخرى .

وبعد أن وقفنا نحو ثلاث ساعات وعوامل الخوف تنازعنا ، تلقينا الأمر بعدم النزول فى تلك المحطة ومتابعة السفر إلى أدرنة . ولا يخفى أن محطة قللى بورغاز ملتقى الخطوط الحديدية التى تتقابل فيها القطارات الآتية من أوروبا والقادمة من الاستانة إلى أوروبا أو من سلانيك ودهه أغاش ، وقد أثر فىنا هذا الأمر القاضى بعدم النزول فى هذه المحطة ، قللى بورغاز ، لركوب القطار المسافر من الاستانة إلى فينا ، فأردنا أن نستطلع جلية الأمر وبعد إلحاح شديد اضطر الكومسارى أن يصرح لنا بالحقيقة فقال : « إن بلغارياً من رجال العصابات وضع آلة جهنمية فى طريق القطار ، فانفجرت تحت مركبة الطعام ، فى محطة قللى ، فقتل رئيس الخدم وثلاثاً من النساء التركيات وثلاثة أشخاص آخرين مع عدد من الجرحى . » والذى تحققناه أن الآلة كانت قد وضعت تحت المركبة فى محطة فليوبولى بعد أن أديرت الآلة المركبة فيها بحيث تنفجر حين وصول القطار إلى الجسر المقام على نهر ماريتزا وراه محطة قللى بورغاز فتدمره وبذلك لا يعود فى إمكان الجنود والركاب أن يعبروا الضفة الثانية من النهر .

وقد شاهدنا فى المحطة المركبة المحطمة ، وجثث القتلى وهى مغطاة بأقمشة بيضاء ، وكان المنظر محزناً للغاية . على أن تأخيرنا بسبب وقوف القطار ، كان باعثاً على إحباط سعى الثوار البلغاريين الذين دبروا هذه المكيدة . وكان رحمة وسلاماً إذ لولاه لرحنا ضحية تلك الجريمة ! وتأخر القطار بنا ثلاث ساعات ولذلك لما وصلنا إلى صوفيا كان القطار البلغارى غادر المحطة إلى فينا فقضينا هناك أربعاً وعشرين ساعة ، وأخيراً وصلنا عاصمة النمسا بخير وأخبرنا الخديو بكل ما تقدم وأطلعت على تقرير مفصل لرحلتى . وسلمته بعد رجوعنا لمصر إلى أحمد خيرى باشا .

فمن ذلك كانت رحلتى هذه شاقة حافلة بالمتاعب والأخطار . والغريب أنى لما ركب القطار فى دده أغاش حدثتني نفسى بأن حادثاً ينتظرني فى الطريق وخطر لى أن أعهد إلى مسيو هكسيوس فى إيصال أوراقى المحفوظة فى حقيبتى إلى المنزل ، وقد وقع هذا الحادث فعلاً ولكنه وقع فى قطار آخر . ومن المصادفات الغريبة أنه فى أثناء سفرى من جزيرة طاشوز رأيت طائفة من الدراويل تسابق الباخرة وتداعبها ودنا منى أحد سكان الجزيرة وأنا أنظر إلى هذه الدراويل وقال : « إن هذا فأل حسن . » وفى الواقع إنه كان مصيباً .

وقد نشرت جريدة «جورنال دى جنيف» في عدد ٢ سبتمبر نبأ هذه الرحلة في رسالة ضافية بقلم المسيو هكسيوس لا تختلف عما تقدم .

العودة الى الاسكندرية . وقد بقينا في فينا حتى يوم ١١ سبتمبر ثم غادرناها على قطار السكة الحديدية الرومانية إلى ثغر قسطنجة على البحر الأسود ومنها بالبحر للاستانة فوصلناها يوم ١٤ منه . ولما ألفت الباخرة مراسيها أمام جبولى كان في الانتظار المشير شاكر باشا واللواء حسنى باشا وضابط من الياوران، يحملون تحية السلطان . ثم ركبنا الزورق رهبر إلى ضولمه فجأة ، ومن هناك أفلتتا العربات إلى سراى يلدز ، فحضرنا مأدبة شاهانية . وبعد الغداء دخل الخديو عند السلطان وظل معه نصف ساعة حدثه فيها جلالته عن ثورة حدثت في بلاد البلغار ، وعن إشاعات خلاصتها أن الثوار سينشرون الطاعون في أنحاء تركيا بواسطة عشرين زجاجة من باسيل الطاعون ؛ وكذلك كان جلالته متخوفاً من أن يسمموا مياه الاسكندرية المعدة للشرب !! وبعد انتهاء الزيارة ذهبنا للسلام على الوالدة ثم عدنا إلى جبولى .

خطأ ينيل رتبة : وفي ٢٠ سبتمبر جاءني اللواء حسنى باشا متألماً ، وقص على حكاية غريبة ملخصها أنه دعى للمابين برقية أرسلت إليه بعنوان « الفريق حسنى باشا » ، وكان يترقب الانعام عليه بهذه الرتبة الكبيرة . فظن أنه أنعم بها عليه فعلا ، وأذاع ذلك بين إخوانه فرحاً مسروراً . ولكنه لما ذهب إلى المابين ليقدم شكره على هذا الانعام أخبره الباشكاتب أن هناك خطأ فقط وقع من كاتب البرقية ؛ وأنه لذلك حائر متألماً لا يدري ماذا يصنع ، وكيف يدارى خجله أمام أصدقائه الذين أخبرهم بالنبأ ، وهم كثيرون !

فأبلغت ذلك للخديو ، وانتهر سموه فرصة وجوده مع السلطان في اليوم التالى لتناول طعام الغداء على المائدة السلطانية ، وذكر له الواقعة ملتصقاً بالانعام بهذه الرتبة على الرجل ، فصدرت الارادة السلطانية في الحال بهذا الانعام !!

العود الى مصر . وقد بقينا في الاسكندرية حتى ٢٨ سبتمبر ، ثم غادرناها بعد مأدبة وداع في يلدز يوم ٢٧ منه قاصدين الاسكندرية فوصلناها يوم ٢ أكتوبر . واستقبل الخديو فيها كالمعتاد .

الشيخ على يوسف في لندره وباريس . كان الشيخ على يوسف من

المتهمين للسراى ، فانتزح فرصة زيارة الخديو لندره وسافر اليها ليتتبع أخبار هذه الزيارة كيما ينشرها فى المؤيد ، ثم بارحها الى باريس وتقابل مع بعض السياسيين فيها ، وتكلم معهم بخصوص المسألة المصرية ، كما سيجىء ، ثم أرسل اليها من لندره فى ٥ يوليو خطابا يقول فيه : « كانت مأدبة المستر موزلى — وقد كان قاضياً بمصر — فى ٥ نيو سان استيفان كلوب ، وهو كلوب المحافظين ، مساء أمس وأجاب الدعوة اثنان وعشرون شخصاً بينهم عضوان فى البرلمان ومديرو جرائد استاندرد والديلى تلغراف والديلى نيوز وغيرهم من الكتاب والاعيان ، ومع أنى كنت سمعت من المستر موزلى نفسه أنه لا خطب ولا كلام بل حفلة تعارف وسمر بسيط ، فقد جر الطعام إلى المدام ، والمدام إلى الكلام ، وانتهى الأمر بالقوم أن كانوا فى حلبة خطابة فخطب منهم سبعة منهم عضوا البرلمان ، وأصحاب الجرائد الثلاثة وشخص اسمه المستر ديسى مؤلف كتاب « الخديو فى مصر ، والمستر موزلى واضطرت أن أتكم أيضاً . وكان مدار الخطب كلها مظاهره للجناب العالى الذى شربوا نخبه مراراً ، وحيوه مراراً بكلمة « هورّا » .

وأضاف إلى ذلك أنه رد عليهم بالشكر ، وبسط القضية المصرية ، وما للخديو من منزلة بين أمة .

ووردت لنا منه أيضاً رسالة من باريس يصف فيها احتفاء الصحفيين الفرنسيين به ؛ وما تبادلوه من الأحاديث بخصوص مصر وسياسة فرنسا .

ثم أرسل لنا رسالة أخرى جاء فيها : « سيذهب وفد من مجلس النواب الفرنسى إلى لندره ليجتمع مع مندوبين من برلمان إنجلترا للمفاوضة فى المسائل المختلف عليها بين الدولتين ، وقد طلبت مقابلة مسيو اتين وكيل مجلس النواب الفرنسى بواسطة دولونكل لأعرف منه إن كانت مسألة مصر من جملة المسائل التى يجرى الكلام فيها أم لا ، وقد كتبت لصاحب لى فى إنجلترا ليعرف شيئاً من ذلك أيضاً حتى إذا كان هناك قسط من الكلام لمصر عدت إلى لندره لأعرف ما يمكننى الوقوف عليه من أسرار المخبرات فى شأن مصر خصوصاً إذا كان من أعضاء البرلمان ، الذين نعرفهم ، من يكون فى اللجنة المختصة لذلك ولعل هذا هو السبب فى كثرة الأسئلة التى تتوارد على من لندره فى المواضيع المصرية . »

وكتب لنا بعد ذلك ما يأتى : « عاد النواب الفرنسيون ، وقد قابلت دولونكل وهو متفخ بالآمال السكار ، ويقول إن المسألة المصرية لا بد أن تعرض أول المسائل

على مجلس التحكيم الذي يراد عقده ، وقد كان في المادة البرلمانية على يسار المستر تشمبرلن وعلى يمين السير شارل ديلك وتكلم مع الاثنين في المسألة ؛ ومن رأيه أن تشمبرلن لا يبقى طويلا بل الوزارة كلها ستغير وتأتى وزارة الأحرار ، ولما خطب قال لا بد من عرض المسألة المصرية في مقدمة المسائل ولكنه لم يرد أن يتعمق معى في الكلام حتى يعرض ما لديه رأساً على الجنب العالى ، وهو مسافر غداً إلى البلدة التى بها مسيو اتين وكيل مجلس النواب وبعد مقابلته يتوجه إلى ديفون ، وربما اقتضى الحال تأخير سفره إلى يوم الخميس أو الجمعة التاليين .

هبة الخديو للملجأ اللقطاء . تفضل سمو الخديو ففتح ملجأ اللقطاء الذى أسسته جمعية مكارم الأخلاق بالاسكندرية مبلغ ألفين وثمانمائة جنيه تصرف له كل عام . وقد حضر للسراى وفد مكون من المحافظ بصفته رئيس شرف الجمعية ، وقاضى الثغر ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ، والشيخ عبد الفتاح شريف رئيس جمعية مكارم الأخلاق وعبد القادر الغريانى بك و خليل بك حماده وكيلاها لشكر الخديو على هبته .

وقد افتتح هذا الملجأ يوم ٢١ أكتوبر وكنت ممن رافقوا سموه وبعد الاحتفال رسمياً تفقد جناحه غرف الملجأ ، وسأل عن نظمه وأوصى القائمين بأمره بزيادة العناية بأمر هؤلاء البؤساء الأبرياء .

الزبرجد فى البحر الأحمر . أخذ الخديو بعد عودته من الاستانة يعنى بمسألة استخراج الزبرجد من جزيرة الزبرجد بالبحر الأحمر ، بعد ما انتهى أمر طاشوز إلى انتزاعها من الادارة الخديوية .

وقد كلفنى أن أخطب مسيو هكسيوس فى الموضوع ليوافينا بأخبار استخراج الزبرجد ويعه ، وقد جاء الرد منه يوم ٥ نوفمبر أنه قد وصلت أنباء من باريس ولندره بأن تجار الزبرجد غير متراحين إلى أثمانه لكثرة ما يعرض منه عليهم من جهات مختلفة وبأثمان رخيصة ويقول فى بيانه بأنه لا بد أن يكون هذا الزبرجد مسروقاً .

وبوصول هذا الرد اهتم الخديو بالأمر ، وبعث محمد سعيد بك رئيس نيابة الاسكندرية إلى الجزيرة لتحقيق الأمر ، فقام ، وبعد رجوعه قرر أن نصف الزبرجد قد امتدت اليه أيدى السارقين وأنه قبض على من اشبهه فيهم ، وقد أبلغنى الخديو بعدئذ

أن هكسيوس يسعى لدى شركة انجليزية لشراء امتياز الزبرجد بهذه الجزيرة بخمسين ألف جنيه .

شقيقة ملك الانجليز في مصر وكبار الزوار الأجانب . في ٢٣ ديسمبر وصلت إلى القاهرة الرئيس دى باتنبرج شقيقة ملك الانجليز ، فاستقبلها على المحطة من قبل الخديو البرنس محمد على باشا وكذلك اللورد كرومر وقنصل جنرال ألمانيا ، ونزلت في فندق الجزيرة .

وفي اليوم التالى لوصولها زارها عباس فى الفندق . وكانت هذه الرئيس قد أقامت مأدبة للجناب العالى عند وجوده بلندره كما ذكر ، وقد أدب لها سموه يوم ٢٨ مأدبة فخمة فى سراى عابدين ، حضرها اللورد كرومر والنظار والمستشاران ، ورؤساء المعية ، واستمرت الحفلة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وبعدئذ حضر الدوق أوف كنوت وقرينته واللورد تشمبرلن عند مروره ببور سعيد أثناء سفره إلى الكاب وقد جاء إلى العاصمة وزار الخديو وشاهد الخزان .

وزار مصر ولى عهد ألمانيا وشقيقه بصفة غير رسمية ، وقد مرضا ولكن لم يمنعهما المرض من مشاهدة بعض الآثار المصرية ، خصوصاً آثار الأقصر ثم رؤية خزان أسوان .

وقد قدم إليهما الجناب العالى إحدى سفن الركائب الخديوية لهذا الغرض ، وأعد لهما مأدبة عشاء فى عابدين ورافقهما إلى زيارة القناطر الخيرية ، فتركا مصر شاكرين ، وتبادل الخديو مع والدهما البرقيات بخصوصهما ، وأظهر ابتهاجه بهذه الزيارة التى عوضت ما كان ينويه الإمبراطور من زيارة مصر فى السابق ، فجاء الرد منه لطيفاً ، وأنعم على بعض الحاشية بنياشين .

وكذلك حضر الدوق دوساكس فأولم له الخديو وليمة غداء فى عابدين ، وكنت من ضمن المدعوين وقدمنى سموه إليه كباقى أفراد الحاشية التى حضرت الوليمة ، ولذا أنعم على بنيشان فيليب من الدرجة الثانية .

وزار مصر أيضاً الأرشيدوق فرانسوا فرديند ولى عهد النمسا (*) بصفة غير رسمية ، وبينه وبين الخديو مودة عظيمة ، فرحب به سموه وخصص له يَحْتاً لزيارة الآثار القديمة

(*) وهو الذى قتل فى البوسنة وكان قتلته سبباً فى نشوب الحرب العظمى .

في الصعيد، وتنزه معه نزهة بديعة في القناطر الخيرية، وتغدى معه في القبة وكانت تصحبه قرينته. وملكة البرتغال ونجلها ولي العهد وقد زارا الصعيد على وابور خديوى. زارها الخديوى في فندق سافوى، فاستقبلت سموه عند مدخل الفندق وبعدئذ ردت له الزيارة في سراى عابدين. وزارت والدته وكذلك الحرم، وأعدت لها وليمة فاخرة في سراى عابدين. وبعدئذ توجهن معاً إلى الأوبرا؛ ولما سافرت الملكة ونجلها ودعها الجنب العالى على المحطة؛ ولما عادت إلى مملكتها أبدت شكرها وممنونيتها، وأعلنت ذلك في جريدة اللواء، فان صاحبه زارها وتكلم معها، وكتب خلاصة الحديث بعد استئذنها؛ ومن حوادثها في مصر أنها حضرت الليلة التي أقامها صالح باشا ثابت في منزله بجوار نزل سافوى لمناسبة زفاف ابنته، فدخلت الحريم ورأت العروس وتكلمت معها، ثم خرجت وجلست مع ابنتها بين المدعويين من الرجال وافتتحت المقصف.

افتتاح دار الآثار العربية. في صباح ٢٩ ديسمبر كان احتفال ديوان الأوقاف بافتتاح دار الآثار العربية في ميدان باب الخلق، وقد حضره البرنس محمد على باشا والبرنس فؤاد باشا، والغازى مختار باشا ورياض باشا والنظار واللورد كرومر وقناصل الدول الجنرالية، والشيخ حسونة النواوى والسيد عبد الخالق السادات والسيد محمد توفيق البكرى والشيخ محمد عبده، وكثير من أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وأصحاب الصحف، وعدد عظيم من الأعيان الأجانب مع قريباتهم.

واجتمع المدعوون في سرادق نفخ مواجعه للدار في انتظار الخديوى، فلما قدم حياه المنتظرون وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى. وبعد أن استقر به المقام ألقى عبد الحليم عاصم باشا مدير عموم الأوقاف خطبة الافتتاح. واتمس من الجنب العالى فتح الدار. وقد رد سموه عليه بخطبة قصيرة جاء فيها: «إذا كان لمصر أن تفتخر ببقايا أول مدينة قامت في العالم، فمن حقها كذلك أن تتباهى بالجنب العظيم الذى وصل إليها من مدينة العرب وحضارتهم».

ثم تقدم سموه فدخل الدار وكان هذا إعلاناً بافتتاحها رسمياً، ثم تفقد حجرها وخلفه المدعوون حتى انتهى وسر بنظامها. ثم عمدنا مع سموه للسرادق ف تناولنا شيئاً بما في المقصف الفاخر الذى أعده الديوان، وبذلك انتهى الاحتفال.

مسألة صندوق التوفير. كاد هذا العام ينقضى على وفاق بين الخديوى والانجليز،

ولكن حدث في ديسمبر خلاف جديد بين الخديو واللورد كرومر على مسألة صناديق التوفير بالبوسنة (*) .

ذلك أن اللورد أوعز إلى النظار أن يهيئوا مشروعا أوسع من مشروع الصندوق الذى كان موجوداً ، ولم يقبل الأهالى عليه لاعتقادهم مخالفته للشرعية لأنه نص على فائدة وهم يعتبرونها ربا محرما . وكان اللورد يعتقد أنه لو تم إقبال الفلاحين على إيداع أموالهم فى صناديق التوفير ، لقلت حوادث السطو والسراقات فى الأرياف وأهم أسبابها الحصول على الأموال المخزونة فى المنازل .

ولم يكن الخديو يعلم بإيعاز اللورد ولا بالمشروع حتى جاء ذكره فى جلسة مجلس النظار فعارض الخديو فيه لأنه لم يستوف صيغته الشرعية ولم تستبدل كلمة « فائدة » التى هى حجر عثرة فى المشروع القديم ، فقام اللورد وقعد لهذا الاعتراض من جانب الخديو ، ولذلك رأى سموه أن يدعم موقفه بآراء العلماء من الوجهة الدينية فأحضر عدداً منهم لسراى القبة وفى مقدمتهم الشيخ محمد بخيت والسيد محمد توفيق البكرى ، ولم يكن الشيخ محمد عبده المفتى من المدعوين نظراً لسوء تفاهم بينه وبين سموه ، واستدعانى جنابه عند وجود العلماء بالسراى وانتهينا إلى تقرير المشروع الآتى :

المادة الأولى : كل من أراد أن يضع شيئاً من ماله فعليه أن يقدم طلبه على استمارة مطبوعة تشتمل على ما يأتى :

أولاً — توكيل الطالب لمدير البريد توكيلاً عاماً باستعمال ما دفعه الطالب فى أنواع التجارة الجائزة شرعاً .

ثانياً — إذن الطالب لمن يكون مديراً عاماً للبريد بأن يخلط ماله المدفوع منه بمال غيره من المشتركين .

ثالثاً — قبول الطالب الاشتراك مع باقى أرباب الأموال المدفوعة فى الربح بقدر ما يقابل ما دفعه .

المادة الثانية : لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطالب بما خصه من الربح عند انتهاء السنة وتسوية حساب الربح بنسبة مقادير الأموال وعلى مدير البريد إجابة طلبه .

المادة الثالثة : بخصوص ضم الربح على رأس المال .

المادة الرابعة : في حالة وفاة أحد من أرباب الأموال فلورثته الحق فيما دفعه أو تجديد الاشتراك .

المادة الخامسة : تكون جميع الأموال المودعة بالصندوق تحت مراقبة الحكومة المصرية وحفظها .

ولما كان الخديو في يوم هذا الاجتماع على أهبة السفر لاسكندرية ، كلفني أن أقدم نسخة من المشروع لمظلوم باشا وأخرى لدومرتينو باشا لتسليمها إلى اللورد كرومر ، وكلف السيد محمد توفيق البكري أن يتفق مع محمد بيرم بك (*) القاضي بالحكام المختلطة ليفهم مستر بويل السكرتير الشرقي للورد بكل ما عمله الخديو . وأمرني سموه أن أطلع قاضي مصر أولاً على المشروع وأعرف رأيه وكذلك الشيخ حسونة النواوي ، حتى إذا عرض هذا المشروع على مجلس شورى القوانين — وهما عضوان به — لا يعارضانه . فذهبت للشيخين أولاً . فلاحظ القاضي أن يضاف إلى جملة د في أنواع التجارة الجائزة شرعاً ، جملة د الخالية عن معاملة الربا بوجه من الوجوه ، وقد خط هذه الزيادة بقلبه وكتب أمامها : د عن القاضي ، فاستغربت في نفسي لهذه الزيادة التي لا تأتي بشيء جديد ، أما الشيخ حسونة فقد رأى أن يغير عقد الشركة الوارد في البند الثاني من المادة الأولى فيكون : د أشركت فلاناً صاحب هذه القسيمة مع الموكلين إلى المشتركين في صندوق التوفير . ثم نقح بعض أشياء في الأسلوب .

ولما أطلعت البكري على هذه الإضافات والتنقيحات وسألته إن كان يرى ضرورة إضافة شيء آخر أجاب بالنفي ووافق على التنقيح .

وبعد ذلك توجهت بنصوص المشروع إلى مظلوم باشا فلاحظ على ما جاء منه بأن في انتظار المودع لآخر السنة حتى يمكنه سحب شيء من ماله المودع تشديداً وصعوبة تحول دون نجاح المشروع . وقد عدت إلى العلماء وناقشتهم في هذه الملاحظة واتهمنا إلى أن يكون النص كما يلي : د لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطالب بما خصه من الربح متى أراد .

ولما انتهت هذه الاجراءات كتبت نسختين سلبت إحداها لمظلوم باشا وطلبت منه أن يطلع عليها وكيل المسالية المستر متشل أينس . والثانية لدومرتينو باشا ، وكان

(*) وهو من عائلة مغربية وكان أبوه من كبار العلماء ومن المقربين لكرومر .

تناظر المالية قد اقترح تحديد الفائدة باثنين ونصف في المائة ليكون ذلك أسهل في العمل ،
ولكن العلماء لم يرتضوا ذلك .

وقد أخبرت الخديو أولاً فأولاً بما تم في هذا الموضوع ، وكان يريد إنهاء المسألة
قبل عودته من الاسكندرية ، وقد سألتني في إحدى البرقيات عن كان له الفضل في إنهاء
نصوص المشروع فأجبت أنه الشيخ محمد بخيت .



وكان سموه يرمى من وراء إيجاد
النصوص الجديدة إلى إظهار أن المفتي
ضعيف في المسائل الشرعية ، لأنه أشار
بإبقاء النص الأصلي ، ليكون ذلك ذريعة
إلى فصله كما كان يرغب سموه ، وفاته أن
المفتي مؤيد من اللورد كرومر .

ولما عاد سموه زاره كرومر وحادثه
بحدة في أنه يعرقل مشاريعه . فقال له عباس
إنه لم يعلم برغبته حتى يحتاط ويجعل النص
موافقاً للشرع قبل عرضه على المجلس .

وقد كان ذلك سبباً في سوء التفاهم
بينهما ، لأن الخديو ظهر بمظهر المحافظ على
الشرع ضد المحتلين وهو ما يتحاشونه كثيراً .

محمد باشا الداماد السابق ذكره في سنة ١٩٠٢



قصر بكنجهام ص ١٧

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتى . محاولة أخرى للسيد البكرى .
 مدام جوليت آدام والانجليز . الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا . فضائح
 فوضى الرتب . في العائلة الخديوية . سقوط الخديو على حسن عاصم باشا . يوسف
 طلعت باشا والدة . سفر الخديو الى اوربا ثم الاستانة وسفره مع الحرم . علاقات
 الخديو مع الانجليز . تركيا والحدود الغربية . قطع العلاقات بين مصطفى كمال
 وعباس . قضية زواج صاحب المؤيد . قاضي مصر التركي وديوانه الواقف .
 تعييني رئيسا للمدبوانين العربى والاfrican .

دسائس البكرى في الأزهر ضد المفتى . كان الخديو قد استمع إلى نصيح
 الشيخ محمد عبده في العمل لاصلاح الأزهر كما قدمنا ، وفوض للشيخ أمر السير بحركة
 الاصلاح ، معتقداً أن الشيخ في مقابل ذلك لا يعارضه في تصرفاته ورغباته ؛ ولكن
 الخديو خاب ظنه في تقدير صلاته بالشيخ واستقلاله ؛ فقد انحلت كسوة من الدرجة
 الاولى من كساوى التشرىف العلية بموت أحد كبار العلماء ، فأرسل الخديو لشيخ الأزهر
 يبلغه أمر سموه الشفوى بتوجيه هذه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعية ، فلم ينفذ
 الأمر وأسندت الكسوة إلى شخص آخر ، فلما اجتمع العلماء عند سموه في التشرىفات
 النصف الشهرية قال الخديو لشيخ الأزهر غاضباً : ألم أمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان ؟
 فتلعثم الشيخ معتذراً ، فرد الشيخ محمد عبده قائلاً : إن الذى قرره مجلس إدارة الأزهر
 إنما هو التنفيذ لأمر أفندينا وهو ما نص عليه القانون المتوج باسم سموك ؛ وأما الأوامر
 الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس ، فاذا شاء أفندينا أن تكون كساوى التشرىف العلية

بمقتضى إرادته الشخصية، فيصدر بذلك قانوناً آخر يفسخ هذا القانون، أو مادة قانونية نصها : كساوى التشريف للعلماء توجه بأمر منا . ، فلما سمع الخديو هذا الرد احمى وجهه ووقف إيداناً للحاضرين بالانصراف .

وعلى أثر ذلك طلبنى الخديو فرأيت فى غاية الكدر وبادرنى بقوله مختداً :
« تعرف إيه الى حصل النهارده ؟ ، فأجبت سلباً ، فأخبرنى بما حصل ملوحاً بالانتقام من الشيخ محمد عبده .

وقابلت الشيخ بعد ذلك فلبته على هذا الرد الجاف ، وقلت إن الواجب يقضى عليه بأنه يحسن القول فى الرد ، وأفهمته أننا بهذا الأمر قد خسرنا كل ما قمنا به من الجهود وفقدنا الخطوة الأولى فى سبيل إصلاح الأزهر .

وزاد فى غضب الخديو على الشيخ محمد عبده ما كان من توثق العلاقة بين الشيخ واللورد كرومر ؛ فقد كان اللورد يحله ويقدره قدره ويستشير به بعض المسائل الحكومية الهامة . ولما ذاع أمر هذا الحادث قام المشاغبون الناقون على الإصلاح بالأزهر ، بتعريض من الخديو ، ضد الشيخ .

وأكثر السيد محمد توفيق البكرى من التردد على سموه فى هذه الأيام ، وكان يعمل على إيداء الشيخ المفتى لأنه عدوه وعدو الخديو كما يعتقدان . وفى ذات يوم طلبنى سموه لقصر القبة ، وجمعنى مع البكرى قائلاً : « يا سيد أنا لا أثق إلا بشفيق بك ، فليكن هو الواسطة فى مخبراتنا . »

وفى ٩ يناير حضر السيد عندى وطلب مقابلة الخديو وكان على وشك السفر إلى المنزه . وبعد المقابلة ، قال لى سموه إن السيد البكرى سيحضر لى أوراقاً أتسلها منه وأعطيها لحسن عاصم باشا باعتبار أنها واردة له من الخديو . وبعد ذلك حضر الشيخ على يوسف وتحادث مع سموه فقال له : « اتحد مع شفيق فيما أمرته بخصوص السيد البكرى . » وأمرنى أن أعرض على سموه برقياً كل ما يحصل .

وقد علمت منهما بعد سفر الخديو أن الغرض من هذا المسعى الذى دبره البكرى والشيخ نحيث عضو المحكمة الشرعية . هو حمل بعض أعضاء مجلس إدارة الأزهر على الاستقالة وهم : الشيخ ابو الفضل الجيزاوى ، والشيخ سليمان العبد ، وشيخ الحنابلة ، ليستبدلوا بالشيخ نحيث والشيخ محمد راشد وثالث يكون من خصوم الشيخ محمد عبده ، وبذلك يكون فى مجلس الادارة حزب قوى لمعارضة نفوذه .

وكان الشيخ على يوسف يعترض على هذا العمل وبنوه بخطورته إذا انكشف ، وقد ذكرته بهذه المناسبة بأنه هو السبب في اتصال السيد توفيق بالخدوي بعد مجافاته ، لأنه سعى في صفح الخديو عنه .

وبينا نحن نتحدث عن هذا الموضوع في إدارة المؤيد إذ حضر الشيخ المفتي وقال إنه بلغه أن هناك مؤامرات في الأزهر ، وأنه عالم بالغرض الذي ترمى إليه ؛ وأن الحكومة لا بد أن تعلم ذلك . وأضاف على ذلك أن الأعضاء المطلوب استعفاؤهم لا يفعلون ذلك إلا بطلب من الخديو نفسه .

وكنيت قد فكرت في حل لهذا المشكل ، وذلك أن يأتي المفتي إلى في عابدين ويطلب مني أن أرسل إشارة برقية للخديو خلاصتها : « أن الشيخ محمد عبده بلغه ما يجري في الأزهر ، ولأنه يعرض على أعتاب الخديو استقالته من عضوية مجلس إدارة الأزهر ، وأنه مسافر إلى المنتزه لهذا الغرض . »

وكان غرضي بهذا الحل أن يعرف الخديو أن المفتي علم بالدسائس التي تدبر فيحذرها ، وفي الوقت نفسه حينما يرى خضوع الشيخ يتنازل عن خصومته له ، فينتهي المشكل بذلك . فلما عرضت هذا الحل على الشيخ محمد عبده قال إنه سيفكر ثم يخبرني برأيه . وفي اليوم التالي قابلني وقال لي : « إن متشل أينس وكيل المسالية علم بالمناورات الواقعة في الأزهر ، ولأنه ربما طلب مني الإفصاح عن أسباب استقالتي فإذا أقول ؟ » فأجبت بأن خير حل لذلك هو أن يتوجه للمنتزه في الغد ويعرض الاستقالة على الخديو ، محتجاً بأنه لا يريد إحداث متاعب لسموه ببقائه فوافقتي .

وأرسلت للخديو في ١٠ منه رسالة بأنه لم يستقل أحد من فاضهم البكرى . وجاءني الشيخ المفتي مساء وقال إنه عازم على السفر غداً ، فأرسلت لسموه برقية بأن البكرى لم يفلح في مسعاه ، وأن الشيخ محمد عبده رأى من نفسه أن يقدم استقالته لإراحة لخطار الخديو ، وسيحضر للمنتزه لهذا الغرض وذلك تصرف حسن منه ومسلط طيب نحو سموه .

وقد ذهب الشيخ المفتي وقدم استقالته فلم يقبلها الخديو ؛ ولكنه قدح أمام سموه في حق البكرى مما جعل عباساً يزيد تمسكاً بعلاقته واعتماداً على سعيه في الدس للشيخ محمد عبده .

وقد جاءني برقية من المنتزه في ١٢ منه فيها : « إن الشيخ المفتي حضر أمس وتشرف

بالمقابلة ولكنه لم يحصل على نتيجة بالمرة، ولذا يجب مقابلتكم لشيخ الأزهر وتفهمه ذلك، إذ ربما يدخل المفتي بتمويهات لا أصل لها، ومن جهة أخرى يجب مقابلة توفيق البكرى وتفهمه أن يستمر في إتمام المشروع المكلف به وهو إنهاء مسألة الشيخ أبي الفضل حين عودة سموه..

أما مسألة الشيخ أبي الفضل فقد كان البكرى يصرح بأنها من أيسر الأمور، ولكنه حضر لى وأفهمنى أن شيخ الأزهر يماطل ويصانعا في الظاهر ثم يوعز في الخفاء لزملائه بعدم الاستقالة ووصفه بأنه «جزويت»، أى شديد المكر. ثم أبدى لى ما يفيد عجزه حتى يحضر الخديو ويحدث كرومر في الأمر. فأرسلت لسموه برقية بذلك، وبأنى قابلت الشيخ الكبير فبنى لى ما قاله البكرى، وقرر خضوعه للجناب العالى؛ ولكنه يرى أن الدسائس زادت في الأزهر، وأن المتوسطين لم يحسنوا الخطه، فأنكشفت الدسائس بشكل غير مستحسن.

وفي ١٣ يناير حضر عندى السيد البكرى وحادثنى طويلا في هذه المسألة، فنصحت له بأن يكتب للخديو بما يريد ويسلمه لى لإرساله لسموه، وكنت أرى بذلك إلى أن يعلم سموه بجهل البكرى سفر المفتي، ويطلع على فكرته في طلب المساعدة من كرومر وهو الأمر الذى يكرهه عباس، وبذلك يغضى عن السيد توفيق محور هذه الدسائس فتقطع أسبابها؛ ولم أخبره بأن الخديو سيحضر للقاهرة اليوم حسبا أعلم لئلا يمتنع عن الكتابة. فوافق السيد وكتب ما نصه: «مولاي أدام الله ملكه — أخبرنى محمد يريم بك أمس بخبر، ولكنه يقبل قدم أفندينا بأن لا يسمعه أحد فانه إن سمع لفظ؛ وذلك الخبر هو أن الشيخ محمد عبده توجه أول أمس إلى اللورد كرومر وقال إن سمو مولانا الخديو يريد رفتى ورفت مجلس الإدارة جميعه، وطلب منه أن يتدخل في الأمر؛ فقال اللورد بأنه لا يمكنه التدخل. ولما يئس الشيخ محمد عبده منه قال له: إئذن لى حينئذ أن أتوجه للاسكندرية وأتكلم مع سمو الخديو. فقال له اللورد: أنا لا أمتنعك بأن تتوجه، ولكن الأليق أن ننظر سموه إلى أن يحضر، فخرج الشيخ محمد عبده، وقابل بطرس باشا غالى فأشار عليه بالسفر إلى الاسكندرية، فقال الشيخ محمد عبده لكثير من أصحابه، بأنى سأسافر في هذا المساء إلى الاسكندرية لمقابلة ولى النعم، فأشيع الخبر في مصر بأنه سافر حتى أنه كتب في بعض الجرائد، ولكنى طلبت مقابلة الشيخ محمد عبده أمس فحضر عندى فسألته عن المسألة بوجه الاجمال لأعرف فكره، فوجدت أنه خضع وغير الموضوع حيث قال بأنه لا يوجد أدنى توقف منا في تغيير

مجلس الإدارة، ولكن لم نفهم قصد سمو أفندينا تماماً فنحن ننتظر مقابلته بالذات لنفهم الغرض فنفتذه، وكذلك شيخ الجامع قال لشفيق بك صباحاً بأن المشايخ مستعدون لتقديم الاستعفاء، ولكن لسمو أفندينا بالذات، وهذا كله غير ما كانوا يقولونه قبل مقابلة الشيخ عبده لكرورمر، ورأى عبديكم أن سموكم لا تظهرون لهم أدنى غضب، ولكن حيث إنهم لم يفهموا أو لم يثقوا بأن أكون أنا واسطة بين سموكم وبينهم، فسموكم تفهمونهم المسألة وتأمر ونهم بتنفيذها في الحال وقبل صدور الأمر بالتنفيذ تسكلمون مع اللورد كرومر فيها من باب حسن المعاملة.

هذا وعندي أشياء كثيرة سأتشرف بعرضها عند تشريف الركاب العسالى إلى هنا أدام الله مولاي ولى النعم مؤيداً بالعز والنصر دوام الدهر؟
العبد الخاضع
إمضاء — محمد توفيق البكرى

حاشية — المبدأ الذى يتخذه مولاي في هذه المسألة هو هذا : إنى أريد إصلاح الأزهر لأنى أعتقد أنى بإصلاحه أصلح حالة الأمة الدينية والأدبية، ولكن لجنة الإدارة الحالية لا يمكنها أن تنفذ الإصلاح، لسبب هو أن أعضاءها قسمان : قسم ضعاف جداً لا يصلحون لعمل، وقسم أذكاء. ولكن الثقة الدينية مفقودة منهم، فلجنة بهذه الصورة لا يمكن أن علماء الأزهر يقبلون لها أمراً ولا نهياً، وكل إصلاح منها يقابل بالرفض والهياج، فأجبت أن أبقى الأذكاء، وأبدل الضعاف بأخريين حائزين للاقتدار والثقة، فيكون من مجموع الكل لجنة مقتدرة ذكية فيها ثقته فيمكنها أن تقنع العلماء بقبول الإصلاح.

أما الأعضاء فعندنا أسماء كثيرة منها الشيخ النجاشى مفتى الأوقاف الذى شمله مولاي بعنايته أخيراً؟
العبد الخاضع
إمضاء — محمد توفيق البكرى

١٣ يناير سنة ١٩٠٤

ووصل الخديو في المساء عائداً من المنزه، فانتظرت في المحطة وركبت معه القطار إلى القبة؛ وفي أثناء الطريق قرأت عليه رسالة البكرى فلم يستحسن ما جاء بها من الآراء ولا سيما مسألة استشارة كرومر.

ولما لم يفلح السيد توفيق البكرى في مهمته ألقى التبعة أمام الخديو على شيخ الأزهر وقد استغربت حينما حادثنى سموه في الأمر، وردد أمامى كلمة « جزويت » وصفاً للشيخ، وهى الكلمة التى قالها البكرى، فكان الخديو يردد حتى ألفاظه لا أفكاره فقط

وكان من جراء ذلك الشغب أن استاء الشيخ الأكبر، وطلب الاستقالة. ولكن بطرس باشا أشار على الخديو بعدم قبولها، لأنها أتت في وقت حرج، فأرسلني سموه للشيخ لاهدى. خاطره؛ ثم قابل الخديو بناء على نصحي في مسجد المطراوى حيث كان يؤدى فريضة الجمعة، فنال عنايته ودعاه لتناول طعام الغداء معه في القبة.

وقد انتهت الدسائس ضد المفتى، بأن صرح اللورد كرومر يوم ١٤ يناير أثناء مقابلته للخديو، بأنه مهما كانت الأحوال فانه لا يوافق على فصل الشيخ المفتى من الافناء ما دام موجوداً.

ولكن ذلك كله لم يثن الخديو عن خطته، فأثار على الشيخ جريدتى اللواء والظاهر وعلى الأخص فى فتوى صدرت منه رداً على سؤالين من بعض مسلى الترنسفال وهما: (١) بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية. هل يجوز أكل لحمه؟

(٢) يوجد أفراد فى هذه البلاد (الترنسفال) يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم. وعود الفوائد اليهم. فهل يجوز ذلك أم لا؟

فأفتى الشيخ المفتى بالإباحة فى الحالتين فقام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص يحرمون فيها أكل لحوم هذه الأبقار باعتبار أنها موقوذة، ويظعنون على الشيخ. فرد عليهم الشيخ بأن الموقوذة هو ما ضرب بغير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلت قواه ومات.

لم يكتف الخديو بذلك، بل حرض العلماء عليه، فرموه بأنه وهابى كما رموه بالزندقة لعدم أخذه بأراء شيوخ المذاهب؛ فرد عليهم الشيخ بما يدحض فريتهم.

وزاد خصوم الشيخ على ذلك بأن لفقوا صورة شمسية له مع بعض نساء الأفرنج وحملوها إلى اللورد كرومر وأفهموه أن هذا فى عرف المسلمين إزاراً بالشيخ ومنصبه، وأنه ينبغى إقالته مراعاة لشعورهم. فتبسم اللورد ساخراً من هذه السخافة، وأبدى رية فى صحة هذه الصورة، وقال لهم: إن الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه ليدى كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نعد هذا إهانة له أو لنا؟، وبذا خاب مسعاهم لدى كرومر. وكنت أنظر إلى هذه الدسائس بعين التوجس لأنها لا تجدى الخديو نفعاً بل تشجع الدسائسين على غيهم.

وقد نشرت هذه الصورة في جريدة « حمارة منيتى » كما نشرت جريدتنا « البابا جلال »
المصرى ، و « الأرنب » صورة وقحة أثارت دهشة الجمهور وكانت سبباً فى قضية جنائية
حكم فيها فى ٦ فبراير على عبد الحميد كامل افندى صاحب الجريدة الأولى بالحبس ستة
أشهر وحسين توفيق افندى صاحب الجريدة الثانية بالحبس أربعة أشهر لانتهى كهما
حرمه الآداب فى حق فضيلة المفتى بواسطة إشهار رسمه وتصويره واقفاً مع امرأة
لباس الرقص بحالة شائنة ، ثم القذف فى حقهما أسندا اليه الكفر وتحليل المحرمات ،
وغير ذلك من الأمور الموجبة احتقاره عند أهل وطنه .

وفى ٢٥ فبراير قرأت فى بعض الصحف العربية أن المفتى قابل بطرس غالى باشا
وقال له : « يظهر أن الجناح العالى اتفق مع الانجليز على إبعادى من منصبى ، فإذا كان
هذا الخبر صحيحاً فانى مستعد لتقديم استقالتى » .

ولما سألت بطرس باشا عن هذا الخبر أجابنى : « إنى سمعت من الخديو أن
الحتلين عرفوا خبث المفتى وأنهم غير راضين عنه — وإن كان سموه لم يسمع ذلك من
كرومر نفسه — ولكنه كان يعلم أن اللورد قال مرة بأنه مهما قيل عن هذا الرجل
فانه لا يمكن تعويضه فى كفاءته ، ولذلك فانى أستبعد جداً موافقتهم على فصله » .

وكانت لدسائس الأزهر ذيول أخرى ؛ فقد قام الشيخ محمد الرفاعى والشيخ محمد
راشد وآخرون بتقديم مذكرة ضد الشيخ الكبير والمفتى ولكنها حفظت لرضاء الخديو
عن الأول وعجزه عن تنفيذ ما يريد ضد الثانى (*) .

محاولة أخرى للسبر البكرى . وقد كان من الآراء التى عرضها السيد البكرى
على سمو الخديو فى هذه الأثناء العمل على استمالة المستر بويل ، السكرتير الشرقى للورد
كرومر ، وأصحاب جريدة المقطم للمعاونة فى هذا النضال .

أما الأول فقد قال عنه السيد : « إنه مستشار اللورد المطاع ، وإن استمالته سهلة
بواسطة بيرم بك » . ولكنى شرحت للخديو ما تنطوى عليه هذه المحاولة من الخطر إذا
علم بها اللورد ، وأنه من المرجح أن يرفض بويل نفسه هذا العرض .

ومع ذلك فقد جاءنى السيد يوماً وقال إنه يريد إبلاغ كرومر بواسطة بويل أن
من مصلحته الاتفاق مع الخديو ، الذى تقف الأمة من ورائه تؤيده ، ثم تحدث فى

مسائل أخرى ، فلم أمتحسن شيئاً من ذلك فانصرف وأرسل لي كتاباً يقول فيه :
 • حيث إنكم لم تستحسنوا ما عرضته عليكم فلا داعي لعرضه على الخديو ، ولكن على
 كل حال أرجو أن تعرفوا أن أهم سلاح لنا هو أن الأمة كانت ناثرة على الحكومة
 في مسألة صندوق التوفير ، وأن الخديو هو الذى أسكتها وهدأها . وأنه إذا رفع يده
 عن إسكاتها عادت إلى ما كانت عليه ، وكانت المتاعب على الحكومة وأنصارها ، وهذا
 أمر سيعلم لهم أى الانجليز من جملة طرق . .

وقد تكلم معى أيضاً فى أنه يستطيع ضم أصحاب المقطم للخديو ، فقلت له أن
 يصنع ما يريد ، فحدثهم فى ذلك ، فأجابوه بأنهم يلقون من الخديو إغراضاً على الرغم من
 الخدم التى قاموا بها لسموه . فقال لهم السيد إن سموه لم يغض الطرف عنهم ، وإنه يقدر
 خدماتهم وينوى إظهار ذلك التقدير بالانعام برتبة على صديقهم أخنوخ فانوس افندى ،
 فشكروا سموه ووعدوا بالمساعدة .

ولم يمض يوم واحد على ذلك حتى طالعت فى المقطم مقالا فيه طعن على الخديو
 والحاشية ، فلفت نظر السيد إلى ذلك ، وأن الانساق لم يمض عليه أكثر من يوم .
 ولكنه اعتذر بأن المقال كان معداً من قبل الانساق ، وأنه لن يحدث شيء من ذلك
 فى المستقبل .



مدام جوليت آدم

مدام جوليت آدم والانجليز

وقد حدث احتكاك جديد بين الخديو
 والمحتلين بسبب قدوم مدام جوليت
 آدم الكاتبة الفرنسية الشهيرة إلى مصر؛
 وكانت قد تقابلت مع سموه فى العام
 السابق بباريس ، وعرفها قبل ذلك
 بأعوام على يد مصطفى كامل ، فدعاها
 لزيارة مصر على نفقته الخاصة لتقضى
 بها فصل الشتاء . ولما كانت معروفة
 بخصوصيتها للانجليز ، فقد تقرر أن يتولى
 دعوتها مصطفى كامل باشا فقدمت
 وأقامت أياماً فى القاهرة شهدت خلالها

عدة مآذب أقامها مصطفى كامل باشا وحسين واصف باشا والبرنس حيدر بك وغيرهم وحضرت أنا بعضها ، ثم سافرت إلى الصعيد مع مصطفى كامل باشا والبرنس حيدر بك وهناك خلال رحلتها دعاها كثير من الوجهاء إلى مآذب أخرى ، ولما عادت أدب لها سموه مآذبة في سراى القبة ، ثم عادت بعد ذلك إلى فرنسا شاكرة مسرورة .

وبعد قليل ظهرت مجلتها الشهرية « نوفيل ريفو » وفيها فصل طويل عن مصر تنتقد فيه سياسة فرنسا التي أدت إلى احتلال الانجليز لمصر ، وتقول في ختامه : « إن كل الاصلاحات التي تمت بمصر وضع أساسها الفرنسيون ، ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم . » ولقد ثار اللورد كرومر لنشر هذا المقال وكتب إلى وزارة الخارجية الانجليزية ، فأرسل وزيرها يطلب في لطف بيانات عن زيارة مدام آدام واحتفال الخديو بها مع العلم بأنها تخاصم انجلترا . وحضر اللورد إلى السراى وتحادث مع سموه وأطلعته على رسالة وزير الخارجية ، فأجابه بأنه يعرف مدام آدام منذ سنوات ، وكانت قد دعتة لمآذبة أثناء زيارته لفرنسا فرأى من باب المجاملة — وقد حضرت لمصر — أن يرد لها الدعرة وإن الدعوة كانت خالية من كل معنى سياسى .

وطلب سموه من كرومر أن يكتب الرد بطريقة يقنع بها وزير الخارجية . فسر اللورد بهذا الطلب لما يشف عنه من تقرب الخديو من الانجليز والعمل على رضائهم . وقد قال لى الخديو إنه ورد في رسالة وزير الخارجية جملة مفادها أن الجناب العالى لاينسى مركز انجلترا في مصر ، وهو سيكون عما قريب أقوى مما هو الآن ، وأن سموه يبدى شعوراً طيباً نحو انجلترا ، ولكنه يجب كذلك أن يعلم العالم أن هذا الشعور حقيقى لا ظاهرى .

الانفصام الودى بين فرنسا وانجلترا . في ٨ أبريل من هذا العام وقع حادث سياسى خطير له علاقة وثيقة بمستقبل مصر ، وذلك هو عقد الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا .

وكانت السياسة الفرنسية ترمى إلى مساواة السياسة الانجليزية في مصر بعد أن فازت انجلترا دونها باحتلال وادى النيل ؛ ولكن فرنسا لقيت في ذلك الحين مصاعب جمة في مراکش ، وخشيت أن يؤدي فشل إدارتها إلى تدخل الدول ولا سيما انجلترا وأسبانيا في مصالح مراکش ؛ ولكن أسبانيا كانت مشغولة بمتاعبها في المنطقة الأسبانية (الريف) ، وكانت انجلترا هي التي يخشى منها ، ولهذا كان من الواجب أن تحصل

فرنسا على حياد إنجلترا، وكان الثمن الطبيعي لذلك هو أن تحصل إنجلترا على حياد فرنسا في شئون مصر . وبدأت المفاوضات بين الدولتين على هذا الأساس منذ سنة ١٩٠٣ ، وانتهت بعقد الاتفاق الودى بينهما ، ووقعه اللورد لانسدون وزير خارجية إنجلترا ومسيو كامبون سفير فرنسا في لندرة .

وتنص مواد هذا الاتفاق الخاصة بمصر على حرية الحكومة المصرية في المسائل المالية ، وعلى موافقة إنجلترا على اتفاقية قنصل السويس التي عقدت عام ١٨٨٨ خاصة بحيدة القنال . وقد اتسدت السير الدون جورست ، نظراً لالمامه بالأحوال المصرية عامة والمالية خاصة ، لوضع ما يختص بمصر في هذا الاتفاق . وهذا هو أهم نص فيه :

« تعترف الحكومة الانجليزية أنها لا ترغب في تغيير نظام مصر السياسى وتعترف الحكومة الفرنسية من جانبها أنها لا تعرقل أعمال إنجلترا في مصر بسؤالها أن تحدد موعد الجلاء عن مصر أو بأية طريقة أخرى . » ، وبعبارة أخرى اعترفت فرنسا بالاحتلال الانجليزى لمصر وتركت لإنجلترا حرية أكثر مما كان لها قبلاً في الشؤون المصرية . وقد وافقت ألمانيا والنمسا وإيطاليا على هذا الاتفاق .

وفي ٢٨ نوفمبر صدر ديكريتيو يؤيد هذا الاتفاق .

وكان من نتيجته فضلاً عن فشل فرنسا في مسألة فاشودة أن تحقق المصريون أنه لا يمكن الاعتماد على فرنسا في أى أمر يتعلق بالمسألة المصرية .

وكان عند الشاب المصرى المملوء وطنية والذي كان يسير وراء الحديو المتحمس لبلاده أمل في مساعدة فرنسا لمصر ضد الاحتلال ولكن عندما وقعت مسألة فاشودة قلّ هذا الأمل وتوجس من فرنسا حتى إذا ما كان إتمام هذا الاتفاق أفضلاً لكنا من سباتنا وعلينا أن لمصر أن تعتمد على نفسها فقط دون مساعدة أى دولة أخرى لأن كل دولة تضحي بكل مصلحة لأى بلد آخر ، ولو كانت على حق ، مقابل مصالحها الخاصة .

فضائح فوضى الرتب . لم تكد تنتهى مسألة مدام آدام حتى عادت مسألة الرتب تثير فى الجو سحياً كثيفة .

ولقد تحدثت عن فوضى الرتب فيما تقدم ، وذكرت ما كنت أخشاه من تحرك الانجليز لمخاصمة الحديو فى شأنها . وقد حدث ما توقعته هذا العام ؛ ذلك أن الحديو

ظل يدون في مذكرته أسماء المرغوب في الانعام عليهم، حتى انتهى شهر مارس، فأخرج مذكرته وأخذ يملئ على عزت بك بعض أسماء من بينها نديم افندى الذى كان موظفاً في ديوان الأشغال وفصل بسبب الاختلاس، وطلب له الرتبة عبد القادر حلى باشا، مع أن القرار الذى يقضى بفصله أصدره مجلس النظار وبرئاسة الجناب الخديوى. فلم يفتن الديوان الخديوى إلى ذلك فنشر اسمه في الوقائع الرسمية فثار السير جارسن وكيل الأشغال وأبلغ الأمر لسكرومر الذى كلف بطرس غالى باشا بإلغاء الرتبة؛ وكان الخديوعندئذ يثق به كثيراً ويشاوره في كل أمر هام، وبعد البحث تقرر أن تلغى الرتبة بطريقة خفية، وذلك بأن يعلن أنه حدث خطأ في الأسماء، ويعاد نشرها مع حذف اسم نديم، وقد تم ذلك!

وما كاد يسدل الستار على هذه الفضيحة حتى تلتها أخرى من نوعها تماماً، تلك أنه أنعم على أشخاص من بينهم ابراهيم افندى لمعى الذى كان موظفاً في «الضربخانة» دار السك، وفصله وكيل المالية لتدخله في مسألة المطبعة العثمانية، فقصده الوكيل إلى كرومر شاكياً، فطلب اللورد سجل هذا الموظف، وطلب من دومرتينو باشا أن يتفاهم مع الخديو فبعث إلى المنتزه بالأمر فأرسل الخديو برقية بالانتظار مساء، وبأن يكون بطرس باشا في القبة؛ ولما اجتمعنا تباحثنا في الأمر، وتقرر إلغاء بعض الرتب؛ وعلمت أثناء الحديث أن الانجليز يستغربون أن يكون هذا خطأ فقط، ويشيرون إلى أن في إمكانهم أن يقدموا تقريراً عن الأموال التي دفعها العمدة وغيرهم لنيل هذه الرتب على يد الوسطاء، ولحقوا إلى سحب امتياز إعطاء الرتب إذا تكررت هذه الأخطاء.

وكان من جراء ذلك أن أخذت الصحف المعادية كالمقطم والبروجريه تنشر فصولاً شديدة اللهجة؛ وكانت فضيحة أكبر من الأولى.

في العائلة الخديوية. منذ ثلاثة أعوام حدث بين البرنس جميل طوسون وقرينته البرنيس نعمت الله هانم افندى شقاق أدى إلى الطلاق فعادت البرنيس من الاستانة إلى مصر؛ وقدم البرنس في هذا العام إليها بعد أن عرف من وكيله بها أن البرنيس تميل للرجوع إليه، ولا سيما بعد أن أخذ ابنه منها بمجرد بلوغه السابعة فبرح بها الألم لفراق نجلها.

وكان البرنس يعتقد أنه بمجرد حضوره إلى مصر مع الصبي ورؤية والدته له.

فإنها تقبل العودة اليه مباشرة .

وكان الخديو وقت قدوم البرنس في المنتزه ، فأرسلت دولة الوالدة تخبره بحضوره والتماسه ؛ وعندئذ استدعاني جنباه حيث وجدت معه عزت باشا وألماس الباشا أغا ، فأمرنا بالتوجه للقاهرة ومقابلة البرنس والمفاوضة معه في هذه المسألة وأن نطلب اليه الموافقة على الشروط الآتية :

- (١) أن تكون العصمة بيد البرنيس .
 - (٢) أن تكون دائرتها منفصلة عن دائرته .
 - (٣) ألا تقيم معه في أوروبا .
 - (٤) أن ينشر في الجرائد خبر رجوعه اليها ، لمحو ما كان قد كتبه قدحا فيها .
- ولما عرضنا على البرنس هذه الشروط ، قال إنه يرغب الرجوع إلى البرنيس بدون شرط ، فأفهمناه تعذر ذلك ؛ واقترحنا عليه أن ينتظر ريثما يحضر الخديو إلى القاهرة فيقابل به ويطلب منه الصفح . وكان قد طلب الزيارة في الاسكندرية فرفض الخديو لأن البرنس لم يزر سموه في فينا وقت أن كان بها في صيف العمام الماضي ، وأخيراً أرسل البرنس إلى الخديو برقية يطلب فيها الصفح والموافقة على الزواج وتعهده بقبول الشرط الرابع وهو النشر في الصحف ، وأعد ثلاث برقيات لذلك وقد أردنا أن نعرف رأى البرنيس ، ففهمنا أنها مبالغة إلى العودة دون الشروط المذكورة ؛ ولكن الخديو رفض فقط عدل الشرط الأول بأن تكون العصمة في يد سموه ؛ فأبلغنا ذلك للبرنس ؛ وبعد قليل حضر وكيله وقال إنه سيقابل البرنيس شخصياً ، فذهبنا اليها ؛ وسألها عما إذا كانت حقيقة تريد أن تكون العصمة بيدها أو يد سمو الخديو ؛ فأجابته : « نعم أطلب أحد الأمرين » ، وعندئذ قال بلمجة جافة : « إن البرنس جميل يرفض . »

وقد كان هذا الرد سبباً في استيائنا جميعاً ؛ وقالت البرنيس : « ولماذا إذاً كان السؤال ؟ » ، وبذلك انقطعت المفاوضات .

سخط الخديو على حسن عاصم باشا . غضب الخديو على حسن عاصم باشا وذلك لاعتقاده أنه غير حريص على المصالح الخديوية ، وأنه بالعكس يعرقلها ؛ وسبب ذلك أن بيت زرفوداكي في الاسكندرية ، اشترى من الحكومة حديقة وسراى الجزيرة

وجزءاً من الأرض الزراعية التي أمامها على النيل ؛ ثم اتفق أن يستبدل أرض الوقف الواقعة بجوار الكوبرى الأعشى ، بتفتيش الخديو بمشتهر ؛ وكان سموه يرغب في هذه الصفقة من ناحيتين : الأولى بيع تفتيش مشتهر والثانية الاشتراك مع زرفودا كى في الأرض التي تشتري من الوقف ؛ فطرح المسألة على مجلس الأوقاف الأعلى وكان حسن عاصم باشا عضواً فيه بصفته رئيساً للديوان الخديوى ؛ وكان بيت زرفودا كى يقدر أرض الوقف بمبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه وتفتيش مشتهر بمبلغ مائة وخمسين ألف جنيه ؛ ولكن حسن عاصم والشيخ المفتى طلبا العكس في تقدير ثمن الوقف والتفتيش وقال المفتى : إن الانفع للوقف في مثل هذا إنما يعرف بتقدير الثمن لا بالغلة السنوية فلا بد من تعيين لجنة من أهل الخبرة برئاسة باشمهندس الأوقاف لتقدير ثمنها و ثمن أرض مشتهر . وقرر المجلس الأعلى أن يدفع زرفودا كى مبلغ ٢٠ ألف جنيه زيادة حتى يكون ثمن التفتيش مائة وثلاثين ألف جنيه فقط فاغتاز الخديو لذلك ، وزاد في غضبه ما بلغه من دومرتينو باشا من أن كرومر قال إنه يحمد الله على وجود أشخاص ذوى مقدرة ونزاهة في حاشية الخديو مثل حسن عاصم باشا ؛ ومن هذا اليوم أصبح الخديو والمتعلقون في الحاشية يتناولونه بالذم الشديد .

أما عذر حسن عاصم في ذلك فهو أن الخديو لم يخبره برغبته حتى يعمل لتحقيقها من جهة ؛ ومن جهة أخرى فإن المحتلين كانوا واقفين بالمرصاد لقرار المجلس ، ولو تم الأمر كعرض زرفودا كى ، فربما كانوا يطلبون نقضه . وهم يعتقدون في الوقت نفسه أن الخديو يستخدم نفوذه لمصلحته الخاصة ؛ أما الآن فقد عرفوا نزاهة سموه ونزاهة رجاله ؛ ولكن هذا العذر لم يقبل لدى الخديو .

ومن هذا الوقت أحال الخديو على كل الأعمال والمخابرات التي تحدث بينه وبين النظار وغيرهم .

وبما زاد العلاقات توتراً بين عباس وعاصم باشا أنه وردت برقية من الاستانة بالشفرة ، فأمر عاصم باشا بحلها ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فبدلاً من أن يذهب بها إلى السراى اكتفى بإرسالها داخل ظرف للخديو ؛ فغضب سموه واستدعاني وهو محتشد وقال : « كان عليه أن يرسلها مع أحد الموظفين حتى يتلقى الأوامر إذا كان هو لا يتنازل بالحضور بنفسه . » ثم أمرني أن أتسلم أعمال القلم التركي وأعرضها على سموه ؛ فصرت أنلق الأوامر بهذا القلم وأنفذها ؛ وأذكر أن سموه قال لي ذات يوم : « سبحان الله !

كان حسن باشا عاصم يريد أخذ الاشغال من يدك ، ولكنك قد أخذتها أنت منه ، ولم يبق عنده شيء يذكر . ، وقد علمت أنه ذكر مثل ذلك لآخرين من رجال المعية .

ومع هذا فقد لبثت علاقاتي الودية مع عاصم باشا ؛ ولم أتجنب مقابله أو الجلوس معه كما فعل كثيرون غيري ؛ وقد سلك أحمد خيرى باشا مسلكى معه .

يوسف طلعت باشا والدته . رفع يوسف طلعت باشا شكاية من والده أحمد طلعت باشا رئيس الديوان الخديوى فى عهد اسماعيل لانه يريد حرمانه من الميراث فى أمواله ، بالاتحاد مع شقيقه أحمد طلعت بك ووكيل الدائرة مختار بك ؛ وذلك بوقف أملاكه غير الموقوفة ، وإخراجه منها وإقامة أحمد طلعت بك ناظراً عليها ومن بعده شقيقه له ومن بعدها أولادها من عبد اللطيف باشا ، فكان ثروة بيت طلعت ستنتقل إلى بيت عبد اللطيف .



أحمد طلعت باشا



يوسف طلعت باشا

ولما علم يوسف باشا اتحاد مع شقيقته الكبرى وعزما على طلب الحجر على والدهما حتى لا يتمكن من وقف أملاكه . ولما علم الخديو بذلك لم يسترح إلى فكرة الحجر لما فيها من المساس بكرامة هذه الأسرة الكبيرة .

وكلفنى بالمخاطبة مع المحافظ لعمل ما يلزم لحفظ أموال طلعت باشا لابنائه مع

حفظ كرامته كذلك ؛ وأمر عزت بك أن يذهب للقاضي ويرجوه عدم الموافقة على الوقفية إلا بعد التحقق من وجود الباشا في صحة تؤهله لعملها ؛ وبذلنا مسعى لدى أحمد طلعت بك لاستبدال الوكيل ، وهو صاحب فكرة الوقفية . ولكن هذا المسعى لم يفلح ، وانتهى الأمر بادخال يوسف طلعت باشا بالوقفية بشروط .

سفر الخديو الى أوربا ثم الاستانة وسفرى مع الحرم . سبق أن سافرت والدة إلى الاستانة ومعها عزت بك ، وقد انتظرنا الأخبار التي يرسلها ليتخذها الخديو أساساً لخطة سفره ، والقيام بالزيارة إذا كان الجو ملائماً لها .

وفي أوائل يونيو جاءنا منه أنه حادث الباشكاتب في شأن يالى جبوقلى ، فأخبره بأن عقود الملكية تحت يده ، ولا ينقص إلا إذن السلطان بتسليمها ، وأن سبب تأخير صدور أمر السلطان هو تكدر خاطره من الخديو ، بسبب مسلك الصحف التي تصدر في مصر نحو جلالته ، ولما بلغه من أن الخديو يقترح في الإدارة التركية بالحرمين ، ويقول بأن هناك صعوبات في سبيل الحجاج ، وكذلك لأجل مسألة سكة حديد مربوط التي ينوى الخديو مدها ويبيعها للانجليز .

فلما وردت هذه الأخبار ، سألتى سموه عن رأيي في مسألة السفر فاستحسن عدم زيارة الاستانة هذا العام ؛ وعلمت منه أن دولة الحرم تريد قضاء الصيف بالاسكندرية فأجبت أنه لا مانع من ذلك ، وإذا وافق رأى سموه . وظننت بادى الأمر أنه موافق على ذلك ، ثم تبين بعدها أنه مصمم على السفر . ولكن جاءت رسالة من عزت بك يقول فيها إنه يستصوب عدم السفر للاستانة ، وأن الصدر الأعظم أفهمه ذلك وهنا قال سموه : « كيف أتأخر ، وقد علم النظار بالأمر وكذلك اللورد كرومر ؟ وفي تأخرى ما يفيد أن العلاقات بينى وبين السلطان ليست مرضية وهذا ما لا أريده بحال . » ثم كلفنى بالتفاهم مع بطرس غالى باشا في حل مناسب دون أن يعلم بذلك أحد غيره ، فقلت لسموه : « إن الأفضل أن بطرس باشا نفسه لا يعرف فكر سموكم . » وأيدنى في فكرتى محمود بك صادق أحد موظفى السراى ، وكان حاضراً ؛ فقال الخديو : « إذا ماذا أصنع وأنتم لا تشيرون على بحل ؟ » ففكرت قليلاً ثم عرضت على سموه أن يقول بأن أخبار الاستانة تفيد أن جلالة الخليفة دعا أمير البلغار للزيارة ، وقد يتفق وجوده مع وجود سمو الخديو ، ويؤثره السلطان بحفاوة أكثر ، وهذا ما لا يريده الجنب العالى ، ولذا عدل عن الزيارة . فاستحسن سموه هذا الحل وكلفنى بأخبار رئيس النظار وبطرس باشا

فذهبت إليهما، وسألني الرئيس عما إذا كنا قد أخبرنا يلدز بالعزم على السفر قبل الآن، لأنه لو كان الأمر كذلك فلا يحسن التخلف، فأجبتة بالنفي، فوافق على الفكرة وكذلك بطرس باشا.

سفرى مع الحرم : وقد تقرر بعد ذلك أن تسافر دولة الحرم إلى الاستانة، وأن أكون برفقتها. وفي يوم ١٨ يونيو نزلنا إلى المحروسة؛ وبتنا بها وفي الصباح أفلعت بنا بعد تلقي التعليمات من الخديو؛ وخلاصتها أن المحروسة حينما تدخل الاستانة تهدي السير أمام ضوئها فجأة، ويؤدي البحارة التحية، وإذا حضر أحد من السراى للاستقبال على زورق أو حضر زورق الوالدة، فلا تقف المحروسة بل تستمر في السير حتى جبوقلى خوفا من أن يلدز ترسل أخيراً بعدم النزول في اليالى والنزول في بيك، وأمرت كذلك بأن أقابل الصدر الأعظم فريد باشا وأبلغه تحيات سموه وشكره على إحساسه نحوه.

هدية الخديو للسلطان : وأرسل الخديو معي جمجمتين للحيوان المسمى «جاموس البحر»، في صندوقين، ومنبراً مطعماً على الطراز العربى، هدية من سموه للسلطان. وقال لى إنه عند سؤال تحسين بك عن السبب فى تخلفه أجيبه بأن السبب هو الدسائس الأخيرة التى كثرت ضد سموه.

سفر الخديو لأوروبا، ووصولنا الاستانة : وأما سموه فقد سافر بعدنا يوم واحد إلى ديفون لأخذ الحمامات.

وقد وصلنا إلى جناق قلعة يوم ٢٢ منه؛ وفي صباح اليوم التالى وصلنا الاستانة ومنها إلى جبوقلى، وحضر القزلى أغامى والباشمصاحب فأبلغا دولة الحرم تحية الوصول من قبل السلطان. وبعد قليل خرجت دولتها ونزلت فى الزورق رهبر مع الأنجال إلى بيك، للسلام على الوالدة ثم عادت لجبوقلى.

وبعد الغداء توجهت مع عزت بك إلى يلدز لمقابلة تحسين بك فلم يتح لنا ذلك، مع وجوده فى غرفته، فزئنا إلى دائرة المابين فوجدنا نورى باشا، فرجوته أن يعرض على السلطان إخلاص الخديو، ثم عدت إلى بيك وأبلغت الوالدة تقييل الخديو ليديها.

الوالدة والحرم فى التياترو الخصوصى : وفى ٢٥ يونيو دعا السلطان الوالدة والحرم، فقابلتا جلالتهم وأمر لهما بدخول التياترو الخصوصى، ولكنه لم يسألها عن الخديو إلا

عرضاً ، مما دل على تكدر خاطره بسبب الدسائس ؛ وقد كتبت الحزم بذلك خطاباً إلى عباس .

مقابلي لتحسين بك : وفي ٢٦ منه حررت مذكرة صغيرة ، بعثت بها إلى الباشكاتب وقلت فيها : « إن حضوري للمقابلة كان لمهام رسمية لا لأحراجة بشي... » ، وذلك لكي أبلغه أولاً — أنني معين لمرافقة دولة الحزم . ثانياً — إبلاغ جلالة السلطان تحية الجناب العالي وإخلاصه . وثالثاً — للاتفاق معه على ما يجب إجراؤه في تقديم هدية من الخديو للسلطان .

لجأت إلى الرد منه بطلب المقابلة ، فقابلته يوم ٢٧ منه فاعتذر بأنه كان مشغولاً ، ثم اتفق معي على إرسال الهدية في عربة إلى سراي بلدز ، ففعلت .

سفرى لفينا : وفي ٨ يوليو دعيت لمقابلة الخديو في فينا ، فسافرت إليها ووصلت في العاشر منه ، فقابلته وحدثته عن الحسالة في الاستانة بما تقدم ، وكان سبب استدعائي هو السفر إلى مصر لمعرفة حالة العمل في سكة حديد مريوط والأدوات اللازمة خصوصاً الفلنكات التي كان يعتزم سموه شراءها من تركيا .

رجوعي للاسكندرية : فسافرت من فينا إلى باريس ، ثم أبحرت من مرسيليا فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٩ بعد رحلة مكدة فأبلغت تحية الخديو لفخرى باشا نائب القائمقام ، ولطرس غالي باشا ومظلوم باشا وعباني باشا ، وكانوا بالاسكندرية . وقد بقيت بمصر أباشر الأعمال في سكة حديد مريوط ، وشغلتنى عن كل أمر آخر ، فلم أقيد مذكراتي مدى شهر أغسطس ومنتصف سبتمبر .

رجوعي إلى فينا : وفي ١٧ سبتمبر سافرت من الاسكندرية إلى تريستا ، فوصلتها يوم ٢١ منه وقضيت بها بضع ساعات مع صديق سوسيك بك أحد موظفي المالية السابقين ، وتجولت في المدينة . ثم ركبنا القطار إلى فينا فوصلتها صباح ٢٢ سبتمبر ، وتقابلت مع الخديو في الفندق ، فسألني عن نتيجة الأعمال الجارية وعن مجرى الشؤون في مصر ، ومن بينها دعوة محمود فهمي باشا إلى الاحتفال يوم ٣١ أغسطس الماضي بعيد جلوس السلطان مع أنه ليس من المقيمين في الاسكندرية ، وعماً إذا كان حسن عاصم هو الذي وجه إليه الدعوة لتدخله معه واتفاقه ، فأجبت سموه بأنني أنا الذي دعوته على مسؤوليتي ، وعندئذ قال لي سموه إذا كان الأمر كذلك فلا بأس .

وكان سمو الخديو قد كلفني أن أقابل خيرى باشا ، وأكله بشدة في شأن اتصاله بعاصم باشا ، كما بلغ الخديو ذلك ؛ وأن سموه مستاء لوجود رجال في معيته يصاحبون من يغضب سموه عليهم .

وقد كانت مأمرى شاقة ، لأن خيرى باشا صديق ، ولكننى تلطفت في إبلاغه ملاحظات الخديو ، فطلب منى أن أجتهد لدى سموه في نفي ما علق بنفسه من جهته ، وأن أذكر لجناحه أنه ليس غيباً ، حتى يميل لحسن عاصم ، ويترك الخديو صاحب الأيادى البيضاء عليه .

وقد قمت بتبليغ ذلك للخديو ، ونجحت في تطيب خاطره من ناحية خيرى باشا .
زيارة الخديو للغازى مختار باشا : وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الغازى احمد مختار باشا — وكان وقتئذ في فينا — بطاقة كتب عليها أنه طريح الفراش ، فهو يتأسف لعدم تمكنه من زيارة سموه .

وعندئذ أوفدنى الخديو إليه للسؤال عنه ، وقال لى : « إنه إذا كان الغازى مريضاً حقيقة ، فانى أتوجه لزيارته . »

وقد ذهبت إلى الغازى ، فوجدته مريضاً طريح الفراش ؛ ولما أخبرت الخديو بعد رجوعى قام بزيارته ، وأنا بصحبته ؛ وقد تأثر لحالة الغازى وأظهر عطفه عليه ، فقبل دولته هذا العطف بالشكر .

وقد مكث معه نحو نصف ساعة ، وأخبره بأنه سيصحب معه إلى الاستانة بطرس غالى باشا ، وكان قد حضر إلى فينا صباح اليوم .

وكان الغرض من إخباره أن يبلغ المايين بذلك أن يكون معلوماً للسلطان أن بطرس باشا سيكون بمعية الخديو ؛ وكانت هذه هى أول مرة يصحبه فيها للاستانة .

سفر الخديو للاستانة : وكان سموه قد استدعى عزت بك من الاستانة إلى فينا في أثناء غيابه ، ثم كلفه عند عودته أن يراقب الحالة ، ويفيده عما إذا كان الجو مناسباً للزيارة . وبعد رجوعه بعث برسالة يقول فيها بأنه لا مانع من الزيارة ، وأنه تفاهم مع الصدر الأعظم والباشكاتب في ذلك .

وفي يوم ٢٥ سبتمبر ، ركب الخديو قطار العصر إلى بودابست ؛ وأرسل إلى

فصل جنرال الدولة في بودابست برقية يرجوه أن يبق في القنصلية مساء ، حتى يقوم بالتأشير على جوازات السفر ، ثم أرسلت إليه الجوازات .

رسالة ودية من ملك الانجليز للخديو : وفي أثناء الطريق أخبرني الخديو أنه كان قد كتب رسالة للملك الانجليز ، فجاءه رد رقيق ، وفي ديباجته : « صديق العزيز » ، وقال جنابه : « إن هذا شيء يدعو للألفة التي يعمل لها الانجليز » ، وكان يلوح عليه السرور وهو يحدثني بذلك ، وقال : « إنهم حقيقة يبذلون الجهد في اجتذابني إليهم » .

الوصول للاستانة : وصلنا إلى الاستانة يوم ٢٧ قبيل الظهر ، وكان على المحطة ابراهيم باشا التشريفاتي والفرق حسنى باشا ، من قبل السلطان ، وعزت بك وقومندان المحروسة وكاوتسكى بك وغيرهم ، فركبنا العربات إلى يلدز ، وكان بانتظارنا في « شاليه كسك » الحاج على باشا الباشا مينجى وسعيد باشا رئيس شورى الدولة ، وقد جلس أمام سموه على المائدة .

الخديو والمعية في حضرة السلطان : وبعد الغداء طلب الخديو لمقابلة السلطان ، ومكث عنده ثلاثة أرباع الساعة ، وخرج مسروراً من حسن استقبال جلالته لسموه وحفاوته به .

ثم طلب السلطان تقديم الحاشية ، فدخل ثانية وقدم بطرس باشا قائلاً إنه من عبيد مولانا المخلصين ، فقال السلطان لبطرس باشا : « إننى سمعت بمدحك ويمتن من زيارتك للاستانة » ، ثم قدمنا أنا واحمد زكى باشا السر تشريفاتي وعزت بك ، فقبلنا الاعتاب .

وبعد ذلك خرجنا إلى بيك ، وقد أمرني الخديو أن أبقى فيه للبيت مع بطرس باشا ، وعاد هو والمعية إلى جبوقلى ، بعد أن شكر ابراهيم باشا ؛ وقال إن وجوده في استقباله دليل رضا السلطان .

حديث السلطان والخديو في هذه الزيارة : وقد علمت من الجنساب العالى أن السلطان تحدث معه في مسألة مقدونيا ، وأن الثوار بها أخذوا يتحركون بتشجيع بلغاريا ، وأن هذه الدولة تستعد خفية للقتال ، فتشترى المدافع السريعة وغيرها ، ولكن الدولة وافقة على حركاتها وتدابيرها ، وتتخذ احتياطاتها لكل الطوارئ ، وتشترى السلاح والذخيرة . وقال السلطان أيضاً إنه أوصى على جملة مراكب « طوريدو » ، لأن المراكب الكبيرة لا تنفع في الحرب مثل الخفيفة السريعة ، كما تبين من الحروب الأخيرة .

وتكلم مع سموه أيضاً في مسألة موت السلطان مراد ، ودحض ما قيل من أنه توفي مسموماً ، وأنكر كل ما أذيع عن سموه معاملته له ، وبالاختصار تبرأ من كل ما نسب إليه في ذلك .

وفي صباح ٢٩ منه أرسل السلطان إبراهيم باشا للسؤال عن الخديو ؛ وحدث التزاور كالمعتاد بين سموه والسفراء .

الانعزام على كريمي الخديو : وفي ٣٠ منه كانت دولة الحرم مدعوة للسرأي ، وقد ذهبت معها الأميرتان عطية الله هانم وفتحية هانم كريمتا الخديو بنساء على رغبة السلطان ، فأنعم على كل منهما بنيشان شفقت من الدرجة الأولى ؛ ولم يرض الخديو أن يرسل ولي العهد ، لأنه لا يرغب أن يمنح شيئاً وهو صغير لثلاث يتوهم أنه أصبح عظيماً ، فيأخذه الغرور .

مأدبة عشاء في بلدز : وفي أول أكتوبر دعى الخديو إلى مأدبة عشاء في بلدز ومعه بطرس غالى باشا واحمد زكى باشا وعزت بك وأنا ، فتوجهنا بالكساوى والتشريفية والنياشين إلى كشك شاليه ؛ فدخل الخديو لدى الخليفة ؛ ووقف كل منا أمام كرسيه حتى حضر السلطان والخديو ، فجلس عن يمين جلالته والصدر عن يساره ، ودعى رئيس شورى الدولة ومستشار الصدارة والحاج على باشا وعزت باشا ونورى باشا وتحسين بك وفائق باشا الميراخور وقائمقام بحرى أمريكى الجنس ورجال التشريفات ؛ وكانت الموسيقى تعزف أثناء الطعام وبعده .

وقد لاحظت في هذه المأدبة أن غطاء المائدة والمناشف والفوط ، لم تكن مكوية ، وبها بعض القذر ، وأن بعض الشوك والملاعق اعترها شيء من الصدأ ؛ وكان الطعام عادياً غير معتنى بأعداده ؛ وعند الخروج قال السلطان للخديو إنه سيدعوه إلى التياترو غداً . وفي ٧ منه سيعمل له استعراض للجيش التركى ؛ ولما كان سموه ينوى السفر يوم ٥ منه فقد تكدر لذلك واحمر وجهه .

بين بطرس باشا وناظر خارجية الدولة : وتحادث بطرس باشا مع الصدر فريد باشا وناظر الخارجية ، وفي أثناء حديثه مع الأخير ، سأله بطرس باشا عما إذا كان قد زار مصرفال الناظر : . إننى أمضيت عمرى في السفارات الأوربية ولم أعرف آسيا . ، كأنه يحسب أن مصر فى آسيا !

مأدبة ثانية في يلدز ومشاهدة التياترو : وفي ٣ أكتوبر دعينا لمأدبة في السراى وبعدها دعينا للتياترو ؛ ثم خرج الخديو مجلس مع الصدر ؛ وحادثه الصدر في أنه عمل كل مايجب لتصفية العلاقات بين جلالة الخليفة وبين سموه ؛ فشكره على حسن مسعاه . ثم حضر ابراهيم باشا وسأل الخديو عما يريد أن ينعم به السلطان على رجال معيته ، لأن ذلك من حق جنابه ؛ فطلب المجيدى المرصع لمصطفى فهمى باشا وبطرس غالى باشا ، والجران كوردون مجيدى لأحمد زكى باشا ولعزت بك ولى ؛ وطلب ثمانين مدالية فضية وعشر مداليات ذهبية لبحارة المحروسة .

فذهب الصدر للخليفة ، ثم عاد فأعلن موافقة جلالته على هذا الطلب ، وصدور أمره بهذه الانعامات .

وشاية ضد الباشكاتب : وفي صباح اليوم التالى توجهت بناء على طلب الباشكاتب فقال لى : « إن السلطان متكدر جداً لما بلغه من أحد الواشين أنى لم أقابلكم مقابلة حسنة وأننى رفضت رؤيتكم ؛ فأرسلت لك اليوم لأعاتبك على ذلك . » فأكدت له أنه لم تصدر منى أية شكوى فى حقه ، وطلبت منه عرض ذلك على السلطان . وبالفعل توجه ، وبعد ساعتين عاد فقال لى : « إن الخليفة لم يصدقنى فأرجوك أن تكتب معلوماتك فى هذا الموضوع . وقد فهمت من حديثه أن الذى ألقى هذه الوشاية هو حسنى باشا مهمندار الخديو ، وكنت أعلم أن الخديو ميال إلى تغييره فقلت لتحسين بك : « ولماذا لم تعينوا بدله فى مهمته . » فقال : « لأنه تعرف بالخديو وربما لا يود سموه تغييره . » فأجبت : « ما دام قد تحقق لكم كذبه فلا داعى لوجوده حتى تقطع الدسائس . »

وكتبت مذكرة قصيرة تلخص فى : « أننى لما حضرت للاستانة فى معية الحرم الخديوى لم أحضر عند الباشكاتب إلا مرتين : الأولى ، كان دولته فيها مشغولاً فلم أتمكن من لقائه . وفى الثانية قابلنى بلطف وإننى أعترف بأنى لم أجد من دولته إلا كل معاملة حسنة . »

وقد ترجم هذه المذكرة بالتركية وأبدى لى سروره وارتياحه ، وتوجه للعرض على السلطان وبعث لى بأن لا داعى للانتظار .

ثم أخذت النياشين والمداليات وذهبت بعد أن أعطيت — كالأمر — الخدم الذين حملوها مكافأة ، وعدت إلى الخديو فحدثته بما جرى فاستغرب هو وبطرس باشا من أن الباشكاتب مع مكانته السامية فى المايين يحتاج لمثل هذه الشهادة لدى الخليفة .

مأدبة الوداع وهدية السلطان للخديو : وفي اليوم الخامس من أكتوبر ذهبنا إلى بلدز للوداع وحضرنا مأدبة للغداء ، وقد أهدى السلطان للخديو أزرارا للقميص من البرلنت وأهدى إلى بطرس باشا علبة سجائر من الذهب نقش عليها بالبرلنت الحرفان « ع . ح » ، بشكل زخرفي رمزاً لاسم عبد الحميد ، فظهر بالدعاء لجلالته . وتحدث الخديو مع السلطان في مسألة دير الأقباط بالقدس وهي مسألة تهم بطرس باشا ، ولما خرج أخبره بذلك ، وبأن الخليفة وعده بأنه سيكون دائماً مع الأقباط فشكر لجلالته ذلك العطف .

العودة إلى مصر : وبعد ذلك رجعنا إلى جبوقلى ثم ركبنا المحروسة عائدين إلى مصر فوصلنا الاسكندرية في صباح ٨ أكتوبر .

وقد كان في الاستقبال نخري باشا وعباني باشا و ابراهيم فؤاد باشا والمحافظ محمود صدقي باشا .

علاقات الخديو مع الانجليز . أسرعت المحروسة في السير بين رودس والاسكندرية بناء على نصيح بطرس باشا للخديو ، وذلك بقصد الوصول الى مصر قبل مصطفى فهمي باشا — وكان عندئذ في طريق العودة من أوروبا الى مصر — حتى يستطيع بطرس باشا أن يقابل اللورد كرومر قبل رئيس النظار ، لأنه كما قال بالنص يريد أن يوضه حسب المرغوب . ، ولما حضر مصطفى فهمي باشا يوم ١٠ أكتوبر قابل الخديو فأبلغه بإنعام السلطان عليه بالمجدي المرصع ، ثم أخبره بأنه ، أى سموه ، غاضب على مصطفى كامل باشا لظعنه الجارح على الحكومة ، وزاد بأنه لا يزال يذكر الحقاوة التي لقيها في لندره ، وأنه سينورها كل عام ، فخرج وهو مسرور بحديث الخديو .

وكان ذلك كله بقصد أن يبلغ رئيس النظار هذا الكلام إلى اللورد عندما يقابله ؛ وفي ١١ أكتوبر عاد بطرس باشا من القاهرة وقص علينا نبأ مقابلته للورد ، وأنه حكى له ما حدث في الاستانة أثناء زيارة الخديو ، والاستقبال الفخم الذي لقيه والانعام عليه هو ورئيس النظار وهدية السلطان له قال : « وكنت أتوقع أن يغضب اللورد لذلك . ولكنني على العكس وجدت منه ارتياحاً للحديث . » ثم قال : « إن مصطفى فهمي باشا أبلغ اللورد حديث الخديو فسر منه . وبالأخص لما علم من سخطه على مصطفى كامل ؛ ولكن قال له اللورد إنه علم أن الخديو لا يعود للقاهرة إلا في منتصف نوفمبر ، وربما أول الناس ذلك بأن سموه لا يرغب حضور استعراض الجيش الانجليزي يوم ٩ نوفمبر لمناسبة عيد ميلاد الملك . » وبعد المباحثة في هذا الموضوع تقرر أن يرجع الخديو قبل الاستعراض ،

وأن يطل من شرفة عابدين كما كان يفعل والده .

بين الخديو وكرومر : وفي ١٢ منه جاءت برقية من اللورد كرومر يطلب موعداً للمقابلة ، فعرضت على سموه أن يدعوه للغداء يوم حضوره فوافق ، وبذلك كتب له زكي باشا برقية بأنه مخير في الحضور يوم ١٥ أكتوبر أو يوم ١٧ منه ، وأنه مدعو للغداء مع الجناب العالي لجاء منه الرد بالشكر والقبول وأنه سيحضر يوم ١٧ منه على أن يعود في نفس اليوم .

وفي اليوم المذكور حضر اللورد وكنت في الانتظار مع زكي باشا في محطة سيدى جابر ، وحضر مستر جولد فنصل انجلترا بالاسكندرية ؛ وقد ركب اللورد معنا في القطار الخديوى الخاص بعد أن قدمنى زكي باشا له ولبثنا نتحدث حتى وصلنا المنتزه ، وكان الخديو بالسلامك عند وصولنا فصافح اللورد باشاً . وبعد الاستراحة تناولنا طعام الغداء ثم اختلنا مدة ساعة ؛ وعلينا أن الحديث دار فيها حول زيارة الخديو للإستانة والحفاوة التي لقيها ؛ وبعد ذلك ركبنا عربة وطافا ببعض جهات المنتزه وبعض أراضي التفتيش ؛ وقد سر اللورد من هذه الرياضة ، وقال : « الآن علمت لماذا يحب الخديو الإقامة في الاسكندرية . »

وأخيراً استأذن شاكرآ وودعه في المحطة دومرتينو باشا .

مسألة استعراض الجيش الانجليزى : وفي ٢ نوفمبر تقابلت مع بطرس باشا خديئى في مسألة حضور الخديو للاستعراض وأخبرنى بأن اللورد اتفق مع قومندان الجيش الانجليزى على أن يحضر سموه في ساحة عابدين يوم ٩ نوفمبر عيد الملك ، ويستعرض الجيش أمامه ثم ينزل من عربته ويقف بجوار العلم الانجليزى ؛ وعندما تنتهى الحفلة الرسمية يركب الخديو جواده ويمر على الجنود فتحية بالسلام الخديوى ، ثم يعود إلى جوار اللورد كرومر تحت العلم وتستعرض الجنود أمامه مرة أخرى وأخيراً تتقدم الجنود صفاً واحداً وتعزف السلام الملكى ثم السلام الخديوى .

وقد سألته : « ولكن الخديو بناء على ذلك سيقف تحت العلم الانجليزى وهو مالا تخفى دلالة . » فزكتفيه وسكت .

ولما أخبرت الخديو بهذا الترتيب فكر برهة ثم قال بدون ارتياح : « طيب النزول من السراى والوقوف بجانب العلم أخف من رفع العلم على عابدين . » فقلت لسموه : « إن بطرس باشا يعلمه من عدم استحسان سموكم الوقوف في الشرفة لأنه

لأعني له رأى أن الترتيب الأخير أفضل وربما أنه هو الذى أوعز به . ، فقال : « ولكننى عندما أقابله سأقول له إنه هو الذى خسر المسألة ! »

ولكن جنابه عاد فى ٣ نوفمبر فقال لى إنه بعد التروى رأى أن عمله سيكون موضع انتقاد من الشعب إذ سيقول عنه إنه صار انجليزياً ، ولا سيما بعد سوء التفاهم بينه وبين مصطفى كامل باشا ، وطلب منى أن أطلب بطرس باشا لمقابلاته عند حضوره للاسكندرية .

وفى ٦ منه حضر بطرس باشا ، فقابلته على المحطة ، وفى الطريق حدثته عن أفكار الخديو ، فقال إنه لم يكن ينتظر أن يهتم الانجليز إلى هذا الحد بمسألة وجود الخديو فى الاستعراض ، لأن اللورد أخبره أنه استأذن جلالة الملك فى أن يأخذ الضباط السلام للجناح الخديوى فأذن ؛ ثم قال : « ومع ذلك فإذا أراد سموه الوقوف فى الشرفة فقط فلا مانع ؛ ولكن كرومر لا يستحسن ذلك بعد ما تقرر . » ثم فكر برهة وقال : « وهذا هو الذى كان يريد مصطفى فهمى باشا منذ أعوام فلم يحصل عليه ؛ وما دامت المسألة قد وصلت إلى هذا الحد فلنعمل ذلك اليوم مختارين قبل أن نعمله غداً مرغبين ؛ وإذا أراد الخديو فى المستقبل أن يغير خطته فلا مانع عند اللزوم . »

واختل بطرس باشا بالخديو نحو ساعة وبعد خروجه سأله عما تم فقال لى :
« لقد استحسن الخديو كل شيء . »

وعدنا إلى القاهرة يوم ٨ منه وفى يوم ٩ حصل الاستعراض فى الساعة التاسعة والنصف صباحاً فى ميدان عابدين على التفصيل المتقدم .

وكان هذا أول حادث من نوعه فى عهد الخديو عباس حلى .

تدخل الانجليز فى مسألة أمير الحج : وكان سموه قد كلفنى بمقابلة بطرس غالى باشا ليتحدث مع كرومر فى أن جنابه يرغب فى تعيين محمود حسنى بك — وهو بالمعاش — أميراً للحج هذا العام ، وأنه تكلم مع السردار فى ذلك فوافق . ولما قابلت بطرس باشا علمت منه أن اللورد يرغب أن يكون أمير الحج عارفاً باللغة التركية ليستطيع التفاهم مع السلطات فى الحجاز انقضاء للمشاكل ، وطلب منى أن أقابل محمود بك حسنى لأعلم ما إذا كان يعرف التركية ، وعما إذا كان أصله تركياً فقابلته وعلمت منه أن معرفته بها قليلة وأن أصله من الأكراد .

فأخبرت بطرس باشا بذلك فسألني عما إذا كنت أعرف رجلاً مستكملاً هذه الشروط فذكرت اسم محمود فهمي باشا فوافق عليه وأردفه باسم محمود شكرى باشا، وبعد ذلك عرضت على الخديو ما حصل فوافق على أن يكون محمود فهمي باشا مع محمود حسنى بك وقد ذهبت لأخبار الباشا بذلك فقبل شاكرًا، وتم تعيينهما الأول أميناً للصرة والثاني أميراً للحج.

تركيا والمحردو القريبة . وبعد ذلك أرسلني الخديو إلى بطرس باشا لأخبره أنه بينما كان سموه في سيدى عبد الرحمن القريبة من مرسى مطروح، حضر عنده المأمور وأخبره أن الأتراك بنوا في السلوم التابعة لمصر مخزنين للثون بحجة أنه يصعب عليهم أن يصعدوا بها على الجبل المشرف على الميناء حيث تقع النقطة التركية، وأن مأمور العشور التركي نزل في الأراضى المصرية على بعد يوم ونصف من هذا الجبل الذى يعتبر حداً فاصلاً بين مصر وطرابلس وجبى العشور من العربان مع أنهم في أرض مصرية. وأمرنى سموه أن أعطى مذكرة بذلك لبطرس باشا ليخبر اللورد كرومر فيها وأن رأى سموه أن ترسل مراكب تابعة لخفر السواحل لاحتلال بناء السلوم، وأن ينه على سفن خفر السواحل بزيادة المرور على الميناء المذكورة، وأن تقام نقطة مصرية على مسافة يومين من مرسى مطروح تتألف من ملازم ثان وستة عساكر قبل أن يضع الأتراك يدهم على هذه الأراضى، لأنهم يعتبرون أن الحدود هى في أم الرخم التى لا تبعد عن مرسى مطروح بأكثر من ثلاث ساعات بالهجين، فمن اللازم الإسراع بعمل الاحتياطات لحفظ حقوق مصر، ولو أخذت الدولة السلوم لخسرت مصر ميناء حربية هامة، هذا فضلاً عن أنها أقرب طريق إلى واحة سيوه.

واقترح سموه إرسال هنتر باشا مدير عموم خفر السواحل والقائم مقام دومريكر لعمل مشروع للحدود، يرسل لسكرومر بعد الاتفاق عليه. وقد تقابل بطرس باشا مع اللورد وحدته في ذلك فشكر الجناب الخديوى، ووافق على ذلك.

ثم أبلغنى بطرس باشا أن الحكومة المصرية احتجت لدى تركيا على هذا الاعتداء، وأن كرومر أوعز إلى سفير إنجلترا في الاستانة بالاحتجاج لأن الضابط العثماني قال للبندوبين المصريين إنه عمل ذلك بناء على أوامر الدولة غير أن مصر احتلت أرضها.

قطع العلاقات بين مصطفى كامل وعباس . كانت أسباب الخلاف تشتد بين الخديو ومصطفى كامل شيئاً فشيئاً (١) . ولما ثارت قضية زواج صاحب المؤيد ، وعمل الخديو لتأييده من وراء الستار ، زاد نفور مصطفى كامل من خطة الخديو . فلما سافر سموه إلى ديفون هذا العام زاره هنالك مصطفى كامل ، وصارحه برأيه في مضار هذه الخطة ، وبين له أن الرأي العام لا يعطف على الشيخ ، ثم حدثه في أمور أخرى من هذا القبيل وكان حديثه للخديو بلهجة شديدة ، فغضب الخديو وغضب مصطفى كامل أيضاً . فلما عاد الثاني إلى مصر ، اعتزم قطع العلاقات بينه وبين الخديو فأرسل إلى الخطاب التالي لتسليمه للخديو (٢) :

« مولاي . تشرفت في ديفون بالمثل بين يدي سموكم يوم ٢٧ أغسطس الماضي ورفعت إلى مقامكم السامي أن الحالة السياسية الحاضرة تقضى على بأن أكون بعيداً عن نغامتكم وأن أنحمل وحدي مسؤولية الخطة التي اتبعتها نحو الاحتلال والمحتلين منعاً لتكدير خاطركم الشريف ودفعاً لما عساه يقع من الخلاف والنزاع وقد رأيت يامولاي بعد التفكير أنه صار من المحتم على القيام بهذا الواجب وأنه أول عمل يلزمي تأديته عقب عودتي إلى الوطن العزيز لأن الانجليز أظهروا في خلال السنوات الأخيرة من التصنيق على جنابكم العالي ما يجعل وجود رجل ينتقد سياستهم في الصباح والمساء بجانب سموكم داعياً لاعتدائهم على حقوق ذاتكم السنية وحجة لتداخل جديد غير محمود .

وإني ، بعد أن رأيت احتجاجهم على جنابكم الرفيع بمناسبة المقابلة التي تفضلت جلالة ملكة البرتغال بمنحى إياها ، ومعارضتهم العنيفة لفخامتكم بسبب الاستقبال الودي الذي نالته مدام جوليت آدام من لدنكم ، وتصريحهم بأن انجلترا لا تسمح لجنابكم العالي باكرام من يعاديه ، وادعائهم بأن كل ما يكتب أو يقال ضدهم موعز به من سموكم ، أعد نفسي مقصراً قصيراً حقيقياً في تأدية الواجب نحو مقامكم الرفيع إذا بقيت صلتى بسموكم على حالها وفضيلة نعمة التقرب منكم على القيام بواجب تدعو اليه الوطنية والسياسة .

وإني أرجو أن يعتقد مولاي ، حفظه الله ، أني لم أقصد إلا محض خدمته بما قلته لسموه بشأن أولئك المفسدين الذين يلتصقون بالمعوية ويضرون بها أكثر من أبعادها

(١) انظر صفحة ٣٤٧

(٢) وقد دامت الحال على ذلك حتى كانت سنة ١٩٠٦ حيث وقعت حادثة دنشواي فرجعت

العلاقات بينهما بوساطتي .

الظاهرين ويدخلون اسمكم الكريم في كل حادث غير حاسين للرأى العام حسابا غير ذاكرين أن عرش الخديوية هو البقية العزيرة لاستقلال البلاد وأنه يجب أن يكون على الدوام محاطا بالاحترام التام والاحلال التام ليقاوم القوتين المحاربتين له ألا وهما الاحتلال والزمان .

وإنه يحلولى أن أبقى إلى آخر لحظة من حياتى خادما لتلك المبادئ الوطنية العالية التى كنتم سموكم أول الداعين اليها والمنادين بها وأن تزداد كل يوم اتساعا الهوة التى بينى وبين الذين ادعوا خدمة الوطن ليخدموا مصالحهم ثم انقلبوا عليه بلا خجل ولا حياء . وإنى أتشرف بامولاي بأن أرفع إلى سدتكم العلية واجبات الشكران على جليل التفاتكم وسامى رعايتكم وأقدم إلى المقام الرفيع أسمى ما يليق من التجلة والاعظام .
مصر فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٠٤
مصطفى كامل

قضية زواج صاحب المؤيد . كان من أهم حوادث هذا العام قضية زواج صاحب المؤيد . فى آخر ربيع الثانى سنة ١٣٢٢ عقد عقد السيدة صفية السادات على الشيخ على يوسف بسرأى الحرنفش بمنزل السيد محمد توفيق البكرى وتولى الوكالة عن الزوجة الشيخ حسن السقا ؛ فلما علم والدها السيد عبد الخالق السادات بذلك ، رفع دعوى بالفرقة بين كريمته والشيخ على يوسف بعدم أهليته لها ؛ وتحدد لذلك جلسة ٢٥ يوليو بمحكمة مصر الشرعية ، ورأس الجلسة فضيلة الشيخ احمد أبى خطوة وحضر عن الشيخ على يوسف ، حسن بك صبرى الحامى ، وعن زوجه ، الشيخ محمد عز العرب بك ؛ وحضر عن السيد عبد الخالق السادات ، الشيخ عثمان الفندى .



السيد عبد الخالق السادات

وفى هذه الجلسة قضت المحكمة بالحيلولة بين الزوجين فاحتجت السيدة صفية على ذلك بعريضة أرسلتها لقاضى قضاء مصر ، وأرسلت صورة منها إلى ناظر الحقانية وفيها تقول : « إنها لا يمكن أن تقبل

تنفيذ حكم الحيلولة لبلوغها سن الرشد ، ولأنها تزوجت من الشيخ على باختيارها وكفائها .
وفي ٢٧ يوليو صدر قرار المحكمة بوقف السير في الدعوى حتى ينفذ أمر الحيلولة
السابق صدوره .

وتوجهت السيدة صفية إلى منزل الشيخ الرافعي ؛ وفي الوقت نفسه طلب الشيخ
على منه أن يتوسط لدى زوجته بالعودة إلى منزل والدها ؛ ولكنها أبت ذلك رغم
معارضه الشيخ الرافعي من أنه سيتوجه معها بمرافقة شيخ الأزهر والمفتي والشيخ حسونة
النواوى ليضمنوا لها الراحة عند والدها .

فلم ترض بذلك قائلة إن والدها بعد أن قبل مكثها عند الشيخ الرافعي أشاع أنه
لم يوافق على ذلك .

وفي ٢٨ منه اجتمع وكيل الحقانية وعثمان بك مرتضى والشيخ محمد بخيت والشيخ
أحمد أبو خطوة وقرروا تعديل قرار الحيلولة من ضرورة إرسالها عند والدها إلى
إبقائها مع الحيلولة عند رجل مؤتمن ؛ وحيث إن الشيخ الرافعي الذى هى عنده رجل
مأمون ؛ لهذا لم يروا مانعاً من بقاءها طرفه . وبهذا حل الاشكال .

وكان يوم أول أغسطس محسداً للسير في الدعوى فعقدت الجلسة برئاسة الشيخ
أحمد أبى خطوة ؛ وترافع الخصوم وكان النزاع قائماً في هذه الجلسة على كفاءة المتداعين
حتى يكون الزواج صحيحاً ، أو عدم كفاءة الشيخ على يوسف حتى يكون فاسداً ، وقررت
المحكمة تكليف كل من المدعى والشيخ المدعى عليه ، أن يثبتا بالطريق الشرعى ما يدعيانه
فقرر وكيل المدعى عليه أن اسم موكله مقيد بدفاتر الاستحقاق في أوقاف نقابة الأشراف
في سنة ١٨٩٧ ، ثم تأجلت الجلسة بعد ذلك إلى ٦ أغسطس ، لسؤال السيد على البيلوى
عن أساس قيد الشيخ على يوسف بدفاتر الأشراف .

وفي جلسة ٨ أغسطس حضر نقيب الأشراف بسوهاج ، وقرر أن الشيخ على يوسف
شريف علوى ينتهى نسبه إلى سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين ، وقال إنه عرف ذلك
البيت من الشهرة العامة .

وأخيراً تقرر تأجيل الجلسة إلى ١١ أغسطس للتأمل وتقرير ما يرى ، وفي هذه
الأناء ردد كثير من الصحف بأن الشيخ على يوسف والشيخ الرافعي لا ينفذان قرار
الحيلولة وأن الشيخ على يتوجه في ساعة متأخرة من الليل للمنزل الشيخ الرافعي ويخرج
منه في الصباح المبكر ، وأن الملابس تؤخذ يومياً من منزل الشيخ الرافعي ويستحضر

بدلها من منزل الشيخ على ؛ وقد كتب وكيل السيد السادات خطاباً بهذا المعنى للشيخ الرافعى ، فاغتضاظ الشيخ لذلك وثار ، وبلغ السيدة صفية ذلك فتأثرت وعولت على الخروج ؛ فكتب الشيخ إلى قاضى مصر الكتاب الآتى : « همت السيدة صفية بالخروج من المنزل فداغتها ، ولكنها مصممة على الخروج متى تمكنت من ذلك ؛ وبما أنه لا يمكننى إقامة الحيلولة فأطلب من سماحة القاضى أخذها من منزلى . »

وفى جلسة ١١ منه صدر الحكم بىطلان عقد الزواج لأسباب ذكرت فى حيثيات الحكم ، أهمها قيمة نسب الشيخ على يوسف ، والفارق بينه وبين السيد عبد الخالق السادات من حيث المنزلة .

ولما كان السيد عبد الخالق السادات يركن فى هذه المسألة إلى الشيخ راضى الكبير توصل الشيخ على يوسف إلى استرضاء الأخير حتى أقنع الأول بقبول العقد ثانية للشيخ على يوسف على السيدة صفية السادات وقد تم ذلك .

قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف . كان قد وقع خلاف بين قاضى مصر التركى وديوان الأوقاف لأنه قرر فى جلسة المجلس الأعلى محاسبة نظار الأوقاف فرأت المحكمة الشرعية أن ذلك من حقها فكتب القاضى إعلاناً فى الوقائع الرسمية بأن نظار الأوقاف الخيرية والأهلية عليهم أن يقدموا الحساب فى آخر العام الهجرى لقاضى أفندى فتدخلت الحكومة وكرومر فى المسألة خشية أن يعتبر القاضى حكومة داخل حكومة ، ولأنه ادعى أن له الولاية العامة الشرعية فى مصر ؛ وأرسل الخديو عزت بك إلى القاضى فأقنعه بسحب إعلانة ، ووعدته بأن ينظر سموه فى الأمر ويسويه على ما يرضيه ، فقبل وكتب إعلاناً آخر يسحب به إعلانه الأول فى ٢١ نوفمبر .

وفى هذه الأثناء أراد القاضى أن يقدم استقالته ، وكان فى عزم الحكومة والورد كرومر قبولها وانتهاز هذه الفرصة لتغيير التقليد المتبع ، وتعيين قاض مصرى بدله ، وخطب الخديو فى ذلك فقال إنه يرشح الشيخ حسونة النواوى ، فقبل له إن الشيخ عبد القادر الرافعى أهل لهذا المنصب فقال سموه نعم ولكن بعد الشيخ حسونة . ولما رأى القاضى هذا الجو لم يقدم استقالته واكتفى بسحب إعلانة .

وقد أوقعت الحكومة مسئولية هذا العمل على الشيخ محمد بخيت . لأنه عاون القاضى فى إعلانه الأول ، فاتفق رأى على فصله ، وأقنع بطرس اللورد بذلك فوافق

عليه ؛ وكان في هذا إرضاء للخديو وقد كان يسخط على الشيخ بخيت لأنه كان المحرك لمسألة الشيخ على يوسف وزواجه بينت السادات بحجة أنه ليس أهلاً لها رغم عليه بأنه من رجال الخديو .

تعييني رئيساً للديوانين العربي والافرنجى . في ٢٧ ديسمبر حضر إلى زكى باشا وأخبرني أن الخديو عازم على إحالة حسن عاصم باشا إلى المعاش في هذا اليوم ، وأنه يأمرني مع عزت بك أن نبث عما إذا كان من المعتاد في مثل هذه الحالة أن يصدر أمر عال أو لا .

وقد اتضح لي أنه لا بد من الأمر فأخبرت زكى باشا بذلك وعرضه على الخديو ؛ وبعد الافطار بسرأي القبة — وكنا في رمضان وكان عاصم باشا ضمن الموجودين — أحضر الخديو حمزة بك رئيس القلم العربي وأعطاه الأمر بالاحالة وكان من إملاء بطرس باشا وأرسل لحسن عاصم باشا بعد عودته لمنزله ، وهو مختصر وجاف وفيه يقول الخديو مملخصه : « اقتضت إرادتنا إحالة سعادتك على المعاش ولذا لزم إخطارك بذلك » . وكان هذا نتيجة لما كان منه في نفس الخديو منذ مسألة تفتيش مشتهر وما ترتب عليها . وبهذه المناسبة أذكر أن عباساً عندما كان يأمر بفصل أحد الموظفين اعتاد أن يقول لرئيس القلم العربي : « طرده » .

وقد دافعت جريدنا اللواء والأهرام دفاعاً شديداً عن حسن عاصم باشا وعرضتنا بالخديو في مطامعه المالية التي هي سبب غضبه عليه .

وظل منصب عاصم باشا خالياً حتى يوم ٣١ ديسمبر ، حيث حضر إلى زكى باشا وأخبرني أن الخديو — بعد مخبرات بينه وبين بطرس باشا — عزم على إسناد منصب رئيس الديوانين العربي والافرنجى إلى وأن يعطى لعزت بك منصب رئيس الديوان التركي .

ولم يسارع الخديو سراي عابدين في هذا اليوم حتى وقع الأمر بتعييني وتعيين عزت بك رئيساً للديوان التركي . وهذا نص الأمر الذي صدر بتعييني : « سعادتلو أحمد شفيق بك — بناء على ما نعهد فيكم من الصداقة وحسن الإدارة والدراية اقتضت إرادتنا تعيينكم رئيساً لديوانينا الافرنجى والعربي ابتداء من أول يناير سنة ١٩٠٥ وأصدرنا أمرنا هذا لتباشروا أعمال وظيفتكم بالهمة والنشاط » .

الخديو وأصحاب المقطم . الدسائس في الأزهر أيضا . السيرارنت فاسل
في مصر . شركة للزبرجد والنحاس . لجنة الاعترافات الخديوية . عادة تعمل
على استمالة عباس . رحلة الخديو للاستانة وأوربا . وفاة الشيخ محمد عبده .
الخديو ومسن عاصم باشا . بعد العودة . قاضي مصر وطلبه السفر للاستانة .
منصب القبول كخدا . تعيين مفتي جريد .

الخديو وأصحاب المقطم . في ٢١ يناير جاء في الدكتور فارس نمر أحد أصحاب
المقطم ثم قابلني مصطفى فهمي باشا ، وطلب مني كلاهما أن أرسل إلى المطبعة الأميرية
بألا تنشر إنعام الخديو على فارس نمر برتبة المتمايز . وقد صرحا لي بأن الغرض هو
بقاء أصحاب المقطم أحراراً غير مقيدين بجهة معينة ، وربما كانت السبب الحقيقي هو
استصغار شأن هذه الرتبة . وبناء على ذلك أرسلت إلى المطبعة بعدم ذكر اسمه في
كشف اليوم .

وفي ٢٣ منه تحدث مصطفى فهمي باشا مع الخديو بشأن هذه المسألة ، فغضب
سموه ؛ وعندما قابلته مساء في قصر القبة وجدته متهيجاً لذلك ، لأنه فهم من حديث
مصطفى فهمي أن المعية هي التي تسعى إلى استمالة أصحاب المقطم بالرتب ، وأن فارس نمر
لا يقبل أية رتبة كانت .

ثم قال لي : « وهذا نتيجة تسرعك يا شفيق ! » فدافعت عن نفسي بأن فكرة
استمالة أصحاب المقطم لم تكن فكرتي ، وأني لم أعمل شيئاً لتنفيذها . ثم تقرر أن يتحدث
أحمد شوقي أفندي مع فارس نمر في هذا الخصوص ، على أن يتوسط مصطفى فهمي باشا

فى إزالة ما وقع فى نفس الخديو من سبب الأثر ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وكان ألم الخديو لذلك عظيماً .

السيرارنس كاسل فى مصر . فى ٢١ مارس أقام عباس مادية بسراى القبة للسيرارنس كاسل . وكان قد حضر إلى مصر مع شقيقته ؛ وفى أثناء الحفلة لفت نظرها حجر جميل من الزبرجد فى رباط رقبتى فأبدت استحسانها له ؛ وفى الغد أرسلته لها مع رسالة صغيرة قلت فيها : « أرجو ألا ترفضى قبول هذه الهدية الصغيرة التى أسعدنى الخط بتقديمها إليك إذ رأيت أنها وقعت من نفسك وقعاً حسناً ، وأنا موقن أنها متى كانت على صدرك صار لها من الرويق ما ليس لها فى رباط عنق ؛ وقد تركت لك صياغة هذا الحجر ، على أمل أن تختارى له الصياغة التى تلائم ذوقك ، وإننى أنتهز هذه الفرصة لأعرب لك أيتها السيدة العزيزة عن أسى شعائرى لإخلاصى واحترامى . ، جفأتى منها فى اليوم التالى رد رقيق نصه : « سيدى العزيز — لا أدرى فى الحقيقة كيف أعبر لك عن شكرى على ما أظهرته لى من العطف والمودة . وفى الواقع أنك ذهبت فى تكريمى وبجاملتى الى أبعد مدى فى إهدائك هذا الحجر الجميل الى ، ولقد أخجلتني بجاملتك هذه ، وخيل الى أن إشارتى اليه هى التى أوحى إليك أن ترسله الى وهذا ما زاد فى خجلي ؛ على أنى أؤكد لك أن هذا العطف من جانبك وقع من نفسى أحسن موقع ، وسأحفظ هذا الحجر الجميل تذكراً للمجاملة التى رأيتها من الذى أهدها لى ، فشكراً لك ألف مرة وا قبل أزكى تحياتى . ،

الرسائل فى الأزهر أيضا . ذكرت ما وصلت اليه الدساتر فى الأزهر فى العام الماضى . ثم تلت ذلك فترة ساد فيها النظام فى الأزهر ولكنها ما لبثت حتى قامت حركة جديدة من المدرسين ، وشكوى من قانون الأزهر وشيخه وقعها المظلمون . وكان القائمون بهذا الشعب يدخلون فى روع الآخرين أن هذه الشكوى كرهبة الخديو ؛ وفى هذه الأثناء ثارت مسألة زواج الشيخ على يوسف من كريمة السيد عبد الخالق السادات كما أسلفت ، وكان الشيخ على يوسف يدعى أن المفتى هو الذى يحرض السيد السادات ، فأراد الخديو أن ينتقم من المفتى بتغيير مجلس الإدارة ، وإخراج الشيخين محمد عبده وعبد الكريم سليمان ، فلم يرق ذلك فى عين شيخ الأزهر السيد على البلاوى ، ففكر فى تقديم استقالته ، إلا أنه قبل رجائى ورجاء المفتى فى البقاء فى منصبه ، ولكنه

علم أخيراً بأن الشيخ سليم البشرى والشيخ المنصورى توصلا إلى الحصول على مرتب فى الأوقاف العمومية دون علمه ؛ فعزم على الاستقالة لما كان يعرفه من أن هذين الشيخين هما روح الشغب فى الأزهر ؛ وحضر الى السراى فى يوم ١٥ مارس ، وقدم استقالته إلى بصفى رئيس الديوانين العربى والأفرنجى ، فقبلت وأرسلت إليه خطاب قبولها مشفوعاً بالشكر الرقيق .

وفى ٢١ مارس استقال الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان من عضوية مجلس الأزهر وخلف السيد البىلاوى فى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربىنى فى ١٩ منه . وقد خلع عليه الخديو الخلة المعتادة فى حفلة بسرأى عابدين حضرها كثير من العلماء وذلك فى ٢٤ مارس ، وبهذه المناسبة ألقى الخديو كلمة قال فيها : « إن الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية تنشر علوم الدين الحنيف فى مصر وجميع الأقطار الاسلامية ؛ وأول شئ أطلبه أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائداً فى الأزهر الشريف ، والشغب بعيداً عنه ، فلا يشتغل علماءؤه وطلبته إلا بتلقى العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الأفكار ، لأنه هو مدرسة دينية قبل كل شئ . » ثم قال : « وقد قبلت استقالة الشيخ البىلاوى لآنتى منذ اثنتى عشرة سنة أسير على قاعدة قبول استقالة كل من يقدم لى استقالته . وقد أسندت وظيفة مشيخة الأزهر للأستاذ الشيخ الشربىنى المعترف له من جميع الطبقات ؛ أزهريين وغيرهم ؛ بالعلم والتقوى والصلاح ، وأطلب منكم أيها العلماء أن تكونوا بعيدين دائماً عن الشغب وأن تحموا إخوانكم والطلبة على ذلك . » وهكذا فشلت الخطوة الأولى لاصلاح الأزهر .

شركة لمزبرهه والنحاس . فى ١٤ فبراير عقد بناء على الأمر الخديوى اتفاق بين مسيو شارل هكسيوس وعبد الرحمن كأمى بك من أعيان السويس وشريكه حنا عنصره اللذين كانا يبحثان عن المعادن فى جزر البحر الأحمر وفى طورسينا ؛ والغرض من هذا الاتفاق أن ينصرف عبد الرحمن كأمى بك وشريكه الى شراء اللؤلؤ والأحجار الكريمة ويرسلانها الى هكسيوس فى جنيف ، لبيعهما على أن يقسم الربح مناصفة بين الفريقين شهراً فشهراً . وقد جعلت مدة هذا الاتفاق خمس سنوات وعهد الى فى حفظ العقد الخاص به . وكذلك وقع بين الطرفين اتفاق آخر مؤداه ، أن يتعهد عبد الرحمن كأمى بك وحنا عنصره لمسيو شارل هكسيوس بأن يرشدها الى الأماكن التى وجدا فيها مناجم نحاس من النوعين الأصفر والأحمر ، على أن يفحص مسيو هكسيوس هذه المناجم

ويتصرف فيها بما يراه ملائماً بحيث يتولى هو بنفسه طلب امتياز باستخراج المعدن والبحث عنه، ويكون له أن يستثمره هو بنفسه أو بواسطة شركة يؤلفها لهذا الغرض، ويكون لعبد الرحمن بك وحنا عنصره ثلاثون في المائة من الأرباح الصافية، بشرط أن يقوموا بالرحلات التي يستلزمها العمل، ويقدموا إلى هكسيوس كل ما يجده من القطع المعدنية في خلال مدة الاتفاق مهما كان نوعها، تاركين له الحرية في استثمار الأرض التي توجد فيها المعادن، وألا يعقدا اتفاقاً آخر مع سواه قبل مضي خمس سنوات. وعهد إلى كذلك في حفظ العقد المحرر بينهما، والحكم فيما يشجر بين الطرفين من خلاف. وبعد ذلك أرسل إلى عبد الرحمن كامى بك رسالة عن نتيجة مباحثه وخريطة عن الأماكن المرغوبة، وبعض نماذج من النحاس فأرسلتها لمسيو هكسيوس في جنيف؛ ثم جاءتني رسائل أخرى من كامى بك بها تفصيلات عن الأحجار التي وجدها، وذكر لي أيضاً أنه علم أن جماعة من الانجليز ذهبوا إلى الطور للبحث عن المعادن، مزودين بجميع التوصيات والتسهيلات. ولما علم الخديو بذلك، قال إن هذه التوصيات هي من صنائع الانجليز في مصر. ولم يستطع أن يقدم إليه التوصيات التي طلبها نظراً لوجود الانجليز المشار إليهم.

لجنة الاستفتاءات الخديوية. ألفت في القاهرة لجنة للاحتفال بالخديو في أعياده وعند سفره واستقباله، وأخرى كذلك في الاسكندرية. فلما سافر الخديو في هذا العام إلى الثغر في أول مايو استقبلته اللجنة هناك بحفاوة كبيرة فشكر سموه أعضائها شفوياً ثم أمر بارسال كتاب لهم بشكره.

ولما كانت لجنة القاهرة هي صاحبة الفكرة، ولم تنل هذا الشرف والعناية من جانب سموه، فقد تدمر أعضاؤها وتحديث بعضهم أمام الشيخ على يوسف بذلك، فبعث برسالة لسموه يعلبه فيها بذلك وإلى أن لجنة القاهرة قد تقتر عزيماً إذا لم تنل ما تستحقه من الرعاية.

وقد أجاب عباس على ملاحظة الشيخ على يوسف فكتبت المعية إلى اللجنة خطاباً رقيقاً.

غارة نعمل على استمالة عباس. كانت مدام الكسندرا أفيرينو ملتياى، وهي سيدة يونانية متمصرة، تصدر مجلة «أنيس الجليس» بالاسكندرية، وقد حاولت الزلنى بجالها عند الخديو مراراً، وحامت حوله سنوات، ولكنه غض النظر عنها فأرسلت

لسموه الرسالتين التاليتين؛ الأولى بتاريخ ١٧ مايو نصها: «لقد تعودت أن أفتح كتابي بالثناء والدعاء للذين لا أبرح عن تقديمهما على الدوام بالسر والجهر، ولكن بلغني من سعادة حسين بك زكي ما جعلني أن أفتح كتابي بالشكوى والاسترحام بشأن تلك المقابلة التي ضاق في التماسها صدرى وذهب كل صبرى؛ وحقاً إنه ليست الصاعقة تنقض علىّ فتريحني بأشدّ عندي من الخبر الذي رواه لى حسين بك بشأن تأجيل تلك المقابلة إلى بعد عودة مولاي المعبود بالسلامة من رحلته المباركة وذلك لكثرة شغفى بها واضطرارى إليها وطول انتظارى إياها، إلى أبعد مما يتحمّله فؤادى وأكثر مما تطيقه نفسى، مع أننى أعهد ذاتى ملتزمة تلك المقابلة من سيدى الرحم الشفيق، فضلاً عن أن سموه لا يعدم على كل حال فرصة لذلك، لأن الفرص تحت أمره وطوع يديه. وقد آن أن يكون لى حق في إحداها بما يتفق جبراً لحاظرى الكسير وإجابة لالتماسى الذى طال عليه الأمد ونفذ معه الصبر. آه يا مولاي من يصف الآلام التى تحرق فؤادى واليأس المستحوذ علىّ؛ أشعر بأنى مدفوعة بيد القضاء إلى وهدة الشقاء ومنها إلى وهدة الفناء؛ وإن حسين بك لو كان يروى لسموه ما شهدته من قلق وسوء حالى حين بلغنى ذاك الخبر بالتأجيل، لتيقن ما ينطوى عليه فؤادى وعرف مبلغ ما أنا فيه من التلهف الشديد لتلك المقابلة السنية التى هى طوع إرادة مولاي فى كل حين يريد بها فيه، وفى أى مكان يعينه لها؛ وإننى لقد أكثرت من إظهار الآسى والحزن مضطرة بسبب ما يعمله مولاي، فلعل كرمه يريحنى من عناء المدة الطويلة المستقبلية فقد كفانى ما قاسيت من أطول منها قبلاً، وعسى أن يكون هذا الرجاء كأنه آخر اليأس المتصل بأول النجاح، وتكون تلك المقابلة أتعلى بها مدة تلك الرحلة. ولقد عهدت مولاي بمنح السعادة لكل من يطلبها منه، ولهذا صرت فى جانب الأمل الكبير بأن هذه التعيسة المخلصة تنال تلك السعادة التى صارت تستحقها بكثرة ما بذلت لها من الصبر الوافر والقلق الطويل، ولا شك أن كرم مولاي وانعطافه يكونان ضامنين لهذا الأمل إذ هو بعد الله على كل شىء قدير وبكل دعاء من هذه المخلصة جدير.

عبدة سموكم التعيسة

الكندرا أفيرينو

الاسكندرية فى ١٧ مايو سنة ١٩٠٥

وهذا هو نص الرسالة الثانية وتاريخها ٢٣ مايو:

«ولّى نعمتى ومعبودى — أفتح كتابى بتقديم واجب الاخلاص والتكريم مع الدعاء لله تعالى بأن تكون السلامة مرافقة لمولاي فى رحلته السعيدة باذن الله ورجوعه المبارك. وبعد فقد تقابلت مع سعادة حسين زكى بك فوجدت من رقة حديثه ما اتخذته

كنسخة من حديث مولاي ورقته ولطفه ، حتى انتهج بذلك فؤادى المضطرب ، وسرّ خاطرى القلق ، وانتعش أملى الذابل ، ولا سيما بعد حرمانى من تلك المقابلة التى كنت أنتظرها انتظار الأرض العطشانة لندى الصباح ؛ ولكننى أسلى نفسى عن كل ذلك بسلامة مولاي ، وأعزّيتها بأنتى قد صبرت عدة سنوات فلا صبر عدة أشهر ، وإن كانت على أطول من سنين ، حتى يمن الله ويعطف المولى المحبوب على عبدته التعبة . . . ثم إننى مرسلّة مع سعادة حسين بك الرواية التى علم سيدى بها ، وقد كتبته بخط يدي لتكون كأنها عيون تنظر إليه بالنيابة عني ، ولعل مولاي يشرفنى بتلاوتها فى أثناء رحلته السعيدة وأوقات فراغه ، فيجد فيها لأول وهلة ما ينطوى عليه مضمونها من حكاية حال وأميليّا ، التى أرجو أن تكون عاقبتى شبه عاقبتها مع ذاك الأمير ، كما أن مولاي يدرك بلا شك تلك العواطف والوجدانات التى أملت على تلك الرواية ، وعباراتها المؤثرة ، مما كنت فيها لسان حال نفسى ؛ فعسى أن تصادف هذه الرواية من عند مولاي ما رجوته من وضعها فى هذا القالب ، الذى صورت فيه حالتى تصويراً تاماً بشخص أميليّا مع ذاك الأمير ، بل غاية ما أرجوه قبولها وتشريفها بالنظر العالى فان ذلك حسبي وكفى .

ثم إننى قد تعودت رجاء مولاي على الدوام فلا عدمته مرجواً ولا عدمنى راجية فضله ، وسائلة إسعافه ومعونته ؛ وذلك أن لى سوقاً فى الرمل وقطعة أرض بجانبه وقد أخذ الخواجا مانولى زرفودا كى بمعاكستى فيها معاكسة تفضى إلى الضرر بى ضرراً لا يريد وقوعه مولاي بهذه المخلصة ، وذلك أن الخواجا زرفودا كى يريد أخذ قطعة الأرض بالشفعة ؛ لذلك أتمس من جنبه العالى بإصدار إشارة منه بالإيعاز إليه بأن يمتنع عن أخذ قطعة الأرض بالشفعة ، وعن معاكسة السوق ؛ لأن أقل إشارة من مولاي يكون منها كل النفع لى ، ومنع الضرر عني . وإننى فى الختام أكرر شدة أسفى لفراق سيدى وغيابه ، وحرمانى من طلعه السنّية ؛ بل وجوده فى هذا الثغر الذى كنت مؤتسمة معه بظله الظليل ، وقربه المؤنس ولكننى أفرج أسفى هذا بالصبر لحين رجوعه السعيد ، سائلة المولى أن يشمل مولاي بعنايته العقيمة ، وأن يجعله تحت حراسته أينما حل وسار ، كما أسأله أن يرينى طلعه المباركة وهو على ما أحب وأشتهى من العافية الدائمة ، والسلامة الملازمة باذن الله ودعاء هذه العابدة المخلصة التى ترجوه ألا ينساها كما أنها لا تنساه إلى الأبد .

عبدّة سموكم الطائفة

الكسندرا أفيرينو ،

الاسكندرية فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥

ولكن مدام أفيرينو رغم هذه المساعي المتكررة لم تفز من الخديو بطائل .

رحلة الخديو إلى الاسكندرية وأوروبا . في ٢٥ مايو غادر الخديو الميلاء المصرية إلى الاسكندرية مودعاً كالعادة . ولم أكن بمعيته هذا العام لأن سموه أراد إبقائي في مصر لا كون قريباً من النظار لما عسى أن يطلبوه من المعلومات . وكان محمد عزت بك رئيس القلم التركي من رافقوا جنابه ؛ فوصل سموه إلى الاسكندرية في ٢٩ مايو واستقبل فيها بحفاوة ولم يمكث بها إلا مدة وجيزة ثم برحها في ٣ يونيو إلى فينا .

وفي ١٣ يونيو، وردت لي رسالة من عزت بك أخبرني فيها أن الخديو كان مسروراً من الاستقبال والوداع بالاسكندرية .

شكوى البرنيس زيدة لملك الانجليز : وقد سافر الخديو بعد ذلك إلى انجلترا فبقى فيها خمسة أيام كان فيها محل حفاوة وإكرام من جانب ملك بريطانيا والأمراء الانجليز والرجال الرسميين ، وأقيمت له عدة مآدب . وفي إحداها ، وكانت بسرأي وندسور ، وقع ما كدر سموه ، وجاءني تفصيل ذلك برسالة من الشيخ محمد عثمان أحد المرافقين للخديو بتاريخ ٢٧ يونيو ملخصها :



البرنيس زيدة هانم

أن الجناب العالي بينما كان في ضيافة ملك الانجليز في وندسور ، إذ جاءت له شكوى من البرنيس زيدة هانم ضده ، مدعية أنه لم يحترم اتفاقاً حصل بينه وبينها بخصوص ترتيب ثلاثة آلاف جنيه لها سنوياً ، فتكدر سموه من ذلك ؛ وأرسل يأمرني أن أتقابل مع البرنيس ومع شاكر باشا قرينها ، وأتوصل بكل حيلة إلى أخذ كتابة من البرنيس بأن ما كتبت له لملك ليس شكاية ، بل استرحاماً ليتوسط لدى الخديو في إجابة رجائها ، وبعد الحصول على الكتابة المذكورة يجب أن أتوجه إلى شاكر باشا وأسمعه كلاماً قاسياً مرآ في هذا الموضوع ، لأن ما حدث من البرنيس بعيد عن الآداب والتربية ، وكان عليه أن ينصحها بعدم الاقدام على هذا العمل الشنيع ؛ وقال لي إن الخديو ينتظر الرد بمجرد وصول هذه الرسالة .

وعندما وصلتني في ٣ يوليو كانت البرنيسيس وشاكر باشا قد سافرا إلى كارلسباد، فأرسلت بذلك برقية للخديو، وأشارت بأن يأمر دومرتينو باشا الموجود بكارلسباد أن يحصل على الكتابة المطلوبة.

وكان الغرض من ذلك أن تعرض هذه الكتابة على ملك الانجليز حتى يعلم عدم أحقية البرنيسيس فيما ادعته على الخديو.

وفي ٢٩ أكتوبر عاد اللورد كرومر إلى مصر من الخارج؛ وكان الخديو في الاسكندرية فأرسل اللورد برقية يعلم سموه برجوعه؛ فأجابه بريقة لطيفة هناء فيها بسلامة الوصول. ولكنه لما قابل الخديو في أول يوم من رمضان، لم يهنئه كالعادة، بل وجه إليه انتقاداً مرأى في مسألة البرنيسيس زيدة، فاستاء الخديو أيما استياء لهذه المقابلة الجافة.

وقد تحدثت مع بطرس باشا في شأن هذه المقابلة يوم ١٠ نوفمبر واستطرد بنا الحديث، فذكر لي أنه عندما أرسلت البرنيسيس شكايته لملك الانجليز أمر بحالتها إلى كرومر فرد طاعناً على الخديو بأن سموه يتدخل لدى القضاء الشرعى في المسائل الشرعية، ويحصل على ما يريد من الأغراض.

وفي ١١ نوفمبر قابلت مع المستشار المالى فطلب منى أن أعرض على الخديو تخصيص مبلغ مائتي جنيه معاشاً شهرياً للبرنيسيس وأن يعطيها مبلغ ألف جنيه مصاريف المحامى عنها، وقد تم ذلك.

وفاة الشيخ محمد عبده. كان الشيخ محمد عبده مريضاً منذ عدة أشهر، وكان قد أزمع السفر للاستشفاء في الخارج، ولكن رؤى أن صحته لا تساعد على السفر، فمكث بالاسكندرية يغالب المرض ويغالبه، ويزوره العظماء والكبراء والعلماء، ويعنى به الكثير من البرنسات حتى أن بعضهم أرسل طبيبه الخاص لعلاجيه.

وفي ١١ يوليو فاضت روحه إلى بارئها، وقد شهدت تشييع جثمانه إلى مقره الأخير في مشهد حافل وموكب جليل.

وكتبت الصحف فصولاً ضافية في رثائه، منوهة بذكره ورفع خلاله وأعماله. عتب الخديو: وقد كان سيرى في جنازته سبباً في غضب الخديو فأرسل إلى رسالة أثبت لها فيها من دلالة ومعزى: «كان الجناز العالي يظن أنكم تحافظون على تنفيذ

رغباته السنية غاية المحافظة، وكان يعلم أنكم تقدرون أوامره العالية حق قدرها، وكان يعتقد أنكم لا تخطون خطوة إلا في سبيل رضاه وبأمره الكريم، وكان يتيقن أنكم تكونون على من رغب عنه ومع من رغب فيه، ولكن قدر فكان.

قلتم في جوابكم الأخير إن المفتي مكث أربعة أيام كوامل من يوم الجمعة ٧ الجارى (يوليو) إلى يوم الثلاثاء ١١ منه والروح تنازعه وهو ينازعها إلى أن غلبته فتركته أى أنكم كنتم متوقعين له حصول الأمر آنأ بعد آخر خلال هذه المدة، بل على ما بلغنا أن أقاربه حتى الحكومة جهزت له ما يلزم لتشييع جنازته قبل موته بيومين، وسعادتكم على ما أنتم عليه من معرفة الحقيقة والحالة، فلم لم تستفهموا بإشارة برقية عما يلزم وقت أن تبلغ الروح الحلقوم. هذا أمر واجب عليكم كان اللازم أن توجهوا فكمركم اليه قبل كل شئ. ولكنه يا للأسف فاتكم.

علمتم بموته فكان من الضروري أن تعلموا أيضاً بأنه سترد اليكم تعليمات بخصوص ذلك الحادث، وما كنتم تبرحون السراى ولا إلى منزلكم حتى تأتى أوامر الخديو اللازم اتباعها.

أخبر الجنب العالى أطل الله بقاءه بإشارة برقية عن هذا الحادث، فما معنى ذلك؟ معناه أن ما الذى يعمل فى هذه الظروف. وتعتقدون أن الجنب العالى لا بد وأن يصدر أوامره بما يعمل إزاء هذا الأمر فاذا أصدرت بعمل شئ فقوموا بتنفيذه، وإن وردت بدونه فاعلموا أن الأمر مهمل، الجنازة حارة والميت كلب؟، فلا تعملوا شيئاً.

يظهر، والله أعلم، أنكم أردتم بالسير وراء نعشه المجاملة بعد الموت وهو على ما تعهدونه عدو الله وعدو النبي وعدو الدين وعدو الأمير وعدو العلماء وعدو المسلمين وعدو أهله، بل وعدو نفسه؟ فلم هذه المجاملة؟

صدرت لكم أوامر بما يعمل، فلم لم تبدلوا جهركم فى تنفيذها ولم لم تسعوا وراء سريان مفعولها حتى بذلك تكونون أديتم ما فرضه عليكم الاخلاص؟

قلتم إن الأوامر وردت والجنة بين مصر والاسكندرية فلم يمكن تنفيذها بالنهر ولكنها نفذت بالقاهرة، فأين ذلك التنفيذ وقد سار فى الجنازة القاضى والشيخ حسونة وغيرهم.

قلتم فى جوابكم إنكم منعمتم الشيخ على يوسف من كثرة الاطباب، والمدح فما فائدة ذلك وأنتم أول من يعلم أن مثل ذلك ألفاظ سيالة تنقض بمجرد النطق فلا أثر

لها ، لكن تنفيذ الأوامر هو الذى يترتب عليه المقصود . على أن المؤيد أفرغ جعبته فى مدح الرجل فلم يبق شيئاً مما منع عنه ، ولو فرضنا أن المؤيد لم يذكر شيئاً للرجل ، فهناك جرائد أخرى لا يمكن منعها تقوم بالاطناب والمدح ، وقد قامت فعلاً والأوامر العالية على خلاف ذلك . سعادة أحمد زكى باشا موجود عندكم فلم تستشيروه ؟ ألم تعلموا سبب امتناعه عن تشييع الجنازة ؟ ألم تعتقدوا ما كان عليه الملقى من العداء والمعاكسة للدين وأهله وأنصاره ؟ ولكنه أمر فات والرجل مات وغير يمكن رد ما قد فعل .

وفى طى الرسالة السابقة ملحق هذا نصه : « ترون طى هذا قصيدة رثاء قالها أحد مستخدمي ديوان الأوقاف العمومية وقد طبعت أيضاً بمطبعة الديوان المذكور ، والجناب يحب أن يعرف إن كانت مطبعة الديوان جعلت لأعمال المصلحة فقط أو لها وغيرها أو لغيرها فقط . فاستدعوا عبد الحليم عاصم باشا عندكم واستفهموا منه هذه الاستفهامات وأسألوه إن كان ذلك الشاعر المطبوع طبع هذا الرثاء بأمر من الباشا أو بغير علمه ، فإذا كان بغير علمه ، فكيف يقع ذلك وسعادته يشرف على كليات وجزئيات هذا الديوان ؟ وإن كانت طبعت بأمره ، فكيف يكون ذلك وصاحب الأمر موجود ؟ وبالجملة فالمطلوب كتابة تقرير مسهب عن تفصيل هذه المسألة ويكون ممضى بامضاء سعادته وإمضاء سعادتكم ، ولا يمنعكم ذلك من تعليق ملحوظاتكم وأرسلوا جميع ذلك إلى الجناب العالى ليطلع عليه فيرى رأيه فيه . »

أقربو وعصم عاصم باشا . وقد كان حسن عاصم باشا من الذين اهتموا بوفاة المرحوم الشيخ محمد عبده وساروا فى مشهده ، وعملوا على الاحتفال بتأبينه ، مما زاد فى حقن الخديو عليه . فأرسل لى سموه بامضاء محمد عثمان ما يأتى بتاريخ ٢٣ أغسطس : « اجمعوا لديكم حسين محرم باشا ويوسف ضيا باشا وراشد بك باشكاتب الخاصة وسعادة احمد خيرى باشا وعند اجتماعهم خاطبوا خيرى باشا بما يلى :

« إن الجناب العالى فى غاية العجب والاستغراب من جهة اهتمامكم بأشغاله الخصوصية والعمومية ، وميلكم إلى جنابه الرفيع وإظهار إخلاصكم لسدته السنية ومحبتكم الذاتية ، لأنه لا معنى لذلك مع ما أتم عليه من كثرة اجتماعكم فى مجالس أناس مفسدين مثل حسن عاصم (الذى سبق إقالته) ، فهل لكم علاقة كبيرة تجارية أو سياسية مع أصحاب هذه الجمعية ؟ فإذا كان الأمر كذلك فالجناب العالى لا يرى مانعاً من انفصالكم عن شرف خدمته واشتغالكم مع الشركة بكل جهركم وكال حريشكم مع أعضائها المحترمين .

وسبب إرسال هذه المذكرة بهذا الشكل هو عدم علم الجنب العالى بوجود أحد من الموظفين الأكابر الحائزين للرتب والنياشين والميداليات والوظائف السامية ، الحاصلين عليها سعادتك ، يسلك هذا المسلك الذى يأباه الدين والذمة وتبرأ منه الانسانية والمروءة .

أما مذكرات سعادته — التى أرسلها وعرضت — فلم يرد الجنب العالى تلاوتها ولا النظر إليها لأنه حفظه الله يعلم أنها مخشوة بالنفاق والتلق ، وليست صادرة عن إخلاص ومحبة كما يزعم سعادته ، ولذلك ضرب بها عرض الحائط ، وعليه فنبهوا على سعادته بعدم إرسال مذكرات ولا خلافها للجنب العالى حتى يشرف سموه ثغر الاسكندرية أو عاصمة ملكه .

ثم أفهموه أن الجنب العالى لم يرد بجمعه هذه الذوات المتلوة أمامهم هذه المذكرة ، إلا ليظهر لهم أنه لا تخفى عليه خافية من أعمال كبيرهم وصغيرهم ، وأنه يعلم المنافق منهم من المخلص ، وأنه يجازى من يخالف الرغبة السنية ويحيد عن الطريق السوى . بذلك كله صدرت الارادة السنية .

وقد جمعت هؤلاء المذكورة أسماؤهم وتلوت عليهم الرسالة المتقدمة وتقرر أن يكتبوا تقريراً باخلاصهم للجنب العالى ، وأنهم يتبرأون مما يذكره عنهم الدساسون ؛ وقدموا إلى هذا التقرير فأرسلته للخديو .

بعد العودة من أوروبا . عاد الخديو إلى الاسكندرية يوم ٢٧ سبتمبر وكان فى استقباله النظار ومعهم نائب المستشار المالى ؛ وقد تحدث سموه معهم فى عدة أمور تختص بسياحته ، ومن ذلك أن السلطان قال له : إنه متألم من الأرمن كثيراً ، وإنه سيقضى عليهم بعد عمـل التدبيرات اللازمة . وأضاف متهمكاً : وسرى ماذا تفعل الدول ؟

وقد جاءتني رسالة من بطرس باشا متعجباً ، كيف أن السلطان يفضى بهذا السر إلى الخديو ، ثم يذيعه الخديو حتى للانجليز ؛ وقال الباشا إن متشل إينس تحدث مع النظار فى هذا الموضوع بعد خروجه من عند الخديو .

قضى مصر وطالب السفر لاسكندرية . فى ٢٣ أكتوبر جاءتني برقية من مصطفى فهمى باشا هذا نصها : أرجو أن تبلغ الجنب العالى حالا بالبرق نص الآتى :

زارني كبير القضاة وأبلغني أن شيخ الاسلام أرسل إليه برقية يشير عليه فيها بناء على الارادة السلطانية ، بتعيين وكيل عنه والسفر إلى الاستانة ؛ فأجبت أنه باعتبار كونه من موظفي حكومة الجناح العالى ، يجب عليه أن يتقيد بالقانون فيما يتعلق بالأجازات . وخرج من غير أن يبدى إشارة تدل على أنه ينوى العمل بنصيحتي هذه . ثم كتب إلى نظارة الحقانية ينبهاً بأنه عازم على السفر ، وسترده الوزارة عليه اليوم أنه بتعيين عليه أن يقدم إليها طلباً قانونياً فيما يتعلق بأجازته ؛ وحيث إن لهذه المسألة شأنها وأهميتها كما لا يخفى على سموكم ولا بد أن يزور كبير القضاة سموكم قبل مغادرته القطر يوم الأربعاء القادم ، فقد بادرت إلى عرض الأمر على سموكم بتفصيلاته لتكونوا على بينة منه ؛ هذا وألفت نظر سموكم إلى مسألة تعيين وكيل لأن هذا التعيين من اختصاص حكومة سموكم وقد عاد القاضى فاسترد كتابه بناء على المسامحة التى بذلتها نظارة الحقانية ووعد بأن يقدم طلباً قانونياً .

وفعلا قدم القاضى طلباً لنظارة الحقانية يطلب أجازة عشرين يوماً . وفى ٢٤ أكتوبر قابل الخديو مستأذناً فى السفر ، وبارح الثغر إلى الاستانة . وفى ٢٠ نوفمبر أرسل يطلب مد أجازته إلى شهرين واعتمدت الحقانية ذلك ولكن فى ديسمبر صدر أمر السلطان بعزله وتعيين جمال الدين افندى قاضى مكة (*) بدلاً عنه ووصل القاضى الجديد إلى مصر فى ١٣ ديسمبر .

منصب القبول كخزائن . كان منصب نائب الخديوية فى تركيا لا يزال شاغراً فارسل الخديو يطلب إسناده لرشيد بك الذى سبق أن أشرنا إليه وإلى رسائله السياسية . وفى ٢٥ أكتوبر جاءت برقية من الباشكاتب ، بأن جلالة السلطان لا يستحسن تعيين رشيد بك ، نظراً لأنه سبق له الفرار من الاستانة ؛ وإنما يرتاح لتعيين محمد بك عزت رئيس الديوان التركى ؛ ولكن الخديو لم يوافق وكذلك لم يرغب عزت بك ، وكتب للسلطان بأن تعيين رشيد بك إنما بصفة معاون فقط للقبول ككتخدا .

تعيين مفتي جريد . وفى ٥ نوفمبر كلف الخديو بطرس باشا بالتوجه إلى كرومر لمحدثته فى شأن تعيين الشيخ حسونة النواوى خلفاً للشيخ عبد القادر الرافعى الذى توفى

(٥) وتعين بعده يحيى افندى عبد الرحمن فاضل ثم ليلى افندى الأرنؤوطى وأخيراً السيد محمد نورى افندى إلى أن ألغيت وظيفة قاضى مصر فى سنة ١٩١٤ عند نشوب الحرب الكبرى .

بعد أن مكث مفتياً يومين فقط ومات بالفالج؛ فسأل بطرس باشا عن اسم آخر احتياطاً
 لكي يرشح إذا لم يقبل الشيخ حسونة، فاختار الخديو الشيخ بكري محمد عاشور الصديقي.
 ولما قابل اللورد رضى بالشيخ حسونة؛ وكذلك وافق مصطفى فهمي باشا بعد
 أن علم بموافقة كرومر؛ ولكن المستشار المالي توقف لأن ابراهيم فؤاد باشا أخبره
 أنه لا يصلح للافتاء إلا الشيخ الصديقي؛ وبهذا تم تعيين الشيخ الصديقي. وقد شكك
 مصطفى فهمي باشا بهذه المناسبة لكرومر من تدخل بطرس باشا في مسألة ليست من
 اختصاصه والمقصود بهذه الشكوى أن يعلم اللورد أن الخديو لا يثق به، لأنه مقرب
 لدى الانجليز.

سنة ١٩٠٦

مسألة طابا . تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية . سفرى لاستانة
لانتهاء المسألة . احتجاج الحكومتين المصرية والانجليزية الرسمية . بلغ انجلترا
النهائى . تعيين أعضاء اللجنة ومحمد بن الخوص . ملك الانجليزية مانق على عباس .
ولى عمر انجلترا فى مصر وخطاب البكرى لـ .
الخديو فى الاستانة . عود الى دسائس الاثرهر . وفاة البرنس محمد ابراهيم
وعبد الدين . وشاية بعقبها انقاص مرتبى . هادئة دنسواى . الخديو والنظار
والانجليزية . تأسيس شركة لبتندار والاستاندارد . مسألة الرتب أيضاً .

مسألة طابا . أسلفت أنه لما تولى عباس ، أرادت تركيا إخراج سينا من فرمان
التولية فعارضت انجلترا ، وانتهى الخلاف بأن بقيت إدارتها فى يد الحكومة المصرية .
وفى يناير أصدرت الحكومة أمرها إلى براملى بك مفتش جزيرة سينا بوضع
خفر من البوليس فى نقب العقبة لمراقبة الحدود منعاً لتهريب الأسلحة ، فلم يسمح له
اللواء رشدى باشا قائد الحامية التركية بالعقبة بذلك ، فرجع وأخطر الحكومة التى
طلبت من السلطان تعيين لجنة من الأتراك والمصريين لتحديد التخوم بين سينا وسوريا ،
فلم يحرك ساكناً .

عند ذلك أرسلت الحكومة المصرية بلوكا من العساكر النظامية مع الأميرالايين
سعد رفعت بك قومندان سينا وبراملى بك ، على الوابور نور البحر لاحتلال وادى طابا
فزلوا بها رغم معارضة الأتراك .

وفى ١٠ يناير وردت برقية من الصدارة للخديو هذا نصها : و علمنا من جواب



الأمير اللى سعد بك رفعت



الأمير اللى براملى بك

اللواء رشدى باشا، أن الأمير اللىين سعد بك رفعت، وبراملى بك الانجليزى المرسلين من طرفكم على الوابور نور البحر إلى طابا، أنزلا هناك خمسين جندياً نصبوا لهم معسكراً صغيراً. وأنه بالرغم من أن أمير اللواء رشدى باشا أفهمهما بأنه لا محل لاقامتهم تجاه القره قول العثمانى فانهما أصرا على رأيهما ومن حيث إن هذه الحال ربما جاءت بنتيجة قد لا تتفق مع الرضاء العالى ومن حيث إنه يفهم أنكم لم تعطوا الآن تنبيهات من قبلكم فترجو حيتكم وديانتكم المسلم بهما العمل بسرعة على ملافاة هذه الحالة .

فاستدعى الخديو بطرس باشا، وتفاهم معه فى الموضوع واجتمع بطرس بعد ذلك بالنظار، ثم تقرر بعد أن صدر الأمر بسحب القوة المصرية إلى جزيرة فرعون الرد على الصدر بالتالى : د من القديم فان موقع طابا تحت إدارة الحكومة المصرية . ومن الثابت أن التلغراف الوارد من مقامكم السامى يوم ١١ رمضان سنة ١٣٠٩ — ٩ أبريل سنة ١٨٩٢ بخصوص شبه جزيرة سينا يقرر حفظ الحالة على ما كانت عليه ومن حيث إن قومندان العقبة يمانع فى وجود العساكر المصرية هناك فى حين أن الغرض من وجودهم هو منع تهريب الأسلحة، ولكن منعاً



جزيرة فرعون

لسوء التفاهم أمرنا بسحبهم، ومن حيث إن ثقتى بأن هذا لا يرضى صاحب الجلالة الخليفة، خسماً لهذه المشاكل ومنع تكرارها، أرجو تعيين مندوب من قبلكم ليتفق مع المندوب المصرى على تعيين الحد الفاصل وبذلك لا يقع تعرض آخر لاقامة العساكر المصرية الذين

تقضى الضرورة بوجودهم .

لجاء الرد من الصدارة العظمى في أواخر يناير بما يأتي : « لعدم وجود خلاف بنقطة طابا المجاورة للعقبة فلا محل لتعيين خط فاصل ، ونرجو بذل هممكم في منع الخطر الذى يحدث من إنشاء نقطة عسكرية هناك . »

وبناء على هذا الرد أرسلت المدرعة « ديانا » إلى طابا في ١٧ فبراير لمنع العساكر التركية من التوغل في سيناء وللحفاظ على القوة المصرية بجزيرة فرعون وعدم احتلال الأتراك لها . وفي ١٨ منه تزاور قومندانها مع اللواء رشدى باشا .

وفي ٢٢ منه وردت برقية من الصدارة جاء فيها : « بما لا شك فيه أن حوالى العقبة هو تحت إدارة السلطة السنية وأيضاً فإن المقاطعة المصرية هي من الأجزاء المتممة للممالك الشاهانية ولا حاجة لتعيين مندوب لاقامة خط الحدود ؛ وبالرغم من أنه كان يلزم صرف النظر عن إنشاء القرة قولات العسكرية التي أرسلنا عنهما برقيتين ، فقد علينا أخيراً مع الأسف بإرسال مدرعة من طرفكم إلى طابا . وإرسالها لا يتفق مع سابق إشعار نخامتكم . ومن هنا تحدث مسألة لا موجب لها قد تكون منافية لصداقة التبعية ، إذا فرض وأزيلت المدرعة العساكر وأقامت نقطة هناك فنرجو خاصة سحب المدرعة . »

تقرير هام من مختار باشا للحكومة المصرية . بعد ذلك قدم الغازى مختار باشا إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية تقريراً مطولاً عن المسألة ثبته بنصه لأهميته : « قبل الدخول في ماهية الحادثة نبين وجهة نظر الدولة العلية فنقول إنه في ١١ كانون ثانى سنة ١٣٢١ رومى تسلمت برقية سامية من استانبول بناء على المعلومات الواردة عليها من قومندان العقبة جاء فيها : إن الإدارة المصرية شرعت في إحداث نقط عسكرية في جهات متعددة بين العقبة والعريش وأنه صار مخافة قومندان العقبة بمنع الانشاءات المذكورة وأخطرت الخديوية المصرية تلغرافياً بصرف النظر عن أمثال هذه المنشآت ، ذلك لأن الدولة العلية لا يمكنها السماح بإنشاءات عسكرية في نقط كان متروكا لإدارتها لمصر بصفة مؤقتة . وبناء عليه لما زرت الخديو وأكدت له المسألة ، قال لى بأنه أرسل تلغرافاً إلى نخامتكم بأن التدابير المذكورة كانت لتدعيم النظام في تلك النقط ، ولأنه لم يسبق تعيين الحدود فانه طلب في تلغرافه المذكور إرسال مندوبين لتعيين الحدود . وبعد ذلك سمعت بأن قومندان العقبة أخطر مأمورى مصر بعدم القيام بعمل أى منشآت هناك ، وأنه على الرغم من هذا الاخطار فقد علم بحصول الانشاءات . لذلك أرسل قوة

عسكرية لهدم ما استحدث ومنع العمل ؛ وعند وصول القوة تصادف وصول الوابور نور البحر وإخراجه خمسين نفرأ من العساكر للقيام بعمل الانشاءات ، ومن هذا الوقت حصل الخلاف الذى ما زال مستمراً . ولازالة هذا الخلاف يجب إيضاح ماهية المسألة فى تفسير علاقات مصر بالدولة فنقول :

التصرفات الملكية لمصر وإدارة أمورها الداخلية : كانت مصر من القديم فى قبضة الدولة وكلما دعت الحاجة تعين من قبلها والياً عليها لادارة شئونها الداخلية لأنها من الأجزاء المتممة للدولة .

ولكن لسبب من الأسباب فإن والى محمد على باشا قام ضد الدولة وانتصر عليها . وكان من أثر ذلك تصديق مندوبى انجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا على حصول محمد على باشا على فرمان العالى رقم ٢ ربيع الآخر سنة ١٢٥٧ الذى جاء فيه . . . أبقى فى عهدتكم بطريق الامتياز إدارة الخططة المصرية المحدودة بحدودها القديمة المعينة بالخريطة المختومة بخاتم الصدارة ، مضموماً إلى ذلك الوراثة وشروطها أنه كلما خلا محل والى يكون إسناد الولاية لأولاده وأولاد أولاده الذكور ؛ الأكبر فالأكبر ويكون تعيينهم بمعرفة الدولة العلية .

وفى حين انقراض الذكور يكون التعيين من حق الدولة وليس لأبناء الاناث حق فى منصب الولاية . . . الخ . . . وفى هذه العبارة ثلاث نقط مهمة .

أولاً : الخريطة المذكورة ، وعندى صورة منها ، وهى تحدد مصر شرقاً من العريش إلى السويس بوصل خط مستقيم يبق فى شرقه أراضى ولاية الحجاز وسورية .

ثانياً : كلمة إبقاء التركية ، معناها أن مأموريته هى بحسب القديم ، أما إدارة مصر الداخلية فهى تحت قيود معينة منها امتياز الوراثة ، أما حق التصرفات الملكية فهى بمثابة سائر الايالات الشاهانية (أى كما كانت فى قبضة الدولة العلية) .

والدليل هو أولاً : إنه عند انقراض الذكور ترجع الى الدولة أمور الادارة وثانياً : سكان مصر هم تابعون للرعاية العثمانية وثالثاً : أن ليس للخديوية مناسبات سياسية مع الدول الأجنبية ورابعاً : قوتها العسكرية معدودة من القوة العمومية العثمانية . وأمثال ذلك لا يجعل فى الملكية من فرق بين مصر وسائر الولايات الشاهانية . وفقط إدارة الأمور الداخلية تدخل تحت القيود الموضوعه للامتياز وصاحب هذا الامتياز هو المرحوم محمد على باشا ومن بعده حسب قاعدة الوراثة لواحد من أولاده وأحفاده

الذكور . وخلاصة القول أنه عند العودة لكلمة (مصر) يرد على الخاطر تصرفات الملكية والادارة الداخلية ؛ فالكلمة الأولى دائماً محفوظة في قبضة الدولة ، والثانية هو أنه في دائرة القواعد المرسومة يكون من ورثة محمد على باشا خديو يحمل رتبة الصدارة .

طريق الحج : قديماً كان طلب والى مصر التصريح له باستخدام موظفين مصريين وعساكر مصرية للمحافظة على طريق المحمل الذى يمر بطورسينا والعقبة ومدائن صالح ، ودام هذا الحال خلفاً بعد سلف إلى ما قبل ١٥ سنة . ولما صار البدء بارسال المحمل المصرى بحراً من السويس لم يبق من لزوم لطريق البر فالدولة رأت أن تربط إدارته بولاية الحجاز ، وعلى هذا كانت حدود مصر تبتدىء من الوجه وبعده ضبا وموئيلح . وبعد تولية الحضرة الخديوية صار استرداد العقبة وصار ترك شبه جزيرة طورسينا لمصر بصفة حدود (بمقتضى تلغراف) يستبان منه هذه التفصيلات : أن الدولة بحسب قرار الدول المعين فيه الحد من العريش إلى السويس هو عبارة عن جزء الحق بناء على لزومه إلى الخريطة المصرية ، ولزوال الحاجة صار استرداد قسم منه وبقى شبه جزيرة طورسينا إلى إدارة مصر تحت استرداده عند اللزوم . لهذا لا يمكن قبوله بصفته حدوداً وإن قيام الادارة المصرية بالانشاءات عسكرية فيه مخالفة ظاهرة كالشمس .

العساكر الشاهانية الموجودة بموقع طابا ، هى للمحافظة على هذا الحق وفى قسم من ممتلكات الدولة كان ملحقاً بمصر على سبيل الأمانة ؛ وقد يستخلص أيضاً أن التصرفات الملكية فى مصر هى بيد الدولة مثل تصرفاتها فى باقى الولايات وليس فى الأمر معاهدة مبرمة عن طريق أجنبي فالدولة باعتبارها صاحبة الالحاق لها كذلك حق الاسترداد ، خصوصاً وأن الأراضى المتحدث عنها خارجة عن القرار الدولى .

لهذا فهى فى كل وقت خاضعة لما هو جار لسائر الولايات .

فاذا قيل بفرض أن هذه الأراضى بموجب التلغراف رقم ٧ أبريل سنة ١٨٩٤ بقيت لمصر ، كما صار لإبلاغ بعض الدول ، فالجواب هو أن التبليغ لم يتضمن الالحاق وليس هناك صراحة قطعية بذلك بل على العكس فإن كلمة إبقاء التى ذكرت فى البلاغ لبعض الدول تفيد المحافظة على الحدود القديمة وهى بمثابة إعلان فقط بأن مصر هى المرجع فى كل ما يتعلق بهذه النقطة .

لذلك لم نفهم السبب الموجب للحدة والاعداد الحاصل من جراء منع الانشاءات العسكرية ، وعدم قبول تعيين الحدود فى أرض تركت لمصر مع قابليتها للاسترداد ،

مع كون ذلك من الحقوق الصريحة للدولة وعلى الخصوص التهديد الواقع بارسال الوابور البحرى ديانا قد يفهم أن مصر ظنت أن لها الخط المرسوم بين العقبة والعريش ، ولكن الحقيقة أن النهاية لشبه جزيرة طورسينا وقنال السويس وخليج العقبة من الشمال والخط الواصل منها الى الجنوب يتشكل منها قطعة مثلثة .

وإن هذا الخط هو حدود بين الدول — فادارة المثلث المتخلف من هذا الخط بين العريش والسويس وإن كانت لولاية الحجاز إلا أنه صار السكوت عليها الى الآن . على أن تطور مسألة العساكر الشاهانية وتهديدهم فى موقع طابا إن هو إلا حق صريح للدولة جعلها مجبورة للبحث فيه .

وفى الواقع كذلك أن الخط الممتد من العقبة الى العريش وإن كان بشكل شبه جزيرة كبيرة وأن النهاية الشمالية للخليج مع إيصالها بالخط المتقدم يتشكل منها منطقة صغيرة هى طورسينا وأن كل خليج من خلجان هذه المنطقة يعرف باسمه الخاص .

بناء عليه يجب العلم بأنه من حق الدولة العلية فى كل يوم إرسال عساكرها لغاية جبهة السويس .

موقع طابا المختلف عليه والداخل فى شبه الجزيرة إن كانت إدارته تركت لمصر فان مرور فرع خط السكة الحديد الحجازية من العقبة يجعل منه ميناء بالخليج وأن سواحل الميناء لا تكون فى يد إدارتين . ومع أن الملكية للدولة فان كل ما هناك هو عبارة عن ساحة جبلية صخرية لا تنفع بشئ . وإن ترك إدارتها للدولة لن يضر ذلك لمصر فى شئ .

وحيث إنه لم يكن لدولة انجلترا أى مناسبة فى موقع طابا فليس لوجود الباخرة ديانا أى معنى لأية شكوى خفى الكلام هو لسمو الخديو وحده فلذلك يرد على الخاطر بأن سموه هو العامل على وجود هذه السفينة هناك .

وحيث إنه من أهم وظائف الخليفة المعظم تأمين سلامة طريق الحج ، وكان أمر المحافظة يقوم به ولاة مصر إلا أنه من بعد سيكون جلالة الخليفة مجبوراً على القيام به . فأعرض لفخامتكم الكيفية رجاء أن تفضلوا بمطالعة الشئ فى وقته .

ولما اطلع الخديو على هذا التقرير تباحث ومصطفى فهمى باشا وبطرس باشا فيما جاء به . وبعد مخاضرة الأخيرين للورد كرومر قدما لسموه تقريراً منه بوجوب حفظ

حقوق مصر في سيناء ؛ وبعد المناقشة فيه عدلت عباراته الشديدة . وفي اليوم التالي بعث سموه برسالة سرية للصدارة هذه ترجمتها :

« بناء على التلغراف الوارد أخيراً من نخامتك حصلت محادثتنا مع صاحب الدولة مختار باشا بحضور رئيس مجلس النظار وناظر خارجيتنا ، وكان من الطبيعي الرد على جوابه في اليوم التالي .

فحضر لدينا في اليوم التالي الرئيس مع ناظر الخارجية ، وعرفا بأن تقرير دولة مختار باشا لا يمكن قبوله لما فيه من تجاوز لحقوق مصر الممتازة ، وقدما إلينا تقريراً بهذا الصدد ، وقالوا بوجوب إرساله إلى الباب العالي ؛ فبعد محو وإثبات فيه قبلناه منهما مع الاضطرار والأسف ، لأن الرفض قد لا يمكن توفيقه مع موقفنا ولا أرى من حاجة للايضاح .

ماهية هذا التقرير هو أن الحدود المصرية في شبه جزيرة طور سيناء تنتهي بالعقبة ، ويدخل في هذا التحديد موقع طابا ؛ ذلك لأنه بورود تلغرافكم السامى مع فرمان الأخير كانت نظارة خارجيتنا بينت الحدود المصرية بناء على طلب اللورد كرومر فيما مر ، وهذا هو سبب الاحتجاج الواقع الآن .

ولما كان هذا التقرير مغايراً بالمرّة لآرائى وأن صداقتى ووجدانى لا يقبلان كتمانته ، وكنت أيضاً مجبراً على تقديمه ، فقد فعلت ذلك بعد محو وإثبات ، تاركا تقدير الواقع لشرف نخامتك .

وحيث إنه من ضمن الأغراض الخفية ، التى يعمل بعضهم عليها ، تصويرى في نظر متبوعى المعظم بصورة أخرى ، لكننى أمين بأن حالى ومقالى يحولان دون ذلك . أما فيما يختص بطريقة حل وتسوية هذه المسألة فانه جاء في خاطرى أن يكون رد نخامتك على التقرير المذكور بما يأتى :

إن التفسير والايضاح هما من حق صاحب الأمر والفرمان دون سواه . وعلى كل حال فانه من الأمور المسلم بها أن الدولة التى تترك مؤقتاً لجهة من جهاتها أمر إدارة جهة ، لها عند اللزوم والحاجة أن تستردها فيقال في هذه الحال :

قضت الضرورة بالحاق الجهة الفلانية بصورة قطعية إلى ولاية الحجاز ، والحدود

المصرية تعتبر من نقطة كذا ، ويكون تلوغرافكم بصورة قطعية بغض النظر عن جوابنا الذى نص فيه على عدم القبول . هذا على ما أظن هو الحل .

وحيث إنه ثابت من تحريات الخصوصية أنه ليس ثم من حق سياسى ولا من سبب للتطور فأنى كفيفل بأنه لا يمكن تدخل أى طرف آخر .
وعلى أثر وصول هذه الرسالة السرية للاستانة جاء الرد بما يأتى :

« كان قد صرح للادارة المصرية بايجاد عساكر بقدر اللزوم فى الوجه ومويلح وطابا والعقبة وبعض مواقع من شبه جزيرة طورسينا وسواحل الحجاز بسبب إرسال المحمل المصرى بطريق البر كما هو فى علمكم السامى .

وبما أن هذه المواقع لم تدخل فى خريطة التحديد المصرية المرفقة مع فرمان الصادر إلى المرحوم محمد على باشا فى سنة ١٢٥٧ هـ ، ولمساس الحاجة أعيدت الوجه أولا وبعدها طابا ومويلح والآن العقبة إلى ولاية الحجاز .

أما شبه جزيرة طورسينا فقد صدرت الارادة الشاهانية بالمحافظة على الحدود الممنوحة إلى محمد على باشا وجدكم اسماعيل باشا ووالدكم كما كانت من قبل .
ثم وردت رسالة خاصة من الباب العالى للتخديو هذا نصها :

« أنشرف بأن أعرض لسموكم أن إشعار نخامتكم المتضمن إعادة موقعى طابا والمويلح إلى إدارة ولاية الحجاز وتبليغاتكم الفخيمة فى شأن طريق الصدق والاخلاص الذى اتخذتموه مع الباب العالى ، قد استوجب حصول التقدير والمحظوظية لدى مولانا ملجأ الخلافة ، وبحسب ما أمرت به أبشر نخامتكم بسلام الحضرة السلطانية العالى .

وعلى حسب إشعار نخامتكم قد أجرينا التنبهات على من لزم لأخذ موقعى طابا والمويلح تحت الادارة مباشرة .

أما موقع العقبة فإن فرمان العالى الذى أعطى إلى المرحوم محمد على باشا فى ٢ ربيع آخر سنة ١٢٥٧ كما أنه مندرج به جملة الأيالة المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة المشروحة فى الخريطة التى أرسلت فى ذلك الوقت مختوم عليها بختم مقام الصدارة .

كذلك كافة فرمانات العالوية التى أعطيت إلى مصر كان معطوف فيها حدود مصر على فرمان العالى المبين أعلاه .

وحيث لا بد أن يكون الفرمان العالى المذكور والخريطة المنبأ عنها موجودين ومحفوظين هناك ، فطلبهما والاطلاع عليهما لا شك أنه يزول التردد الحاصل لدى نخامتكم فى هذا الخصوص .

ثم بناء على أن إعادة ارتباط موقع العقبة فى الوقت الحاضر إلى ولاية الحجاز هو من أهم وألزم الأمور ، والهمة الجليلة التى تقع من نخامتكم فى هذا الباب تستلزم محظوظية على انفرادها لدى الحضرة الشاهانية صار ينتظر من انتساب وعبودية نخامتكم المسئلة للاعتاب العلية حصول نهو هذا الأمر بدون إعطاء فرصة لتمكن المداخلة الأجنبية واستكمال الأسباب السريعة لاعادة ارتباط موقع العقبة بولاية الحجاز كما تقتضيه شيمتكم الجليلة المنطوية على العلم بدقائق الأمور .

هذا وقد أمر حضرة احمد مختار باشا باعطاء الايضاحات المقتضية لذاتكم السامية فى هذا الخصوص افندم .

سفرى الاستانة لزمراء المسألة . عند ذلك تقرر سفرى فى معية الوالدة وسافرنا من القاهرة فى ١١ أبريل ومعى ملف بصور جميع المكاتبات والوثائق المتعلقة بمسألة طابا .

تعليمات الخديو : وكانت التعليمات التى أعطيت لى أن أقول فى السراى إن الجنب العالى بذل كل ما يستطيعه ولا يزال على ولائه للسلطان ، وأن أقابل سفير إنجلترا ؛ ولكن لا أبوح له بالمكاتبات السرية ؛ وكنت قد استشرت بطرس باشا قبل السفر فيما إذا طلب السفير محادثتى فهل أحادثه فى شئ . فأجاب بأن لا مانع وأنه سيخبر كرومر بذلك .

السفر : وركبنا الباخرة « برنس عباس » وفى ١٥ منه وصلنا الاستانة فجاء القزلباغلى والفريق حسنى باشا للسلام على دولة الوالدة من طرف السلطان .

فى المابين : وقد ذهبت على الأثر إلى يلدز ، فلم أجد رئيس الكتاب ، فتوجهت إلى نوري باشا وسلمته الوثائق ورجوته عرض احترام وإخلاص الخديو للسلطان ، وتقبيل الاعتساب من طرفى ، فدخل ثم عاد بشكر الخديو والسلام لى ؛ وقال لى إن جلالاته أمر بحضورى غداً عند رئيس الكتاب .

وقد ذهبت فى الميعاد المحدد فسلمت على تحسين باشا وأبلغته تحية الخديو ؛ ثم دخل على السلطان وعاد فأبلغنى أن جلالاته متأكد أن سمو الخديو يعاضد الرغبات السلطانية فى مسألة العقبة ، وأبدى ملاحظات ومعلومات تؤيد أن طابا من أراضى

الدولة ، وكلفني أن أكتب للخديو بذلك ثم قال : « إن مختار باشا أرسل يطلب أن تبعث الدولة برقية معينة للحكومة المصرية فلم يوافق السلطان عليها وفضل أن تحل المسألة بمعرفة الخديو . »

زارني للصدر الأعظم : وفي ١٦ أبريل قابلت فريد باشا الصدر الأعظم فرحب بي . وقد قال لي مثل ما قاله تحسين باشا من جهة السلطان وعن مسألة العقبة . ثم أضاف بأنه كان الوحيد الذي دافع عن الخديو حتى اتهمه السلطان بالتحيز له ؛ ولكنه اقتنع أخيراً باخلاص عباس وبأن من صالح الدولة أن يكون التابع والمتبوع على وفاق ، لا سيما والخديو رجل مخلص وصادق الاسلام ومحب للدولة والسلطان ؛ ثم كلفني أن أخبر الجناب العالي بأنه سيدخل كل مجهود لمعاونة سموه في الاستانة في المسائل الرسمية ، وأنه ينصح أن تكون المراسلات الخاصة بالعقبة للسراى رأساً وأن الانجليز أميل الآن إلى التساهل في الموضوع .

حدثني مع سفير إنجلترا : وفي ١٧ منه قابلت سفير إنجلترا ودار بيننا الحديث حول مسألة العقبة ، فعلت منه أنه في ابتداء المشكلة طلب إلى الباب العالي إخلاء طابا وبعدئذ تدور مفاوضات لحل المشكلة ؛ وكان الباب العالي عازماً على القبول ، ولكن ثبت أن الأتراك ينوون احتلال جزيرة فرعون لولا إرسال العساكر المصرية واحتلالهم إياها ؛ وقد هددهم الأتراك باخراجهم بالقوة إلا أن حضور المدرعة الانجليزية ديانا حال دون ذلك ، وأن الباب العالي كان قد عين اثنين من الضباط للتفاهم في مسألة الحدود ولكنهما عادا للاستانة بعد مقابلة الغازي لها .

ويعزى تغيير خطة الباب العالي في التمسك والتشدد إلى الغازي مختار باشا وأحمد عزت العابد باشا .

وقد فهمت من حديثه أن دولته متمسكة بوجهة نظرها وهي إخلاء طابا من الجنود الأتراك ، وذلك عكس ما فهمت من الصدر الأعظم عن خطة إنجلترا . وقد قال لي السفير : « إن هذه المسألة لو سلمنا فيها للباب العالي فإنه يتدخل بعدها في كل شيء . » ثم تحدث معي في أن الصحف المصرية عدا المقطم تناصر الباب العالي وتساءل عن السبب في ذلك ، فأجبت بأن اللواء — لسان حال مصطفى كامل وجماعته — متصلة بالغازي فتبدأ بنشر آرائه وتتبعها الصحف الأخرى ، فليح لي بأنه يجب القيام بعمل شيء لتدارك هذا التيار الضار .

ثم قابلته في اليوم التالي في مأدبة عند سفير إيران فقال لي : « إنه ينتظر النتيجة كمتفرج مثل أبي الهول ! أو جريدة اسبكتاتور الانجليزية ! »

وفي ٢٢ أبريل ورد لي من مصر كتاب باسم الصدر الأعظم ، وكتب لي عزت بك بأن أحمله إليه بنفسى ، وأخبرني أن الصدر كان قد أرسل برقية لمصر خاصة بنتيجة المخبرات مع مختار باشا ، فأرسل الرد عليه في صيغة غير لائقة ، واضطر الخديو أن يجارى رجال الاحتلال في قبول هذه الصيغة ، وهو يأسف لذلك ويكلفني إبلاغه للصدر شفاهاً فضلاً عن أن سموه كتب له تقريراً بالأسباب التي دعت إلى أن يكون الرد بهذه الصيغة والتقرير مرفق بالرد .

وقد توجهت للصدارة في اليوم التالي فسلمت الرسالة للصدر ، وبينما كان يقرأها دخل شخص لا أعرفه فبدأ على الصدر الامتعاض لوجوده وثني جانب التقرير حتى لا يرى ما فيه ، ثم قال لي بالفرنسية : « أخبر الجناب العالى أننا نجرى اللازم الآن لانتهاء مسألة طابا ويلزم أن يساعدنا . » فقلت له : « إن بطرس باشا ينتظر المعونة في مسألة الدير بالقدس . » فأجابني : « عليه مساعدتنا في مسألتنا ، وعلى أن أرضيه تمام الرضاء . » ثم خرجت .

وقد قابلت زمبازكو باشا فعلمت منه أن الباب العالى سيعمل على حل المشكل بصفة ودية ، يعنى أنه سيتساهل في موقفه ، ففهمت معنى ما قاله لي الصدر من أن المسألة في طريقها للحل .



القومندان ويموث

امعجاج الحكومتين المصرية

والانجليزية الرسمية . بعد ذلك جاءني نبأ بأن الأتراك أرسلوا نفراً لاحتلال رفح . وفعلاً أزالوا عمودى الحدود ونصبوا الأعمدة التركية محل أعمدة التلغراف المصرية فصدرت الأوامر بقيام المدرعة مينرفا وعليها قومندانها ويموث معتمداً من قبل الحكومة البريطانية ونعوم بك شقير معتمداً من قبل الحكومة المصرية ، فلما

وصلت المدرعة في ٢٨ أبريل أرسل قومندانها إلى قومندان العساكر الشاهانية ما يأتي :
« قومندان العساكر الشاهانية برفح . بعد السلام أكتب إليكم هذا لأخبركم أني
جئت مندوباً من قبل الحكومة البريطانية لمقابلتكم بشأن خط الحدود ويمكنني الانتظار
هنا ساعتين فقط فاما أن تأتوا إلى أو أذهب إليكم ومعنى نعم شقير بك الذي حضر
مندوباً عن حكومة مصر وأرجو أن تسكروا بالزرد حالا مع رافعه . واعلموا أن
مأموريتنا هذه هي مأمورية ودية سلمية ويمكن انتهاؤها بمقابلة قصيرة . فلنلم يحضر رغم
الانتظار أرسل المعتمدان إليه هذا الاحتجاج :



عمودا الحدود برفح

« حضرة قومندان العساكر الشاهانية
برفح . نعلم حضر تكم أننا انتظرنا خمس ساعات
في بيت التلغراف تجاه معسكركم لأجل مقابلتكم
فلا حضرتم ولا أرسلتم جواباً ، فعدنا إلى
الوابور وقد لاحظنا أن عمودي الحدود اللذين
كانا قائمين عن جانبي السدرة التي عسكرتم
بقرها قد رفعا من مكانهما ولا حظنا أيضاً أن

عمد التلغراف المصرى من خط الحدود إلى طريق بئر رفح قد بدلت بعمد أخرى ،
فبالنيابة عن الحكومة المصرية والحكومة البريطانية نحتج على فعلكم هذا احتجاجاً شديداً
ونطلب أن تعيدوا عمودي الحدود وعمد التلغراف إلى أماكنها وتحافظوا على الحدود
المقررة وترسل نسخة من كتابنا هذا إلى رجال الحل والعقد من المصريين والانجليز
في مصر وإذا أجبتم مخاطبتنا فالطراد لا يسافر من ميناء رفح قبل صباح الغد الثلاثاء
الساعة تسعة أفرنجى . »

وفي اليوم التالى حضر القومندان وقابل نعم شقير بك وقال له : « بما أنك معتمد
الحكومة المصرية فأني أفأوضحك ولكن الكبتن ويموث معتمد الحكومة البريطانية فاني
أستقبله كزائر . » ثم أفهمه نعم بك أن هذه الرسالة هي احتجاج رسمي ؛ وحفظاً
للمسالمة عليه أن يكتب لحكومته بتعيين لجنة مختلطة من أتراك ومصريين لتعيين حدود
طابا والعقبة .

بلغ انجلترا النهائي . وفي ١٢ مايو سمعت إشاعة مضمونها أن انجلترا
أرسلت أسطولها إلى بيرة للقيام بمظاهرة بحرية ضد الدولة بخصوص طابا وأنها أرسلت

للدولة إنذاراً باخلاصها ، ولم أستطع التأكد من صحة هذه الاشاعة تماماً فقابلت السفير الانجليزي فأعلمني أن انجلترا لما رأت أن في قبول مطالب تركيا خطراً على حرية القنال ومصر والعائلة الخديوية أو عز وزير خارجيتها السير ادوارد جراى إليه فرفع إلى الباب العالي بلاغ حكومته النهائي بتاريخ اليوم يدعوه إلى إجابة مطالب انجلترا في عشرة أيام وهذه المطالب هي ١ - إخلاء طابا ٢ - عود عساكر رفع إلى حد هم ٣ - إعادة عمودي الحدود في رفع إلى مكانهما .

وقال لي إن السلطان صرح له بأنه لم يكن يعلم أن مسألة طابا قد تخرجت إلى هذا الحد وأن جلالته لما علم أمر بقبول وجهة النظر الانجليزية بشأنها .

وفي ١٤ منه بعث توفيق باشا الصدر الأعظم الذي خلف المرحوم فريد باشا الرسالة الآتية إلى السر نيقولاس أوكونور السفير الانجليزي بالاستانة : « تشرفت بالمذكرة التي تكرمتم بارسالها إلى في ١٢ الجاري بشأن احتلال طابا وقد قر الرأي على أن الضباط أركان حرب الموجودين الآن في العقبة والموظفين الذين يتدربون من قبل سمو الخديو يملكون معاً على الأمكنة اللازمة ليجروا التحريات الفنية على مقتضى القواعد الطبوغرافية ويعينوا على خريطة النقط الطبيعية التي يكون بها ضمان الحالة الحاضرة وبقاء القديم على قدمه في شبه جزيرة سيناء وأن يرسموا خطاً للحدود يبتدىء من رفع بقرب العريش ويتجه جنوباً بشرق على خط مستقيم تقريباً إلى نقطة على خليج العقبة تبعد على الأقل ٣ أميال من العقبة وبذلك تكون الرغائب التي أبدىتموها سعادتكم في رسالتكم المشار إليها قد تحققت تماماً — هذا ونسأل سعادتكم أن تبلغوا ذلك إلى لندن ونأمل أن حكومة جلالة الملك ترى بذلك برهاناً جديداً على رغبتنا الشديدة في دوام حفظ العلاقات بيننا على دعائم المودة التامة وأن في إبداء حكومة جلالته تمام ارتياحها لذلك دليلاً على القيمة التي تعلقها على حفظ وتوطيد العلاقات الحسنة الكائنة لحسن الحظ بين الحكومتين — أفندم .

الامضاء توفيق »

وقد أرسلت للخديو رسالة بتاريخ ٢٨ مايو جاء فيها : « انتهت مسألة طابا ، ولكن الجميع ساخطون هنا على الغازي مختار باشا وبالآخص السلطان والصدر وناظر الحرية وقد سمعت أحد النظار يقول إن مختار باشا خدم صالحه الشخصي بأخذه سراى نمرة ٣ ولم يفكر في خدمة الدولة ، والصدر يقول إن الدولة العلية لم تتخبر حتى اليوم بصفة رسمية مع انجلترا بشأن مصر ، ولكن سياسة مختار باشا اضطرتها للخبرة في مسألة طابا ولا يخفى ما في ذلك من النتائج الضارة بتركيا ومصر .

وبالاختصار فالرأى العام هنا تهيج ضد الغازى وراض عن خطة الجناح العالى لدفاعه عن مصالح الدولة والدين رغم حرج مركز سموه . وقد ظهر لسيدى مما سبق عرضه أن سكوت الانجليز لم يكن إلا ظاهرياً وأنهم ضغطوا على الدولة عند اللزوم للحصول على غايتهم ، لأنهم يعلمون أن سياسة الدولة فى كل المسائل كانت تشديداً ثم تفريطاً كما حدث مع كثير من الدول .

وقد حدث فى الأيام الأخيرة أن وابوراً بخاريأ ألمانيا كان بمياه البسفور فضبطه رجال الدولة أمام باشا بفعجه بحجة فارغة ، فاحتاط السفير لهذا التصرف وركب فى هذا الوابور ورفع فوقه العلم الألمانى ، وأمر قومندانيه بالسير فلم يتعرض له أحد ، وهو الآن يطالب بمبلغ سبعائة جنيهه تعويضاً عن العطل والاضرار . فهكذا أحوالنا هنا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تعيين أعضاء اللجنة ومدير الخوص . بعد ذلك عدت إلى مصر فوصلتها يوم

٢٨ يونيو . وصدر أمر الباب العالى إلى المندوبين العثمانيين فى العقبة أن يجتمعوا مع من تنتدبهم مصر لتعيين خط الحدود ، فاتدبت الحكومة المصرية لجنة مكونة من اللواء ابراهيم فتحي باشا والأمير الالى أوين بك مدير المخابرات وتعين نعم شقير بك سكرتيراً

لهذه اللجنة التى قامت بمهمتها وعينت الحدود بتعيين خط فاصل إدارى بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سيناء .

وفى أول اكتوبر وقّع مندوبو الحكومتين التركية والمصرية هذه الاتفاقية وأنهى الاشكال .

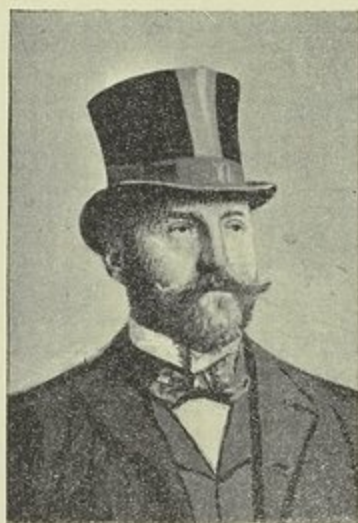


اليوزباشى اسماعيل المفتى افندى

وصدرت الأوامر إلى اسماعيل افندى المفتى اليوزباشى بمصلحة الأشغال بالجيش المصرى والمستر ويد أحد مهندسى اللجنة المصرية ، بالقيام إلى طابا مع بعض الضباط والعساكر والبنائين ، لاقامة أعمدة الحد . فوصلوها فى

٤ ديسمبر وفى ٣١ منه أنشؤا بناء أول عامود على رأس طابا وأعطى نمرة ٩١ ، وآخر عامود على تل الحراب فى ميناء رفح أنشؤا إقامته فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ وأعطوه نمرة ١ .

ملك الانجليز هانكو على عباس . سمعت من البرنس حسين كامل باشا أن ملك الانجليز كان يعطف على الخديو ويحبه ؛ وكان يعتقد أنه إزاء هذا العطف مخلص له ولكن مسألة طابا غيرت مجرى الأمور ، لأن الانجليز في مصر وفي الاستانة تمكنوا من الحصول على صور البرقيات التي تبودلت بين الخديو والاستانة وكانت كلها ضدهم ، مع أن الخديو كان يظهر لهم بالعكس أنه معهم ومخبراته في صالحهم ؛ فلما اطلع عليها الملك قال : « كنت أظن أن الخديو معنا ، ولكننا نعرف الآن أنه يظهر لنا غير ما يضمن فلا تثق به . » وهذه الحالة خسر الخديو عضداً قوياً ضد كرومر ، لأن الملك كان يعترض على تصرفات اللورد ضد الخديو ، أما الآن فان جلالة قد غير اعتقاده وخطته . وأخبرني البرنس حسين كامل باشا أيضاً أن هناك سبباً آخر لوقوف الملك ضد كرومر ؛ ذلك أنه كان يود أن يعمل اللورد على مساعدة السير إرنست كاسل في مشروعاته المالية بمصر حتى تثمر وتزدهر ، لأن الملك في حاجة مستمرة للمال ؛ ولكن كرومر لم يكن ميالاً لمساعدة كاسل ، لأنه صديق الملك ويمد جلالة بالمال ، فلهذا كان الملك والسير كاسل يضمنان معارضة اللورد .



السير إرنست كاسل

ثم قال البرنس بأن السير كاسل زاره بعد مقابلته للجناب العالي ، وتكلما سوياً عن الخديو فلم يجده متحمساً له ؛ وقال إنه كتب اسمه في دفتر التشريفات أولاً وإنه عندما قرب ميعاد سفره تذكر أن الخديو كان ضيفه يوماً من الأيام وبينهما مودة فطلب مقابلة سموه .

وأضاف السير كاسل إلى ذلك أنه يتوقع أن تقع بمصر في الشتاء المقبل حوادث سيئة لأن كرومر سيعود بالأوامر الشديدة ؛ فسأله البرنس عما يحسن أن

يفعله الخديو مع الملك ، فقال إنه يجب التأني وعدم الاندفاع في شيء .

هذا وقد أخبرني دومرتينو باشا أنه رجا السير إرنست كاسل في أن يعمل لإصلاح العلاقات بين الخديو والملك .

ثم علمت منه أيضاً أن اللورد كرومر ، أنشاء المفاوضات التي جرت بخصوص طابا ، جاء للخديو يوماً وقال له بصراحة إنه حصل على صور البرقيات والمكاتبات المتبادلة بينه وبين السلطان ، ويفهم منها بأن الانجليز ضد صالح مصر . وأنه علم من بروستر بك أن الذي يشجع الخديو على العمل ضد الانجليز هي شخصية تعمل من وراء ستار وأنها كلما جاء اللورد لمقابلة سموه ، فانها تجلس وراء الباب الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب ، وتستمتع بالمحادثة التي تدور بين الاثنين . وقال له بروستر إن الانجليز يبحثون الآن في مسألة خلع الخديو .

وحدثني دومرتينو باشا بأن كاسل قال للخديو عند مقابلته لسموه إن ملك المترا متأثر جداً من سموه ، وإنه قال : « إني لا أغتفر للخديو أنه جعلني على وشك الدخول في حرب مع تركيا . » وأضاف كاسل إلى ذلك أنه يصعب الآن تحقيق أمنية الخديو في إصلاح الأمور بين الطرفين .

ولى عمره انجائراً وخطاب البكرى له . في ٢٩ مارس حضر البرنس دوجال وقربنته وكان في استقباله في المحطة الخديو وشقيقه ، والنظار والمستشارون والوكلاء والمحافظ ، وكبار رجال المعية ؛ وكذلك استقبله اللورد كرومر وقربنته ؛ وقد ركب الجنبات العالي مع البرنس في عربة ، وركب البرنس محمد على مع البرنيس دوجال ، وراكب الباقون العربات خلفهم .

وكانت الطريق غاصة بالجمهور المحتشد بين المحطة وسراى عابدين لمشاهدة الموكب ولكن الاستقبال كان فاتراً فلم يصفق ولم يهتف أحد .

وبلغنى من الخديو أن البرنس استاء من الفرقة الموسيقية الانجليزية التي كانت في استقباله ، لأنها لم تتم عزف السلام الملكى .

وفي ٣١ مارس تناول طعام الغداء على مائدة السردار بالعباسية ، وشاهد ألعاباً رياضية قامت بها الجنود .

وفي مساء اليوم نفسه أقام له الخديو مأدبة عشاء فخمة .

ولى العهد وأعضاء مجلس الشورى : وكان أعضاء مجلس شورى القوانين قد طلبوا مقابلة البرنس فأذن لهم بذلك وساء الخديو تصرفهم هذا ؛ إذ كان سموه يريد

أن يقدمهم أحد رجال التشريفات . ولما قابلهم البرنس خاطبهم باعتبارهم نواب البلاد . وقد خطب رئيس الجمعية العمومية أمام سموه ، وطلب في خطبته أن يزداد الجزء المخصص للتعليم من الميزانية المصرية ، لأن المقرر الآن لا يكفي لسد حاجة البلاد .

وبعد خروجهم من عنده فكروا في إرسال عريضة إليه ، يطلبون منه فيها التوسط لدى خديويهم في منح البلاد نظام الحكم الدستوري . ولكنهم عادوا فرأوا أن في هذا التصرف إحراجاً لعباس . فقرروا أن يتقدم السيد محمد توفيق البكرى عضو مجلس الشورى إلى البرنس على صفحات الصحف بكتاب مفتوح . يعرب فيه لسموه عن أمانى الأمة المصرية ، وهذا نص الكتاب :

« إلى صاحب السمو ولى عهد الدولة البريطانية . من سباحة السيد البكرى نقيب أشرف الديار المصرية .

يا صاحب السمو الملكى :

إن المصريين لمبتهجون سروراً بزيارة سمو ولى عهد أكبر دولة فى الأرض بسطة فى الملك ، ونفوذاً فى عالم السياسة . هذه الدولة التى قام بناؤها العالى المتين على أساطين قوة الدستور والحرية الشخصية ، ورعاية الحق لها وللغير . هذه الدولة التى احتلت بلادنا منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، على أن تمنحها كل وجوه الرقى ، لتسليها زمام أمرها .

ولقد استبشر المصريون وابتهجوا فى أنكم تنازلتم وخصصتم أعضاء مجلس شورى القوانين بحظوة مقابلتكم العلية ، بل فوق ذلك تفضلتم ولقبتموهم فى خطاب سموكم المنيف « بنواب الأمة » ، مما أودع فى المصريين الأمل أن تكون لهذه المقابلة أشرف ذكرى عند الأمة المصرية ، متى أصبح أمثال هؤلاء الذين تشرّفوا بمقابلة سموكم من رجالها نواباً حقيقيين .

المصريون يا صاحب السمو الملكى أكثر الأمم وفاء لمن يسديهم الجليل ، وهم يعترفون سرّاً وجهرّاً بالتقدم المادى العظيم الذى نتج لوادى النيل من مهارة المهندسين الانجليز ، ومن أعمال موظفى الاحتلال الصادقين .

ولكن الأمة التى كان لها دستور نيابى قبل عهد الاحتلال ، ولم ينشأ مجلس الشورى بشكله الذى هو عليه فى أول الاحتلال ، الا مع وعد من اللورد دوفرين مندوب بريطانيا العظمى إذ ذاك — أن يكون هذا المجلس بعد قليل من السنين مجلساً

نيابياً كاملاً، يساعد الحكومة على أداء وظيفتها أحسن أداء، لابد أن تذكر هذا الامتياز الذي كان لها دائماً، كما أنها لا تنسى هذا الوعد بالحصول عليه، وهى اليوم وقد سميت أعيانها نواباً أكثر ما تكون ذكراً له، رجاء أن تكون زيارة سموكم سيياً كبيراً فى مساعدة عاجلة من دولة بريطانيا العظمى، لنيل المصريين دستوراً نيابياً شريفاً. ذلك الدستور الذى التمسته الجمعية العمومية (وأعضاء مجلس شورى القوانين من جملتها) من جانب الحكومة الخديوية رسمياً قبل سنتين . ذلك الدستور الذى قال عنه جلالة والدكم المعظم أخيراً فى البرلمان : « إن البلاد التى منحتها الامبراطورية الانجليزية حكومة نيابية أدى ذلك الى نموها وتقدمها وسعادتها، كما أدى الى ازدياد روابط الصداقة بينها وبين الامبراطورية . فتفضل يا صاحب السمو الملكى، واجعل هذه الزيارة الشريفة خير مذكر لدولة بريطانيا العظمى بالوفاء بوعددها، فى أول عهد احتلالها، لتبقى لهذه الزيارة أشرف الذكرى وأدومها لدى المصريين . »

وقد نشر هذا الخطاب أولاً فى صحيفة المؤيد بتاريخ ٣ أبريل، وعلقت عليه بقولها : « لقد أحسن سماحته فى أسلوبه، وبتضمنه تلك الكلمة العالية التى ألقاها جلالة الملك ادورد السابع ملك إنجلترا وأمبراطور الهند والمستعمرات البريطانية ووالد صاحب السمو ضيف مصر العظيم اليوم، من أن كل أمة لانجلترا سيادة عليها أو شأن فيها منحتها دستوراً نيابياً، عاد عليها بالتقدم والسعادة، وزاد فى روابطها مع الدولة البريطانية . » وبعد ذلك نشرته الأهرام والمقطم والظاهر والجوائب المصرية، ونشرت خلاصته جريدتا الوطن ومصر، وترجمته من العربية إلى الانجليزية جريدة الغازيت اجبسيان والجورنال دى كير والبروجريه، ونشرت خلاصته جريدة الاجبت ومورن نيوز والفاردي الكسندى وكثير من الصحف الطليانية، وعلق كثير من الصحف المصرية عليه تعليقات مؤداها أن الشعب المصرى أصبح يشعر بحقوقه، وأن هذا الخطاب دليل الحياة وشعور الأمة بالضغط عليها .

أما الجرائد الانجليزية فلم تعلق عليه بشيء؛ وأما جريدة البروجريه المنحازة لدار المعتمد الانجليزى، فقالت انه لم يحن الوقت لمصر أن تكون فيها حكومة نيابية . ونحن لا نرى من الوطنيين واحداً فقط متضلعا فى المعلومات الأساسية اللازمة لهذه الغاية . وكذلك قالت بعض الصحف الفرنسية بهذا الرأى .

وقد ردت المؤيد قائلة :

« لا يهم المصريين أن يكون بعض الأجانب في مصر أو كلهم ضد هذا الاقتراح ؛ لأن هؤلاء يحبون أن يتوغلوا في استنزاف ثروة المصريين واستلاب أموالهم وأملأهم بكل العوامل التي في أيديهم الآن من الامتيازات ، ومبادلة المنافع بين بعضهم البعض ، وباخلاق الوطنيين إلى الفتور العميق الذي لا ينهم منه منه . »

ولقد كان الخطبة رئيس الجمعية العمومية ، وطلب زيادة ميزانية التعليم ، ولخطاب السيد البكري بطلب مجلس نيابي ، ضجة وأثر كبير في الرأي العام المصري ، وكان هذان الأمران موضوع شرح الصحف وتعليقاتها عدة أيام .

وفي ٥ أبريل ركب البرنس وقرينته من سراي عابدين إلى المحطة عربية خديوية دون احتفال رسمي ، وودعهما الخديو والنظار واللورد كرومر وكبار الموظفين الانجليز . وقد أبدى سمو البرنس لدى ركوبه عظيم شكره للجناب الخديوي على حسن لقائه وحفاوته .

وقد سافرا إلى بورسعيد ، وركبا الدارعة ، ريذون ، للتجول بها في البحر الأبيض المتوسط .

وكانت الوالدة على وشك السفر للاستانة ، فحامت إلى عابدين في عصر ١١ أبريل . فأوفدني الخديو إليها لرجائها الانتظار قليلا .

الحريق في الاستانة . في ١٠ يونيو حضر الخديو للاستانة ، واستقبل بها كالعادة . وقد قابل سموه جلالة السلطان ، وخرج من لدنه مسرورا بالحفاوة التي لقيها . وفي ١٢ منه دعى سموه إلى مأدبة في يلدز ، ومعه حسنى باشا وبعض الحاشية . وقد قام سموه بالتزاور بينه وبين السفراء كالمعتاد في ١٤ و ١٦ يونيو .

وبقي سموه في الاستانة حتى ٢٦ يونيو ، ثم بارحها بعد ذلك إلى الحمامات في ديفون ، وظل عزت بك مع الوالدة ، وسافرت أنا إلى مصر لانتهاه مهمتي ولأكون على صلة بالنظار .

عود إلى رئاسي الزهر . في أثناء وجود الخديو بالاستانة وردت إليه شكاية رفعها المفتي الشيخ محمد بكري عاشور الصديقي إلى قائممقام الخديو في مصر ، وهو رئيس النظار ، ملخصها : « في أثناء امتحان الشيخ حسين محمد الرفاعي في الشهادة العالمية

على يد ستة أعضاء، من بينهم المفتي، سأل شيخ الجامع (*) الممتحنين عن هذا الطالب، فأجابوا ما عدا أحدهم وهو الشيخ البحراوى بأن الطالب يستحق الدرجة الثالثة، وقدم تقرير من اللجنة بذلك؛ ولكن الشيخ البحراوى لم يرد التوقيع عليه، مع توافر أغلبية اللجنة، بحجة أن الطالب لا يستحق شيئاً. وفي اليوم التالى أرسل شيخ الأزهر بأنه غير أعضاء اللجنة، وقد أتى بأربعة أعضاء جدد، وأبقى الشيخ البحراوى وواحداً آخر فقط، وعين الشيخ بخت بدل المفتي؛ ويعتبر الشيخ المفتي هذا التغيير فى أواسط الامتحان وبدون سبب ظاهر ماساً بشرفه وشرف الأعضاء الذين غيروا.

وهو يطلب النظر فى شكواه، والعمل على صون كرامته، وكان ذلك فى ٢٥ يونيو. وبعد عودتى إلى مصر ورد إلى من الجنب العالى باسم محمود محمد افندى أحد موظفى الديوان العربى رسالة مؤرخة فى ١٣ يوليو، وفيها: «إن الجنب العالى اطلع على شكوى المفتي التى قدمها للقائمقام، ويأمرنى باستحضار المفتي وتعنيفه على شكواه وطعنه فى الشيخ الأكبر، وبأنه كان الأولى تقديم هذه الشكوى إلى الجنب العالى بدل تقديمها إلى رئيس النظار؛ ثم أطلب كذلك شيخ الأزهر، وأخبره باستياء الخديو لهذه الأعمال التى تستدعى تكدير خاطره فى السفر الذى قصد منه إلى الراحة والاستشفاء، وأن سموه كان قد نبه على الشيخ قبل سفره بتلافى مثل ذلك إذا حدث.

والخلاصة أن الجنب العالى لا يريد مطلقاً أن تتكرر هذه الفصول وتلك الضججات، ولا سيما بين رجال الأزهر.

وقد قمت بما كلفت به فى أسلوب أدبى لا يغضب الشيخين.

ثم وردت إلى رسالة أخرى بتاريخ ٢٢ يوليو، وفيها يأمر الخديو أن استحضر الشيخ المفتي، وأخبره بأن الخديو مقتنع الآن بأنه يعنى بالمسائل الشخصية، أكثر من أى شىء آخر، وأن هذه هى النقطة التى كان يخشى سموه أن تسقط مركزه ومهابته. ودليل ذلك ما حدث الآن من دسائسه فى حق شيخ الأزهر؛ وأن شيخ الأزهر غير كفء حقيقة لأنه مكنته من التحدث ضده؛ ولكن الجنب العالى لابد أن يتخذ خطة إزاء شيخ الأزهر وإزاء المفتي معاً عند عودته، وأنه منذ اليوم قد أمر بفصل ابنه الموظفين بالأوقاف الخصوصية؛ ويأمر جنابه بتبليغ هذا القرار إلى مدير الأوقاف الخاصة للعمل به من اليوم؛ أما الشيخ نفسه فسيكون حسابه معه يوم يعود.

وفي الرسالة أمر كذلك بأن أقابل شيخ الأزهر وأفهمه أن يسير في طريقه دون تغيير في خطته حتى لا يفهم أحد أن المفتي ظفر به أو فاز عليه .
وأن أقابل بطرس باشا وأخبره بأنه إذا حضر له المفتي فانه يعنفه ويفهمه بأن ما حدث من الجناح العالي في موضعه .

وأن أنبه على أحمد شوقي بك بالإيعاز إلى الصحف الوطنية لتعلن طرد ابن الشيخ المفتي من الأوقاف الخديوية ، حتى يذاع الأمر ويعلمه الجميع .
فنفذت هذه الأوامر في الحال ، وحاول الشيخ المفتي أن يبرىء نفسه وبشكو من قسوة القرار القاضي بفصل نجله ، ولكنى أريته خطأه في تصرفاته .

وفاة البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين . في ٢٠ أغسطس توفي في فرنسا



البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين

البرنس محمد ابراهيم وحيد الدين ، وشيعت جنازته في ٤ سبتمبر بالاسكندرية وفي اليوم التالي بالقاهرة ؛ ودفن بمدفن الامام الشافعي ؛ ورافقت جثمانه من الاسكندرية إلى القاهرة حرمه البرنيس صاحبة هانم والبرنس ابراهيم حلمي باشا ، وبعض البرنسات .

وساية بمقرها انقاص مرتبي . في ١١

أبريل قصدت إلى المستشار المالي وأتممت — بناء على الأمر — معه موضوع الزيادة المطلوبة لمرتبات الديوان الخديوي في الميزانية — وكانت لم تتغير من عهد توفيق — فأصدر الأوامر اللازمة لتنفيذها .

وكنت قد لاحظت أثناء وجود الخديو بالاستانة تغيراً من ناحيتي لم أعرف سببه في حينه ، وبعد رجوعي للقاهرة جاءتني رسالة بتاريخ ٩ يوليو من جنيف بامضاء (محمود محمد) بأنه بناء على الأمر الخديوي يجب أن يكون مرتبي كمرتب عزت بك ألفاً ومائة جنيه بدلاً من ألف ومائتين كما هو الآن ، وذلك لأن سموه لاحظ ألا يكون هناك فارق في مرتبات رؤساء الديوان . وقال لي محمود محمد افندي في الرسالة ، إنه عرض

لسموه أن هناك وفراً في ميزانية السراى يمكن أن يكمل منه مرتب عزت بك إلى ألف ومائتى جنيه فأمر سموه ببقاء المتوفر ، ووعد بأن يكمل مرتبنا فى العام الآتى .

وقد فهمت ، عند ورود هذه الرسالة ، أن لما شعرت به من تغير الجناح العالى نصيباً من الصحة ، فحاولت أن أعرف السر فى ذلك . وأخيراً علمت أنه أثناء وجودى بالاستانة وشى فى حق لى سموه بأنتى أمرت بصنع « سقالة » لوابور ، فيض ظفر ، لى مصلحة الركائب ومن أخشابها . وهذه الوشاية تطوع بها زامر افندى ضابط بوليس السراى .

وعلى أثر ذلك بعثت برسالة لسمو الخديو أنفى فيها مارقى اليه ، وأبين أنتى دفعت ثمن « السقالة » لمصلحة الركائب ، وكذلك كل ما تكلفه « فيض ظفر » من الاصلاحات وبعثت بالايصالات التى تثبت ذلك ، ورجوت سموه صفاء خاطره من ناحيتى مع استعدادى لتنفيذ إرادته فيما يختص بمرتبى — وإن كان المؤلم فى ذلك أننى أنا الذى سأقدم الميزانية لنظارة المالية وسأعاقب نفسى يدي ... الخ .

وفى ٢٧ أغسطس جاءنى رد بامضاء محمود محمد افندى يتلخص فى « أن الجناح العالى لم ينظر فى مسألة المرتبات إلى الوشاية التى ذكرتها فى رسالتى ولم يد على سموه أى غضب أو تأثر حينما أمر بذلك ، وأنه متأكد أن الجناح العالى سيقى بوعده فى العام القادم . »

وفى ٢ أكتوبر قدم الخديو من الاستانة وكنت فى المستقبلين ، وقد أردت أولاً أن أخاطبه فى الموضوع ، ولكننى فضلت الانتظار حتى تسنح فرصة مناسبة ؛ وكان ذلك فى يوم ٤ أكتوبر إذ استدعانى سموه إلى قصر المنزه ، واستقبانى ببشاشة ولكننى كنت لا أزال منقبض الصدر ، وقد سألتى رأيى فى تعيين « زامر افندى » ملاحظاً لمربوط ، وكان أمره قد صدر بذلك ، فاتهزت الفرصة وقلت لسموه : « لولا أن هذا الرجل فى خدمة أفندينا لما تأخرت عن مقاضاته أمام المحاكم على وشايته وزعمه أننى استخدمت « سقالة » لمصلحة الركائب فى فيض ظفر مع أنى دفعت ثمنها كما ينطق بذلك السند الذى بعثت به لأفندينا ! ، فطيب خاطرى من هذه الوجهة ، وأرانى ، فى تल्पف ، أننى مخطئ فى تكليفى واحداً من المصلحة بعمل « السقالة » ، وكان الأولى أن أوسط أحد أصحابى . فقلت لسموه : « إننى لم أجد بين أصحابى من أستطيع تكليفه هذا العمل . » ثم قال لى : « إنى أعرف أنك دفعت أجراً عن كل شىء أجرى فى فيض ظفر ولكنهم خدعوك واستخدموا عمال المصلحة . » ثم أشار لى من طرف خفى أن أحمد الله على

أنه لم يعاملني كما عامل عزت بك وغيره ، وذلك لأنه علم أنني دفعت نقوداً ؛ أما هم فاستخدموا بعض الزوارق لمصالحهم الخاصة .

وفي أواخر أكتوبر أتممت عمل ميزانية المعية وعرضتها على سموه وقلت : « إنه بناء على الأمر وضعت يدي أمام اسمي ١١٠٠ جنيه في العام وكذلك أمام اسم عزت بك ؛ ولكن يا أفندينا ماذا يكون موقفى أمام المالية التي قررت لى ١٢٠٠ جنيه ؟ ، فأجابني : « يا شفيق ، أنت تعلم أن حسن عاصم باشا مع تمسكه بالرياسة وحبه أن يعمل مستقلاً لم يعمل ما علمته أنت . ، فمرفت في الحال سبب غضبه وهو أنى كتبت في الميزانية عناوين جديدة لبعض الوظائف ، فاعتذرت عن ذلك لسموه بأن غرضى أن تكون ميزانية المعية مرنة ، واستسمحته فى أنى لم أستشره فى ذلك فنظر فى الميزانية ورأى فيها وفراً فأضاف منه إلى مرتبى ومرتب عزت بك مائة جنيه لكل منا ؛ وقدمت الميزانية على ذلك .

حادثة دنشواى . كان من أعظم حوادث هذا العام حادثة دنشواى المروعة التي اهتزت لها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وكان لها أسوأ الآثار ؛ وخلاصتها أن فرقة من الجنود الانجليزية خرجت مع ضباطها قاصدة إلى الاسكندرية بطريق البر ؛ وكانت الحكومة قد أرسلت أوامر إلى العمدة والحكام الإداريين بالعمل على راحتهم عند مرورهم ببلادهم ؛ فلما وصلت هذه الفرقة إلى منوف أخبر بعض رجالها مأمور المركز برغبتهم فى الصيد ببلدة دنشواى المشهورة بكثرة حمامها ، وتوجه إليها بالفعل خمسة من الضباط للصيد ؛ ولما وصلوا إليها انحدر بعضهم إلى أجران البلدة ، وأراد أحدهم صيد حمامة فأخطأ التصويب ، وجرح امرأة كانت تسوق النورج ، واشتعلت النار فى ذلك الجرن ؛ وكان زوج المرأة حاضراً فهجم على الضابط وأراد أن يقوده إلى مركز الحكومة ؛ واجتمعت حولها الأهالى ، وجاء بقية الضباط لانقاذ زميلهم ؛ وفى أثناء ذلك حضر الخفراء وشيخهم لانقاذ الضابط ، فظن بقية الضباط أنهم آتون للفكك بهم فأطلقوا النار عليهم ، فأصيب شيخ الخفراء وعدد من الأهالى .

وعندئذ هاج السكان ورجعوا الضباط بالحجارة ، وضربوهم بالعصى القليظة ، فأصيب منهم الماسجور كوتين وجرح اللقنتن سميث ؛ وقد قبض الخفراء على هذين الضابطين وثالث معهم وجردوهم من سلاحهم وحبسوهم حتى جاء ملاحظ البوليس ، وأوصلهم إلى معسكرهم . أما الضابطان الآخران ؛ وهما الكابتن بول والطبيب البيطرى ، فهربا وقطعا نحو ثمانية كيلو مترات عدواً ، ثم سقط الكابتن صريعاً لأنه كان مصاباً

بجراح خطيرة وتوفى على الأثر . وأخيراً توجه الطبيب وأخبر العساكر فحضرُوا على الفور ، وقبضوا على من كان حول القتييل من الأهالي وفرَّ أحد الأهالي من أمامهم فتبعوه وقتلوه ومثلوا بجثته .

وأبلغ الحادث إلى السلطات العليا فحضر في الحال مستشار الداخلية ومدير المنوفية ورئيس النيابة وعدد عظيم من رجال البوليس مسلحين بالبنادق والسونكي ؛ وقبض على عدد كبير من أهالي دنشواي ، وبدئ بالتحقيق معهم في الحال ؛ واستمر التحقيق عدة أيام ؛ ثم صدر القرار بحالهم إلى المحكمة المختصة في يوم ٢٤ يونيو ليحاكموا أمامها ؛ وكانت مؤلفة من بطرس غالي باشا رئيساً ، والمستر هيتر وفتحي زغلول بك والمستر بوند والقائمقام لادول القائم بأعمال المحاماة والقضاء في جيش الاحتلال .

ثم وقف عثمان بك مرتضى وتلا قرار نظارة الحقانية بعقد المحكمة المختصة للنظر في التعدي الذي وقع في ١٣ يونيو ؛ ثم قرأ تقرير الاحالة الصادر من سعادة شكرى باشا مدير المنوفية بناء على انتدابه من حكامدار العاصمة ، وهو يتضمن تفصيل الحادثة .

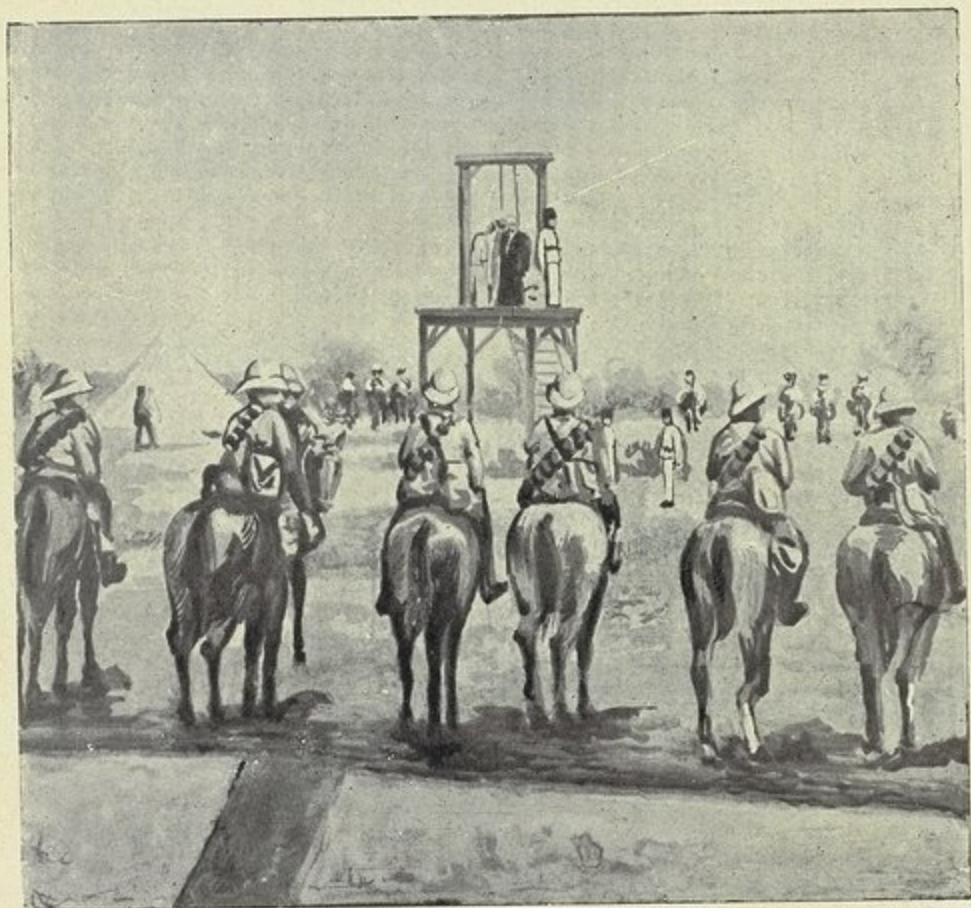
وعلى أثر ذلك قام ابراهيم الهلباوى بك المحامى العمومى وذكر وقائع الحادثة ، وقال : « حيث إن هذه الجريمة من الجرائم الشديدة ، فنطلب معاقبة المتهمين بأشد عقوبة بعد سماع شهادة الشهود . » وكان محامو المتهمين هم أحمد لطفى بك ، ومحمد يوسف بك ، وعثمان يوسف بك ، واسماعيل عاصم بك .



ابراهيم الهلباوى بك



أحمد فتحي زغلول بك



إنفاذ عقوبة الاعدام في المحكوم عليهم في حادثة دنشواي

وبعد انتهاء الاستجوابات والدفاع قام ابراهيم الهلباوى بك وقال : « لا يوجد مصرى لا يشار كنى فى شعورى نحو الحادثة ، ولذلك أطلب الحكم على المتهمين بأشد عقوبة . »
ثم قال : « فاذا تقدمت اليكم وطلبت رفع كل رحمة من نفوسكم لمعاقبة هؤلاء المتهمين وخصوصاً رؤساء العصابة لا أكون مغالياً . »

وفى ٢٧ يونيو أصدرت المحكمة حكماً لا يقبل الطعن وهو يقضى على أربعة بالاعدام ، وعلى اثنين بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى واحد بالسجن خمس عشرة سنة ، وعلى ستة آخرين بالسجن سبع سنين ، وعلى ثلاثة بالحبس مع التشغيل سنة ، وجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ، وعلى خمسة بجلد كل واحد منهم خمسين جلدة ؛ وتبرئة الباقين والافراج عنهم فى الحال إن لم يكونوا محبوسين لسبب آخر .

وفى يوم الخميس ٢٨ يونيو نفذ حكم الاعدام والجلد فى وقت واحد فى قرية دنشواى . وكانت الاجراءات الشنيعة التى لجأ اليها رجال الاحتلال فى هذا الحادث مثار سخط عميق فى مصر والخارج . وأذكى هذا السخط ما قام به مصطفى كامل من الحملات القوية فى متدييات أوروبا وصحفها منوها بفضاعة الأحكام التى صدرت وشذوذ الاجراءات التى اتبعت وكونها تتنافى وأبسط قواعد المدنية والعدالة والانسانية . وكان لهذه الحملات أثرها فى إنجلترا ذاتها ، وتأثر بها فريق كبير من الرأى العام البريطانى ولاسيما دوائر الأحرار ؛ وظهر صدى هذا الأثر فى البرلمان حيث استجوب السيرادوارد جراى عن حادثة دنشواى ، فلم يجد ما يدافع به عن خطة المحتلين فى هذا الحادث سوى اتهامه المصريين بالتعصب وبأن هذا التعصب قد بلغ حداً يخشى منه على شىمال إفريقيا كله . ولكن المصريين ، وحتى النزلاء الأجانب فى مصر ، احتجوا على هذه التهم الباطلة ، ودوَّى هذا الاحتجاج ثانية بين أرجاء البرلمان الانجليزى ، فاضطر السير جراى فى تصريح ثان أن يستبدل كلمة التعصب بكلمة القلق . وكان لهذا التراجع مغزاه وأثره فى الافراج عن المحكوم عليهم فى حادثة دنشواى كما سيحى .

وقد نوهنا فيما سلف بقطع العلاقات بين الخديو ومصطفى كامل فى سنة ١٩٠٤ فلما عزم مصطفى على السفر لأوروبا لقيامه بالمداخلة عن شناعة هذه الحادثة رأى أنه من الواجب عليه أن يعيد الصلات الحسنة بينه وبين الخديو حتى يستدير برأيه ويظهره على إثارة الرأى العام فى أوروبا وإنجلترا ضد هذا الحادث . فكتب الخديو بوساطتى فوافق عباس وأبلغت مصطفى ذلك فسافر إلى باريس فلندره وقام بحركة ضد كرومر وخطب

هناك خطأ كبيراً في مجمع من الكبراء كما كتب عدة مقالات في الصحف الفرنسية وخصوصاً الفيجارو .

وانتهت جهوده باثارة رأى العام الانجليزى نفسه على شناعة الاجراءات التى اتخذت ، وبما وقع فى مجلس العموم الانجليزى من استجواب كان له أثره فى صدور العفو عن مسجونى دنشواى كما سيأتى .

الحرب والنظار والانجليز . فى يوم ٢٦ اكتوبر زار اللورد كرومر الجنساب العالى وأبلغه أنه اتفق مع ناظر خارجية انجلترا على توسيع اختصاص النظار ، واتمس من سموه تعيين سعد بك زغلول ناظراً للبعارف ، فوعده سموه بابداء رأيه فى الغد . وبعد المداولة فى اليوم التالى بينه وبين رجال المعية ، قر الرأى على أن أقابل مصطفى فهمى باشا وأبلغه موافقة الخديو على هذا الاقتراح . وقد تسلمت الدكريتو الخاص بذلك وعدت للاسكندرية فوقعه سموه ، وأعدته ليلاً .

ولم يرتح الخديو أولاً لتعيين سعد زغلول ، ولكننى تعاونت مع الدكتور صادق رمضان ، طبيب المعية ومن أصدقاء مصطفى كامل ، على تحسين العلاقات وإزالة سوء التفاهم الذى يرجع إلى كثرة اختلاط سعد بك بالمرحوم الشيخ محمد عبده (*) .

وفى ٣ نوفمبر صدر لى الأمر بالسفر إلى القاهرة ومقابلة بطرس باشا وتفهميه أن الجنساب العالى كان ينتظر منه بعض معلومات عن مسألة الأزهر وعزم شيخه على الاستقالة وعما إذا كان الشيخ شاكر يصلح خلفاً له . وذلك قبل مقابلة المستشار المالى لجنابه حتى يكون على بينة من هذه الشؤون ، وأن الجناب العالى ينوى عند استقالة شيخ الأزهر أن يطلب تعيين الشيخ حسونة أو الشيخ شاكر . وأن أسأله رأيه كذلك فى حضور البرنس محمد على باشا صلاة الجمعة اليتيمة بجامع عمرو بالنيازة عن الخديو ، وكذلك رأيه فى أن يرسل برقية لكرور يوم عيد الملك بالاعراب عن أسفه لعدم شهود هذه الحفلة أو يكتبنى بارسال برقية تهنئة للملك .

فوافق بطرس باشا على مسألة الانابة فى صلاة الجمعة ورأى أن يرسل الخديو برقية بالاعتذار . أما مسألة الأزهر فاستحسن بقاء الحبال على ما هى عليه وحمل شيخ الأزهر على عدم الاستقالة ، لأن الظروف غير ملائمة الآن .

(*) وقد منح سعد إمداداً رتبة الباشوية .

تأسيس شركة لبناندار والاستاندارد . تم الصلح بين الخديو ومصطفى كامل كما نوهنا سابقاً دون أن يتقابلا . فلما رجع الخديو من أوروبا إلى الاسكندرية ثم عاد إلى القاهرة وكذلك رجع مصطفى كامل من أوروبا في ١٥ أكتوبر توسط الدكتور صادق رمضان ومهد السبيل للمقابلة وفعلا اجتمع مصطفى كامل والدكتور صادق رمضان ومحمد فريد بك ولطيف سليم باشا وقابلوا الخديو في سراى مسطرد واتفقوا على تأسيس الحزب الوطنى وجريدتى ليتاندار الفرنسية والاستاندارد الانجليزية ، وأوعز الخديو سرّاً إلى الكثيرين من الأغنياء بالمساعدة ومنهم البرنس جميل طوسون واحمد مدحت يكن باشا وعمر سلطان بك ومحمد بك فريد كما وعد الخديو بالمساعدة فى هذا المشروع . وقد تكررت المقابلات السرية بينهم والخديو فى جامع سيدى التبرى بزمَام القبة . وقد علمت هذه التفصيلات من عباس . وقد سرّنى هذا الوفاق .

وفى ديسمبر سافر مصطفى ومحمد بك فريد إلى أوروبا لانتخاب المحررين فى الجريدتين .

وعاد الخديو إلى القاهرة فى ٢٤ نوفمبر ، وفى ٢٩ منه قابل اللورد سموه وقال له : وإن وكالة روتر ورد إليها تلغراف فيه أن جريدة التيمس نشرت مقالا لمكاتها فى مصر يدعى فيه أن الخديو يعضد مصطفى كامل بالمال لنشر جريدة فرنسية (*) ، وانتقد اللورد هذا العمل بشدة ، فأجابه الخديو بأن ذلك لا أصل له وأنه لم يتقابل مطلقاً مع مصطفى كامل ولم يمدّه بمعاونة ما ، لا مباشرة ولا بالواسطة ؛ فقال اللورد ربما كان المشجع من أعضاء العائلة الخديوية ، فأجابه سموه بأن أغلبهم فقراء ولا يستطيعون بذل مثل هذه المعاونة ! فقال اللورد : وإن محمد بك فريد يمدّه بالمال . فأجاب سموه بأن هذا البيك ليس من العائلة الخديوية ولا سلطان للخديو عليه .

وقد رأيت الخديو عقب هذه المقابلة فوجده فى غاية الغضب والتأثر ، وقال لى إنه لا يطيق صبراً على هذه الحالة ولا يحتمل هذه الاهانات بل يفضل الاعتزال على هذه المعاملة ، فهدأت روعه واشترك معى فى ذلك محمود بك صادق من رجال المعية . وقد جال بخاطرى أن جنوح الانجليز إلى هذه المعاملة يرجع إلى مسألة طابا وعليهم أن الخديو كان فى الظاهر معهم وفى الباطن مع السلطان وأكد ذلك لديهم عدم حضوره فى حفلة الملك .

مسألة الرتب أيضاً . في ٢٨ ديسمبر تقابل المستشار المالي مع الخديو ، فتحدث إليه في أمر الرتب والنياشين ، وأنه من الضروري أن تطلبها الحكومة للموظفين والأعيان في عيد الجلوس ؛ وطلب الرجوع إلى ذكريتو رياض باشا الذي يقضى بذلك فرأى سموه تأجيل البحث في هذا الموضوع حتى يقابل اللورد كرومر في الغد .

وفي اليوم التالي ، وهو المحدد لمقابلة اللورد كرومر ، حضر الشيخ علي يوسف أولاً وتحدث معه الجناب العالي في الموضوع ، وعرض على سموه أن يقبل إعطاء الموظفين رتباً ونياشين . أما العمد والأعيان فلا ؛ لأن المفتشين الانجليز يوعزون للمديرين باعطاء صنائعهم أو من يقدمون الرشوة إليهم .

ثم حضر اللورد بعد ذلك وتحدث مع عباس ولكنهما لم يصلا إلى نتيجة حاسمة ؛ وكان سموه عقب المقابلة في حالة تأثر وانفعال شديدين .

الانجليز وعبد الجولس الخديوى . كيف أُنشئت الجامعة (الاهلية) وانتخب
رئيسها . التراضيم على مشيخة الأزهر . مدرسة القضاء الشرعى . تقرير كرومر
عن الحركة الوطنية . اصدار جريدتى ليماندار والاستاندارد . أهاريث سياسية
للخديوى . اقالة اللورد كرومر وتعيين السير الدود جورست مكانه . جورست
وسباسة الوفاق الجريد . أرضى بهرد الخديوى . الأزمة المالية . قيام الأحزاب
المصرية . من استبداد عباس . [REDACTED] . شؤون مختلفة .

الانجليز وعبد الجولس الخديوى . انتهى العام الماضى وبين الخديو والمحتلين
سوء تفاهم مستحكم الحلقات يعود بالأخص إلى مسألة طابا وموقف الخديو منها ، وإلى
عدم حضور سموه حفلة عيد الملك . واستهل سنة ١٩٠٧ ، والجوقاتم ، والاحتكاك
يضطرم بين الخديو وكرومر ورجال الاحتلال ، وتمتد آثاره إلى كل المشروعات العامة
بل والخاصة التى عرضت فى أوائل هذا العام .

امتد هذا الاحتكاك إلى مشروع الجامعة وتأليفها وإلى مسائل الأزهر ومدرسة
القضاء الشرعى وإلى علاقة الخديو بنظاره ولا سيما سعد زغلول باشا ، كما امتد إلى شئون
العائلة الخديوية الخاصة ، فتدخل الانجليز فيها وفى سواها . ولما كانت ظواهر هذا
الاحتكاك متصلة متشابكة ، فقد أثرنا سرد الحوادث متتابعة بتاريخ وقوعها ، لأنها تكاد
تكون مرتبة ترتيباً طبيعياً ، ومدارها النزاع بين سلطة الخديو وسلطة رجال الاحتلال .

فى ٦ يناير حضر عندى طورنيزن باشا وطلب منى كشفاً بأسماء المدعويين من
الانجليز فى الأوبرا ليلة عيد الجلوس لاعطائه لواطسون باشا الياور الخديوى وقد قال

له إن كرومر يود أن يحضر هذه الحفلة ، وأن يطلب إلى الانجليز المدعوين عدم التأخر ليكون ذلك بمثابة ترضية لسمو الخديو عما كان من سوء تفاهم بينه وبين اللورد ؛ ولعل من الأسباب التي حملت اللورد على ذلك - فضلا عما تقدم - ما كان من أثر حادثة دنشواي المعروفة في العام المنصرم وشعوره باستياء المصريين جميعاً منها ، والحملة التي شهرها عليه مصطفى كامل في أوروبا ؛ وهي حملة كان يتهم الخديو بأنه يدها بالمال عن طريق محمد بك فريد .

وقد أجمعت طورنيزن باشا بأن الكشف المطلوب عند رئيس لجنة الاحتفال ، وهو عبد الحميد باشا رئيس مجلس شورى القوانين فذهب لأخذه منه وقد علمت أنه وجد في هذه الحفلة عدد من الانجليز .

عيد الجلوس في الأزهر : وفي ٨ يناير كان عيد الجلوس ، فاتدبني الخديو لحضور الاحتفال الذي سيقام في الجامع الأزهر لهذه المناسبة ، وكان الأزهر يضيء بالأنوار في الداخل والخارج وقد فرشت به الأبسطه وجلس الحضور عليها ، وفي وسطهم الشيخ محمد شاكر نائباً عن الشيخ الشربيني شيخ الأزهر ، وعن يمينه الشيخ أبو الفضل وعن يساره المفتي .

وافتحت الحفلة بتلاوة القرآن الكريم ، وبعدها قام أحد العلماء وخطب معدداً مناقب الخديو وداعياً له ولأنجاله ؛ وبعد أن انتهت قمت وشكرت الخطيب على شريف شعوره ، وقلت : « إن هذا الشعور يخلج بلا ريب في صدور كل المحتفلين المخلصين للسدة الخديوية . » ثم شكرت القائمين بأمر هذا الاحتفال الجليل ، ودعوت لسمو الخديو . واختتمت الحفلة بقراءة ما تيسر من القرآن ؛ وبعدها قال لي الشيخ شاكر : « هذه أول مرة شكر المندوب الخديوي فيها المحتفلين !! »

كيف أنشئت الجامعة (الاهلية) وانتخب رئيسها . أثار الأستاذ أحمد حافظ عوض على صفحات المؤيد نقاشاً ومناظرة في موضوع : « أي أنفع للقطر المصري في حالته الحاضرة الكتابات أم مدرسة كلية عالية ؟ » وذلك في سنة ١٩٠٥ . وقد استدرجت المناظرة كثيراً من الكتاب للاشتراك فيها على صفحات الجرائد المختلفة وانتهت بغير طائل ولا نتيجة .

أما الخطوة الأولى الأساسية في بناء الجامعة فقد بدأها مصطفى كامل الغمراوي بك في العام الذي يليه ؛ فقد رأى قصور المحصول العلمي في مصر عن إرواء من شاء

التعمق في العلم ، وكان لزاماً على من يريد استكمال معارفه التحول إلى أوروبا ، وفي ذلك ما فيه من مشقة في السفر وبعد عن الأهل وإرهاق في النفقات . ففكر في إنشاء جامعة تضم كليات مختلفة على مثال جامعات أوروبا تكفي طالب العلم . وفكر في الدعوة لمشروع الجامعة والتبرع لها . وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ بيني سويف ، وكان مستشاره القانوني في ذلك الأستاذ نجيب شقرا بك المحامي .



مصطفى كامل الفاروقى بك

بدأت الخطوة الأولى العملية في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٦ ، بأن نشر نداء في جميع الصحف العربية والأجنبية في مصر داعياً لفكرة الجامعة مهيباً بالقادرين من الأمة أن ينزلوا الميدان . قال في ندائه :

« كثر بحث الجرائد في الزمن الأخير في ارتقاء المعارف في مصر . والمعارف والعلوم ، كما يعلم الناس ، حياة الأمة وركن ترقيا وتقدمها . وقد استلقت أحد المحامين بمقالة نشرها في إحدى الجرائد أنظار المرحوم منشاوى باشا إلى تخليد ذكره

بإنشاء مدرسة جامعة ، فصادف الاستلفات أذناً واعية وكان في نية المرحوم إنشاؤها ولم يعاجله القضاء . فهل تعجز الأمة المصرية ، وهي تزيد على عشرة ملايين ، عن أن تقوم بمشروع حيوى نوى تنفيذه فرد واحد لم تكن ثروته تبلغ جزءاً يسيراً من ثروة غيره من الأفراد ؟ وهل لا يعد إحجام أغنياء الأمة عن الاكتساب دليلاً على أنها لا تزال بعيدة عن الترقى الحقيقي ؟ وهل يعتقد الناس أن الوطنية تقوم بشقشة اللسان أو ببذل النفس والنفيس في سبيل الوطن وترقيته بالطرق التي تفيد ولا تضر ؟ بالطرق التي يجمع عليها العقلاء المعتدلون .

هذه الأمور جالت في خاطرى زمناً ، ووجدت أن من العار علينا أن نقف غيرنا يتقدم ، وأن نكتفى بالشكوى والتحسر من الزمان والأقدار ، وحقناً أن نشكو من قلة وطنيتنا وبخلنا على الأعمال العظيمة المرقية للوطن .

لذلك ، ولاعتقادي بأن على كل منا ديناً لوطنه يجب وفاؤه وعدم الماطلة فيه ،

بادرت للاكتتاب بخمسمائة جنيه أفرنجي لمشروع إنشاء مدرسة جامعة مصرية على الشروط الآتية : -

أولاً : ألا تختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة للآلفة بينهم .

ثانياً : أن تكون إدارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلى الكبير وتثبت كفاءتهم للملاءمة .

ثالثاً : أن يكتتب على الأقل ألف من سكان مصر كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه ، ويجوز أن يزيد عن هذا المبلغ الى ما شاء كرم الواهب وحب لوطنه وللإنسانية .

رابعاً : أن يقام بناء هذه المدرسة الجامعة في بقعة خلوية من أجمل بقاع مصر على شاطئ النيل ؛ وتعمل لها حديقة من أجمل الحدائق وغير ذلك من الأمور التي يقررها المكتتبون .

ويقيني أن كل من في فؤاده ذرة من حب الوطن الحقيقي من المدسورين يوجد بمائة جنيه أو أكثر لخير وطنه وخير أولاده ليتربوا في وطنهم التربية الحسنة ولكي نبرهن للأمم الغربية على أن فينا بعض الاستعداد والكفاءة .

وأمل أن جرائدنا تترك النزاع الشخصى وتنشئ المقالات الضافية في استنهاض الهمم لاتمام هذا المشروع العظيم .

وفي الختام أقول إذا لم يجب هذا النداء ألف من أغنياء مصر ، وهم ألوف عديدة ، فلنخبي وجوهنا أمام كل الأمم ولنعترف بأننا عاجزون عن مباراة الأجانب في مضمار الحياة الأدبية والمادية .

وها أنا ذا في انتظار ما يكون ! فلعل أغنياءنا يقبلون بكلياتهم على هذا المشروع المفيد لأفرادهم وللأمة ، حتى يكون ذكر من يشترك منهم في هذا العمل خالداً في سجلات كبار الرجال الذين كانت لهم الأيدي البيضاء في ترقية أوطانهم ، ويبقى لهم بين الخلق أثر جميل لا يمحي . .

وبناء على برقية وردت له من الشيخ على يوسف حضر لمصر فأخبره صاحب المؤيد أن الخديو راض عن هذا المشروع ومشجع له ، ويطلب منه الاستمرار فيه . فاتفق على أن يكون محل الاجتماع الأول برضاء الجميع في دار سعد زغلول بك القاضي

حساء الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ وقد غص المكان بالمبلين للدعوة ، ومنهم رجال القضاء والعلم والسياسة والجاه ؛ منهم قاسم أمين بك وحفنى ناصف بك ومحمد فريد بك وعلى فهمى بك وحسن سعيد بك وزكريا نامق افندى والشيخ عبد العزيز شاويش واحمد رمزى بك وحسن جمجوم بك وحسين السيوفى باشا ومحمد عثمان أباطه بك ومحمد راسم بك وحسين أبو حسين بك ومحمود الششيني بك ومحمد يوسف بك وحفنى ناجى بك ومحمد هاشم بك وتشاوروا فى حماسة ويقين . وقد بلغت المبالغ التى اكتب بها الحاضرون ٤٤٨٥ جنيه مصرى ، وقرروا ما يلى :

أولاً : انتخاب لجنة تحضيرية من حضرات سعد زغلول بك وكيلا ، وقاسم بك أمين سكرتيراً ، وحسن سعيد بك أميناً للصندوق ، ومصطفى كامل الغمراوى بك ومحمد بك عثمان أباطه ومحمد بك راسم وحسن بك جمجوم وحسن باشا السيوفى وأخنوخ افندى هانوس وزكريا نامق افندى ومحمود بك الششيني أعضاء .

ثانياً : تأجيل انتخاب الرئيس الى الجلسة القادمة .

ثالثاً : نشر الدعوة فى جميع الصحف المحلية .

رابعاً : الاجتماع مرة أخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس وأعضاء اللجنة النهائية .

خامساً : تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية .

وكان احمد زكى بك قد انتخب سكرتيراً لمجلس الادارة فتكلم مع الغمراوى بك محاولاً إقناعه بتحويل هبته الى عقار لأن حركة الاكتاب كانت قد ركدت وخيف عليها ، أما التبرع بعقارات فهو أساس متين ودعامة ثابتة للمشروع . فاقنع وتبرع بستة أفدنة فتبعه الكثيرون فى ذلك وأقبلوا على الاكتاب .

رأى العميد الانجليزى لورد كرومر أن المشروع سائر فى سبيل النجاح وكان لم يصادف لديه هوى ولا قبولاً لما ينتظر فى حالة نجاحه من ثمرات طيبة فى سبيل ترقية مصر والنهوض بها ، فعاد لما بدى . به عام ١٩٠٥ ونادى بأن الأمة أحوج الى التعليم الأولى من التعليم العالى ودعا لانشاء الكتاتيب وأقبل بعض الأعيان على إنشائها .

فأثبت بذلك إمكان القيام بمشروع التعليم العالى الجامعى والتعليم الأولى فى آن واحد .

بعد ذلك عين سعد زغلول ناظراً للمعارف كما سبق ؛ وكان الفكر السائد بيننا هو أن كرومر يريد بتعيين سعد في نظارة المعارف أن يبعده عن الاشتغال بالجامعة ، ظناً منه أنه بذلك يقضى عليها ، ولهذا أمرني الخديو بالتوجه مع اسماعيل أباطه باشا لمقابلة سعد وأن نطلب منه ، بأمر من سموه ، ألا يغفل أمر الجامعة وأن يستمر إشرافه عليها . فلما قابلناه وأبلغناه رسالة الخديو لم يؤكد لنا عزمه صراحة في تنفيذ هذه الرغبة ولكنه وعد بالألأ ينسأها . ولما أبلغنا الخديو ذلك لم يسر لتلك الإجابة .

فقام مقامه قاسم أمين بك وسعى في سبيل إنجاح المشروع وقابل الخديو وعرض عليه أن يأخذ سموه المشروع تحت رعايته واعتبار ولى العهد رئيس شرف فقبل سموه ذلك ؛ وبعدئذ قر الرأى على اختيار أحد البرنسات لمنصب الرياسة ؛ واتجهت الأنظار أولا الى البرنس حسين كامل باشا .

وقد كلفت من قبل الخديو بمقابلته لهذا الغرض ، ولكنه اعتذر لسببين : الأول أنه أحس بعدم رضا الانجليز عن وجوده في رياسة الجامعة ، والثانى تخوفه من التبعات المادية في حالة عدم كفاية مواردها المالية . فعرضت الأمر بعد ذلك على البرنس عمر طوسون ، فاشتراط أن يكون هو رئيساً عاملاً ويكون ولى العهد رئيس شرف ؛ ولما كان هذا مما لا يقبله الانجليز بحال ، اتجهت أفكارنا الى البرنس محمد على باشا ، ولكن اللورد كرومر عارض في ذلك أيضاً ، فعرض الأمر ثانية على البرنس حسين كامل باشا ، فاقترح تعيين شقيقه دولة البرنس احمد فؤاد باشا ؛ إذ ربما لا يعارض المحتلون في قبوله ؛ فأمرت بالذهاب الى بطرس غالى باشا لأعرض عليه الاسم الجديد .

وزارنى بعد ذلك الشيخ على يوسف وقاسم أمين بك ، فأخبرتهما بترشيح الخديو لدولة البرنس احمد فؤاد باشا فارتاحا لذلك .

وفى ١١ يناير عدت الى بطرس غالى باشا ، بعد حضوره من الوكالة البريطانية ، فأبلغنى أن اللورد لم يبد اعتراضاً على المرشح الجديد .

وفى ١٧ منه توجهت بناء على الأمر الى البرنس حسين كامل باشا لأخذ رأيه نهائياً في تعيين دولة شقيقه البرنس احمد فؤاد باشا ، فأخبرنى أنهما بحثا الأمر ، وأنه نصح لدولته بالتروى والنظر في برنامج الجامعة وفى مقدار الاكتسابات وكفائتها .

وبعد ذلك كلفنى الخديو أن أذهب الى تفتيش بردين لمقابلة البرنس احمد فؤاد باشا ، وهناك قضيت السهرة فى التفاهم مع دولته ، وبعد أخذ ورد قبل هذا الترشيح ، ورغب

في تعييني وكيلًا للجامعة، فعدت وأخبرت الخديو بذلك فارتاح لهذا الحل .

وتم الأمر بتعيين دولة البرنس احمد فؤاد باشا رئيساً ؛ وبعدها انتخبتني مجلس الادارة للوكالة . وكان الحاضرون من أعضائه أصحاب السعادة والعزة محمد علوى باشا مراقب الجامعة وعبد الخالق ثروت باشا واسماعيل صدق باشا ويعقوب أرتين باشا واسماعيل حسنين باشا ومقرس فهمى بك وعلى بهجت بك وجناب السير جاستون ماسبيرو (*)

التزامى على مشيخة الأزهر . وقف القارىء على ما كان بالأزهر من الدسائس في العام الماضى ولا سيما بين الشيخ الأكبر الشيخ الشريبنى وبين المفتى الشيخ محمد بكرى عاشور الصدفى . ولما عاد الخديو من أوروبا في العام المنصرم أخذ الشيخ الشريبنى إجازة وكان المفهوم أنها مقدمة لاستقالته نظراً لعدم ارتياح الخديو لما وقع ؛ فانتدب الشيخ محمد شاكر للادارة ، وبعد ذلك بدأ البحث في اختيار خلف للشيخ الشريبنى وكان الاختيار معلقاً بين الشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد شاكر ، ولكن نظراً لأن الأخير كان مقرباً من الخديو وبينهما صلات وثيقة ، فقد كان المفهوم أن الانجليز لن يرضوا عن تعيينه ؛ وهذا ما حدث بالفعل حينما تقابل اللورد كرومر في يوم ٢٢ يناير مع الخديو للمحادثة في الموضوع ، وانتهى الأمر بالاتفاق على إسناد هذا المنصب الى الشيخ حسونة النواوى .

وفي اليوم التالى أرسلنى الخديو للمفاوضة مع بطرس غالى باشا في رغبة سموه الانعام على الشيخ شاكر برتبة أو نيشان ليحدث اللورد في ذلك ، فلاحظ الباشا أنه أنعم على الشيخ منذ ثمانية أشهر بالمجيدى الثانى ، وأنه منح منذ أيام قلائل علاوة قدرها عشرة جنيهات ؛ فإذا يقال لو منح ترقية أخرى ؟ قلت : « إن المكافأة المطلوبة إنما هي لقيامه بادارة الأزهر مدة انتدابه . » فوعد بمحادثة اللورد في ذلك .

ولما عدت للخديو وعلم بما دار بيننا قال : « إذا سألتفاهم أنا شخصياً مع اللورد . »

مرسة القضاء الشرعى . وعلى أثر ذلك سافر الخديو يوم ٢٨ يناير الى سيوه

في رحلة استغرقت حتى يوم ١٩ فبراير ؛ فلما عاد أرسل رئيس مجلس النظار يقول إن المجلس سيعقد في يوم ٢٥ فبراير فلما أعلمت الخديو بذلك بدا على سموه الغضب ، وقال : « يجيب بأن مصطفى فهمى يعاملنى كأحد النظار . »

وأمرنى بأن أخبر بطرس باشا بالتوجه للقبه يوم ٢١ منه ، فلما حضر حادثه في

ذلك فأزال ما في نفسه من التأثر ووافق سموه على عقد المجلس في التاريخ المذكور .
 وكان من أهم المسائل المعروضة عليه مشروع مدرسة القضاء الشرعى ؛ ودارت
 بشأنه مناقشة طويلة حادة أبدى سموه فيها للمجلس عدم ارتياحه لهذا المشروع لعدم
 رضاء العلماء عنه ؛ وقد ظن سموه أولاً أن ناظر الحقانية ابراهيم فؤاد باشا معضد له
 فى رأيه ، ولكن ظهر فى النهاية بعدما أيد سعد باشا زغلول المشروع أن جميع النظار
 معه ما عدا ناظر الاشغال حسين نخرى باشا فقد انضم للخديو طالباً تأخير المشروع
 لجلسة أخرى ، ولكن الأغلبية انحازت لسعد باشا فلم يسع الخديو إلا أن يمضى القانون
 مكرهاً وهى أول مرة حدث فيها ذلك .

فلما خرج النظار تكلم سموه مع المستشار المالى فقال لسموه : « إن ما فعلتموه
 سموكم هو عين الحكمة وبهذه الطريقة ارتفعت ، وصغر النظار . »

وقد بلغنا من سموه أن سعد باشا قال أثناء المناقشة فى حدة ظاهرة : « حيث لا يستطيع
 الانسان أن يتكلم هنا . » وأنه ضرب بيده على المنضدة ، وقال أيضاً : « إنه إذا فصلت
 مدرسة القضاء عن الأزهر ولم تنتسب اليه يقال عن القاضى المتخرج منها إنه كافر . »
 وكان سموه متأثراً لذلك جسد التأثر ، وقد صرح لنا أنه منذ اليوم لن يحضر جلسات
 مجلس النظار ، لأنه سيرغم على الموافقة على مشاريع لا يريد لها وينسب اليه الرضاء عنها .
 وفى ٢٧ فبراير تقابلت مع سموه بحضور اسماعيل أباطه باشا ، فأبدى أسفه
 لما حدث فى مسألة مدرسة القضاء الشرعى ، فقالت لسموه : « إنه يمكن لجنايكم العالى
 القضاء على هذا المشروع بتنظيم الأزهر وإدخال الاصلاحات عليه وأن تقدموا له النعم
 والخيرات والمربيات ؛ وقد ترك الانجليز لنا الأزهر فلم نفعل نحن شيئاً . »

وقد سر اسماعيل أباطه باشا لفكرتى كما رأيت من الخديو ميلا لتنفيذها .

وفى ٥ مارس تقابل اللورد مع الخديو ودار الحديث حول عدة مسائل من بينها
 مسألة المدرسة ، فأثنى اللورد على سعد باشا ومقدرته وذكاؤه ، كما امتدح بهذه المناسبة
 خطبته التى ألقاها فى الجمعية العمومية عن وجوب التعليم باللغة العربية .

فرد سموه بأن مشروع المدرسة قد أثار غضب العلماء ، وأنه كان الأولى التريث
 فيه فقال اللورد : « ولكن المفتى وشيخ الأزهر بحثاء ولم يعترضوا عليه . »

تقرير كرومر عن الحركة الوطنية . يلاحظ اللورد فى تقريره عن سنة ١٩٠٦
 أن الحركة القائمة بها بعض المصريين لتأسيس حزب يدعون أنه الحزب الوطنى هى

شيء جديد لم يسبق له وجود في مصر؛ إذ أن المصريين لم يكونوا مستقلين في عصر من العصور، بل تقلبوا من جيل إلى جيل تحت نير الفرس واليونان والرومان والعرب والجرس وأخيراً الأتراك، وإنه لا يوجد إلا عصر الفراعنة المظلم الذي يظن أن المصريين حكموا فيه أنفسهم.

أما الحزب القائل بالحركة الحالية إن لم يكن قائماً بكيته على أساس التعصب الاسلامي فإن ذلك التعصب هو سلاحه وأنشودته.

وهو يستتج ذلك من كون المحرك الوحيد الذي يؤثر على شعوب الشرق هو الدين، وأن شكل الحكومة الدينية هو الوحيد الذي يميل إليه الشرقيون ويعتزون به. ولهذا يجب على الدول أن تلاحظ حركات التعصب الاسلامي أينما ظهرت؛ لأنه يخشى منها إقلاق النظام وتعكير الراحة العامة كما كاد يحصل في الربع الماضي في القطر، غير أن اللورد لا يظن أن ذلك الحزب المستر تحت رداء الوطنية تقوم له قائمة، ولا أن مبادئه المتعصبة تسرى في عروق الأمة المصرية لأن القائمين به أفراد مغرورون لم يولهم أحد الزعامة. بل يظن أنه يوجد في القطر حزب آخر أجدر بأن يلقب بالحزب الوطني، وهو مؤلف من عقلاء الأمة الذين يشتغلون بسكون وصبر لما فيه المصلحة العامة، وتقدم البلاد؛ وهو يسميه حزب تلاميذ المغفور له الشيخ محمد عبده، ويستشهد بواحد منهم وهو سعد زغلول باشا ناظر المعارف الآن.

أصرار هيريرتي ليتاندار واستاندارد. في ٣ مارس صدر أول عدد من ليتاندار إجبسيان، باللغة الفرنسية و«الاجبسيان استاندارد»، باللغة الانجليزية. وهاتان الجريدتان أسسهما مصطفى كامل عقب حادثة دنشواي وقام فيهما بحملة شديدة ضد إنجلترا بسبب هذا الحادث؛ وكانت نتيجة هذه الحملة أن وزير خارجية إنجلترا، بعد أن اتهم المصريين، بايعاز كرومر، بأقبح التهم، وبعد أن أقره على خطته واستحسن كل ما أتاه، عاد فسحب ما قاله من الألفاظ الخارجة في مجلس العموم؛ ثم بعد ذلك عزل اللورد كرومر شر عزلة، ولم تمض بضعة أشهر حتى أعقب ذلك صدور العفو عن مسجونى دنشواي وأفرج عنهم بمناسبة عيد الجلوس في ٨ يناير سنة ١٩٠٨.

أهاريت سياسي للحمريو. في ٢٤ مارس نشرت جريدة الاجبسيان استاندارد تصريحات كان قد أفضى بها الخديو لمكاتب الطان وهذا نصها: «أنا أحب بلادى حباً صحيحاً كما يعرف كل مصرى كيف يجب أن يحبها وتعلقنا بهذا الوطن عظيم، فهو وطننا

الخاص وفيه خيرنا وله كل محبتنا ونكره أن نموت في وطن آخر سواء .

وبدهشني ما يبديه المصري من السهولة العجيبة في اقتباس التهذيب الأوربي ، ولقد حان الوقت لينذل كل جهد لتحقيق أمانى الشعب المصرى فيما يتعلق بتقدمه . ، وأنكر سموه بصفة قاطعة وجود أقل تعصب في مصر ، وقال : « إن الشعب المصرى صالح من طبعه ، وعامل أمين لين العريكة ، كما أن التسامح من أعظم قواعد ديننا . ، ثم تكلم عن التهمة الموجهة إليه ، وخلاصتها أنه يريد أن يوجد لنفسه سلطة شخصية ليستعملها على النمط الشرقى ، فقال : « إننى تعلمت وأدركت بواسطة تربيتى الأوربية أنه لا بد من اتحاد الأمة مع ملكها في العمل لمصلحة البلاد وحسن إدارتها . أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق ولا أقوى على احتماله . ، وختم كلامه بقوله : « قد بذلت كل قوى عاملا لمصلحة بلادى وما عارضت مطلقاً في عمل اعتقدت أنه نافع لمصر ، ولم أرفض في حياتى الاصغاء للنصائح والارشادات . »

وقد نشرت اللواء ترجمة هذه التصريحات بالخط العريض ، بعد أن وزعت إعلانات يدوية تلفت فيها النظر لما ستشره .

وفى اليوم التالى طلب إلى الخديو أن أستدعى إليه الشيخ على يوسف فلما قابله قال له : « الحقنا ..! الولد مصطفى كامل عمل عملة بطالة ؛ أولاً وزع منشوراً أمس صباحاً فيه يلفت أنظار الناس لتصريحاتى ، ثم نشرها فى جريدته بطنه ورنه . ، وانفق الخديو مع الشيخ أن يكتب المؤيد اليوم والمذير غداً بأنه لم يكن ثمة ما يدعو لهذا الحركة الصديانية ، وأن ما قاله الخديو لمكاتب الطان هو نفس ما يقوله على الدوام لمحدثيه ؛ وبالفعل تم ذلك ؛ وقد قال سموه بهذه المناسبة أيضاً : « الغرابة أن رجالنا الباشوات وجدتهم أمس موافقين على ما فعله مصطفى كامل من الطيش ! ، وعلمت من سموه أنه يعنى لطيف سليم باشا ، واحمد شوقي بك ، ثم قال : « وإن صاحبنا مستر موزلى (*) غاضب كثيراً لما حدث . ، وقال أيضاً : « إننى لا أقول شيئاً ضد اعتقادى ، وحينما أقول أنا أحب مصر مثل حب المصريين لها ، وإننا لا نريد أن نموت بعيدين عنها لا بألغ ؛ لأننى فى الحقيقة لما ذهبت إلى الخرطوم ، وحينما أكون فى الاستانة كل سنة ، أرى على وجوه المصريين وعلى لسانهم حنيناً لبلادهم ، وشوقهم الشديد للرجوع إليها حتى أصغر

(٥) كان قاضياً فى المحاكم الأهلية وخرج منها ، واشتغل بمكاتبة بعض الصحف الانجليزية بلندن ، وهو محب لمصر والمصريين ، ونصح للخديو فى الأعمال التى تهم الانجليز وخصوصاً بالنسبة للصحافة .

واحد فيهم مثل الشنه جي (*) الذي في معية والدتي .

وقد بلغني مما سمعته بخصوص مكاتب الطان ، أن مصطفى كامل باشا هو الذي أوعز إليه بالتوجه إلى القبة ومحادثة الخديو ، وربما كان الواسطة أحمد شوقي بك ؛ وبعد أن دون المكاتب رسالته عرضها بواسطة شوقي بك على الخديو فحذف منها بعض عبارات ، ثم توجه بها شوقي بك إلى موزلي لأخذ رأيه فقال : « إذا نشر ذلك يضر ولا ينفع . » وألح في عدم نشر الحديث ، ولكن سموه رغماً عن هذه النصيحة أمر بإرسالها إلى الطان .

والنقطة الدقيقة في هذا الحديث ، هي التي تمس الحسالة القائمة وفيها تليج لمسألة المجلس النيابي في قول الخديو : « إنني تعلمت في أوروبا وبأنه لا بد من اتحاد الأمة مع ملكها في العمل لصالح البلاد وحسن إدارتها » ؛ أما الحكومة الاستبدادية فانها عمل شاق لا أقوى على احتماله . ، ولو صدر هذا الكلام في وقت آخر لما كان له كبير أهمية ؛ وقد قالت البروجريه ، وهي جريدة فرنسية محلية ميالة للسياسة الانجليزية ، بمناسبة هذه العبارة : « اوضح الآن أن الخديو من الحزب الوطني ، أي الذي يطلب المجلس النيابي . » ثم وردت برقية بأن التيمس قالت : « إن سموه أظهر الآن أنه موافق على سياسة مصطفى كامل . » وأنها تهدده بأن يعدل عن هذا المسلك لأنه مدين لانتجلترا بمركزه . وقد نهجت الجرائد الفرنسية هذا المنهج إلا أن الاجبشيان جازيت هونت الأمر فككتبت تقول بأنه لا يوجد في حديث الخديو ما يوجب تهديد التيمس لسموه . وزاد هذا الحديث توتر العلاقات بين الخديو والمحتلين .

حديث سياسي آخر : وفي ٣١ مارس كتبت الصحف حول الحديث الذي أدلى به الخديو إلى المستر ديسى مكاتب الديلي تلغراف قبل سفره لانتجلترا ؛ وفي هذا الحديث ينوه المكاتب بثلاث نقاط مهمة :

(١) استنتج المكاتب من كلام الخديو أنه يرى الاحتلال أمراً طبيعياً ، ويفضله على احتلال أي دولة أخرى .

(٢) أنه يرى الشعوب الشرقية ميالة للسلطة المطلقة بدلاً من السلطة النيابية ، وعليه ينصح للانجليز أن يتركوا له هذه السلطة وأن يتفقوا معه في الأعمال حتى يكون الجميع يداً واحدة لصالح البلد .

(*) هو الذي يحمل الطعام من المطبخ لغرفة المائدة .

(٣) أبدى الخديو أنه رغم احترامه للسلطان باعتباره الرئيس الديني ، لا يمكن أن يتنازل لتركيا عن أى امتياز نالته أجداده ، وأن المصريين يؤيدونه في ذلك ؛ وعلى ذلك فإن اتهامهم في حادثة طابا بالاشتغال لصالح تركيا مردود وليس له أصل .

وفي الحديث أشياء أخرى مثل اعتراف الخديو بحميل الملك ادوارد الذى أبدى لسموه ، في كل مرة زار فيها إنجلترا ، كثيراً من العطف وكرم الوفاة ؛ وقد نوهت الصحف الميالة للانجليز بهذا الحديث ، وأشارت إلى الصحف الوطنية بقولها : « ها هوذا الخديو على غير فكركم ، فهو يريد الاحتلال ولا يطلب مجلساً شورياً . » فردت الجرائد الوطنية بأن كلام مكاتب الدايلى تلغراف لا يعول عليه ، لأنه استطراد واستنتاج لا يبرره الحديث ، وأنت بشواهد عديدة على أن الرجل في كتاباته يخلط ، هذا فضلاً عن أنه لم يطلع الخديو على ما كتبه قبل النشر كما هو المعتاد في هذه الأحوال ، ولهذا لا يمكن التعويل على كلامه وكتابته .

وفي أول يونيو سألني الشيخ على يوسف تليفونياً من مصر عن هذا الحديث ، وعما يمكن أن يكتبه بشأنه ، فوعده بالمقابلة في اليوم التالي عند رجوعي لمصر من الاسكندرية بمناسبة اجتماع مجلس الأوقاف الأعلى ، ثم عرضت على الخديو الأمر فقال لي : « أنا لم أقل مطلقاً لديسي إنني ميال للسلطة الشخصية ، وقد صرحت لمكاتب الطان بعكس ذلك ؛ فكيف أقول الآن العكس . أما بالنسبة لما يقوله ديبي من أني موافق على الاحتلال ، فهذا لا يعقل ؛ لأنه لا يوجد مصرى يرغب احتلال بلده بدولة أجنبية ؛ أما تفضيل الانجليز على غيرهم ، فهو لا شك مما يقوله كل إنسان . » وأخيراً قال لي : « عندما تقابل الشيخ على يوسف في مصر أخبره بأن فسكري لم يتغير بالنسبة للاحتلال ؛ وقد أوضحت رأيي لمكاتب الطان بالنسبة للحكومة الشخصية ولا بأس أن يكتب ذلك . » ثم قابلت الشيخ وأخبرته بذلك فكتب شيئاً بهذا المعنى ؛ ولما رجعت عرضته على الخديو ، وكان اسماعيل أباطه باشا موجوداً ، فوافقا عليه ، وأمرني سموه أن أخبر الشيخ على يوسف بأن يقول : « إن مكاتب المؤيد قابل أحد رؤساء المعية — بدلا من أن يذكر اسمي — وعلم منه كيت وكيت . » قال الخديو : « وإن سئلت أقول إنني أجهل ذلك . » وقد حصل ونشر المؤيد تحت عنوان « صحيح الحديث » ما يأتي :

« قطعت جهيزة قول كل خطيب . كتب إلينا كثيرون ، ومن جملتهم احمد افندي عبد اللطيف الحامى ، بعد اقتناعهم من استنتاجات المؤيد ، وعتب الحامى المذكور عليه

بعد نشر خطاب له ، ولكن لم يشأ المؤيد أن يناقش ألفاظاً بألفاظ فأوفد مكاتباً خصوصياً للاسكندرية فقابل أحد رؤساء الجمعية وهذا ما قاله وأذن بنشره حرفياً :
 نقلت الجرائد في هذه الأيام حديثاً عن جريدة الديلي تلغراف عزاء مكاتبها للجناح
 العالي الخديوى وقد جاء فيه كلام عن مركز الاحتلال الانجليزى فى مصر وعن الحكومة
 الشخصية فى البلاد الشرقية ، والحقيقة أن المستر ديسى طلب قبل سفره من القطر المصرى
 مقابلة الجناح العالي وجرى معه حديث لم تعرض صورته بعد على سموه ، ومع اعتقاد
 الجناح العالي بحسن نية المكاتب فيما نشره ، إلا أن رأى سموه فى الاحتلال لم يكن
 من قبل مجهولاً ورأيه فيه لم يتغير ؛ وأما رأيه فى أمر الحكومة الشخصية فقد قاله سموه
 بأجلى عبارة لمكاتب الطان قبل الآن ولم يبد لسموه رأى جديد يخالفه .

اقالة اللورد كرومر وتعيين السير الدون جورست مكانه . بلغ الاستياء من
 سياسة الاحتلال غايته ، سواء فى ذلك الخديو والشعب المصرى ؛ وعرف الانجليز أن
 نفوذهم الذى عمل اللورد كرومر على تقويته وتدعيمه ، منذ تعيينه ممثلاً لانجلترا خلفاً
 للسير ادوارد مالت سنة ١٨٨٣ بدأ يتضاءل ويضعف على يد كرومر نفسه بسبب
 أخطائه الأخيرة ، ولا سيما فيما يختص بحادثة دنشواى التى صدعت من هيبتهم فى نظر
 أوروبا كلها ، ولما أحدثته هذه السياسة الغاشمة من رد الفعل وتقوية النزعة الوطنية ،
 وتنبه الافكار بين عامة الشعب ؛ عندئذ رأت انجلترا أن تضحي بفرد هو اللورد كرومر
 على أن تضحي بمصالحها العامة ؛ فقررت تعيين السير الدون جورست معتمداً بريطانياً
 خلفاً له ، ووضعت سياسة جديدة تقوم على اجتذاب الخديو إلى جانب انجلترا ، واستئالة
 الأحزاب الوطنية التى كانت تتمخض عن الظهور .

وصدر هذا القرار فى أول أبريل فكان له وقع حسن فى النفوس ، بعدما بلغ
 التذمر نهايته ، وبذلك أخذت البلاد تستعد للعهد الجديد بشئ من الرجاء .

وفى ٢٥ أبريل تألفت لجنة للاحتفال بوداع اللورد ، باشراف مستر فنسان كوربت
 المستشار المالى ، وقد قابل دومرتينو باشا وأشار إليه من طرف خفى أن اللجنة تود
 لو شرف الجناح الخديوى الأوبرا يوم الاحتفال ، وأنه إذا لم يحضر فإن اللورد يتحدث
 عن الخديو اسماعيل والخديو توفيق ، ولا يشير إلى سموه بشئ ، بل ينتقد على الأوقاف
 والأزهر والمحاكم الشرعية .

فسأل الخديو دومرتينو باشا عن مناسبة الحديث بينه وبين كوربت فقال :

و عندما أراد توزيع اللوجات ، فسكر في لوج الجناح العالى ولمح إلى أنه إذا لم يحضر سموه ، ففي وسعه أن يرسل من ينوب عنه .

وفي ٢٧ ابريل جاء اللورد وزار الخديو زيارة الوداع وقال لسموه ما يأتى :
 و جئت لآخر مرة ، وقد لا تتقابل بعد ذلك ؛ فالآن أريد ألا أخفى عليكم شيئاً فأقول
 بصراحة إن العلاقات الشخصية بينى وبينكم كانت طول المدة التى أقمتها حسنة . فأبدى
 الخديو شكره ؛ ثم قال اللورد : أما العلاقات السياسية فكانت سيئة وخصوصاً
 فى السنوات الأخيرة ، فان سموكم اندفعتم فى تيار اللواء والمؤيد وطلب مجلس نيابى .
 فأجاب الخديو بأنه لم يطلب ذلك ، وأتم اللورد كلامه قائلاً : « فما نفع هذا المجلس ؟
 ألم تعلموا أنه يكون ضدكم وأنكم تلعبون بالنار ، فعليكم أن تشجعوا وتخرجوا من المأزق
 الذى اندفعتم بنفسكم اليه وتركوا هذه الأمور لثلاثا تعرضوا مركز الخديوية للخطر .
 واعلموا أنه إذا حصل اختلال فى مصر واضطر الحال لاستخدام القوة العسكرية
 الانجليزية ، وأطلقت رصاصة واحدة فانها تكون القاضية على مصر وعلى العائلة
 الخديوية . ولقد كان اعتصاب سائى العربات مصبوغاً بصبغة سياسية وهذا شئ غير
 حسن ، ولكن لما يعلمه المعتصبون من قوتى وشدتى انتهى الأمر بسلام ولم يستمر
 الاعتصاب . ولكن بعد خروجى سيرجع وهناك الطامة الكبرى ، وأن المسيحيين
 والوطنيين وأغلب المصريين مستاءون من هذه الأمور .

وما الذى دفعك لمقابلة مكاتب الطان الذى نشر حديثك معه ؟ ولكن أما وقد
 حصل تغير الآن فى المعتمد ، فان الفرصة أمامك فيمكنك تغيير خطتك أولى من أن
 تكون سبباً للضرر بشخصك والخديوية وعائلتك .

فرد الخديو على اللورد بقوله : « إذا كنت تعنى بكلمة عائلتى أولادى ، فأنا
 والله الحمد عندى ما يكفينى ويكفيهم ؛ أما إذا كان القصد الأمراء الآخرون ، فأنت
 ضيقت عليهم دائرة الانتساب لأسرتى ، أعنى الذكريتو المحدد لأعضاء العائلة الخديوية ،
 وقد شجعتهم ضدى وعينت منهم أوصياء على أبناء العائلة بدون علمى ، ولم أعلمه
 إلا من الصحف .

ومن جهة سياسى فأنا أعلمتكم أننى لا أريد الضرر لبلادى وأننى أبتعد عما يجلب
 لها أى ضرر . وفى مدة الخمسة عشر عاماً كانت الاستقامة من شعائرى ، وكنت أجتهد
 فى تسهيل مهمتك ، وأنا آسف على نسيانك الخدمات التى قمت بها لك ، وأستغرب من

وصول كل إشاعة سيئة ضدى إلى أذنك ، وعدم وصول شيء من المساعي الحميدة التي كنت أقوم بها .

وبعد خروجه قال لنسا الخديو : « ... وكان كلامه في نهاية الغلظة ينم عن نزوع إلى الانتقام والتشفى من خصم لم ينل بغيته منه ويريد تهديده وتهديد مركزه . » وإزاء هذه الغلظة قرر الخديو ألا يرسل مندوباً عن سموه في حفلة الوداع بالآوبرا واكتفى بأن يتوجه سموه يوم ٢ مايو فيزور اللورد وزوجته في الوكالة البريطانية .

وفي عصر ذلك اليوم جاء السير الدون جورست وقابل الخديو وتحادثا معاً ، وأعلم سموه أنه لم يقابل الملك قبل سفره إلى مصر ، وأنه سيمكث لآخر يونيو لمراقبة الأحوال هنا ، ويعود إلى إنجلترا لشرحها لوزير الخارجية ، لأن التقارير ليست كالمشاهدة ، وبعد أن يمضى إجازته يعود للعمل . فأبدى له الخديو ارتياحه لتعيينه وقال له : « إننى أعتبر ذلك التفاتاً وترضية من جلالة الملك وحكومته لى ، حيث اختار أ رجلاً أعرفه واشتغلت معه وهو صديق لى ، فأؤمل يا سير جورست أن تكون فى المستقبل نفس الرجل الذى عرفته فى الماضى . » فأجابه السير بأنه يؤكد لسموه أن خطته لا تتغير ، وأنه سيكون دائماً الصديق القديم ، فرجاه الخديو ، لمعرفة شئون الداخلية والمالية والبلاد ورجالها وباللغة العربية ، ألا يعتمد فى معلوماته على واسطة . ثم قال الخديو : « عندما يبلغك شيء فلا تغضب بل احضر عندى فى أى وقت كان ، وتحادث معى حتى لا يقع سوء تفاهم بيننا ؛ وأؤكد لك أننى أريد خدمة بلادى باستقامة ولا أمل إلا للحق ، ولتسكن وجهتها واحدة ، ألا وهى العمل النافع لمصر . »

وبهذه المناسبة تحدث الخديو مع جورست عن جلسة مجلس النظار التى حدث فيها المناقشة فى مشروع مدرسة القضاء الشرعى وتوجه شيخ الجامع على أثرها إلى اللورد كرومر وشكا إليه ، فلم يضر يوم أو اثنان حتى أرسل سعد باشا لشيخ الجامع خطاباً يعدل فيه ما ورد فى الدكرى والخديو . وقال الخديو :

« فهل يمكن أن يعدل الدكرى والخديو بخطاب بسيط من ناظر المعارف ؟ »

وبعد انتهاء الزيارة ، بلغنى من دومرتىو باشا نقلاً عما سمعه ، أن الانجليز يقولون إن جورست سيكون سهلاً ليناً فى البداية حتى يحدث من الخديو ما يستوجب الملاحظة فيكون عندئذ شديداً جداً على سموه .

وفى ٣ منه علمت من بطرس غالى باشا ، أن اللورد كرومر نقل كل ماجرى بينه

وبين الخديو من الحديث بنصه لمسيو دوفيل بوا قنصل عام هولانده وأقدم القناصل الموجودين بمصر ؛ وعلم بطرس باشا من كرومر أيضاً أن الخديو وعد بأن يتبرأ من الحزب الوطني في الخطاب الذي سيلقيه يوم استقبال جورست ، وأنه ألقى على سموه نصائح بصفته محباً له بأن يبتعد عن مصطفى كامل وعلى يوسف واحمد شوقي ؛ ثم قال لى بطرس باشا : « إن اللورد حدثني بغاية الاعتدال ، وليس كما سمعته وقاله لى الخديو ؛ وقد أبدى لى اللورد أنه بتغييره وتعيين جورست قد أتاحت لسموه فرصة ثمينة للخروج من المأزق الحرج الذى زج فيه بنفسه . ولم يقل لى شيئاً عن تهديده للأريكة الخديوية بل قال فقط : إن السياسة الحالية بما تضر الخديو . »

وفى أول مايو توجه مصطفى فهمى باشا وقابل البرنس حسين كامل باشا ، واجتهد فى إقناعه بقبول حضوره فى حفلة وداع كرومر .

وأرسل المستشار المالى خطاباً لرياض باشا يطلب منه فيه الاشتراك فى هذه الحفلة ، فقبل ؛ ولما سئل إذا كان ينوى الخطابة ، أجاب نفيًا .

وبلغنى بعد ذلك ، أن وكيل البنك الأهلى بالاسكندرية ، وهو انجليزى ، بذل وسعه فى ضم الوطنيين للاحتفال باللورد فلم ينجح ، فهدد بعدم مساعدتهم وقت اللزوم . وقال لكامل بك تيمور : « أنت رجل مالى ولك أشغال كثيرة وتحتاج إلى المال فاذا أبيت الانضمام فانا نحن أيضاً نمنع عنك المال حين احتياجك إليه . » ومع هذا التهديد فقد رفض الحضور .

وفى ٢ مايو توجه الخديو صباحاً لزيارة اللورد بدار الوكالة البريطانية وكان اللورد فى انتظاره على آخر درجة من السلم ؛ وتقابل الخديو مع زوجة اللورد ، ولم يحضر الاجتماع أحد ، وجرى الحديث عن الهواء والمناخ والازمة المالية وبعد ذلك أوصله اللورد حتى الباب الداخلى .

وقد بذل رجال الاحتلال كل مجهود لاحتضار أكبر عدد من الوطنيين فى حفلة الوداع ولكن بالرغم من هذه الجهود فقد رفض الكثيرون الحضور .

وجاءنى واطسون باشا الياور الخديوى يسعى فى حضورى فاعتذرت بأنى سأكون يوم الاحتفال فى الاسكندرية ، كما اعتذر عزت بك بأنه لا يعرف اللغة الفرنسية التى ستلقى بها الخطب ؛ أما احمد زكى باشا فقد اضطر للقبول .

ورفض يوسف ضيا باشا الحضور وقال : « إنه لاوقت لديه للتوجه للإوبرا . »

وقد علمت من الخديو أن واطسون باشا كتب أمام أسماء رؤساء الجمعية الاعتذارات التي قالوها عندما عرض عليهم أن يحضروا حفلة الأوبرا .

وقال لي مسموه أيضاً إن البرنسات الذين يخاصمونهم من عائلة حلیم وعائلة فاضل وربما أيضاً البرنس عمر طوسون ، قبلوا الدعوة للاحتفال بكل ارتياح ، وإن البرنس سعيد حلیم كتب خطاباً إلى اللورد فيفيس مدحاً وشكراً للرعاية التي كان يوليهم إياها . وكتبت الصحف الوطنية تندد بالذين سيحضرون الاحتفال ، ولا سيما بالبرنس حسين كامل باشا . وهكذا مرت الحفلة يوم ٤ مايو دون أن يحضرها من الوطنيين إلا عدد قليل ممن أثر عليهم صنائع الانجليز ؛ أما هؤلاء فقد حضروا جميعاً بطبيعة الحال في الاجتماع .

وقد ألقى اللورد خطبة ضافية في هذا الاحتفال ؛ لا حاجة بنا لا يراها ؛ ويستطيع القارئ أن يراجع هذا الخطاب الذي تلاه كرومر بالطن على الأمة المصرية ورجالاتها ، في الصحف التي صدرت في هذه الفترة ، ولكننا نحيله على المقال الشهير الذي رد به الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد على خطاب كرومر وفند فيه مطاعنه بقوة وذلافة ، وقد نشرته جريدة المؤيد عقب الاحتفال .

جورست وسياسة الوفاق الجديد . في ١٠ مايو اطلعنا على الخطبة التي سلقها جورست يوم استقبله الرسمي ، فوجدنا بها نقطتين هامتين : الأولى أنه نوه فيها بتأكيد روابط المحبة من زمن بعيد بين إنجلترا والدولة العلية ، والثانية اعترافه في آخر خطابه بأن حكم مصر إنما هو للجناب الخديوي .

وقد أرسلنا فأحضرنا خطبة كرومر سنة ١٨٨٣ للموازنة بين الخطبتين فوجدناهما متماثلتين تماماً ، ولكن جورست أشار فقط في خطبته إلى السنين التي قضاه في خدمة الحكومة المصرية بنظارة المالية .

وفي ١٦ مايو كانت الاستقبال الرسمي ، فألقى السير الدون جورست خطبته المذكورة بعد تعديل فيها بحذف اسم الدولة العلية ، لأنه رأى في الرد الذي أعدته — بصفتي رئيساً للديوان الأفرنجي ، وبعد عرضه على نظارة الخارجية كالمعتاد — أننا سنقول : « روابط الود بين إنجلترا والدولة العلية وبالأخص مصر . » فاكتمني هو بذكر مصر فقط ؛ وكان في ردنا جملة أخرى وهي : « تأكد ياسعادة الوزير أنك ستجد مني كل المساعدة بالاخلاص . » وقد أراد الخديو حذفها ولكن بطرس باشا استصوب بقاءها .

ثم إن الذى سر الخديو فى خطبة جورست اعترافه بسيادة الدولة العلية حيث تكلم عن توثيق روابط المودة بين انجلترا والدولة العلية ثم اعترافه بأن الحاكم لمصر هو الخديو حيث قال جورست : « إنى أشعر فى خاصة نفسى بارتياح لاختيار الملك لى وكيلًا مفوضاً ، وقصلاً عاماً فى بلاد أنت مليكها الكريم . »

وفى ١٩ مايو قابلت البرنس حسين كامل باشا ودار الحديث بيننا عن المعتمد الجديد ، فقال البرنس إنه قابل جورست وفهم منه أنه ميسال لاصلاح الأمور ، وقال دولته للمعتمد : « إن المديرين مغولة أيديهم عن العمل بسبب المفتشين الانجليز ، مع أنهم أدرى بمصلحة البلاد . فرد بأنه يجب تغيير هذه الخطة . »

وفى ٢٥ مايو زار المعتمد عباساً ودار بينهما حديث ودى ، وقال جورست إنه سيسافر إلى انجلترا لعرض الحالة على ناظر الخارجية شخصياً بدل التقارير ، وإنه سيعود بعد ذلك لمصر للعمل بكل إخلاص مع جنابه العالى .

وقد زار المعتمد الخديو مرة ثانية فى ٥ يونيو ، ولكن سموه لم يصرح بشئ مما دار بينهما من الحديث ؛ بيد أنه بعد خروج جورست قابل سموه اسماعيل أباطه باشا ففهم من سموه أمرين مما يتعلق بهذا الحديث : وهو أن جورست ابتدأ فى انتقاد أعمال كرومر ولم يرد عليه الخديو ؛ والثانى أن جورست نصح بعدم الاشاعة إلى أن فى مصر أحزاباً ؛ وقد فهمت من ذلك أن جورست أراد ألا يتكلم الناس عن الحزب الوطنى لأنه ربما هو الذى يثير أفكار الانجليز .

وفى ٢٢ يونيو ، سافر الخديو إلى الأستانة فوصلها يوم ٢٧ منه ؛ ومكث بها أسبوعاً ثم بارحها إلى ديفون لأخذ الحمامات .

وفى ١٠ يوليو سافر جورست إلى لندن ؛ وقد كلفنى بطرس غالى باشا أن أرسل برقية للجناب العالى : « بأن المعتمد سافر مرتاحاً من حسن معاملة الخديو له ومن سير الأمور فى مصر على العموم ، ووعده بأنه سيعلم بذلك وزارة الخارجية الانجليزية لنظمين الخواطر ، لأن تقارير كرومر كان لها تأثير سيئ فى النفوس . » ففعلت .

وفى ٢٥ منه جاءنى مظلوم باشا ناظر المالية وطلب منى أن أرسل برقية للجناب العالى بأن المستشار المالى سيقدم استقالته ؛ وقد فهمت من حديثه أن سبب استقالته ملاحظة جورست عليه واتقاده لسياسته المالية وكثرة الانفاق من الاحتياطي ؛ وفهمت كذلك أن جورست غير مستريح لمستشار الداخلية المستر متشل اينس ، ولا إلى

اللورد سيسل الذى رشح لأن يكون مستشاراً مالياً ؛ وقد أرسل جورست للخديو فى ديفون خطاباً رقيق العبارة يفيض بعبارات الاحترام ، يعلم سموه باستقالة كوربت ، ويعرض على أعتابه تعيين خلف له إذا وافق ولى النعم عليه . وهذا أمر ما كان يصدر فى عهد كرومر ؛ إذ كانت التعيينات كلها تجري دون أخذ رأى الخديو .

فرد الخديو عليه بخطاب يقول فيه إنه واثق من الشخص الذى انتخبه لثقة سموه فيه ، ولهذا يوافق عليه ؛ وقد خلفه فى ٩ أكتوبر المستر هنرى بول هروى .

وعاد الخديو فى يوم ٢ أكتوبر ، وقضى ليلة فى المحروسة ، وقابل النظار فى سراى رأس التين فى اليوم التالى .

عهد جديد : هذا وقد بدأ عهد جديد فى البلاد من ناحية سياسة المحتلين بعد رجوع جورست من لندن ؛ فكان أول أعماله أن جمع لديه كبار الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية ، وأوصاهم بمعاملة أقرانهم المصريين بالحسن ، وعدم الخروج عن دائرة نفوذهم واختصاصهم ؛ ولم يحضر هذا الاجتماع سوى الموظفين الانجليز ، وقد أمرهم بكتمان هذه النصيحة ؛ ولكن الغريب أن المؤيد نشرت الخبر فى اليوم التالى . وفى أول ديسمبر تقابل بطرس باشا مع الخديو ، فأبدى سموه ارتياحه للمعتمد الجديد وخطته .

وفى ١٧ منه قابلت بطرس غالى باشا ، فعلمت منه بحصول الوفاق بين الخديو وجورست على منح الرتب والنياشين ، سواء أكان ذلك بواسطة الداخلية أم من لهن جنباه .

وقد أفهمنى أنه يخشى أن تحدث فى هذا الشأن أخطاء كالتى وقعت ، وأن تعود تجارة النياشين ؛ وذلك لا يحسن أمام جورست .

وفى ٢٣ ديسمبر ، بعد مقابلة بين الخديو والمعتمد ، علمت أنه أخبر سموه أن الحكومة الانجليزية لا تعارض فى العفو عن مسجونى دنشواى ، وأنه قر الرأى على إصدار العفو فى عيد الجلوس الخديوى .

وهكذا سارت الأمور فى هدوء فى ظل العهد الجديد .

أرضى بهد الخديو . فى ذلك الحين تغيرت حالة الخديو عن ذى قبل ، وأصبح كثير الصخب ، يتكدر ويسخط لأقل شئ ، وغدا مشقت الأفكار ؛ فراعتنا هذه الحالة التى لا نعلم لها سبباً .

وفي يوم ٢٥ مايو قابلت بطرس غالى باشا ، وعرضت عليه الحالة ، فقال لى إنه توجد إشاعة بأن الخديو كان يكلف أحد الانجليز بالكتابة فى صحف انجلترا ضد كرومر ، وأن هذا الرجل ، نظراً لوجود مكاتبات لديه من الخديو ، يطلب مبلغاً عظيماً ؛ وإلا فإنه يفضح الأمر ؛ وهذا ما يخشى الخديو حدوثه من وقت لآخر .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن سموه متكدر من السلطان ، لأنه رغب أن يشتري أرضاً واسعة بالضلمان فيها غابات يمتلكها رجل اسمه شريف افندى من أزمير بمبلغ ١٢ ألف جنيه ، وقد أراد سموه أن يكون البيع باسم الركدار احمد آغا الكريدلى . فلما علم السلطان بذلك ، حال دون إتمام الصفقة ، فتأثر الخديو جد التأثر ؛ ولكن انتهى الأمر بشراء عباس هذه الأرض ويظن بطرس باشا أن الخديو لهذا السبب لا يتوجه هذا العام إلى الاستانة ، وتتمنى لو حدث ذلك ؛ ولكن سموه لم يتأخر عن السفر إليها .

وفي أثناء هذه المقابلة جرت سيرة احمد شوقى بك ، فقال بطرس باشا : « إنه ربما كان الوساطة بين الخديو وهذا الانجليزى . » وزاد على ذلك قوله : « ما هو انت يا شفيق اللى جتته كما بلغنى ، لأن أفندينا كان زعلان منه ، وأراد أن يخرج من المعية لولا مساعدتك له . » وقد كان يظن بطرس باشا أن ذلك حدث فى الأيام الأخيرة ، ولكنى أفهمته أن ذلك حدث أيام حسن عاصم باشا ؛ إذ أراد شوقى بك أن يقدم استقالته ؛ ولكن نظراً لذكائه ونشاطه ومقدرته فى الترجمة وحاجة المعية إلى خدماته ، فقد منعه من ذلك ؛ ولم أكن أعلم أنه يصل به الأمر لما نراه الآن ، كما أخبرت بطرس باشا بأنه وشى بى عند الخديو ، فقال لى إنه يعلم ذلك .

وبعد ذلك سألت دومرتينو باشا عن مسألة هذا الانجليزى ، فقال لى : « نعم هى مسألة حقيقية ؛ وقد علمت أن هذا الرجل كان قد حضر لمصر ، وطلب الحصول على امتياز كثير الفائدة ، ولكن جورست وقت أن كان مستشاراً مالياً رفض ذلك . فلما ذهب الشيخ على يوسف إلى لندن ، وعده بمساعدة مالية إذا رضى أن يكتب الجرائد الانجليزية ضد كرومر وأعماله ؛ فقبل وكتب واستمر على ذلك مدة ؛ ولم يعرف اللورد سر المسألة حتى توصل قبل خروجه من مصر إلى معرفة هذا الرجل ، وعلم أن بيده خطابات كثيرة عدا خطابات أخرى من الشيخ على يوسف بأمر الخديو ، ومنها يعلم أنه أرسلت إليه نقود تبلغ الألفى جنيه ، وخطابات أخرى تفضح الخديو وكاتبها . وأخيراً طلب اللورد من هذا الرجل أن يعطيه هذه الخطابات مقابل إعطائه الامتياز الذى يريد فأتى .

وأخيراً تفاوض الرجل مع الوسطاء بينه وبين الخديو، وطلب مائة ألف جنيه وإلا فانه يسلم الأوراق للوكالة البريطانية؛ وعليه انتدب سموه كلا من أحمد شوقي بك وحسين محرم باشا للمخاطبة في هذا الشأن مع الرجل، ولكنه رفض خمسين ألف جنيه تعويضاً... مسكين الخديو لا يعرف من أى جهة يأتيه السكدر والضرر!

وفي ٢٩ مايو علمت من بروستر بك حقيقة مسألة الانجليزى؛ وهو مستر موزلى الذى كان قاضياً بالمحاكم الأهلية وأرغم على الاستقالة؛ ولكنه ليس هو الذى يهدد بتسليم الأوراق للوكالة البريطانية، أو يطالب بتعويض، لأنى أعرف أنه يوجد اتفاق يقضى بمنحه ١٢٠ جنيهاً كل ثلاثة أشهر، وقد صرف له ذلك عن يدي من الخاصة منذ أسبوع فقط؛ أما الرجل المقصود فهو رجل أرمنى كانت له علاقة بالشيخ على يوسف وموزلى، وتفاهم مع الخديو بخصوص الكتابة فى الجرائد واسمه اسطفان بك، وأعرفه لما كنا فى الخارجية معاً، ويعمل الآن فى بيع وشراء الأراضى، وكان هو الذى طلب من الحكومة أراضى أظهرها بحجة النوبارية، ولم تساعد الوكالة ولا جورست أيام أن كان مستشاراً مالياً. وقد انتهى الأمر بحصوله على مبلغ من الخاصة، وطويت المسألة.

الزُرْمَةُ المالية. فى السنوات السالفة ارتفعت أثمان العقارات والأراضى الزراعية لدرجة لم يسبق لها مثيل، فكانت الصفقة تباع فى الصباح بثمان عال، وفى المساء تباع بثمان أعلى؛ وكثرت المضاربة حتى أنى كنت أملك ثلاثة أفدنة من الأراضى الزراعية فى شارع الهرم اشتريتها بمائة جنيه للفدان فبعتها بسعر ١٣٠٠ جنيه؛ كما أنى اشتريت ثلاثة أفدنة أخرى فى شبرا بسعر الفدان ١٨٠٠ جنيه، وكنت أرجو المكسب الطائل؛ ولكن خاب ظنى فهبطت الأسعار إلى درجة كبيرة؛ وكذلك اشتريت ٢٠٠ فدان أرضاً غير مزروعة خارج زمام الفيوم بسعر الفدان ١٠ جنيهات، ولسكنها هبطت إلى جنيه واحد للفدان (*).

وكان كرومر فى تقريره السنوى قد أشار إلى أن هذا الارتفاع الفاحش فى الأسعار لا بد أن يكون له رد فعل وأنه سيعقبه هبوط كبير؛ وقد تحقق ظنه! ووقعت الأزمة، وامتنعت المصارف عن التسليف خصوصاً تلك التى كانت تستورد أموالها من الخارج، وأخذت تطالب بما لها من الديون، فأرهب الكثيرون وكنت منهم. وفى ٢٠ يوليو بعثت بريقة للدكتور كاوتسكى بك بناء على طلب بطرس باشا

(*) وهى باقية على ذمتى للآن بلا زراعة.

ليعرض على الخديو أن الأزمة المالية أثرت في التجارة ، وأن رجال المال في مصر يسعون في توقيع مذكرة يرفعونها للمالية ، لا قراض البنك الأهلي ثلاثة ملايين من الجنيهات ، للعمل على تخفيف الأزمة .

وكان رأى السير جورست أن الأزمة الحالية لا ينتظر انقضاؤها قبل عامين أو ثلاثة ، حتى تعود الثقة المالية التي أثرت فيها تقارير كرومر وخطة الحزب الوطنى . ومن هنا بدأ نقده لسكرومر وسياسته .

وفى ٢٦ يوليو أرسلت لسمو الخديو برقية بذلك ، وأتبعها فى اليوم التالى برقية أخرى عن إحصاء المحال التجارية التى أعلن إفلاسها ، وقد بلغت الثمانين !

وفى نفس اليوم وردت لى برقية من طورنيزن باشا بأن أطلعه يومياً على الحالة المالية وموقف الحكومة منها ، لاحاطة الخديو بها تبعاً ، فأرسلت اليه برقية فى ٢٩ منه بتفصيل عن الحالة ، وبما جاء فيها : « إن المزارعين باعوا قطنهم بنقص ٢٠ قرشاً عن أسعار الكونترات بسبب المناورات التى قام بها تجار الصادرات ، ليتمكنوا من الشراء بأسعار رخيصة ؛ وكان المعتاد أن يكون البيع فوق الكونترات . » ثم تفاصيل أخرى توضح حرج الحالة وتفاقمها .

قيام الأحزاب المصرية . منذ أواخر العام الماضى نشطت حركه تأليف الأحزاب المصرية بصفة منتظمة ؛ وهى ثلاثة : الحزب الوطنى ، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وحزب الأمة .

وابتداً تأليفها منذ أكتوبر سنة ١٩٠٦ ، وانتهى فى سبتمبر سنة ١٩٠٧ ؛ وإليك خلاصة عن ظروف تأليفها ، وبيان برامجها المختلفة :

الحزب الوطنى : كان مصطفى كامل قد سافر فى صيف هذا العام إلى أوروبا للدعاية لمصر ، وعاد فى أواخر سبتمبر ، وخطب فى الاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر خطبة طويلة أعلن فيها مبادئ الحزب الوطنى ؛ وكان مصطفى كامل معتل الصحة فى ذلك الوقت ؛ فلما رأى تأخر صحته أسرع بتأسيس الحزب ، وخطب خطبته فى ٢٧ ديسمبر بالقاهرة ، وكان معظم الوطنيين يلتفون حوله قبل تأليفه بطريقة رسمية .

وكان برنامجهم واسعاً يجرى أصحاب النفوس الطامحة ، ويرضى المنتظرين والشبان . وهذا هو : —

- (١) استقلال مصر كما قررته معاهدة لندره سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذى يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلى عن تركيا .
 - (٢) إيجاد دستور فى البلاد بحيث تكون الهيئة التنفيذية مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوروبا .
 - (٣) احترام المعاهدات الدولية ، والانفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون ، وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية ؛ ما دامت مصر مدينة لأوروبا ؛ إذا طلب منها ذلك .
 - (٤) الصراحة فى انتقاد الأعمال الضارة ، وتشجيع الأعمال النافعة للحكومة المصرية .
 - (٥) العمل لنشر التعليم على أساس وطنى صحيح ، بحيث ينال الفقراء منه أوفى نصيب .
 - (٦) ترقية الزراعة والصناعة والتجارة .
 - (٧) بث الشعور الوطنى فى الشعب ، وإفهامه حقوقه الوطنية ، ودعوته للائتلاف والتساند بين عنصريه .
 - (٨) العناية بالشئون الصحية .
 - (٩) بث روح المحبة بين المصريين والأجانب .
 - (١٠) تقوية العلائق بين مصر والدولة العلية .
 - (١١) الدعاية لمصر فى الخارج ، ونفى كل شبهة عنها يلصقها بها خصومها .
- ويشترط لقبول الأعضاء بالحزب الوطنى ما يأتى :
- (١) أن يكون الطالب مصرياً ، معروفاً بالأخلاق الفاضلة ، لم تصدر عليه أحكام تمس شرفه وسمعته .
 - (٢) ألا يكون عضواً فى حزب آخر .
- أما الأعمال التى ستعرض على الجمعية العمومية للحزب الوطنى للتصديق عليها فأهمها :
- فى ميدان السياسة :
- وضع تقرير سنوى باللغات الثلاث : العربية والفرنسية والانجليزية عن حالة

مصر، يردّ فيه على ما يورده معتمد الدولة البريطانية في تقريره ضد مصالح المصريين وآمالهم، وتبين فيه مقاصد الأمة ومطالبها والأمور الشاغلة لها.
في ميدان التربية والتعليم :

إعداد المعدات لمؤتمر التربية . والسعى في تنفيذ قراراته بعد انعقاده . وسيدعى الذين اشتركوا مبدئياً في هذا المؤتمر للاجتماع في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٧ بمدرسة مصطفى كامل ، لتقرير الأمور المبدئية اللازمة لعقد المؤتمر (*).

وهذا الحزب هو أقوى الأحزاب المصرية ، وأعظمها في العدد والنفوذ .

حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية : بعد تأليف الحزب الوطني ، تحركت فكرة تكوين الحزب الذي رأى الشيخ على يوسف صاحب المؤيد إنشاءه ، خصوصاً وقد شعر الخديو بأن الحزب الوطني قد توسع في برنامجه بما لا يناسب الحالة الجديدة ، حالة الوفاق بين سموه والسير الدون جورست ، وأنه لا بد من قيام حزب يؤيد سموه ويكون عاملاً من عوامل التوازن .

عندئذ أُلّف الحزب الثاني في أبريل ، وسمى « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » ، برئاسة الشيخ على يوسف ، ووكالة أحمد حشمت باشا ؛ وهذا ملخص مبادئه :
(١) تأييد السلطة الخديوية فيما منحها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الإداري .

(٢) الاعتماد على الوعود والتصريحات التي أعلنتها بريطانيا العظمى عند احتلالها القطر المصري ، ومطالبتها بتحقيقها .

(٣) المطالبة بمجلس نيابي مصرى يكون تام السلطة فيما يتعلق بالمصريين والمصالح المصرية .

(٤) أن يكون التعليم الابتدائي عاماً ومجاناً .

(٥) أن تكون اللغة العربية لغة التعليم في البلاد .

(٦) أن تعطى الوظائف في المصالح المصرية للوطنيين بمقتضى الكفاءة ، مع تقليل عدد الأجانب بقدر الامكان .

(*) ولكن هذا المؤتمر لم يعقد .

(٧) أن تكون محاكمة الأجانب جنائياً أمام المحاكم المختلطة .



حسن عبد الرازق باشا

حزب الأمة : بينما كان الخديو

في أوروبا ، كان محمود سليمان باشا ،
وحسن عبد الرازق باشا يؤلفان
« حزب الأمة » ، وتم ذلك في ٢١
سبتمبر ، وجعلت « الجريدة » التي
يشرف على تحريرها الأستاذ احمد لطفي
السيد بك لسان حاله . وقد خطب يوم
تأليفه عبد الرازق باشا ، نائباً عن محمود
باشا (الرئيس) الذي تخلف لأسباب
صحية . وقد كان الخديو يخشى أن يكون
لسعد زغلول باشا وأخيه احمد فتحي
زغلول باشا يد في تأليف هذا الحزب ؛

لذلك سألتني مرتين وهو بأوروبا عن ذلك فأجبته بأنه لم يظهر لي أن لهما علاقة به .

وكانت تلخص مبادئ هذا الحزب في :

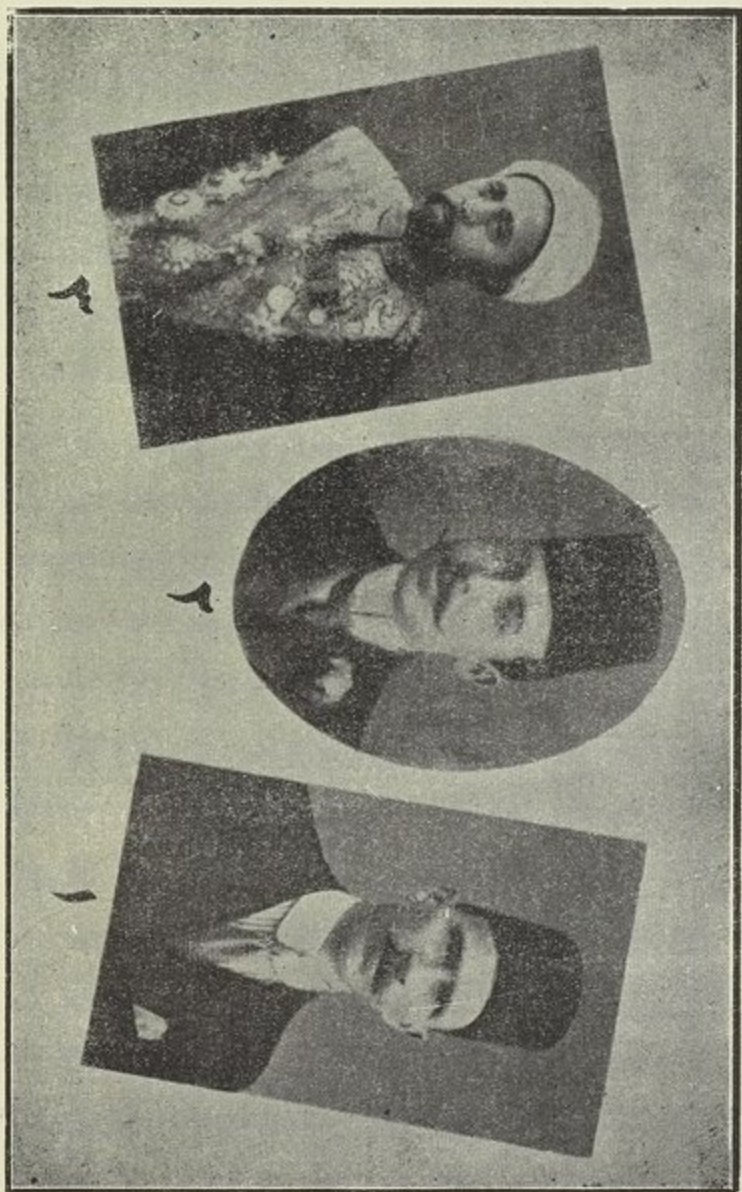
(١) معاضدة حركة التعليم ونشره بكافة الطرق وجعله إجبارياً في الأولى
والابتدائي .

(٢) الحصول على حق البلاد الطبيعي في الاشتراك مع الحكومة في وضع
القوانين والمشروعات العامة ، وتوسيع اختصاص مجالس المديريات
ومجلس شورى القوانين ؛ تدرجاً إلى إيجاد مجلس نواب .

(٣) توسيع نطاق الجمعية الزراعية توصلاً إلى تقدم البلاد الزراعي ، وعدم
إهمال الصناعة والتجارة ، والسعي لترقيتهما .

وبعد حضور الخديو من أوروبا دارت عدة أحاديث بينه وبين رجال معيته في
شئون هذا الحزب . وقد ظهر بعد ذلك أن لسعد باشا يد في تأليفه ، وأنه يعمل سراً مع
أخيه فتحي باشا لتقوية نفوذه . وقد علمنا أن اللورد كرومر كان من المعضدين لقيام هذا
الحزب إذ كان يتوسم فيه مناهضة سياسة عباس .

وكان رأى الشيخ على يوسف تأليف حزب يعضده رجال اللجنة المصرية في البرلمان الانجليزى ، التى تشكلت للبحث فى الشؤون المصرية ، كما سبق الاتفاق بينهم وبين مسيو موزلى ، ولكن رُوى أن الانتظار أفضل .



٣ — الشيخ على يوسف

٢ — مصطفى كامل باشا

١ — أحمد الطبق السيد بك

وفي ٦ أكتوبر بلغنى من اسماعيل أباطه باشا أنه تقابل مع بعض أعضاء حزب الأمة ، وطلبوا منه الدخول فيه فأبى لعدم انتظام الحزب ، حتى إن جميع محررى « الجريدة » أعضاء فيه ، وأنه طلب إليهم إجراء انتخاب ، وانتقاء الأعضاء حتى يستطيع العمل معهم ؛ وقد فهم منهم أنهم غير مرتاحين لخطة « الجريدة » .
وبعد تأليف الأحزاب الثلاثة اشتدت المنازعات بينها ، ولا سيما بين الحزب الوطنى وحزب الإصلاح .

وكانت جريدتا اللواء والمؤيد ميداناً لهذا النزاع ، الذى وصل فى كثير من الأحيان إلى حد المهاترة والاتهامات الخطيرة ، حتى لقد اتهمت المؤيد ، مصطفى كامل بأنه يقلد عرابى .

وقد كتب مراسل التيمس بتاريخ ٢٠ نوفمبر كلمة عن « الأحزاب فى مصر » ، جاء فيها ما يلى : « إن الحرب الصحافية التى دارت رحاها بين ما يدعى « أحزاب الوطنيين » (١) ، لا تزال قائمة بحدة وشدة .

« أما الحزب الوطنى (الرسمى) الذى ألف سنة ١٩٠٦ ، فقد انقسم إلى قسمين : حزب المتطرفين . برياسة مصطفى كامل باشا ؛ وحزب المعتدلين ، برياسة الشيخ على يوسف (٢) .

« وإنك لا تجد فرقاً بين ما عرضه هذان الصحافيان المتناظران من المشروعات الإصلاحية . ولكنهما اختلفا فى أمر واحد ، وهو أن كامل باشا يطلب جلاء الانجليز عن مصر فى الحال ، وينتقد المحتلين والحكومة المصرية الحاضرة بلهجة عنيفة .

« أما مناظره — وهو أوفر منه حكمة . أو أكثر خوفاً وتدبراً فى سوء العواقب — فانه يرى الآن ، أو يتظاهر ، أن مسألة الجلاء خارجة عن دائرة السياسة الممكن تنفيذها . ويشكر على زعيم المتطرفين وأنصاره حدة لهجتهم (وقد كانت لهجته من قبل) ولكن يصح أن يقال أن المؤيد والمنبر — وهما لسان حال المعتدلين — قد أظهرتا تعقلهما السياسى وحكمتهم . بسعيهما أخيراً وراء إيجاد تفاهم أفضل وأنفع مع الأمة المحتلة .
« وأما حزب الأمة الذى تألف حديثاً . فانه حتى الآن لم يقم بعمل يستحق الذكر .

(١) يرى بذلك إلى الحزب الوطنى وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية وحزب الأمة

(٢) الحقيقة أن الشيخ على يوسف لم يكن منضياً للحزب الوطنى

ولعله أقرب إلى المحافظين في تأثيره على طبقة الملاك ، لا على طبقة الموظفين والشبان والطلبة والمحامين ؛ فإن من أهم من هؤلاء بالسياسة ، كان مناصراً لمصطفى كامل باشا .

من استبعاد عباسي . في ١٩ مارس سمعت من الشيخ احمد الزناتي أن أحد متخرجي مدرسة القبة المسمى جمعة افندي الموظف بتفتيش المنتزه ، أتى في الصيف الماضي أن ينفذ أمراً ، فصدر الأمر بتشغيله في مشال لحم ؛ ولما علم بذلك هرب ، واستخدم في إحدى الشركات ، فنبه الخديو على الشيخ احمد أن يبحث عنه ويسترجعه لخدمة الخاصة بأي مرتب كان ، حتى يوقعه تحت طائلة عقابه الصارم .

وفي ٣٠ مارس طلبني الخديو فوجدته متكدر جداً ، وسألني عن شرف افندي رئيس فراشي سراي عابدين ، فقلت لا بد هو موجود . وبعد أن سبه ولعنه أمرني أن أعمل تحقيقاً معه في سبب غيابه ، وعدم مباشرته أعماله ، وكذا مع فراش آخر أهمل في واجباته ؛ وبعد التحقيق أقطع خمسة عشر يوماً من مرتب شرف افندي ، وأفضل الثاني . فقامت بالتحقيق المطلوب . فأتضح لي أن شرف افندي لم ينقطع عن عمله مدة وجود الخديو في عابدين ، أو في غيبة سموه ؛ وأنه في ذلك اليوم لم يخرج من السراي إلا لاستحضار أحد العمال ، لوضع لوح من الزجاج في مشرفة السلامك .

أما الفراش الذي يقول عنه الخديو إنه أهمل في واجباته . فقد ظهر أن الخديو أمر بإيقاد الحمام للاستحمام ، فنبه شرف على أحد الفراشين ، وهذا نسي أن يبلغ الشخص المختص بهذا العمل . وعند دخول الخديو إلى الحمام لم يجد ماء ساخناً ، فأحضره في الحال من ماء القهوة . وهذا ما كدر الخديو .

ولكن رغم هذا التحقيق فقد أصر الخديو على قطع خمسة عشر يوماً من مرتب شرف افندي ، وطرده الفراش المهمل .

وقد أمر الخديو بفصل عويس بك أحد موظفي سراي رأس التين ، لأن سموه طلب منه مراتب وكراسي من الموجودة بالسراي لارسالها إلى تكية المنتزه ، فرفض عويس بك قائلاً : إن المراتب يمكن أن يقال عنها إنها استهلكتك وأدخل قطنها في التنجيد ، أما الكراسي فنظراً لأنها مقيدة في العهدة فلا يمكن إرسال شيء منها !

سُوءه مختلف

أراضي واحة سيوة : قام الخديو في هذا العام برحلة إلى سيوة ما بين ٢٨ يناير

و ١٩ فبراير . وفي أثناء وجوده هناك أنعم ببعض الهدايا على الأهالي ، وأعطى للمأمور سيوة نقوداً وقاشاً لتوزيعها على الأهالي ؛ وحدث عند توزيعها أن تألم البعض من مساواتهم جميعاً في هذه المنح سواء من كان منهم يعمل بأرض الخديو أو لا يعمل ، وقاموا ضد المأمور واتهموه بالتحيز والغرض .

وقام بعض المشايخ وادعوا أن المأمور كان اشترى لى ولحسين رمزي باشا ويوسف ضيا باشا أرضاً بثمن يبلغ الأربعائة جنيه ؛ أى أكثر مما قبضوه عند توقيع عقد البيع ، وطلبوا منه دفع الباقي فأفهمهم أن الثمن كله مدفوع فأنكروا وتأمرؤا عليه . وبعد جهد اتفق معهم على إعطائهم مبلغ سبعين جنيهاً مصرياً زيادة على المبلغ المدفوع منى و ٥٨ جنيهاً من يوسف ضيا باشا و ١٣٠ جنيهاً من حسين رمزي باشا . فرضوا و انتهى الأمر على ذلك . ولكن المشايخ عادوا فأوعزوا للأهالي برفض هذا الاتفاق وأرسلوا عرائض مع مندوبين من قبلهم للخديو ولنظارة الداخلية . فأرسل المأمور تقريراً وطلب فيه من سمو الخديو أن يرسل مندوباً لتهدئة الأهالي وإنقاذه من هذا المأزق الحرج ، وقدم المندوبون ورفع الأمر إلى الخديو وكان من رأيه أن تتنازل عما اشتريناه ! ولما قابلت الخديو لا منى على أنى لم أخبره بأمر هذه الصفقة . فقلت إن المسألة ترجع إلى الصيف الماضى حيث كان المأمور فى الاسكندرية ، وطلبت منه أن يشتري لى أطياناً ، ولكن بعد أن يستأذن ولّى النعم ، وقد استأذن من سموكم لأنه عرض عما إذا كان بعض المصريين يريدون مشتري شئ فهل يساعدهم فأجيب بالقبول ، وقلتم سموكم إن المصريين أولى من الأروام مثل جورجى وغيره .

فقاطعتنى الخديو قائلاً إنه ظن أن الأمر متعلق ببعض أقرباء المأمور . أما الآن فإن أهل سيوة اشتكوا للداخلية ، وسيفتح ذلك أعين المحتلين وآذانهم فيتدخلون فى أحوال سيوة وهذا ما لأرضاه !

وبعد أخذ ورد بيننا وبين مندوبى سيوة انتهى الأمر بتنازلنا عن الصفقة ، ثم طلبهم الخديو ووجههم على أفعالهم وثورتهم ضد المأمور وأمرهم بالرجوع مباشرة إلى سيوة . وكان المأمور يعمل لعقد هذه الصفقات نظير حصص يستولى عليها من الأراضى المشتراة ؛ ولقد أثرت هذه المسألة على مركز المأمور حتى فكرت وزارة الداخلية فى تغييره .

فى ١٣ مارس بلغنى من حسين محرم باشا أن الخديو كلفه بالتوجه لمستشار الداخلية ليطلب منه عدم إرسال مأمور جديد بدل المأمور الحالى لأن ذلك مما يساعد

السيويين على الاستخفاف بالمأمورين ويفهمون أن في إمكانهم عزل من لا يريدونه ، وطلب كذلك أن يجرى تأديب الشيخ عثمان حبون أصل الفتنة . فرد المستشار بأن نقل المأمور كان مقررًا من قبل لأنه مكث زيادة عن حقه نصف سنة . وبعد صدور الأوامر وتعيين خلفه الذى توجه للسفر لا يمكن تغيير شىء إنما فيما بعد يمكن إرسال مفتش من الداخلية لسيوة وحينذاك يعزل المشايخ المشاغبيين وينتهى الأمر .

ثم إن المستشار أفهم حسين محرم باشا بأنه يعلم مسألة تدخل المأمور في مشترى أراض لبعض مستخدمى المعية ، ولما أخبره حسين باشا بأن الخديو عندما بلغه شكوى السيويين أمر المشتريين بالتنازل عما اشتروه ، وحدث ذلك فعلا ، رد عليه المستشار قائلا : « وأظن أن أفندينا اشترى أيضا !... »

وأراد بذلك أن يعلم هل تنازل الخديو عن أرضه التى يعلم المستشار أنه اشتراها هناك أو لا (*)

سعى الخديو لاجتذاب الأهالى : فى ٤ مارس أقام الخديو بسراى عابدين مادبة غداء دعا إليها أعضاء لجنة المعرض الزراعى والنظار والمديرين ، وكانت المائدة معدة لتسعين مدعوًا .

وسبب هذه الدعوة هو أن البرنس حسين كامل باشا كان قد لاحظ فى حديث مع الخديو بأن سموه لم يفعل شيئاً لاجتذاب الأهالى ، واستحسن أن يدعى أعضاء لجنة الجمعية الزراعية لتناول الشاى أو الطعام عند سموه .

وفى ٢٧ فبراير لما كنت بحضرة الخديو ، ومعنا اسماعيل اباضه باشا ، جرى الحديث حول وجوب سعى سموه إلى استمالة الأهالى ، فانهزت الفرصة وعرضت عليه فكرة البرنس حسين كامل باشا ، كأنها من عندى ، فاستحسن اسماعيل اباضه باشا هذه الفكرة ولكنه فضل أن تكون الدعوة لأعضاء الجمعية العمومية ، فقلت يخشى أن الحكومة تنسب هذه الدعوة إلى غرض سياسى ، خصوصاً وأنه ستلقى على الجمعية جملة طلبات لا يستريح لها الانجليز . فوافقنى اسماعيل باشا وعلى ذلك فقد جعلت الدعوة لأعضاء لجنة المعرض الزراعى ، وكان لها أثر حسن جداً .

(٥) والحقيقة أنه بعد تنازلنا اتفق الخديو مع المالكين لها فاشتراها منهم باسم البرنس عبد المنعم .
ولى العهد .

تعليم ولى العهد وشقيقه : كانت تربية البرنس محمد عبد المنعم وعبد القادر تجرى داخل الحرم لغاية هذا العام ، فلا يخرجان للنزهة إلا فى الخلوات فى ضواحي العاصمة ، ولا يشهد المصريون طلعتهما ؛ فحدثت والدهما فى ضرورة إخراجهما ليراهما الشعب ، ويجهز لهما محلاً فى سراى عابدين لتعليمهما ، فوافق على هذه الفكرة ، وعين محمود شكرى باشا مراقباً لمرافقتهم والإشراف على تعليمهما . وفى أول نوفمبر سنة ١٩٠٩ صدرت إرادة سنية بتعيينه مريباً لدولة الأمير محمد عبد المنعم . وقد كلفنى عباس بالبحث عن معلم انجليزى فاستشرت وزارة المعارف فى ذلك ، وتعين المستر روب ثم خلفه فيما بعد أستاذ اسكوتلندى .

وها هى ذى صورتها مع أسانذتهما .



ولى العهد وشقيقه مع أسانذتهما

وقد وقف الشيخ احمد الزناتى (المعلم العربى) فى الوسط وعن يمينه البرنس عبد المنعم وعن شماله البرنس عبد القادر وخلف عبد المنعم محمود شكرى فالمعلم الانجليزى فالمعلم الفرنسى (كوب) .

سنة ١٩٠٨

الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر . مسائل الرتب أيضا . سياسة الوفاء بين
جورست والخديو . وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد بك رئيسا للحزب
الوطني . لجنة المعاشات الجديدة . سفر الخديو لاستانة وأوربا . قاضي قضاة
السودان . اعلان الدستور في تركيا . خواطر خمسين باشا عن علاقة عبد الحميد
بعباس . عودة الخديو الى مصر . الحركة الوطنية وطالب الدستور في مصر . علاقة
مصر بتركيا وانجلترا . من استبداد عباس أيضا . نظارة بطرس غالي باشا مدير
الوفاء العمومية الجديد . بين النظارة الجدد . الرفض للدستور . رسالة تهديد
للخديو . الانجليز يعمدون بالاعتماد على الانجليز والوظائف . الخديو والأعمال
الهامية . مجلس شورى القوانين والدستور . اضطراب الامن . قاضي مصر
والولاية الشرعية . المشاركة بين الخديو والحزب الوطني . تدخل الخديو في الانتخابات

الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر . لما عين الشيخ الشربيني شيخاً للأزهر
سنة ١٩٠٥ حضر بعد قليل من تعيينه ومعه الشيخ سليمان العبد من كبار العلماء الشافعية
وقابلا الخديو ، ثم حضرا عندي ، وتحدثنا في شأن الأزهر ، وما يحتاج اليه من المعونة
المادية والأدبية ، فأبدت عطفى على الأزهر واهتمامى بأمره وبمعونته على تأدية مهمته ؛
وسألت الشيخ عما يطلب علاوة على الميزانية . فقال : ألف جنيه . فقلت له : إن شيخ
الأزهر ينبغي أن يطلب أكثر من ذلك ، فلما سألتى عما يلزم طلبه قلت له : خمسة
آلاف . فأبرقت عينا الشيخ وقال : إذن أدع لك هذا الأمر ، فقلت : إنا إذا أعطينا
أخذنا . ولفت نظره إلى حالة الفوضى التى تسود طلاب الأزهر ونظمه ، وقلت : إنه

يجب للسير بالاصلاح أن يقبل الشيوخ والطلاب النظام الحالى بالانصراف إلى
الدرس المنتظم الذى يعقبه امتحان سنوى ، وأن يتقى الأزهر من الدخلاء بين الطلبة ،
وأن تتحدد نظم الدرس حتى توافق روح العصر ..

فقال الشيخ : إننا اعتدنا فى مستهل كل عام دراسى أن نوزع الأعمدة على الشيوخ
ونخصص لكل شيخ كتاباً وللطالب أن يختار شيخه فيستمع إليه ... فأجبت بأن ذلك
لا يتمشى وروح التعليم ونظمه فى عصرنا الحاضر .



الشيخ سليمان العبد

وبعد مدة قليلة من هذه المحادثة
توفى الشيخ الشريبنى إلى رحمة الله وخلفه
الشيخ حسونة النواوى للمرة الثانية . ولما علم
ما دار بينى وبين سلفه وتأكد من اهتمامى
بحالة الأزهر والأزهريين ورغبى فى المساعدة
على زيادة المرتبات زيادة توافق كرامة العلم
والعلماء جاء لمقابلتى ومعه الشيخ سليمان العبد
أيضاً ؛ بعد انصرافهما من لندن سموه ،
فأعدت له ما دار بينى وبين الشيخ الشريبنى ،
وقلت له مع ذلك إن فضيلة الشيخ يعرف النظم
الموجودة فى المدارس العالية التى يدرس هو
فيها ، وما هى عليه من التنسيق فى الأحكام ،
وما تسبغه من جليل الفوائد على الطلبة وعلى

العلم والعلماء . فوعدتى بالنظر فى هذا الأمر ، وأبدى لى ما يعترض تغيير النظم الأزهرية
من الصعاب ؛ ثم تحدثنا بعد ذلك مرة أخرى واتفقنا على البحث فى النظم التى يمكن
إدخالها فى الأزهر والمعاهد الدينية ، وأبدت استعدادى لوضع مشروع فى هذا الصدد .
ثم عرضت على الخديو ما دار بيننا فاستحسن الفكرة ؛ وقلت لسموه إننا بهذه الوسيلة
يمكن أن ندخل الاصلاحات اللائقة بالأزهر ، ويكون للجناب العالى أكبر فضل فى
تحسين حالة التعليم والمعاهد الدينية على الوجه اللائق بكرامتها ؛ وكان سموه إذ ذاك
على أهبة السفر إلى أوروبا ؛ وفعلنا أخذ مجلس إدارة الأزهر فى تعديل القوانين المعمول
بها فى الأزهر ؛ وكان من ضمن أعضائه الشيخ محمد حسنين العدوى ، فعهد إليه يبحث

هذه القوانين وتعديلها ؛ ووضع في ذلك تقريراً أرسلته المشيخة إلى المعية للنظر فيه ؛ ولكن يظهر أن الشيخ العدوى مع كونه واضع المشروع وموافقاً للمجلس فيما رآه ، لم يكن مقتنعاً بهذا التعديل في بعض أبوابه ، ولذلك قدم إلى المعية وقتئذ مذكرة تختص بالدراسة والتعليم يرى فيها أولاً إصلاح الأزهر على الوجه السابق ، وأن يبقى تعليمه حراً وأن يضاف إليه من العلوم الحديثة بقدر ما تتطلبه إجابة العلوم الأزهرية ؛ وبعد ذلك سافر الخديو إلى أوروبا .

ولما كنت بالاسكندرية عند سفر سموه اجتمعت بالشيخ محمد شاكر شيخ معهد الاسكندرية لما كنت أتوسمه فيه من أصالة الرأي ، وراجعنا قوانين الأزهر وغيرها . وبعد عدة جلسات اتفقنا على مواد القانون ووضعنا مشروعاً . وكان يشترك معنا في بعض الاجتماعات الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى .

ولما عاد الخديو من السفر عرضت عليه هذا المشروع فرأى أن يكون هناك ثلاثة مجالس إدارية : أحدها للأزهر والثاني لمعهد الاسكندرية والثالث للمعهد الاحمدى ، ويكون هناك مجلس عال يجتمع في الأزهر تحت رئاسة شيخه مع بقاء مواد القانون على حالتها ، فأدخلت هذه التعديلات على المشروع .

وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ اجتمعت بناء على الأمر الخديوى مع بطرس غالى باشا رئيس النظار و ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحقانية وحسين رشدى باشا مدير الأوقاف العمومية وقرأنا القانون ، وبعد المناقشة وتعديل بعض المواد تقرر عرضه على مجلس النظار ليرى رأيه فيه ؛ ولكن رؤى بعد ذلك أن تشكل لجنة لمراجعته يكون بين أعضائها شيخ الأزهر والمفتى وشيخ المالكية والشافعية والحنابلة وأنا ، وأن يرأسها ابراهيم فؤاد باشا ناظر الحقانية ؛ فشكلت اللجنة وراجعت القانون وبعد مناقشات طويلة وإدخال تعديلات أخرى وافقت على المشروع . ولما كنت أخشى تدهور بعض العلماء ولا سيما الرجعيين منهم ، طلبت أن تقرر اللجنة أن هذا القانون ليس فيه ما يتنافى وأصول الدين الاسلامى ؛ وقد حصل ذلك .

وفي فاتحة يناير سنة ١٩٠٨ أخبرنى الشيخ حسونة أن كثيراً من العلماء قد امتنعوا لعدم أخذ رأيهم فى القانون ، وأنهم يقومون الآن بتوقيع عريضة لترفع إلى الجناب العالى ، يطلبون فيها إرسال القانون إليهم لفحصه ، فطلبت أن ترسل إلى العريضة والمشايخ الموقعون عليها ، وأفهمته أننى واقف على أسماهم وحركاتهم ، ولكنى فقط

أريد مواجهتهم . وانصرف الشيخ على ذلك ولكن أحداً منهم لم يحضر ، وكنت أعلم أن الشيخ محمد راضى من علماء الحنفية هو زعيم هذه الحركة ، وأن القائمين بالعمل بها من صغار العلماء ، وأن الشيخ حسونة أفهمهم خطأ فكرتهم واستحالة تحقيقها ، وأنه نائب عنهم فى لجنة المراجعة . وقد استمعوا إلى قوله واقتنعوا وعدلوا عن حركتهم ، ولكن جاءنى الشيخ محمد شاكر فأخبرنى أنهم بعد أن اقتنعوا عادوا إلى فكرتهم . فقابلت شيخ الأزهر وأفهمته ما يترتب على موقف هؤلاء العلماء من استياء الخديو ، فأبدىلى استعدادة للبعد عن كل ما يكدر خاطر الجنب العالى ؛ ثم قابلت إبراهيم فؤاد باشا ، وهو صديق الشيخ ، فشرحت له الموقف فبادر إلى الشيخ ونبهه إلى خطورة الأمر ، وطلب إليه منع إرسال العريضة ؛ ولكن أصحابها كانوا قد أرسلوها بالفعل . وفى يوم ٤ يناير بلغنى من الشيخ محمد شاكر ، وكان قد قابل سمو الخديو فى الاسكندرية ، أن سموه متكدر جداً وغاضب على شيخ الأزهر . وكنت أعلم من بطرس باشا برغبة الخديو فى تعيين الشيخ أبى الفضل ؛ وبالرغم من المساعى التى بذلتها لتهدئة الحال فقد بلغنى أن الخديو يعتقد أنى مقصر فى مسعى !

ثم تحادثت مع أصدقاء آخرين للشيخ لاقناعه بخطأ موقفه وخطأ تعلقه بأذيال الزغوليين بدلا من التعلق بشخص الجنب العالى . فبنى الشيخ وجود أية علاقة بينه وبينهم . وفى ٦ يناير حضر الخديو من الاسكندرية وطلب معلوماتى فى هذا الموضوع فأطلعته على كل ما تقدم ، وفى يوم ١٠ منه كانت صلاة الجمعة فى السيدة سكينة وقد تقابل سموه مع شيخ الأزهر ، فسأله عن إجازة العيد فى الأزهر فأجاب الشيخ على السؤال . ثم قال : « يظهر أن افندينا لا يريد أن يرى وجهى فهل هو غاضب على ؟ » فقال سموه : « والله أنا سمعت كثيراً من الأقوال فى حقك ولكنى ألزم الصبر !! » وبعد الظهر أمرنى سموه أن أستحضر الشيخ لسراى عابدين ؛ ورغبة منى فى حسم الخلاف تحادثت معه طويلا قبل المقابلة فى خطر موقفه ، ورسمت له طريق إصلاحه وألا يناقش الخديو طويلا ، بل يوافق على انتقاداته ويعد بإصلاحها ؛ لأن هذه رغبة الحكام عادة ؛ وقد كان ذلك وذهب من نفس الخديو كثير مما كان بها من جهته ؛ وبذلك زالت من الجو إشاعة كانت تتردد باستقالته نشرتها جريدة اللواء قبل ذلك بأيام .

طرد الشيخ راضى : وبقى الخديو ساخطاً على الشيخ محمد راضى حتى إنه فى يوم عيد الأضحى كان ضمن الوافدين على السراى للتنهية ، ولما انتظم العلماء حضر احمد زكى باشا .

رئيس التشريعات وسط الحجرة التي هم بها ونادى الشيخ راضى وقال له بصوت مرتفع :
« ياشيخ راضى ، افندينا غير راض عنك ولا يحب أن يقابلك . » وسلبه إلى أحد
التشريفيات ليرافقه إلى خارج السراى .

وبعد صدور الأمر العالى بهذا القانون انعقد المجلس الأعلى لأول مرة بمشيخة
الأزهر فى يوم ١٧ مارس تحت رئاسة الشيخ حسونة النواوى وعين الشيخ محمد حسين
مخلف العدوى فى هذه الجلسة مفتشاً للأزهر .

وقرر تشكيل لجان من المشايخ لامتحان سائر الطلاب فى الأزهر ووضعهم فى
السنين اللاحقة بمعلوماتهم حسبما تقتضيه ، وعهد بأجراء ذلك إلى مفتش الأزهر ، فأجراه
كما عهد إليه فى مسجد محمد بك أبى الذهب بجوار الأزهر وقدم كشوفه سنة سنة إلى
المشيخة ؛ وكان ذلك فى أواخر السنة الدراسية . وفى شهر شوال ، أول السنة الدراسية
الجديدة ، ابتدأت الدروس بالأزهر على هذا الوضع وكان ذلك يوماً مشهوداً لم يسبق له
نظير فى الأزهر حضره شيخ الجامع بنفسه ومعه المفتش وكثير من الشيوخ وعمال
المشيخة لمعاونتهم فى ضبط الطلاب وإجلاس المدرسين وتعريفهم أما كن الدراسة ؛
واستمرت هذه الحركة أياماً بين الأخذ والرد وفى نهايتها تعين الشيخ محمد حسين
شيخاً للجامع الأحمدي ؛ وسار الحال على ما يرام .

وإنى أحمد الله على توفيقى فى خدمة العلم بالأزهر ، وإذا لم ينجح قبلى المرحوم
الشيخ محمد عبده فى معالجة إصلاحه فذلك يرجع أولاً إلى أن كبار العلماء كانوا يتذمرون
من قبول رأى أحد تلامذتهم ولا يرضون لما يقرره من الإصلاحات التى لم يتعودوها
وخصوصاً فى شأن العلوم الحديثة التى كانوا يعتبرون أن فى بعضها ما يخالف الدين ،
وثانياً لأنه كان يترفع عنهم ويعتد بنفسه معتقداً أنه أوفر منهم مقدرة وعلماً .

أما أنا فكنت أحترمهم بتقيل أيديهم وإكرامهم وملاطفتهم ؛ وأجهد فى
إقناعهم بالألا رغبة لى إلا إصلاح حالهم مادياً وأديباً ، فكان يسهل عليهم الأخذ بآرائى
خصوصاً وقد كانوا يعلمون أننى أحظى بتعصيد الخديو وحكومته .
وهذه تعد الخطوة الثانية لإصلاح الأزهر .

على أن هذه السكينة لم تدم طويلاً ؛ فقد حدثت بعد ذلك دسائس أفضت إلى
اضطراب الأزهر وأضرب الطلاب عن الدرس ، وتظاهروا واشتبكوا مع الشيوخ فى
سباب وعداء ، ودخل بينهم دخيل السياسة والفساد .

مسائل الرتب أيضاً . في ٧ يناير أمرت بفرز الكشوف الواردة من

النظارات بطلب رتب ونياشين للوظفين والعمد والأعيان وبعض الأسماء التي رؤى حذفها من هاته الكشوف، وقابلت مصطفى فهمي باشا وأعطيته الملاحظات الخاصة بذلك.

وفي ٨ منه توجهت لسراى القبة وهنأت الخديو بعيد جلوسه ، فأمرني أن أخبر مصطفى فهمي باشا بأن يفصل التجار والأعيان عن العمد في الكشوف ، وأن يكون منح الرتب والنياشين للأولين من الخديو ، والآخريين كطلب نظارة الداخلية وقد تم هذا . وبقي الحال على ذلك حتى أواخر العام حيث علمت من بطرس غالى باشا أنه قد حصل الاتفاق بين جورست والخديو على منح الرتب والنياشين للعمد والأعيان ، سواء كان ذلك بواسطة نظارة الداخلية أو برغبة الخديو . وقد تخوف بطرس باشا أن تقع غلطات جديدة من سموه وأن ترجع عادة شراء الرتب كما كانت ، فتقع من جراء ذلك فضائح أخرى .

وجرى حديث في شأن الرتب بين الخديو وجورست ، فأبدى هذا الأخير أن مستشار الداخلية يشكو من توقف إعطاء الرتب ، وأفهمه أن تشجيع العمد بالرتب مما يفيد الأمن ، فأجابه الخديو بأنه وقف إعطاء الرتب لأن الداخلية كانت تعاكس من يمنحون الرتب رأساً من الخديو ؛ وادعت بأن العمدة قد يترك وظيفته لأجل أن ينال رتبة ثم يعمل الوسائل لرجوعه إليها ، وقد كان يجدر بالداخلية ألا تقبل مثل هذا العمدة في مركز العمودية ثانية ؛ ثم ضرب مثلاً لجورست بأنه كان قد أراد أن ينعم على واحد في القيوم ، برتبة فتوقفت الداخلية ، وعلى ذلك لم ينعم عليه ؛ وبعد مدة أرادت الداخلية مرتين أن تمنح رتبة لنفس هذا الشخص ، فأبى الخديو نظراً لعدم موافقة الداخلية أولاً ! وكان سموه يحاذر في مسائل الرتب بعد الذي ثار من فضائحها . ومن ذلك ما سمعته في شهر مايو من حسين زكي بك أن زوجته السويسرية حصلت على الكشوف التي كان يقدمها سابقاً للخديو لما كان منوطاً به بيع الرتب والنياشين بالمبالغ المتحصلة ، فيؤثر الخديو عليها بخطه ، مبدئاً كيفية توزيع هذه المبالغ بعد خصم نصيب الوسطاء . ومن ذلك مبلغ أربعة آلاف جنيهه لطورنيزون باشا لدفعها لمحل الرهونات بباريس ، عن بعض مجوهرات لسيدة يهه أمرها ، ومبلغ أربعة آلاف جنيهه لعبد العزيز عزت باشا ليسلمها لاسماعيل كمال بك من جماعة تركيا الفتاة ، ومبلغ خمسمائة جنيهه للسيد محمد توفيق البكري ، ومثلها لمصطفى كامل باشا ، ومبلغ سبعمائة جنيهه للكونت دلاسالبا باشا

ليسلمها لصاحب جريدة البروجريه للكف عن انتقاد السراى ، وغير ذلك من المبالغ التى كانت تصرف فى مثل هذه الوجوه بعد تحصيلها من طلاب الرتب والنياشين .

وقد كان هذا العمل منوطاً بحسين زكى بك ، ولما أحيل أخيراً إلى أحمد شوقى بك غضب الأول ، ولوح بأن زوجته ستشرها ، إذ لم يحصل على مبلغ مناسب إزاء تسليمها . فرفعت الأمر للخديو فاهتم به كثيراً ، وأخذنا بعد ذلك فى المفاوضة مع حسين زكى بك حتى تم الأمر بالصالح نظير مبلغ معين . ولعله يجدر بى أن أثبت أن وساطة الرتب كانت غالباً محصورة فى حسين زكى وأحمد شوقى ، وأما غيرهما فقد كانوا ينفقون ما يحصلونه على الدعاية للخديو .

سياسة الوفاق بين جورست والخديو . منذ أن عين جورست معتمداً بريطانياً ، والأمور تسير فى هدوء بين الخديو والمحتلين ؛ ولكن بعض الصحف ، كالجريدة والمنبر والأهرام ، ظلت تنتقد أعمال المعتمد الجديد بشدة ، ولا سيما الجريدة التى كانت تنهه بأنه لم ينهج غير سياسة سلفه ؛ وفى حديث بينى وبين الخديو عرضت لهذه الحملات فدافع عن جورست قائلاً : « إن هذا الرجل كانت نيته ولا تزال طيبة بالنسبة لمصر والمصريين ، ولهذا فقد طلب العفو عن مسجونى دنشواى من تلقاء نفسه . ثم إنه أظهر للموظفين الانجليز رغبته فى أن يحسنوا معاملة المصريين ، وكذلك ساعدنا على إصلاح الأزهر ، رغم أن مصطفى فهمى باشا أراد أن يلقي بالدسائس بينى وبينه . » ثم أضاف ، إلى ذلك : « وإذا كانت أفكار المعتمد الجديد بدأت تتغير ، فذلك من جراء سعد باشا وتشجيعه طلبه الحقوق وغيرهم على التدخل فى الأمور السياسية ، وانضمامهم للأحزاب ، حتى قال لى جورست : إذا كانت أفكار الطلبة بهذا الشكل ، فإذا يكون منهم عند تقلدهم الوظائف العامة ؟؟ »

الخديو وفتحى زغلول : فى ٩ يناير استقبل الخديو أحمد فتحى زغلول باشا ، وبعد خروجه علمت من سموه أنه أراد أن يبنى لجنابه ما يشاع عن ميوله ضد الخديو وقال : « إذا كان ذنبى هو الحكم الذى أصدرته فى قضية دنشواى ، فإني كنت معذوراً . » فأجابه الخديو بأنه لا يفكر فى ذلك ، ولا سيما أنه لم يكن رئيس المحكمة المختصة ، وأنه إذا كان هناك انتقاد من هذه الوجهة ، فيكون على بطرس غالى باشا . وهو من المخلصين لسموه . فاتهنز فتحى باشا هذه الفرصة وقال : « وأنا أعلم ذلك ، ولهذا لا أعمل عملاً إلا

بارشادانه . قال الخديو : « إنى أنتقد عليك قبل كل شئ من حزب الشيخ محمد عبده الذى افترضت نياته السيئة فى هذه الأيام ؛ إذ أن بلنت أورد فى كتابه خطابين للشيخ يقول فيهما إنه لابد من سحب كل سلطة من يد الخديو إذا أريد وضع نظم جديدة لإدارة مصر بحيث يخرج من سلطته الأزهر والأوقاف والرتب والنياشين ، وألا يتدخل فى الإدارة أبداً ، وأنه استشار فى رأيه هذا كثيراً من المفكرين فوافقوا عليه . »

وقد سأل الخديو فتحى باشا عن هؤلاء الذين استشارهم الشيخ ، فقال إنهم سعد باشا والشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ عبد الرحيم الدمرداش .

قال الخديو : « وأنتقد عليك كذلك أعمالك فى حزب الأمة ، وفى الجريدة . » فقال : « يا أفندينا نحن غير راضين عن خطة الجريدة ولهذا حررنا لمديرها خطاباً بذلك . » ووعده أن يحضر لسموه الخطاب .

وقد قال لى الخديو بعد ذلك : « وعند أخذ هذا الخطاب سأسلمه لجورست ، وأقول له هل يليق بموظف كبير أن يتدخل فى مسائل الجرائد والمسائل السياسية ويكون عضواً فى حزب ؟ ! »

وفى ١١ يناير تقابلت مع بطرس غالى باشا فأخبرته بما وقع بين فتحى باشا والخديو . الخديو والنظار : وفى هذه المقابلة سألتى بطرس باشا عن زيادة التفات الخديو لمصطفى فهمى باشا فى هذه الأيام فقلت له : « ربما كان ذلك على أثر ما عرفه سموه من أن الباشا عمل زينة كبيرة يوم الاحتفال بعيد جلوسه ولأنه يعرض على الخديو كل أمر هام ويأخذ رأيه فيه أولاً ، بناء على نصيح جورست لمصطفى فهمى باشا . » وسألتى بطرس باشا أيضاً عن وقت خروج أودان بك من الخدمة فى الديوان الأفرنجى ، فأجبت أنه بعد أن يبلغ الستين ، وفهمت أنه يقصد من ذلك أن يعين بدلاً منه ابنه واصف غالى بك الموظف بالخاصة ، وقد كنت بالفعل أفكر فيه لأنه شاب نشيط يجيد اللغة الفرنسية والعربية .

وفى ١٥ يناير كلمنى الخديو بمقابلة سعد زغلول باشا والتحدث معه فى مسألتين : الأولى رغبة سموه فى إعطاء نيشان إلى مسيو بارودى مدرس علم الكيمياء مكافأة له باعتباره كيمائى الخاصة الخديوية ، والثانية طلب رأيه فى رجاء قنصل ألمانيا الجنرال باعطاء نيشان لمسيو مورتس أمين المكتبة الخديوية ؛ وقد قال لى سعد باشا عن المسألة الأولى إن الأمر فيها للخديو . أما الثانية فقال إنه من زمن وجيز أرسل لندار لمورتس ، وفهم بعد ذلك من الخديو ومن القنصل أنهما سيرسلانه إليه للاعتذار ، ولكنه لم يحضر

للآن ، ولهذا لا يستطيع الموافقة على الانعام عليه ما لم يحضر ويعتذر .

وعلمت على أثر مقابلة جرت بين الخديو والمستشار المالي ، أن الأخير قال لسموه :
« إن بطرس باشا يتوجه يومياً لرؤية جورست ، وكذلك مصطفى فهمى باشا يزوره
لرؤيته كل ثلاثة أيام أو أربعة ، بعكس ما كانوا يفعلونه في أيام كرومر حيث كانوا
يتوجهون يومياً تقريباً كل صباح . »

وفاة مصطفى كامل باشا وانتخاب محمد فريد بك رئيساً للحزب الوطنى .

في يوم ١٠ فبراير وقع حادث جلل اهتزت له البلاد كلها ؛ وهو وفاة مصطفى كامل باشا
صاحب اللواء ورئيس الحزب الوطنى وزعيم الحركة الوطنية .

كان مصطفى كامل يعانى أوصاب المرض قبل ذلك بأسابيع . وكانت الجهود
المتواصلة التى يبذلها فى بث الدعوة الوطنية والذود عن حقوق مصر ، سواء فى داخل
البلاد أو فى خارجها تصدع من بنيته الضعيفة ، ولكنه استمر فى جهاده حتى اللحظة الأخيرة .

وفى اليوم التالى — ١١ فبراير — شيع جثمان مصطفى كامل إلى مقره الأخير ؛
وكان يوماً مشهوداً لم يسبق له نظير فى تاريخ مصر الحديث ؛ وكان الاحتفال



جنازة المرحوم مصطفى كامل باشا

بجنازة الزعيم الشاب آية على يقظة الشعور القومي ، وذلك العطف الفياض الذي بثه
الفقيد العظيم برائع خلاله في نفوس مواطنيه ؛ وقد اشتركت فيه طبقات الأمة كلها من
الكبراء والأعيان والموظفين والطلبة والعمال ، ولبست البلاد جميعاً ثوب الحداد
وكانت اليقظة القومية التي استطاع الزعيم الشاب أن يبثها في الأمة ، دعامة هذه
الحركة الوطنية القوية التي انفجرت بعد الحرب ، وما زالت تسير في مجراها .

وبعد وفاة مصطفى اهتم الخديو بانتخاب من يخلفه في رئاسة الحزب الوطني حتى



محمد فريد بك

كان يوم ١٤ فبراير حيث عقدت الجمعية
العمومية للحزب فانتخب محمد فريد بك
بالاجماع وطلبه الخديو فهناه وشجعه على
الاستمرار في خطة سلفه منوها بحسن مركز
عائلته المادى والأدبى وبأنه ليس في حاجة
إلى منصب أو مادة وبهذا سيكون وجوده
في رئاسة الحزب مفيداً جداً . وقد هنأته
بدورى أيضاً .

نقطة المعاشات الجديدة . في ٢ أبريل

حضر المستشار المالى إلى سراى عابدين فقدم
للخديو مشروع لائحة المعاشات للموظفين
الملكين ، وطلب أخذ رأى سموه فيها فكلفنى

بالاطلاع عليها مع اسماعيل أباطه وموسى غالب باشا ، فاجتمعنا وقارنا هذا
المشروع بلائحة توفيق باشا .

وفي اليوم التالى توجهت صباحاً للمعية وعرضت على الخديو خلاصة البحث في
مشروع اللائحة ، فكان الفرق بين اللائحتين ما يأتى :

أولاً - أن أقصى المعاش صار بمقتضى المشروع الجديد ٨٠٠ جنيه سنوياً
بدلاً من ستمائة .

ثانياً - أن معاش البنت أو الولد ينقطع عند بلوغ أحدهما سن الثامنة عشرة بدل
السادسة عشرة .

سفر الخبر إلى أروبا . وفي ٣١ مايو سافر الخديو للاستانة ومكث بها أسبوعاً ثم بارحها إلى فينا فباريس ولندرة ثم رجع إلى أروبا وأمضى بها بضعة أسابيع ورحل نهائياً إلى الاستانة ثانية .
وبقيت في مصر لمباشرة الأعمال والاتصال بالنظار .

قاضي قضاة السودان . في أثناء غياب الخديو عرضت مسألة تعيين قاضي قضاة السودان بدلا من القاضي السابق الشيخ هارون ؛ فأرسلت مذكرة بذلك للجناب العالي لجاء إلى الرد بتاريخ ٤ يوليو من محمود شكرى باشا المرافق لسموه وفيه : أن المطلوب قبل صدور الأمر أن أقبال مع الشيخ شاكر واستعلم منه عن المذهب الذى تجرى عليه الأحكام فى السودان وبمن كان يستمد القاضي سلطته فى القضاء ، وهل يعتمد فقط على الأمر الصادر اليه بالتعيين أو من الجناب العالي مباشرة .



الشيخ محمد مصطفى المراغى

وبعد استيفاء هذه المعلومات أرسلت بتاريخ ١٥ يوليو برقية بأن الأحكام تجرى فى السودان طبقاً للمذهب الحنفى ، والقاضى السابق كان يصدر الأحكام بمقتضى الأمر الشفوى الصادر للسردار من الجناب العالي عند تعيينه .
وبتاريخ ١٩ يوليو جاء الرد بالموافقة على تعيين فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى فى هذه الوظيفة ، وهو الذى وقع الاختيار عليه وأن يصدر القانمقام أمراً بذلك ، ويكون من ضمن الأمر : أن تكون الأحكام الشرعية التى يصدرها القاضى منطقة على ما يجرى فى المحاكم الشرعية بالقطر المصرى .

اعماله الرستور فى تركيا . كانت تركيا فى السنوات الأخيرة تتمخض عن انقلاب وضعت أسسه جماعة تركيا الفتاة ، وكانت الأفكار رغم الضغط عليها تتحفز للوثوب حتى انفجرت أخيراً فى هذا العام ، وانتهت الثورة — التى كان من كبار محركيها الضابطان أنور بك و نيازى بك ومساعدهما طلعت بك التلغرافى فى سالونيك بأفشاء

الأوامر التي كانت تصل من الاستانة بالتدابير العسكرية لقمع الثورة - باعلان الدستور في طول البلاد وعرضها رغم إرادة السلطان ورجال المايين . وكان محمد عزت بك مرافقاً لدولة الوالدة أثناء وجودها بالاستانة فبعث إلى برسالتين وصف فيهما الاستانة وقت هذا الانقلاب الذي تم بدخول جيش سالونيك بقيادة محمود شوكت باشا إلى الاستانة .

وقد جاء في الرسالة الأولى بتاريخ ٢٨ يوليو ما يأتي : « في اليومين الماضيين ابتدأت المظاهرات من الصبح للغرب والمجتمعون لا يقلون عن خمسين ألف رجل بين عالم وضابط وكاتب وتاجر وكثير من العوام وكل منهم يحمل علماً ، وقد طافت المظاهرات بالوزارات جميعاً والموسيقى تصدح أمامهم ، وحلفوا جميع الوزراء على مبادئ الانقلاب بما فيهم شيخ الاسلام . وبعد ذلك توجهوا لسراى يلدز وكنت بين المتفرجين عليهم من تكية الشيخ ظافر ، واستمر الموكب أربع ساعات بالضبط يمر من أمامي وتصور كم ألفاً تمر في هذا الوقت بملء شارع يلدز ، وكلهم يصيحون هاتفين للدستور والحرية والمساواة بما لم يكن يخطر على بال أحد . فسبحان مقلب الأحوال في طرفة عين . وقد أصبحت الجرائد حرة وجوزات السفر كذلك ، والآهالي يتحدثون في الشؤون السياسية ملء أفواههم وطلبة الحقوق وغيرهم كانوا في مقدمة الجميع ، وقد خرج طلاب مدرستي الطب والبحرية رغم أنف ضباطهم .

والنهاية أن الواقع هنا يكاد الانسان لا يصدقه ويعتبر نفسه في حلم من الأحلام . » وجاء في رسالته الثانية بتاريخ ٣ أغسطس ما يأتي : « لقد اختصرت في رسالتي السابقة لأن الحاصل هنا لا يمكن شرحه . أما سبب هذه النعمة التي حصل عليها الأتراك فهي قوة الأوردي الثالث (*) واتحاد ضباطهم بواسطة الجمعيات السرية المشكلة في ولايات الروملی الثلاث ، حيث كانت المخبرات فيها حرة بسبب الاصلاحات المطلوبة . وقد أخبر حسين حلمي باشا رئيس لجنة الاصلاحات المطلوب إدخالها في الروملی بما يجري فيها ، وأنذر بوخامة العاقبة . ولما عرض ذلك على السلطان طلب الصدر فريد باشا وأراد منه أن يطفئوا نار هذه الفتنة فأجاب الصدر بعدم إمكان ذلك وبلزوم منح الدستور ، وبالطبع لم يقبل جلالته هذا الرأي فاستقال فريد باشا . ثم طلب السلطان سعيد باشا الصغير ، كوجك ، فأبدى استعداداه لاصلاح الأمور ، وتولى الصدارة وكتب إلى حسين حلمي باشا برقية توبيخ وتأييد فرد عليه بلهجة شديدة قائلاً : « إنه إذا



نیازی بك



أنور بك



عمود شوكت باشا



طلعت بك

لم يعط الدستور في مسافة أربع وعشرين ساعة تكون العاقبة وخيمة ، وتضمحل الدولة حيث أعلن الاتحاديون الدستور هنا في سلانيك .

وفي الحال اجتمع الوزراء وتقرر إعلان الدستور ، ثم صدر فرمان شرح أحكام هذا الدستور ، وأرسل إلى الباب العالي بواسطة نوري باشا ؛ إذ أن رئيس الكتاب « تحسين باشا » لم يستطع الخروج من السراي لشدة تحقير الشعب له ؛ وكذلك فر عزت العابد باشا مشيعاً بالسخط من الأفواه والصحف . والجمهور هنا في نهاية الثورة والهياج على رجال الحكم السابقين .

أما السلطان فقد خرج بدون تحفظ ، وواجه من الأهالي نحو الحسين ألفا وسار بينهم بالعربة ذهاباً وإياباً ، فسبحان من يغير ولا يتغير (*) .

هواطر تحسين باشا عن عرفة عبد الحميد بهباس . علم القاري . أتني كنت حلقة اتصال بين عباس وعبد الحميد بواسطة الباشكاتب تحسين باشا الذي انزوى بعد الانقلاب في بيته فقيراً .

وقد أخرج تحسين باشا فيما بعد خاطراته عن الأشياء المهمة التي مرت به ، ومنها طبعاً علاقة عباس بعبد الحميد في السنوات الأولى من زيارة الخديو للخليفة . كانت هذه العلاقات حسنة أولاً ثم ما لبثت أن تغيرت عند فرار رجال تركيا الفتاة والتجائهم لمصر . وطلب الخليفة منهم من نشر مقالات السخط على إدارة الحكومة التركية الاستبدادية وإغلاق جرائدهم ونفي أصحابها من مصر ، عند ذلك حصل الفتور بين التابع والمتبوع . قال تحسين باشا : « إن عبد الحميد ما كان ينظر إلى الخديويين في أي وقت من الأوقات بعين الارتياح . وفي الواقع كان طبيعياً جداً ألا يأمن السلطان خديويي مصر وأن يضعهم على الدوام تحت يقطته ومراقبته نظراً لسياسة محمد علي (القوله لي) وثورته وحر كته المعهودة ضد الحكومة المتبوعة .

ولقد سبب زيادة وسوسة السلطان إلى غايتها ما بسطه الانجليز من نفوذهم على مصر بعبد الثورة العرابية . والخلاصة يمكن القول أنه لم يكن في قلب عبد الحميد أي اطمئنان لمصر في أي وقت كان .

لم يقبل السلطان أن يأذن لاسماعيل بالاقامة في استانبول إلا بعد أن قدم لجلالته تأمينات الولاء ابنه حسن باشا ، ومع ذلك كان تحت المراقبة .

(٥) وقد عزل فيما بعد واحتجز في سراي سلانيك .

لما تولى عباس باشا الشاب ، كان السلطان يظن أنه سينطبع بالسياسة الانجليزية لعدم تجاربه ولطامعه في تحقيق بعض آماله .

قد كان السلطان على علم بمطامع الانجليز في مصر وبلاد العرب ، ولذا كان متيقظاً على الدوام نحو هذه السياسة ، وكان يتوقع أن عباساً سيساعد الانجليز على تنفيذ هذه السياسة .

وكان يوجد بعض ذوى المطامع الشخصية الذين يدسون الدسائس ، حتى إن السلطان يكون في ريبة وقلق نحو الخديو ومصر .

ومن المعلوم أن تمضية الصيف في مصر غير ممكنة للطبقة الغنية لشدة الحرارة ؛ ففهم من يمضيها في أوروبا والبعض في استانبول . فاذا أراد الخديو تمضية الصيف في إحدى ممالك أوروبا كان من الواجب عليه أن يمر على لندرة ، ومن المحتمل أن يتفق مع الانجليز على سياستهم . أما إذا أمضى الصيف في استانبول فإنه لا يحرك ساكناً ، فوجوده في الاستانة أقل خطراً بسهولة مراقبته ، لأن تعيين المهندرات والياوران الشاهانية كان الغرض منه مراقبته لا المغالاة في مظاهر احترامه .

وكان الخديو في أثناء إقامته يحضر إلى السراي ويدعى لتناول الطعام من حين إلى حين ، وكان يحظى بالمقابلة بعض مرات ويطلب خاطره بمختلف المظاهر (١) .

وزيادة في الحفاوة عين من الوزراء رائف باشا مهندراً للخديو ، ولكن نظراً لبعض التدابير التي اتخذت من جراء تولى التقارير تأثر عباس وكادت اللفة التي كانت تسود في أول الأمر تزول ومشت النيمة بينهما فتضايق السلطان من ذلك . ولقد استفحل الأمر حتى صار من الضروري إرجاع الحالة إلى ما كانت عليه من قبل . وكان للخديو كاتبان أحدهما للعربي والآخر للتركي ؛ وكان كاتب العربي شخصاً يسمى شفيق باشا (٢) اكتسب محبة الخديو وصداقته وكان ذا دراية ورزانة . ولقد دعوت شفيق باشا بناء على أمر السلطان إلى السراي وتباحثنا طويلاً وانكشفت جميع الوشايات وفهم أمرها ، ورجع شفيق باشا إلى مصر صادق الاقتناع وقابل عباساً وأوضح له حقيقة الأمر . ولقد ظهر بعد ذلك من الآثار ما يفيد أن الحالة رجعت إلى سابق صفتها .

(١) يعني الهدايا الثمينة وأعلى نياشين الدولة وما إلى ذلك ، وكان عباس يحب عليها بالمثل كما ذكرت آنفاً .

(٢) يريد صاحب هذه المذكرات .

وكانت هذه المناسبة عبء عظيم لمقدمى التقارير السرية ؛ فقد كان بعض أشخاص من العظماء كلما حضر الخديو إلى استانبول يقدمون ضده التقارير إلى السلطان ويلقون على حركاته وأحواله ظلاً من الريبة حتى تزداد وسوسة السلطان منه . وكانوا في الوقت نفسه يكتبون للخديو يعرضون اخلاصهم . فلما عادت بين السلطان والخديو سابق العلاقات الحسنة ، قدم الخديو للسلطان تقارير الولاء والاخلاص لسموه من الذين كانوا يدسون الدسائس ضده عند الخليفة ، وكان هذا دليلاً على ما وصلت اليه الأخلاق من التدهور .

إخلاص عباس باشا : كانت عباس في المدة الأولى لزياراته للاستانة مخلصاً لعبد الحميد راعياً في تنفيذ أوامره ، لدرجة أنه لما طلب منه إبعاد رجال تركيا الفتاة أرسل جانباً منهم على مركب شرعى لا يصلهم إلى استانبول . ومن ذلك أيضاً أن جلال الدين باشا ، بعد زواجه بالأميرة المصرية عصمت هانم ، قد فر إلى أوروبا وحضر إلى مصر وأقام فيها ، فأرسل عباس للسلطان يقول إن المذكور يعاون رجال تركيا الفتاة بالمال . وقال عنه أيضاً إنه طمعاً في ميراث زوجته عمد إلى قتلها .

عباس وبناء كشك ذى برج فى الجبل : أنشأ الخديو فى أرضه الكائنة بجبوقلى كشكاً ، والرأى لهذا الكشك من بعيد يشاهد برجاً . وما كاد البرج يتم بناؤه حتى قدم واحد من العظماء المجاورين له تقريراً للسلطان ذكر فيه أن الناس يلهجون بأن هذا البرج جار عمله لوضع نظارة معظمه فى أعلاه ليتيسر له بواسطتها مشاهدة حركات وسكنات عبد الحميد فى بلدز . وهذا الكشك لفت أيضاً نظر أحد السلاطين المقيم فوق كشك كلندار (وهو متنزه على البوسفور) فأرسل للسلطان يخبره عنه (*) .

عودة الخديو إلى مصر : فى ١٧ سبتمبر عاد الخديو وحدثنا بما لاقاه فى رحلته ، ثم قص علينا أنه بعد زيارته للاستانة ورحلته لأوروبا زار قوله ورودس وبعض سواحل الأناضول من جهة مرمريس ومكرى كوى ، وكان ذلك محظوراً عليه من قبل . وقد سمعت منه أنه لم ير احتفالاً بمقدمه أجمل من ذلك الذى لقيه فى قوله ؛ فقد استقبلته الحكومة والآهالى بمظاهر ودية جميلة جداً ثم دعاه الآهالى لتناول العشاء فى اليوم التالى وقالوا له إن الاحتفالات نظمت فى اليوم الأول حسب برنامج الحكومة المحلية ، أما اليوم فإن الآهالى يريدون أن يعملوا ما يرون . فشكر سموه المندوبين عن الآهالى

(*) ولما كنت مباشراً لبناء هذا البرج علت بصدر الأمر بإيقاف البناء وطرد العمال ولكنى أبقيتهم ومنعتهم من الخروج حتى أتموا البناء بارتفاع أقل من ارتفاع الرسم الموضوع له .

من أتراك وأروام ويهود وقبل العشاء عندهم ؛ وقد أعدت عربة لركوبه ، ولكنه ما كاد يصعد إليها حتى جاء ستة من الأهالي الأشداء فخلوا الخيل ووضعوا أنفسهم مكانها ، وساروا جرياً بالعربة وحولها ألوف من الأهالي حتى محل الدعوة ؛ وهناك كانت المائدة . وبعد الطعام ابتدأت الخطب فرحب أحد القناصل بالحديو بالنيابة عن زملائه وبالأصالة عن نفسه ، ثم خطب مدير البلدية وغيره . وفي النهاية قام أحد رجال الانقلابات (أى الدستور) وقد حضر خاصة من سلانيك ورحب في خطاب لطيف بالجناب الحديوى . وقد طلب أحد الحاضرين من سموه أن يمد البلد بعنايته في استحضار المياه الكافية لها فوعدهم بذلك وأغدق على فقراء البلد الاحسانات وزار قبور أسرة محمد على وبيته والمدرسة والتسكية ومكتباً ابتدائياً لوقف محمد على ، وقال عباس إن الذى يزور مقابر أجداده ومنزل محمد على يرى أنهم كانوا من أسرة حسنة وليست فقيرة ؛ والخلاصة أن سموه سر جداً من الحفاوة به .

وكان احتفال الحكومة بايعاز من الصدر الذى أرسل برقية بهذا المعنى ، لأنه علم من سموه قبل السفر بيوم عزمه على زيارة قوله . أما طاشوز فاتفق على عدم زيارتها حتى يفصل في مسائلها ، ولذلك مر الحديو حوالها فقط .

الحركة الوطنية وطالب الدستور فى مصر . فى هذا العام ازدادت قوة الحركة الوطنية وتنبه الشعب إلى حقوقه السياسية ؛ ويرجع ذلك لأسباب منها التنافس بين الأحزاب السياسية الثلاثة التى تألفت فى العام الماضى ، واتساع دائرة المناقشات فى حقوق الشعب وما إليها ، ومنها إعلان الدستور فى تركيا وأخبار الاسنانة التى كانت تصور الانقلاب العثمانى تصويراً واضحاً وتبين قوة الشعب وأثرها ، مما كان له وقع عميق فى مصر ، وأثر قوى فى إذكاء الشعور الوطنى ، ومنها إحساس المصريين بتراجع الانجليز واضطرارهم لتغيير عميدهم فى مصر اللورد كرومر أمام قوة الوطنية المصرية .

وقد كان من الأعضاء البارزين فى مجلس شورى القوانين أمثال حسن عبدالرازق باشا ومحمود سليمان باشا واسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا واحمد يحيى باشا من يعمل بكل قواه لتمتع مصر بدستور يشرك الأمة مع الحكومة فى تصريف الأمور ؛ وكان الحديو لا يكره مثل هذا الطلب على أن تتبع فى تحقيقه طريق معقولة هادئة ؛ وكان يرى أن اسماعيل أباطه باشا هو خير من يستطيع السير فى هذه الطريق بعيداً عن الأحزاب . لهذا شجع اسماعيل أباطه باشا ، عندما فكر فى السفر إلى لندن ، لتقديم مذكرة

لوزير الخارجية يشرح بها الحالة في مصر ، ويطلب المزيد من الاشتراك بين الشعب والحكومة في تصريف الشؤون . بل زاد على ذلك فطلب من السير الدون جورست التوصية عليه لدى وزارة الخارجية . وقد فعل ، عملاً بسياسة الوفاق .



احمد يحيى باشا



اسماعيل أباطه باشا

وسافر الباشا ومعه محمد الشريعى باشا والسيد حسين القصبى ومحمد عثمان أباطه بك وعبد اللطيف الصوفانى بك وناشد حنا بك . وكان الدكتور ابراهيم الجوريجى متطوعاً لمساعدتهم والترجمة لهم طول مدة إقامتهم بلندن أثناء وجود الخديو فى أوروبا ، فلقى من وزير الخارجية الرعاية وحسن الاستقبال ، وعاد إلى مصر فى منتصف أغسطس .

وكانت وصاة جورست لهم أن يحصروا كلامهم فى مسألة توسيع نطاق اختصاص مجلس شورى القوانين دون الكلام عن الجلاء .

وفى اليوم الذى عاد فيه الخديو من أوروبا وهو يوم ١٧ سبتمبر ، لما توجه نغرى باشا مع النظار لمقابلته فى المحروسة ، أخبره أن مستر جراهام النائب عن جورست يريد أن يتشرف بمقابلته فأذن سموه أن يرسل إليه فى الحال خبراً لحضوره لسراى رأس التين ؛ وفى المساء قابل الجناب العالى مدة طويلة علمت بعدها أن سبب المقابلة هو أن جورست كتب له أنه بمجرد وصول سمو الخديو يقابله ويرجوه ألا يقول لاسماعيل أباطه باشا شيئاً عن نتيجة عمله فى لندرة ولا يعده بشئ ما ؛ فأجاب سموه : « إننى لا أعلم شيئاً حتى أعد وأقول شيئاً لاسماعيل باشا ؛ ولكن الذى أعرفه مما كان ياتينى من مصر وأنا بأوروبا ، أنه يوجد الآن تيار قوى نحو طلب الدستور ، وأن هذا

التيار حقيقى غير مصطنع فلا يستهان به ؛ لأن مجموع الأمة هو الذى يطلبه . وأنه ليس حركة عسكرية كما هى الحال فى تركيا ، وأن الأصوب هو التفكير فى شىء يعطى للأمة ، وإن كنت لا أنصح باعطاء دستور كامل كما فى فرنسا وإنجلترا مثلاً ، وإنما يمكن اشتراك الأمة مع الحكومة بدون مساس بالامتيازات .

ثم قال سموه إنه لا يكون مستولاً عما يحدث إذا لم ينظر بالعطف لمطالب الوطنيين ؛ فالدستور الآن مودة ، وكل الشعوب تطلبه كما فى تركيا وفارس وسواها ، فلا عجب إذا طلبه المصريون .

غير أنه كانت هنالك مناقشات من أباطه باشا وعلى شعراوى باشا تفت فى جهودهما ، وكنت أرى من الخير اتحاد هذين الرجلين وأنصارهما حتى يكون لقوتهما المجتمعة أثرها ؛ ولهذا فقد دعوتهما لمأدبة يوم ٣١ أغسطس بحضور الشيخ محمد شاكر ؛ وكان الغرض من ذلك إصلاح ذات بينهما . ودار الحديث فى الموضوع فأبدت لهما أنه لا يمكن لمصر أن تنال خيراً ما لم تتحد وتجتمع على رأى واحد ؛ وأنه يجب لكى نعطى للشعب نموذجاً حسناً أن يبدأ بذلك كبار الرجال فى مجلس الشورى وفى الجمعية العمومية ؛ ولكن مع الأسف فإن هؤلاء يعطون أمثلة للشقاق والخلاف ، وأخص من بينهم بالذكر على شعراوى باشا واسماعيل أباطه باشا .

أما على شعراوى باشا فقد راوغ وقال إنه لا يوجد فى نفسه شىء ضد اسماعيل أباطه باشا ، وأنهما كانا حتى آخر لحظة متحدين فى المجلس .

وأما اسماعيل باشا فقد كان صريحاً وقال : « الحقيقة أنه يوجد بيننا شىء . وأن كلا منا يشعر ببعده عن الآخر . »

وبعدئذ طلبت منهما أن يدعا ما فات ، وأن يعملوا معاً لوضع برنامج يتبعه مجلس الشورى فى طلب ما ترجوه البلاد ، ودعوتهما لانتهاز هذه الفرصة وعدم إضاعتها على الوطن بسبب المنافسات الشخصية .

وفى ٣ سبتمبر كان اجتماع آخر ولكننى لاحظت أنه لا يزال بينهما نفور وأنهما لم يعملوا شيئاً فى الموضوع .

وجاءنى يوم ١٠ منه احمد يحيى باشا ، فحدثته فى جمع كلة أعضاء مجلس الشورى ، وقصصت عليه ما حصل بين اسماعيل باشا وشعراوى باشا وطلبت منه أن يجتمع بهما فوعد أن يبذل كل مجهود للتوفيق .

وفي ٢٤ سبتمبر عقد اجتماع بين اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا والدكتور محمد علوى باشا طبيب العيون واحمد يحيى باشا و ابراهيم سعيد باشا و ابراهيم مراد باشا و تناقشوا فيما يجب عمله .

وفي ٢٥ سبتمبر كنت مدعوا للعشاء مع اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا ، فدارت بينهما مناقشة حادة وأخذ الأول يعير الثانى بحزب الأمة وأن مكانه فى مجلس الشورى هو أسمى من ذلك ، وأنه خير للبسلة أن يصرف تفكيره فى جمع كلمة أعضاء هذا المجلس فيكون حزباً واحداً أقوى من جميع الأحزاب ؛ وشعراوى باشا يعير أباطه باشا بأنه بعد أن اعتزل الأحزاب عاد يحن الآن لتأليف حزب جديد .



على شعراوى باشا

وقد تدخلت بينهما ، وقر الرأي على أن يدعو شعراوى باشا الحاضرين إلى مأدبة ثم يقيم أباطه باشا مأدبة أخرى لاتمام الصفاء والوفاق ؛ أما أنا فقد اعتذرت حتى أدع لها فرصة لتصفية ما بينهما بعيداً عن تدخلى . وقد علمت فيما بعد أنهما اتفقا على الاتحاد وأن شعراوى باشا اقتنع بذلك ، بعدما أقنعه كل من ابراهيم سعيد باشا وعلوى باشا و ابراهيم مراد باشا بذلك ، اتفقوا جميعاً على عقد المجلس بعد أن يجتمعوا أولاً بأعضائه ويتفاهموا معهم على عمل مفيد .

ولما أخبرت الخديو بمسعى من مبدئه إلى نهايته لم يرق فى نظره أن أنظاها بذلك التدخل ، فدافعت عن عملى بأنتى تدخلت بصفة شخصية محضة لم يشعر أحد بها .

وفي ١٢ اكتوبر قابل مستر جراهام الخديو وحادثه فى الحالة الحاضرة ، وجرى الكلام عن الحزب الوطنى فقال جراهام إنه الآن فى هبوط ولا قيمة لتهديداته ، وعن مجلس شورى القوانين فقال إنه يوجد شقاق بين الأعضاء فيما يختص بطلب الدستور ؛ حتى إن بعض الأعضاء خرجوا من الجلسة حينما علموا أن المناقشة ستدور حول هذا الموضوع — يقصد بذلك طلبه سعودى باشا — والبعض لم يحضر الجلسة وسافر إلى بلده ومنهم فتح الله بركات بك وآخرون وكلهم مستاءون من اسماعيل أباطه باشا لأنه قال عنهم لوزير الخارجية الانجليزية إن الحكومة رشتهم فأمنتهم على مراكزهم الحالية .



وفي ١٥ أكتوبر قابلت
بطرس غالى باشا فعلبت منه أن
جراهم قابله وحده عن ضعف
الحزب الوطنى ، فأجابه الباشا بأن
ذلك صحيح ، ولكن ظهر ما هو أهم
وهو حزب الأمة ، فاعترف بذلك
جراهم ؛ وقال لى بطرس باشا :
« إن الغرض من ذلك هو أن نوهم
الانجليز بوجود قوة تخيفهم فى
البلاد حتى لا يعتقدوا أن الجو قد
خلا لهم . »

عزف مصر بتركيا وانجلترا .

فى ١٦ أكتوبر تقابل جورست مع
الخديو لأول مرة بعد رجوعهما من أوروبا . وعقب المقابلة اجتمع سموه ببطرس
غالى باشا واطلعه على كل ما دار بينهما .

وفى المساء صحبنى سموه معه للتنزه ، وكان فى الانتظار هناك اسماعيل اباضه باشا
ولما اجتمعنا نحن الثلاثة علمنا من سموه أن مقابلة جورست له كانت ودية كالعادة ،
وأنه تحدث عن حالة أوروبا العمومية : النمسا وبلغاريا وكريد وسياسة انجلترا مع تركيا ،
وفهم سموه أن الانجليز سيعضدون الأتراك إلى النهاية ؛ ولكن النتيجة ستكون اعتراف
أوروبا باستقلال بلغاريا وبضم البوسنة والهرسك للنمسا وكريد لليونان . وقد ظهر
للخديو أن انجلترا لا يمكن أن تخرج بلا غنم يخصها ، ويقول إنه تجرى مخابرات بين
هذه الدولة والأتراك بتعديل بعض نصوص فرمان مصر ، بأن يكون لها حق فى عقد
قرض بدون مراجعة الدولة . وهى نقطة خطيرة على مصر لأن مصر تؤول للمصريين ،
ويؤول المصريون إلى نير انجلترا ، خصوصاً إذا تم للأتراك إلغاء الامتيازات فذلك
يسرى على مصر فتصبح بذلك مستقلة فعلا بالنسبة لأوروبا ، وربما تشتري مصر من
الدولة الجزية بدفع ملايين معدودة فتصبح بذلك مستقلة بالنسبة لتركيا ويكون الخطر
على مصر عظيماً .

جورست واسماعيل أباطه باشا : وقد أبدى جورست استياءه من أباطه باشا . لأنه لما تكلم مع وزير الخارجية بلندرة ، لم يظهر له أن جورست مساعد للبصريين . مع أن الباشا قال للخديو إن وزير الخارجية لما سأله إن كان قد حصل كلام بخصوص قانون المديرية مع جورست . فأجاب الباشا بأن المعتمد أعطى ما يمكنه إعطاؤه ؛ وكذلك قال جورست للخديو : « أنت طلبت مني أن أساعد أباطه باشا . لأنه أحسن أعضاء مجلس الشورى . وقد فعلت وقابلته وتناقشت معه ، فلما ذهب إلى لندره لم يهتم بي ، وعمل كل شيء بدون رأيي مع أني حين سألني وزير الخارجية عما إذا كان يحسن مقابلة أباطه باشا أجبت بالاجاب . »

وظهر من كلام جورست أنه يلوم الخديو على وصايته له باسماعيل أباطه باشا . رظهر أيضاً أن الحكومة الانجليزية لم تعطه أوامر بخصوص عمل تغييرات في حالة مصر ، لأنها مشغولة بالمسألة الشرقية ؛ وعليه فلا أمل للمصريين في شيء .

الدستور : ولما وقف أباطه باشا على ذلك قال : « إننا سنعمل الواجب علينا ، فسيجتمع مجلس الشورى في ٣١ أكتوبر ، ويقرر طلب عمل قانون لاشتراك الأمة في إدارة مصر بدون مساس بالامتيازات وصندوق الدين وخلافه . ولا نقول برلمان ولا قانون سنة ١٨٨٢ ؛ وسأسافر بعد أربعة أيام للاجتماع مع إخواني أعضاء المجلس ونرتب بيننا الخطه ، ونجمع الأعضاء كلهم معنا إن أمكن ، وتوجه للحكومة ، ونعرض طلبنا . وننتظر حتى اجتماع الجمعية العمومية في فبراير سنة ١٩٠٩ . فتؤيد طلبنا ؛ وبعدئذ إن لم تحرك الحكومة سائناً نعتصب ولا تتوجه للمجلس . » غير أنه نظر لما عليه الخديو من استياء الانجليز من تأخير مجلس الشورى في إنجاز الأعمال ، وأنهم عزموا على استصدار دكريتو بأنه إذا لم يبد المجلس رأيه في مسألة عرضت عليه في مدة معينة يعتبر كأنه صدق عليها . فقد وعد أباطه باشا أن يحض إخوانه على إنهاء ما هو باق تحت النظر ، مثل لائحة المعاشات ، ولوائح القضاء الشرعي ، وغيرها .

أما تعديل مجالس المديرية فإن المجلس بقرر تأخيره حتى تنظر الحكومة في طلبه الخاص بإنشاء مجلس نيابي .

ونقرر أن يتوجه أباطه باشا ويترك بطاقته عند جورست ، ولا يطلب مقابلته لأنه ربما رفض ، كما أنه رفض استقبال على شعراوي باشا من قبل ؛ وعند رجوعه مع اسماعيل أباطه باشا إلى القاهرة ، فكرنا في أنه ربما يكون كلام جورست من باب

الايهام الذى يقصد به تثبيط الهمم للمصريين فلا يحركون ساكناً .

وقد بلغنى من بطرس غالى باشا ، ثم من الخديو . أن المستشار المالى كلم سموه بخصوص الجرائد العربية . وكانت الاجابة مثل ما أجيب به جراهام . وقد قال لى الباشا إن المستشار قال له : « كيف يمكن طلب البرلمان مع وجود الاحتلال !! »

من استبداد عباسى أيضاً . فى أول يوم من رمضان ، أهان الخديو بعض موظفى سراى رأس التين بالسب الشديد ، وعاقبهم باستقطاع أيام من مرتباتهم ؛ ووقع مثل ذلك فى سراى المنتزه ؛ واستمرت هذه العاصفة الاستبدادية عدة أسابيع .

وقد شاهدت بعينى أنه حنق على شخصين من الموظفين فى سن الشيخوخة . فطردها من الخدمة بعد توبيخ شديد ؛ وغضب على تركى يعمل بوظيفة وقاد ، فدعا إليه بعض العساكر السود ، وأمر أقوامهم وأضخمهم — حتى إنه كان يلقب بالبهلوان — بأن يمسك به (يحتضنه) ، وأخذ الخديو يضربه بسوط كان معه ضرباً مؤلماً ، وهو يقول له بالتركية : « انت عريت الأتراك وأهالى شواطئ البحر الأسود . انت أتلقت وابورات السكر بام سراى القبة ، فخرقت خزائنها ، أما التركى ، فكان يتلقى الضربات ولا يتأوه . ولا يزيد على أن يقول : « العفو العفو » ، ولما تعب الخديو من ضربه ، تركه وأمر بطرده من الخدمة .

واستمر الضرب والسب وخضم المرتبات وكذلك الانذارات ، وكل ذلك لأقل هفوة ، فكان موظفو السراى فى انزعاج دائم ؛ وكان الخديو يعانى مثل هذا الاضطراب فى ظل هذه الحياة العاصفة .

نظارة بطرس غالى باشا . فى ١٩ أكتوبر ، عاد مصطفى فهمى باشا من أوروبا ، فذاعت الاشاعة بعزمه على الاستقالة ، لأن صحته ليست على ما يرام ، ورددتها الصحف . وفى ٢٦ منه ، قابلت بطرس باشا . فأبلغنى أنه تكلم مع الخديو فى إدخاله ضمن النظارة التى ستشكل ، وذاعت إشاعة بأنى سأعين ناظراً للمعارف ؛ ولم أسأل بطرس باشا عن التفاصيل . ولا عن أفكار الخديو ، وما قاله بخصوصى ، حتى لا أبدى له اهتمامى ؛ ولكنه لما سألنى عما إذا كنت مسروراً بذلك ، أجبت بالإيجاب .

وفى ٥ نوفمبر عاد الخديو إلى مصر ، ومعه النظار والمستشار المالى ورجال المعية ؛ وبعد أن اختلى بالنظار والمستشار معاً ، اختلى بالآخر وحده مدة طويلة ، ثم شاركهما

بطرس غالى باشا ؛ وعلمت أن المستشار قال للخديو إن مصطفى فهمى باشا سيطلب مقابلة خصوصية ، وربما التمس بعض أشياء ففهم سموه أنه سيلتمس إحالته على المعاش بشروط خاصة مثل إعطاء مكافأة أو غيرها ، فأجابه الخديو بأنه ليس عنده شيء يعطيه .

وفى ٩ نوفمبر أخبرنى الخديو أن مصطفى فهمى باشا أرسل يطلب مقابلة خصوصية لليوم التالى وقال : إنه لا يبعد أن يكون هذا الطلب لتقديم الاستقالة ، وعليه يلزم أن ترسل لى فى القبة اسماعيل أباطه باشا ، وتمر على بطرس باشا وتستحضره معه هناك .

فنفذت الأمر وتوجهت مع الثانى ؛ وبعد مناقشة طويلة قرأت رأى على أن الخديو يطلب جورست الساعة العاشرة يوم ١٠ منه ، ويحدد لمصطفى فهمى باشا الساعة الرابعة مساء من اليوم نفسه ؛ وفى أثناء الكلام مع جورست يخبره بطلب فهمى باشا ، فإن علم أن سبب طلب المقابلة هو تقديم الاستقالة فيتكلم سموه مع جورست فى الخلف ؛ والخديو يفضل بطرس باشا على نغرى باشا ولو أنه مسيحي ؛ وقد كان يفضل الثانى ؛ ولكن تأثر بمساعى اسماعيل أباطه باشا فى هذا الاختيار وقال إننى سأطلب من جورست تعيين بطرس رئيساً للنظار ، وأقول له إننى ضامن له بحيث لو حصل منه مالا يرضى فاقبأطلب منه الاستقالة .

وفى ١٠ منه حضر جورست حسب الاتفاق وتحادث مع الخديو نحو الساعتين أولاً فى أمور عادية ؛ ثم عطفاً على مسألة مصطفى فهمى باشا ، فقال جورست إن طلب الباشا للثول بين يدى الخديو هو لأجل تقديم الاستقالة فقال سموه عندئذ يجب طبقاً لاتفاقية انجلترا مع مصر أن نتكلم سوياً فيما يقع بعد هذه الاستقالة ؛ فقال جورست إننى لم أتحدث فى هذا الشأن معكم لأننى أرغب ألا أتدخل فيما بينكم ورئيس نظارتكم ؛ وأخيراً دار الكلام على من يخلف مصطفى فهمى باشا ، فقال الخديو إن كل الحل الآن على وعلى ؛ فنحن نريد رجالاً يعملون ونغرى باشا ويطرس باشا كلانا يتفق على دخولهما فى النظارة الجديدة من أول الصيف ، والأول يظهر لى أنه لا يتحمل هذا العبء أما الثانى فإنه يعول عليه ؛ فقال جورست : « وهلا يحصل انتقاد من الأهل بتعيين رئيس قبطى ؟ » قال : « إنه قبطى ولكنه مصرى ؛ أما نوبار فلم يكن مصرياً . » ثم اتفق الحال على أنه إذا تراءى تعيين بطرس باشا رئيساً للنظار فتبقى معه نظارة الخارجية ولا تعطى له الداخلية ؛ ثم قال الخديو لجورست : « وأنا لا أريد أن أضغط على فكرك من حيث تعيين بطرس باشا ، فلنا أن نتروى فى هذه المسألة ونقرر نهائياً ما يجب عمله بعد مقابلة مصطفى فهمى باشا مساء هذا اليوم . » فقال جورست : « لالا أنا موافق منذ الآن . » وبعد ذلك قال

جورست عن اختيار النظار إنه يحسن أن يكون ذلك باتفاق سموه مع الرئيس الجديد .



سعد زغلول باشا

ثم تكلم جورست عن سعد باشا ، فقال إنه مستاء جداً منه بالنسبة لجفاء أخلاقه فهو متكبر وكلامه قاس مثل الحجر ، ولكنه إذا خرج مع الخارجين فربما يحصل منه ما يسوؤنا — يعنى أنه خائف من لسانه وأعماله — فإذا استصوب الخديو يبق مدة شهرين أو ثلاثة ، ثم نعمل طريقة لآخراجه .

قال الخديو : « وإن بطرس باشا قال لى إذا طلب الانجليز إبقاء سعد ، فأتركه لى وأنا أعرف ما أفعله لخروجه . »

ثم حضر مصطفى فهمى باشا وقدم استقالته شفوياً وقبلت استقالته ؛ وحضر جورست وتكلم مع الخديو فى النظار الجدد وأشار بتعيين مصطفى ماهر باشا للداخلية نزولاً على رأى المستشارين الذين اجتمعوا عنده ؛ فقال الخديو عنه إنه طيب ومجتهد ولكنه ذو أغراض شخصية فهو ليس كباقي المرشحين من حيث النزاهة .

ثم دعانى الخديو أمامه بحضور جورست ، وأمرنى بالتوجه لمصطفى فهمى باشا لأرجوه ألا يتكلم عن مقابلته مع سموه اليوم ، حتى تنتهى مقابلة جورست وإن لم أجد فأترك له إفادة بذلك ، ففعلت .

ثم حضر بطرس باشا مع أباطه باشا وكان لديه قبل ذلك للظفر فى اختيار النظار الجدد ولأجل أن يقنعه بإبقاء الخارجية فى عهده فقبل ، أما سبب إرسال مصطفى باشا فهو لغرضين : الأول للوثوق منه أن الاستقالة تشمل النظارة بأجمعها لا عن شخصه فقط ، والثانى حتى يأتى رد من إنجلترا بالموافقة على تعيين بطرس رئيساً للنظار .

وفى ١١ نوفمبر جمع مصطفى فهمى باشا جميع النظار فى منزله ، وأخبرهم بأنه رفع استقالته للجناب العالى ، وشكرهم على مساعدتهم له فى مدة رياسته .

وعلمت من الخديو أن جورست عرض على سموه اسم سابا باشا ليكون فى النظارة الجديدة ، وذلك مكافأة له على خدماته وأطيباً لحاظه نظير خروجه بصفة غير مرضية من إدارة البريد ؛ فقال له سموه إنه يحب سابا باشا ويرى فيه الكفاءة ، ولكن وجود ناظرين مسيحين لا يروق فى أعين الناس ، ولذا سحب جورست اسمه .

وعلمت أن النظارة ستشكل على هذا النحو :

بطرس غالى للرياسة والخارجية — سعيد للمعارف — إسماعيل سرى للأشغال
والحرية — نحرى باشا للمالية — محمد سعيد للداخلية — حسين رشدى للحقانية .

وقد سئل جورست عن رأيه فى إبراهيم نجيب باشا فقال إنه لا يستحسن وجوده
ليس فى النظارة فقط بل وفى وكالة الداخلية أيضاً .

وسمعت من الخديو أن يوسف صديق بك تكلم معه فى تعيين البرنس حسين كامل
باشا رئيساً للنظار ؛ ويظن سموه أن البك مدفوع سراً من البرنس نفسه ؛ ولكن
الخديو قال إنه يظن أن البرنس لا يرغب فى هذا التعيين وقطع الحديث ، فلم يجرؤ
يوسف بك أن يلح حتى لا يبدو هذا الإيعاز .



إسماعيل سرى باشا



محمد سعيد باشا

وفى ١٢ نوفمبر أنبأ جورست وزارة الخارجية تلغرافياً بتعيين بطرس باشا رئيساً
للنظارة الجديدة ، وتقرر أن يكون رئيس النظار مستولاً أمام الخديو ، وكل ناظر مستول
أمام الرئيس — وهذه سلطة جديدة منحت لبطرس باشا — واتفق جورست مع الخديو
على ذلك ، وعلى أنه إذا حصل خلاف بين سعيد باشا ودنلوب فعلى سعيد أن يرفع
الخلاف لبطرس ، وهذا ينظر فى الأمر .

وقد فاتح بطرس باشا الخديو فيما إذا كان يستحسن تعيين ناظر للبالية بدلا من نغرى باشا إذا امتنع عن قبول هذا المنصب ، فلم يجبه الخديو ، بل قال له : لا . لا . يلزم أن تلح على نغرى باشا حتى يقبل ؛ وإذا رفض فأنا أرسل وأطلبه وهو لا يتأخر عن القبول . . وشفع ذلك بقوله إنه لا يستغنى عني في الديوان . ثم حضر جورست وعرض على الخديو بركة وزير الخارجية بالموافقة على تعيين بطرس باشا فشكره سموه على معاونته ؛ وفي الحال حضر الباشا وتسلم الأمر بتعيينه ، وتوجه للنظار الجدد وتكلم معهم فوافقوا جميعاً ما عدا نغرى باشا .

وبعد ذلك أخذنا نفكر في اختيار ناظر للبالية ، وكان معنا الشيخ على يوسف ؛ فأشرت على الخديو بتعيين احمد حشمت باشا وكيل حزب الاصلاح ؛ وبعد المداولة والمخاطبة مع جورست اتفق الرأي على تعيين احمد حشمت باشا بدلا من نغرى باشا .



أحمد حشمت باشا



حسين رشدي باشا

وفي ١٣ نوفمبر حضر بطرس باشا ومعه خطاب بتشكيل النظارة الجديدة وأمر بتعيين النظار ، فعرضت الأول على الخديو ، وأمضيت منه الأمر وهنأت الجميع ، ودعوتهم لتناول الغداء عندى يوم ١٨ نوفمبر .

ثم التمس من الخديو أن يكلمهم في مسألة الامن وأن يلفت نظرهم إليها ، فخطبهم

بالفعل في هذا الموضوع وغيره ، وهنأهم وأعرب لهم عن ثقته وتأييده ، فأنصرفوا شاكرين .

وكان في العزم أن يتوجهوا جماعة واحدة كما ذهبوا مع بطرس باشا إلى الوكالة البريطانية ، فاستصوب الخديو أن يتوجهوا متفرقين حتى لا يقال إنهم خرجوا من لندن الخديو لابتداء خضوعهم لجورست ، وكلفني أن أبقى لبطرس باشا هذه الملاحظة فوافق الباشا على رأى سموه .

وعلمت أن الخديو كان قد كلف بطرس باشا بالتحدث مع جورست لتعيين أحمد زكى باشا للحربية ، فأجاب بأنه لا يحسن الآن أن يعين أحد من المعية لئلا يعترض كرومر عليه ، وعلى ذلك فقد صار من اللائق ألا يفاتحه في دخوله في النظارة ؛ وربما عرض جورست اسما آخر للحربية مثل عبد العزيز عزت باشا ؛ وقال لى الخديو إنه سعى كثيراً لدى الانجليز لملء منصب في النظارة ، ولكن خشية أن يقع شقاق بين سموه وجورست قرر إحالة هذه النظارة على ناظر الأشغال .

مدير الأوقاف العمومية الجديد . وفي ١٧ نوفمبر أمرنى الخديو بأن أحرر

الأمر القاضى بتعيين خليل حمادة باشا أمين جمرک الاسكندرية مديراً للأوقاف العمومية ؛ ويظهر أنه كان متردداً في تعيينى فى الأوقاف وذاعت الاشاعة بأنه قر الرأى على انتخابى مع أنه لم يفاتحنى أحد فى هذا الأمر بعد كلام بطرس غالى باشا معى يوم ١٢ نوفمبر .

ولم يرض المستشار المالى وغيره عن تعيين حمادة باشا فى الأوقاف ، ولكن الخديو قال للمستشار إن محمد سعيد باشا هو المتكفل به فقبل .

ثم كلف الخديو محمد سعيد باشا بارسال برقية باستحضار حمادة باشا وأن



خليل حمادة باشا

يتوجه إليه في سرى القبة صباحاً قبل أن يسافر سموه إلى بلبس ، لجاء الباشا وتمت المسألة ؛ وبعد ذلك صدر الأمر وسلته لخليل حمادة باشا ثم رافقته إلى الأوقاف ، وقدمت له الرؤساء وخطبت فيهم مظهراً ثقة الجناب العالى فى المدير الجديد لأنه انتخبه لجدارته وإخلاصه ؛ فعلمهم أن يساعده كما ساعدوا سلفه ، وأظهرت لهم أن المصلحة تقدمت فى السنوات الأخيرة باجتهادهم وإخلاصهم ولكن يجب عليهم أن يضاعفوا العناية والمشاركة فقام دلاور بك مدير الإدارة والحسابات وشكرنى على ما قلته بالنسبة للوظفين ووعد بأنهم جميعاً سيشتغلون يداً واحدة . ثم قام المدير الجديد وطلب منهم المساعدة وقال إنه لا يصل إلى العناية التى يرمى إليها الجناب العالى من تقدم هذه المصلحة إلا إذا تعاونوا جميعاً ، وحثهم على العمل وعلى النظام ، ثم ودعت المدير وانصرفت .

النظار المجرى والازهر . وفى نفس ذلك اليوم تناول النظار ورئيسهم ومدير الأوقاف الجديد طعام الغداء على مائدة ؛ وبعد الانتهاء دارت مناقشة عفيفة بين سعد باشا وحسين رشدى باشا حول الأزهر ، فقال الأول : « إن الإصلاح الذى تقر ما هو إلا حبر على ورق » (١) لأنه لا توجد المعدات اللازمة لهذا الإصلاح ، فلا يتوفر المدرسون اللازمون فى العلوم العصرية للبعاهد الدينية ، والمشايخ الموجودون لا يمكنهم القيام بما يتطلبه النظام الجديد .

فقال رشدى باشا : « نأخذ من دار العلوم ومن المتخرجين فى مدرسة القضاء مساعدين للشايخ ، وكذا نستحضر من الخارج من يلزم . فرد عليه سعد باشا بأن هذا لا يمكن ! فاشتد الجدل حتى قال رشدى باشا : « أنت يا سعد لا تريد إلا بقاء مدرسة القضاء الشرعى ، وتريد نحو الأزهر ! »

وفى ٢٢ منه بلغنى من بطرس باشا أنه حصل خلاف بين ناظر المعارف والمستشار المالى ، فاستدعاهما رئيس النظار وفصل فى الخلاف ، وكان الحق بيد المستشار ، فخفض سعد باشا للحكم . وكان الخلاف بخصوص تغيير بعض المواد المتعلقة بالتعليم ، وأبلغنى رشدى باشا أن نظارة المعارف كانت تريد استمرار السير على تأويلها فى صالحها ، ولكن المستشار يريد تأويلها بغير ذلك ؛ وعلى رأى حسين رشدى باشا يكون الحق بيد سعد باشا .

التهاتف للرستور . كان يوم ٩ نوفمبر يوم عيد ميلاد ملك الانجليز ؛ ولم

يحدث وقوف تحت العلم الانجليزى كالعادة ، ولكن الخديو ونظاره والمستشار المالى ورجال المعية وقفوا فى الشرفة المطلة على ميدان عابدين أثناء الاستعراض ؛ ولما انتهى صدحت الموسيقى بالسلام الملكى ، وقبل أن تصدح بالسلام الخديوى صاح طلبة مدرسة الحقوق ، وكانوا منتشرين فوق سطح المدرسة وفى حديقتها ، وكثير من الأهالى الواقفين بجوارها : « يعيش الخديو ، وكرروها ثلاثاً ؛ و « يعيش الدستور ، وكرروها ثلاثاً . ولما انتهوا صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى ؛ فرد عليها الطلبة والأهالى « أفندمز جوق يشا ، ثلاثاً ؛ وقد أعجب الجميع بنظام الطلبة والترتيب بحيث كان يخيل للسامع والرائى أن هذه المظاهرة كانت ضمن برنامج الاحتفال الانجليزى .

رسالة تهميد للتخديو وفى ١٤ منه وردت رسالة للجناب الخديوى بامضاء « أحد رجال جمعية الانتقام المصرى ، جاء فيها : « يا أيها الأمير ؛ إن المفرقات الجهنمية ، التى تنسف الأرض ، قد أعدت لنفسك بعربتك وخيولها ومن يكون معك فيها أثناء مرورك رغم أنف جواسيسك وحرسك . فاعزل بطرس رئيس المحكمة المخصوصة واحذر حيث لا يغنى الحذر والمدة خمسة عشر يوماً من تاريخه . »

وكان رأى الخديو أن محرر هذا الخطاب هو أحد رجال الحزب الوطنى من أتباع محمد بك فريد .

الانجليز يعبثون بالاحتياطى . فى ٢٢ نوفمبر سألت مشاقة باشا الذى كان مراقباً لخزينة المالية ، عن كيفية استعمال مبلغ احتياطى الحكومة ، فقال إنه فى ذات يوم طلب منه فنان كوربت المستشار المالى السابق أن يكتب كشفاً بالأسهم التى يمكن للحكومة المصرية شراؤها بالذهب المخزون فى صندوق الدين وتحول بعد الاتفاقية الانجليزية الفرنسية للحكومة المصرية ، فصدع بالأمر وقدم إليه كشفاً بعد أن دقق فى اختيار الأسهم المطلوبة ، وعرضه على كرومر . وبعد مدة علم أن المستشار كلف السير ارنست كاسل شراء أسهم لم تدرج فى الكشف وهى أسهم القنصليد الانجليزى وأسهم الترنسفال ؛ وأرسل مشاقة باشا تحت إمضائه وحده شيكاً بمبلغ مليون وثلاثمائة ألف جنيه باسم السير ارنست كاسل قيمة ما اشتراه من الأسهم ؛ ولا بد أنه بعد خروج مشاقة باشا استمر الحال على ذلك حتى تحول الاحتياطى إلى أسهم سعرها الآن فى هبوط مستمر ولا بد أن اختيار أسهم القنصليد الانجليزى وأسهم الترنسفال كان

لغاية وهي خدمة الحكومتين الانجليزية والفرنسالية ، لأن هذه الأسهم كانت وقت الشراء مرتفعة القيمة ، ثم هبطت بعد ذلك .

ولم يعلم أحد بهذا السر إلا كوربت وكرومر ومشافة وبعض الموظفين الانجليز .

الانجليز والوظائف . في ٢٨ نوفمبر دار حديث بيني وبين بطرس غالى باشا ورأينا معاً ضرورة تغيير مستر هول ناظر مدرسة الحقوق ؛ وكان دنلوب قد طلب استحضار ستة وأربعين معلماً انجليزياً فى السنة الماضية ، ولكن جورست خفض هذا العدد إلى ستة عشر . وفى هذه السنة خفض العدد المطلوب إلى أربعة ، وقرر أنهم منذ الآن فصاعداً لن يستحضروا سوى الضرورى . وقال جورست أيضاً إنه يعلم بأن الذين استحضروا شبان ليس لأغلبهم نصيب كبير فى الأدب والعلم ، هذا مع أن جورست هو الذى أشار بتعيين مستر هول لنظارة مدرسة الحقوق ؛ أما بطرس فكان من رأيه تعيين ناظر مصرى ووكيل انجليزى له .

التخريب والأعمال الهامة . ذكرنا أن جورست مذ عين معتمداً بريطانياً فى مصر ، قد ترك الأعمال الداخلية للتخديو يتصرف فيها ؛ وقد كان التخديو مهتماً بمباشرة هذه الأعمال . وفى أثناء حديثي المشار إليه مع بطرس باشا قلت له إن سموه يجتهد جداً مع النظار فى مباشرة الأعمال وأن هذا هو اللازم ، فأظهر الباشا سروره من هذا الاشتراك . وأشرت عليه بضرورة زيارة سموه للبديريات لأنه لم يزرها منذ بعيد ، فيحسن أن يتصل الآن بالشعب ، خصوصاً بعد مزاعم الحزب الوطنى عن سموه ، كما سياتى .

والواقع أن سموه كان يهتم بتصريف الأمور اهتماماً متواصلاً حتى إنه عند وجوده بالقبة كان يأمر بحضور رئيس النظار أو بعض النظار مع الرئيس وفى الغالب محمد سعيد باشا واسماعيل سرى باشا ليتناقش معهم فى الأمور وكان مما اهتم به مسألة اختيار المديرين ثم مسائل الطلبة ، وكان طلبة مدرسة الهندسة قد اعتصبوا لأن نظارة المعارف قررت حضورهم ثلاثة أيام فى الأسبوع لغاية الظهر فقط والثلاثة الأخرى لبعده الظهر ؛ وكان المتبع أن يحضروا للظهر فقط كل يوم ، فهاجوا وطلبوا الرجوع للقرار الأول مع أن النظارة لم تغيره إلا لشكاية علوى باشا الذى قال للنظارة إن المعارف تساعد الطلبة على البطالة فإذا لم يشتغلوا بعد الظهر قضوا أوقاتهم فى اللهو والمقاهى .

وقد ساعدهم بعض الأساتذة الانجليز لطلب الرجوع للقرار الأول ، ولكن الحكومة قررت عقاباً لهذا الاعتصاب تعطيل الدروس شهرين جزاء للطلبة وعبرة لغيرهم ، وعزمت على عقاب كل مدرسة تكرّر هذا العمل ، فهاب التسامحة العقاب وسكتوا ، بعد أن كان تلامذة الحقوق قرروا الاعتصاب أيضاً بمجاملة لطلبة الهندسة .

وكان قد بلغ الداخلية أن الطلبة سيوقفون عربة سموه يوم الجمعة عند ذهابه لمسجد السيدة زينب ، فأعطيت أوامر للبوليس باتخاذ الاحتياطات الشديدة ، ومنع الناس من الوقوف على الأرصفة مع أن الخديو نبه بأن يكونوا فوقها ، ومنع أيضاً الاحتشاد في الطرقات . الخ . حتى خيل للانسان أنه سيحدث شيء مضر من الطلبة ، ولكنهم وقعوا عريضة فقط يتبرأون فيها مما ينسبه الانجليز من أمور لم تخطر ببالهم ويؤكدون حسن إخلاصهم .

وكذلك كان يشتغل الخديو مع بطرس باشا وناظر الحقانية والقاضي والمفتي لحل المسائل الموقوفة المختصة بلوائح المحاكم الشرعية التي بعد أن صادق عليها القاضي وأمضاها عدل عنها لأنه يريد إثبات الولاية العامة له ، ولكن الحقانية رأت أن الولاية العامة هي للخديو وليست للقاضي .

مجلس شورى القوانين والرسوم . وعنى سموه أيضاً بما سيعرضه مجلس شورى القوانين في أول ديسمبر من طلب مجلس نيابى ؛ وقد اتفق بطرس باشا مع رئيس المجلس على أن يطلبوا نظاماً كافياً لاشتراك الأمة مع الحكومة في إدارة شئونها الداخلية ، عدا ما يختص بالمعاهدات الدولية .

أى أنهم لا يأتون بكلمة مجلس نيابى ، إنما يطلبون كل ما يريدونه . وقال لهم بطرس باشا إني سأقول رداً على ذلك إنكم الآن مشتركون مع الحكومة ؛ وقد علم جورست بذلك فوافق كما أنه وافق على طرح لوائح التعليم على مجلس الشورى .

وفي أول ديسمبر عقد المجلس جلسته وبعد أن كان الانقسام موجوداً بين أعضائه ؛ إذ يريد البعض طلب مجلس نيابى ، وهم محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا ومحمود عبد الغفار بك ، ومعهم اثنان أو ثلاثة آخرون ؛ والبعض الآخر وهم جماعة اسماعيل أباطه باشا يرون طلب نظام بدلا من كلمة مجلس نيابى يضمن إشراك الأمة الفعلية مع الحكومة ، اتفقت آراؤهم على ما باتى : يطلب المجلس من حكومة

الجناب العالى إعداد مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلى مع الحكومة فى إدارة أمورها الداخلية وفى تدبير شئونها الأهلية ، وأن يكون لها رأيها تقريريا فى مشروعات القوانين واللوائح التى تطبق على الأهالى . وفى تقرير الضرائب والرسوم بحيث لا يكون لهذا القانون تأثير على نصوص المعاهدات الدولية والامتيازات القنصلية والدين العمومى وأحكام قانون لجنة التصفية ، ولا على كل ما يتعلق بالأوربيين من المصالح والحقوق الواجبة الاحترام ، ولا على كل ما ارتبطت به الحكومة من التعهدات والاتفاقيات ، وبعد وضع هذا القانون يقدم إلى مجلس شورى القوانين لابتداء رأيه فيه وهذا وذاك عملا بالمادتين ١٨ و ١٩ من القانون النظامى .

وبذلك عدل الأعضاء عن كلمة مجلس نيابى .

ولم يحضر هذا القرار شيخ الجامع الأزهر فانه قام من الجلسة وانسحب قبل انتهائها أما القاضى فلم يحضر مطلقاً .

وقد كنت بعد ظهر هذا اليوم مع الشيخ على يوسف عند الخديو بالقبة ، ولما سمع بما وقع فى الجلسة قال : « على بطرس باشا الآن أن يشتغل عند الآخرين . (يعنى الانجليز) » ، وهذا دليل على استحسان سموه لما قرره مجلس الشورى .

اضطراب الأمن . فى ٢ ديسمبر زار السير جورست الخديو ومكث معه طويلا ، وكان موضوع الحديث أولا اضطراب الأمن ، وقد عرفه الخديو أن الناس يخشون السفر للأرياف مخافة القتل ، وروى له حادثة وقعت لشكيب باشا ؛ وهى أنه سرقت بعض أجزاء من وابور الرى الذى بأرضه ولم يتمكن من استرجاعها إلا بعد إرسال رشوة لسارقها ؛ وقد حضر اللصوص هذا العام أيضاً لتكرار ما عملوه فى العام الماضى ، ولكن الخفير أطلق عليهم الرصاص ليلا ، فأصاب أحدهم وظهر أنه ابن مأذون الناحية .

وروى مظلوم باشا أن أحد الكبراء كان يريد أن يشتري عربة ولكنه توقف خوفاً من سطوة الأشقياء عليها وربما قتلوه ؛ وقال الخديو إنه إن استمر الحال على ذلك لابد وأن تهبط أسعار الاطيان ، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الضرر . فأجاب جورست بأنه سيبحث عن علاج لهذه المسألة .

قاضى مصر والولاية الشرعية . فى عصر ٧ ديسمبر بينما كنت أعرض بعض

الاعمال على الخديو إذ حضر خطاب من محمد القاضي جمال الدين افندي ففضه وقرأه ، ثم بعدها أمرني أن أستدعي بطرس غالي باشا وحسين رشدي باشا فحضرا وتداولوا مع سموه . وقد علمت أن القاضي يريد أن يجعل نفسه خديوياً لمصر ، بمعنى أن سموه يكون الخديو السياسي ، والقاضي يكون الخديو الشرعي ؛ فبدأوا الولاية العامة الادارية والثاني الولاية العامة الشرعية !! وبعد ذلك ذهب سموه للقبة وبقى بطرس باشا ورشدي باشا يتداولان ثم اتفقا على استشارة جورست في إرسال محمود شكركى باشا للاستانة للداوله مع أولى الشأن في دعاوى القاضي .

وقد استدعاني بطرس باشا بعدها ، وطلب الى إرسال إشارة تليفونية للجناب العالي في القبة أقول فيها إنه تم الاتفاق على انتداب محمود شكركى باشا للسفر الى الاستانة ، وطلب صدور الأمر ليحضر لمقابلته .

المادة بين الخديو والحزب الوطني . في ١١ ديسمبر تقابل الشيخ على يوسف مع الخديو وكنت حاضراً ، فأظهر جنابه استيائه الكبير مما يفترى به عليه اللواء والحزب الوطني من خياناته للوطن وقال : « كيف أقضى خمسة عشر عاماً في حروب عنيفة مع الانجليز ، والآن ينسى هؤلاء المفترون ذلك ، ويقولون إني خائن . ولوادعوا شيئاً آخر لما صعب عليّ ، ولكن لا يمكن أن أكون خائناً .

« وقد كانوا يظهرون للعالم أن الأمة جميعها معهم في هذا الاعتقاد ، ولكن موقف الجمهور في يوم الاحتفال بالمحمل ، قد كشف سر هذا الحزب وبدأ على الوجوه السرور والانشرح .

« فمن وقت ركوبني في العربّة حتى المصطفة ثم أثناء رجوعي لعابدين كان الهدوء سائداً ، ولم يقع إلا خروج بعض الشباب في شرفة أحد المنازل بشارع محمد على وصياحهم : « يعيش الخديو . يعيش الدستور . » ثم عند المنشية أراد بعضهم أن يهتف كذلك فغطى على صياحهم زغرودة النساء .

وبالاختصار فان يوم أمس كان من الأدلة الواضحة على أن الأهالي مسلمون . وكان الحزب الوطني يثير الطلبة ، ولكنهم عرفوا الآن أن لا فائدة تعود عليهم من الهتاف والصياح ، وأصبحوا لا يذعنون لاشارة الحزب الوطني مثل ما كانوا يذعنون ؛ والآن انكشف الستار وظهر أنه لا معضد للحزب من الأهالي ، وهذه ترصية عظيمة لشخصي فالحمد لله .

نمرل الخديو في الانتخابات . في ١٣ ديسمبر بعد صلاة الجمعة في المطراوى (بالمطرية) رجعنا مع الخديو، وبعدها حضر المحافظ ومحمد شكرى باشا مدير المنوفية؛ وبعد الغداء تحدث سموه في مسائل الانتخابات فقال المدير: «إن هلباوى بك رشح نفسه للانتخاب في مديريته، وكذلك احمد لطفى السيد بك مدير الجريدة..» قال الجناب العالى، إنه تحدث ألعيب مع بعض المرشحين للانتخاب، فمن ذلك ما حصل من الدمرداش فانه أحضر مشايخ البيومية وحلفهم بالطلاق ألا يساعدوا أحداً خلافه لأنه كان أحس بحركة ضده لاسقاطه من الجمعية العمومية، واستبداله بضابط في المعاش اسمه ابراهيم راجى بك، فلولا هذه الألوبة لسقط الدمرداش، لأن راجى أخذ فوق الستين صوتاً ولكن الشيخ نال فوق المائة والعشرين.

ومما يؤسف له أن الخديو صرح لنا بأنه عمل بواسطة أعوانه لاسقاط الشيخ فلم يفلح ولم يكن من الحكمة أن يتحدث الخديو بمثل هذا الكلام في مثل هذا المجلس. كذلك قال الخديو إنه لما قابل جورست في المرة الأخيرة وحدثه هذا عن كثرة الاضطراب في مصر أجابه الخديو بأنه لا أهمية لذلك ولا خوف منه، وقال له إن الشاهد على ما يقوله هو أن أهالى العاصمة وقدرهم نصف مليون لم يحضر منهم للأقسام يوم الانتخاب إلا ألف وخمسةائة شخص، فدهش جورست لذلك، ودون هذا الكلام في مفكرته حتى يسأل مستشار الداخلية في هذا الأمر؛ وقد كان مما يسوء كل مصرى أن يقف عميد الاحتلال على هذا الأمر الذى يشوه من أمانى البلاد في سبيل الحكم الذاتى!

أمين لجحرك الاسكندرية . الحزب الوطنى والموظفون . بيع المستشار المالى
والنظار . تعيين البرنس حسين كمال باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين . بحث
قانون المطبوعات واضطهاد الصحافة . صدرى القانون . افتتاح بورسودان .
سؤله الوزهر . تولية السلطان محمد رشاد وسفر الخديو لهستان وأوربا . انتدب
لدارة الاوقاف الخديوية . حضور عزت العايم باشا لمصر . مرض السيد
الكبرى . مهام سياسية لمحمود شكرى باشا فى الاستانة . مسألة امتياز قناة
السويس .

أمين لجحرك الاسكندرية . جاء فى مذكرات العام الماضى أن خليل باشا حمادة
أمين جحرك الاسكندرية عين مديراً للأوقاف ، وكان من الضرورى اختيار خلف له ،
وقد اجتمع لدى الخديو سراى عابدين بطرس باشا ومحمد سعيد باشا وشيخى بك وبعض كبار
الموظفين الانجليز للنظر فى تعيين ذلك الخلف ، فأظهر سموه ميلا لتعيين مصطفى ماهر باشا
مدير الغريسة ، ولكن شيخى بك رأى أن يبقى ماهر باشا مديراً لينظم المديرية كما نظم
الدقهلية قبلها . وعندئذ فكر الخديو فى تعيينى فوافق على ذلك محمد سعيد باشا و بطرس باشا
ولكنهما طلبا من سموه أن يفكر فيمن يخلفنى فى الديوان الخديوى . فعاد سموه وألح
على شيخى بك بقبول مصطفى ماهر باشا ، وكلف سموه بطرس باشا بمحادثة جورست
فى الامر وفى أن يكون الامين هو ماهر باشا أو شفيق بك . وقد وافق جورست على
ماهر باشا لأنه كان قد رشحه للنظارة أو كالتها فى العام الماضى ورفض الخديو .
وقد ظننت أن اسمى طرح امام جورست واختار مع ذلك ماهر باشا فتأثرت

لذلك وتحديث الى بطرس باشا في الأمر ، فني لي ما ظننت وقال : « إنه لم يعرض سوى اسم ماهر باشا فوافق عليه جورست مباشرة . »

الحزب الوطني والموظفون . في ١٢ مارس حضر إلى السراي على بك أبو الفتوح الذي عين مديراً لجرجا ليشرح الخديو على هذا التعيين ، وكان قد بلغ سموه أن الحزب الوطني يسعى لضم الموظفين إلى جانبه وخصوصاً رجال الإدارة ليكونوا له عضداً وسنداً ، وأن على بك ضمن المتضمن لهذا الحزب . ولما قابل سموه قال له : « يا على بك أنا وطني وأحب وطني ، وكل المصريين وطنيون يحبون وطنهم ، ولكني لا أود أن أكون عضواً في الحزب الوطني ؛ وأظن أن الأفضل ألا تكون أنت أيضاً كذلك . » فتبرأ المدير مما نسب إليه .

المستشار المالي والنظار . في ١٣ مارس كانت من بين المسائل المعروضة في جلسة مجلس النظار برئاسة الخديو مذكرة من المستشار المالي بخصوص شراء الحكومة لسكة حديد الواحات بمبلغ قدره مائة وخمسة وعشرون ألف جنيه من شركة الواحات بشروط منها بقاء جزء من الأرباح للشركة لمدة معينة . . .

وقد طلب محمد سعيد باشا إرجاء النظر في هذه المسألة الهامة إلى جلسة أخرى لأنها بلغت إلى النظار في آخر وقت . وقال سعد باشا إنه لم يقرأ المذكرة للآن ؛ فغضب المستشار وطلب البت في الموضوع بهذه الجلسة لأنها من اختصاصه هو وناظر المالية ومتى كانا متفقين فيجب أن يكون لبقية النظار ثقة فيما يقرانه . فأجاب محمد سعيد باشا : « إذا كان الأمر كذلك فلا معنى لطرح المسائل المالية على المجلس . » واشتد الجدل وطلب حسين رشدي باشا بيانات من المستشار فأجابه إلى ما طلب . وعندئذ قال رشدي باشا : « إذن المسألة ستكون شركة بين الحكومة وشركة الواحات ! » وعندئذ غضب المستشار واحتد ولوح باستقالته لأن النظار لا يثقون بأعماله .

وهنا تدخل الخديو وأشار على محمد سعيد باشا بعدم الإصرار على تأخير المسألة فأطاع هو وزملاؤه ، وتقرر تنفيذ الاتفاق الذي عمله المستشار مع الشركة . ولولا هذا الاتفاق لأفلس وعادت السكة الحديد والأراضي التي أصلحتها والآبار الارتوازية التي أنشأتها للحكومة بمقتضى عقد الامتياز .

ولم ينكر المستشار هذه الحقيقة ، ولكنه احتج بأن إفلاس هذه الشركة يذهب بثقة أصحاب رموس الأموال في مصر فلا يوظفونها فيها وتقف حركة الأعمال المالية .

ثم دارت مناقشة حادة أخرى على موضوع آخر لأن المستشار طلب الموافقة على لائحة المعاشات ، وطلب النظر تأجيلها وصمموا على موقفهم رغم تشدده .
وقد صرح الخديو لنا بعد انتهاء الجلسة بأنه لم يشهد من قبل مناقشات حادة بالمجلس كالتى شهدناها اليوم . فقلت لسموه : هذا شيء حسن ؛ لأن المستشار من الآن فصاعداً سيحسب للنظر حساباً ، ويعلم أنهم غير من سبقهم من النظر فهم لا يقبلون شيئاً إلا بعد الاقتناع .

تعيين البرنس ميسين كامل باشا رئيساً لمجلس شورى القوانين . وفى يوم ١٤ مارس اجتمع بطرس باشا واسماعيل أباطه باشا والبرنس حسين كامل باشا بعد اختياره رئيساً لمجلس شورى القوانين فى سراى عابدين ، وتناقشوا مع الخديو فى الحالة الحاضرة وما يجب عمله ، فقرر رأى على أن يذهب بطرس باشا إلى جورست ويطلب منه أن يوافق على عمل تعديل فى مشروع مجالس المديرية بحيث يكون لها الحق فى فرض ضريبة لا تزيد عن خمسة فى المائة من قيمة الأموال لصرفها فى التعليم ، وأن تكون قراراتها نافذة فى هذه المسألة ، وأن يقنع جورست بضرورة ذلك . واتفق أيضاً على أنه متى انتهى بطرس باشا من هذه المهمة يتوجه البرنس إلى جورست ويطلب منه توسيع اختصاص مجلس شورى القوانين .

بعض قانونه المطبوعات واضطهاد الصحافة . فى ١٢ أكتوبر تقابل الخديو مع جراهام نائب جورست وتحدثا عن الصحف العربية فقال جراهام إنها تبادت فى الطعن على الكبير والصغير دون مبالاة وطلب سن قانون لكبح جماحها فأجاب الخديو بأن قوانين البلاد كافية لذلك ، وأن إصدار قانون شديد الآن ربما حرك الساكن فيحدث الانفجار .

وفى ١٦ منه قابل جورست الخديو ، وكان المظنون أنهما سيتكلمان فى مسألة الصحف ولكنهما لم يطرقا هذا الحديث ، وكان اسماعيل أباطه باشا قد طلب منى أن أنبه الخديو — قبل المواجهة — وقد حصل — كيلا يظهر سموه معارضة فى سن قانون لها بل يقول إنها مسألة تقتضى التروى لأن أباطه باشا سمع من كرومر فى إنجلترا أن المنتظر عمل قانون ضد الصحافة العربية سواء أكان مديروها أجنب أم مصريين وأن الدول وافقت على ذلك بدليل أن عبد العزيز جاويز محرر اللواء التونسى لم تعترف فرنسا بحمايتها له .

ولكن بعض الصحف، وخصوصاً المنتمية للحزب الوطني، تبادت في شدتها ضد شخص الخديو حتى كانت ترميه بخيالاته لوطنه والاتفاق مع الانجليز ضد مصالح الأمة! فضايق سموه ذراعاً بهذه الحملات وسلم بالنظرية الانجليزية في سن القانون، بل أضحى هو صاحب الرغبة والسعى في ذلك! فكلف بطرس باشا بالتعجيل في تنفيذ هذه الفكرة واستقر الرأي على بعث قانون سنة ١٨٨١ ولتحاسب الصحف بمقتضاه، وهو قانون قاس شديد.

ولما علم الشيخ على يوسف بعزم الحكومة على بعث هذا القانون الذي سن أيام الثورة العراقية جاء إلى الخديو يوم ١٩ مارس وقال لسموه: «إن هذا أمر لا يصح بعثه بعد ربع قرن، وإنه يسيء إلى الجميع من حيث الحرية التامة، وسنحتاج لاستعمال هذه الحرية في وقت ما فلا نجدها، فأجابه الخديو: «إن ذلك صحيح ولكن المخبرات بيننا وبين انجلترا تقدمت تقدماً عظيماً ولا يمكننا الرجوع إلى الوراء، فقال الشيخ على: «وما ذنبنا إذا خرج بعض الصحف عن حد الأدب في انتقاداتها على الحكومة فكيف يؤخذ البريء بحريّة المذنب مثل محرري اللواء والجريدة الذين لا ذمة لهم، فأجابه: «إن هذا ما حدث وإنني أحس بأننا لنعمل عملاً في صالحنا الحقيقي ولا بأس يا شيخ على بأن تذهب إلى بطرس باشا وتتكلم معه في هذه المسألة». وكان الخديو قد بدأ يعود إلى رأيه الأول ولا سيما بعد هذا الحديث الذي دار بينه وبين صاحب المؤيد، فأرسل في طلب محمد سعيد باشا وحسين رشدي باشا وتكلم معهما في مسألة قانون المطبوعات وبعد أن كان هو الذي يطلب تنفيذ قانون سنة ١٨٨١ عاد ووافقهما على أنه ليس في المصلحة خصوصاً وأنه سيقال عن سموه وعن نظاره أنه لما سلمت الحكومة الانجليزية قيادة الأعمال الداخلية إلى الوطنيين كانت فاتحة عملهم أن رجعوا بالمصريين إلى الوراء وهذه وصمة شنيعة! واتفقوا على تدبير الأمر.

وفي اليوم التالي دعاهما إلى سراى القبة وتكلم معهما في مسألة القانون ووافقهما على عدم تنفيذه، وأمرهما أن يتوجها إلى بطرس باشا وأن يتكلموا معه.

وعلمت في هذا اليوم من اسماعيل اباظه باشا أنه توجد أزمة نظارية فاتفقنا على أن تتوجه لبطرس باشا في المساء لنعلم الخبر فذهبنا وفهمنا منه أن النظرار علواً قبل المخاربة مع جورست بالموضوع وبعد أن قبلوه برمته جاءوا يعترضون على بعض نقاط فيه. وخرجنا من المناقشة بأن الحق في جانب بطرس باشا وقد سمعنا منه أنه في الحقيقة

لا يرغب في بعث هذا القانون ، ولم يكن بعثه إلا بناء على إلحاح الخديو في إجراء ما يجب لاسكات الصحف الجاحدة وفهمنا أيضاً أن بطرس باشا مستاء جداً لمداولات الخديو مدى يومين مع حسين رشدي باشا ومحمد سعيد باشا بدونه ومستاء أيضاً من تقلب أفكاره حيث طلب سن قانون المطبوعات ثم هو يعترض الآن عليه ، فكان بطرس باشا وحده هو الذي يطلب تنفيذ هذا القانون ولا يخفى ما يناله من العار لو علم الجمهور بذلك .

وفي ٢٢ مارس قابلت أنا وأبازله باشا حسين رشدي باشا وسعيد باشا ففهمنا معهما في موقفهما فعلنا أنهما لم يتناقشا مع زملائهما عدا الرئيس في هذا الموضوع قبل المخبرات مع جورست بل بعدها بكثير ، وكان كلما أبدى أحدهما ملاحظة أجابه الرئيس بكلام مبهم وبدأ لهما جلياً أنه يريد إقرار القانون بنصه وبلا مناقشة . فاستاء النظار من استبداده لأنه لا يريد أن يمكنهم من بحث القانون وأظهروا له أنها مسألة هامة لا يمكن أن يأخذوها على مسئوليتهم ولهذا أرادوا أن يحولوا فكر الخديو عن هذا القانون فسمعي لديه محمد سعيد باشا وحسين رشدي باشا حسناً قدمنا ، وكان ذلك سبباً في غضب بطرس باشا وخصوصاً حينما أبلغاه رأي الخديو في العدول عن رأيه الأول . ولما سمعت واسماعيل أبازله باشا هذه البيانات حكمتا للنظار ضد بطرس باشا . ولكنه ظل على إصراره وغضبه حتى إنه لوح بالاستقالة أمام النظار . واعتذر عن الحضور بانحراف صحته حينما دعاه الخديو فذهب إليه أبازله باشا وأقنعه بحسن نية سموه ووجوب توجهه إلى السراي . وأما النظار فثبتوا على موقفهم من المعارضة ، وأبدى ثلاثة منهم استعدادهم للاستقالة ، وهم سعد باشا وسعيد باشا وحسين رشدي باشا . ولما تخرج الموقف كلفني الخديو أنا وأبازله باشا بالتوجه إليهم والتفاهم معهم ، فقمنا بالمهمة وحادثناهم منفردين ثم مجتمعين بأن لا معنى للتوقف بعد أن تخابرت مصر مع إنجلترا وهذه مع الدول لقبول تنفيذ اللائحة على الأجانب وأن تنفيذها سيكون مؤقتاً لحين عمل لائحة أخرى ملائمة للحالة الحاضرة وتعرضها الحكومة على مجلس الشورى ، وأعطى ناظر الداخلية الحرية في تنفيذ هذه اللائحة على أبواب الجرائد أو إحالتها بواسطة قلم المطبوعات على النائب العمومي ، ثم قلنا إن مركز الخديو قد أصبح حرجاً لأن جورست لما قابله وأراد سموه تحويله عن تنفيذ اللائحة لم يوافق وعندئذ قال النظار ما معناه : « نحن نفدى سموه لأننا نعلم أن إحساساته شريفة وأثبت لنا ذلك عند حديثنا معه لأنه علم أن رجوع اللائحة في هذا الوقت الذي أعطتنا فيه إنجلترا

الحرية في العمل مما يثبت لها ولأوروبا أن الأمة المصرية ليست أهلاً للحرية ، مع أن المشاعين هم فئة قليلة تعد على الأصابع ، ولهذا وافقنا على الرجوع عن هذه اللائحة . ، وانتهى الأمر بقبول النظار ثم انصرفنا حيث كان الليل قد انتصف . وفي اليوم التالي توجه النظار لسراى القبة وقابلوا الخديو ولما خرجوا وجدتهم بما فيهم الرئيس ضاحكين ، وعلمت أنا واسماعيل اباضه باشا من سموه أن سعد باشا ظل ساكتاً حتى أعلن الآخرون قبولهم ثم قال : « إن هذا الأمر غير مرجح لضميرى ؛ أنا لما كنت محامياً وأدافع في قضاياى وأخسر بعضها كنت أتكدر ولكن كنت أقبل الحكم وضميرى مرتاح . أما في هذه المسألة فضميرى غير مرتاح مع قبولى لهذه اللائحة . ،

ونظراً لوجود إشاعة بأن هناك أزمة نظارية ، وبعد خروج النظار من السراى سمعت من الخديو أنه إذا قدم النظار استعفاهم فانه لا يكلفهم بعد ذلك بشئ . مطلقاً وأنه يكون مضطراً لتشكيل نظارة أخرى تحت رئاسة نخرى باشا .

وبلغنى أنه حصلت مخبرات بين النظار والرئيس في إدخال تغييرات على مشروع تنفيذ قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ ، وقال النظار لرئيسهم إن جورست قبل فكرة التعديل بناء على نصيح شيتى بك .

ولما اجتمعت مع حسين رشدى باشا وسعد باشا ومحمد سعيد باشا في الداخلية وقرأت المشروع المعدل ، وجدته لا بأس به فلما توجهوا عند الرئيس وعرضوه عليه قال إنه ليس صريحاً — وذلك قبل أن يتوجه لجورست ويحدثه ، ولما عاد من عنده قال إنه لم يقبله فارتاب النظار لهذا التناقض ، واعتقدوا أن الرئيس ليس مخلصاً في عمله وأنه يريد أن ينفذ قراره الأول ثم أرسلوا القانون المعدل مع المستشار المالى إلى جورست وأخيراً جاء الرد بالقبول فاجتمعوا في بيت الرئيس وتنقشوا في الموضوع ، وعاد بطرس باشا ثانية إلى جورست ليلاً ليأخذ منه الكلمة الأخيرة فقبل المشروع مع تعديل لبطرس باشا مقتضاه عمل قرارين أحدهما بتنفيذ لائحة سنة ١٨٨١ والثانى بالتعديل ، وانتهى الأمر على ذلك .

وفي مساء ذلك اليوم استدعانى الخديو وطلب ميزانية الديوان الخديوى ولما اطلع عليها أمر أن يزداد مرتبى أربعائة جنيه في السنة من وفورات الميزانية ، فشكرت لسموه هذا الانعام وقلت : « إن لسانى يعجز عن إيفاء حق الشكر . ، فأجابنى : « يا شفيق باشا إن الحالة تغيرت وصارت أشغالنا كثيرة ولنا أسرار جديدة ، فأنا شخصياً لا آتمن سواك

عليها ولذلك رأيت أن تبقى معنا الآن وفي المستقبل كما كنت معنا من قبل . فقلت — وقد تأثرت لهذا الكلام — : إني يا مولاي غرس نعمة بيتك الكريم في الشرف أن أخدمه إلى ما شاء الله ولا سيما بعد أن سمعت هذا الكلام المشجع الذي اعتبره أعظم مكافأة لي . وقبلت يديه وانصرفت .

وفي ٢٥ مارس اجتمع النظار بسموه فخاطبهم بشدة وكان موجهاً كلامه بالأخص لمحمد سعيد باشا وانتقد عملهم ، وهو أنهم بعد أن اتفقوا على قبول لائحة المطبوعات في الجلسة السالفة رجعوا في قولهم ، ووسطوا المستشارين بينهم وبين جورست في قبول بعض تعديلات اقترحوا إدخالها ، ولو أنه حصل الاتفاق أخيراً بينهم وبينه وبين الرئيس . ولكن التقرير ثم التغيير فيه شيء لم يره سموه من النظار السابقين مدى السبعة عشر عاماً الماضية .

ولا يبعد أن جورست الذي يسير معنا بالاتفاق التام يغضب يوماً من الأيام عندما نطلب منه المساعدة في مسألة فلا يجيبنا إلى طلبنا ويعمل ما يراه لأنه لا يعتمد على ما نعرضه عليه خوفاً من أن نرجع فيه كما رجعنا في هذه المسألة وبذا نخسر معاونته .

وكان هذا الكلام للنظار أمام المستشار المالي وقطة باشا واحمد زكي بك فاستاءوا من ذلك وتكبدوا أيما كدر . ولما ذهبت مساء اليوم إلى وكالة فرنسا ، حيث كنت مدعواً لتخصية السهرة بمناسبة وجود الدوق أوف كنوت وعقيلته هناك ، قابلني في حلقة المدعوين سعد باشا ثم محمد سعيد باشا ثم حسين رشدي باشا واحمد حشمت باشا وكلوني في هذا الموضوع وكان التأثير ظاهراً بالأخص على سعد باشا وسعيد باشا ، فهدأت روعهم وأكددت لهم أنهم قاموا بالواجب وأن الخديو لا بد أن يكون مغتبطاً بالتعديل الذي أدخل لأنه لم يكن موافقاً على القوانين ولكنه استاء فقط من الطرق التي اتبعت .

وفي اليوم التالي حضر سعيد باشا إلى القبة فقابل الخديو وعلم منه أن كدره كان من توسط شقيق بك بينه وبين جورست في قبول التعديل ومع ذلك فإن سموه أظهر له الرعاية والعناية فزال عنه بعض الكدر وبعد الظهر توجهت إلى بطرس باشا فدعاني للغداء وعلمت منه أنه مغتبط بما قاله الخديو للنظار وأنه قال لسموه أثناء محادثة خصوصية إنه لو كان سموه رضى بالرجال الذين كان قد انتخبهم أولاً ومنهم شقيق باشا لما حصل كل ذلك ولكن سموه طلب منه قبول هؤلاء النظار فامتثل لأوامره .

وكان سموه قد سافر الى بليس وعند عودته ركب معه في القطار من محطة مصر إلى القبة وعرفته بالمطلوب لإجراؤه في قرار تنفيذ قانون المطبوعات فسألني عما إذا كان بطرس باشا قد قبل فسألت سعيد باشا تليفونياً فقال: «نعم إن بطرس باشا قد قبل». فقلت لأقدينا: «الحمد لله إن المسألة قد انتهت مع النظر والرئيس وجورست». فقال: «ولكن لم تنته معي فكيف يحصل هذا التغيير بعد أن قررنا ما قررناه؟»

صدي القانون. نشرت الوقائع الرسمية في ٢٧ مارس قرار مجلس النظر بتنفيذ قانون المطبوعات لسنة ١٨٨١ على الصحف والمطابع والقرار الخاص بتكليف ناظر الداخلية بأحالة المتهمين على القضاء ما لم يقرر مجلس النظر تطبيق مادة ١٣ من القانون المذكور فنارت لذلك جميع الصحف وحملت اللواء على القانون بعنف ووردت تلغرافات للمعية وللحكومة بالاستياء منه. وفي اليوم التالي ذهب الخديو إلى المحطة لتوديع الدوق أوف كنوت وفي أثناء ذهابه وعودته إلى عابدين لاحظ أن بعض الطلبة الذين ينتمون للحزب الوطني كانوا جالسين على قهوة الشيخة وغيرها وهم في حالة عدم اكتراث ولما مر عليهم لم يتحركوا ولم يقفوا لآداء السلام بل بالعكس رفعوا ساقاً فوق ساق ونظروا إليه. وقد شعر سموه أنه لا بد وأن يكون الحزب قد كلفهم بتنظيم هذه المظاهرة انتقاماً منه بسبب قانون المطبوعات والصحافة.

وفي يوم ٢٩ مارس حضر للسراي سكرتير الحزب الوطني، وسلمني خطاباً باسم الخديو وفيه احتجاج من لجنة إدارة الحزب الوطني خاص بتقييد حرية الصحف. ومما ورد في هذا الاحتجاج.

«إن الحزب الوطني هو قوة لا يستهان بها، وهو مخلص للسدة الخديوية». فلما أرسلت الخبر تليفونياً للجناب العالي جاءني الأمر بإرسال هذا الاحتجاج لبطرس باشا.

وبلغني من سموه بعد ذلك أنه ورد للنظار إنذار بأن عشرة من الطلبة سينتقمون منهم ويقتلونهم نظراً لأقارهم إرجاع قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ وأن النظر متخوفون من هذه الجمعية.

مظاهرة الطلبة: ولما عاد سموه إلى القاهرة في ٥ أبريل بعد افتتاح بور سودان، — كما سيجي. — كان النظار في انتظاره بمحطة القبة مع الرئيس محمد علي باشا، فعلمنا منهم أنه وقعت أثناء غياب سموه مظاهرة كبيرة قام بها الطلاب المنتمون للحزب

الوطني ، وأن هارفي باشا الحكمدار الذي كان مشرفاً على تشييتهم سقط عن جواده .
ولكن البوليس تمكن من القبض على ناصية الحال وقبض على عدد من المتظاهرين
لتقديمهم للمحاكمة . وعلينا أن جيش الاحتلال كان على استعداد لأول إشارة وأن القائد
العام كان يراقب المظاهرة بنفسه في ميدان الأوبرا .
وقد لامهم سموه على عدم إرسال الأخبار إليه مدة غيابه ، ولا سيما في أمر
بهذه الخطوة .

في مجلس الشورى والقانون : وفي ١٣ أبريل اجتمع مجلس شورى القوانين
فاقترح على شعراوى باشا ، وأيده ثمانية من الأعضاء ، إلغاء قانون المطبوعات ؛ فرد عليه
اسماعيل أباطه باشا بأن هذا الطلب غير قانوني ، فانه لا حق للمجلس في طلب إلغاء
قانون ، واقترح أن يطلب من الحكومة عمل مشروع قانون للمطبوعات بدل الذى تقرر
تنفيذه ، ثم يعرض المشروع الجديد على المجلس . فقام مقام باشا عبد الشهيد ، وطلب
الايغير القانون الحاضر وألا يلغى ، بل يبقى كما قرره الحكومة . ولما أخذت الأصوات
كانت الأغلبية مع مقام باشا فتقرر إبقاء القانون على حاله .

وقد كانت هذه نتيجة سيئة المغزى بالنسبة للأمة المصرية وتقديرها لحرياتها
وحقوقها ، وإمكن الذنب في ذلك يرجع إلى الخلاف بين أباطه باشا وشعراوى باشا
وهو الذى مكن عبد الشهيد باشا من إحراز الأغلبية .

إنذار اللواء والحكم على الشيخ جاويش : وبالرغم من سن قانون المطبوعات
فان الحكومة والانكليز كانوا يتخرجون من تنفيذه على الصحف التى ظلت تكتب
بشدة متناهية ، وقد علنا أن البرلمان الانجليزى نفسه أوصى وزير الخارجية الانجليزية
بعدم التصديق على حرية الصحف في مصر .

ولكن حدث أمران اضطررا الحكومة إلى الخروج عن هذا التحفظ :

الاول : أن اللواء نشرت فصولاً طويلة مدحت فيها دنجرا ، الهندى قاتل
اللورد كرزون في إنجلترا واعتبرت عمله عملاً وطنياً خالداً ، وحضت الشبان على التشبه
به في وطنيته .

والثاني : أن الشيخ جاويش نشر في اللواء مقالا شديداً للهجة طعن فيه في حق
بطرس باشا وفتحى باشا زغلول ومحمد بك يوسف

أما اللواء فقد تقرر إنذاره بعد أخذ وردّ بين مصر ولندره حتى إن بطرس باشا
لوح بالاستقالة إذا لم ينذر ؛ لأن هذه الكتابة تعتبر تحريضاً صريحاً على ارتكاب جرائم
القتل السياسى .

وأما الشيخ جاويز فقد قدم للحاكمه وحكم عليه بالغرامة .

مظاهرة سياسية : وقد قابلت الصحف الانجليزية والوطنية هذا العمل بالارتياح .
أما جرائد الحزب الوطنى فاستخدمته فى الدعاية للحزب وقالت إن الشيخ جاويز يعتبر
شهيد الحرية .

وفى يوم ٢٩ أغسطس تألفت مظاهرة كبيرة فى حديقة الأزبكية لتحية الشيخ
جاويز نظمها الحزب الوطنى . ولما علمت الحكومة بخبر المظاهرة اجتمع ناظر الداخلية
مع المحافظ لعمل الاحتياطات اللازمة ، ونبه على الشيخ شاكر لبذل كل مجهود حتى
لا يشترك فيها طلاب الأزهر . ونصحت المؤيد والجريدة بالهدوء ، وقد انتهت
المظاهرة بسلام .

وفى نفس الوقت بذل الخديو مجهوداً لاقالة محمد فريد بك زعيم الحزب الوطنى
من الاشراف على تصفية الشركة التوفيقية للملاحة فى النيل ، وكان المنشاوى له نصيب
كبير فيها ، وكان فريد بك يتناول نظير عمله مائة جنيه شهرياً ، هذا فضلاً عما يقال من أن
مركزه هذا يفيد الحزب الوطنى مالياً . ولهذا كلفنى الخديو بأن أسعى لدى أفراد أسرة
المنشاوى للعمل على رفع يد فريد بك عن الشركة ، واستعنت على ذلك بإسماعيل
أباطه باشا . ورشحناه هو للحلول محل فريد بك . ولكن السعى لم يتم - ولما علم فريد بك
بذلك أرسل إلى أباطه باشا يلومه على هذا العمل الذى اعتبره غير لائق بمكانته .

افتتاح بورسودان . كانت الحكومة قد انتهت من إنشاء ثغر بورسودان ،
وقر الرأى على أن يفتحه الخديو رسمياً .

وفى ٢٩ مارس تحرك القطار الخصوصى من القبة يقل سموه والنظار وكبار
رجال المعية إلى السويس حيث كانت المحروسة فى الانتظار . فنزلنا بها فى منتصف الليل
والبحر هادى . والهواء رطب وسارت حتى بلغت الميناء الجديدة يوم أول أبريل ، وهناك
أطلقت المدافع من الشاطئ . وأذن الشيخ محمد الجيزاوى المقرئ إعلاناً بافتتاح
بورسودان رسمياً .

ثم افتتحت الحفلة بخطاب من حاكم السودان العام مرحباً بالخديو وتلاه كندى بك مدير أشغال السودان فشرح بإيجاز الأعمال التي تمت في الميناء وقام بعده درورى بك مدير الموانئ والقنارات فوصف الميناء وفائدتها التجارية وأنه قد نصب في مدخلها فنار من الدرجة الثالثة يخترق نوره كل عشر ثوان وقد وضع هذا الفنار بحيث ينبعث منه شعاع أحمر علامة على الخطر في بعض الجهات .

فرد عليهم الخديو شاكرآ ومشجعاً، ثم توجه سموه الى البناء فوضع آخر حجر ثم أنعم على بعض كبار الموظفين الانجليز بنياشين مختلفة الدرجات .

وكان في الاستقبال ونجت باشا السردار والضباط والموظفون وقاضى القضاة ومفتى الخرطوم وشيخ علمائها ؛ وأديت العساكر التحية ، ثم صعد إلى الباخرة ونجت باشا ومعه سلاطين باشا لشكر الخديو على تفضله بالحضور . ثم نزل سموه إلى الشاطئ . وركب العربية الخصوصية وطاف في موكب بعض شوارع الثغر التي كانت مزينة بالأعلام .

ثم عاد للمحروسة فاستقبل بها أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية الذين حضروا مدعوين لشهود الاحتفال . ثم أحسب الصحف وغيرهم . ودعا إلى الغداء كبار موظفي السودان وأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وفي الساعة الرابعة زرنا مخازن الجمرك ووابورات الكهرباء ، ثم مررنا بالقنطرة التي تصل القسم التجارى من المدينة بالقسم المدنى . وزرنا منزل حاكم المدينة ثم عدنا للمحروسة .

وفي المساء كنا مدعوين للعشاء عند السردار وكانت الميناء والمحروسة ووابوران صغيران لحكومة السودان تتلأأاً بالأنوار الساطعة ، وبعد العشاء أطلقت النيازك ؛ وبما لفت الأنظار ظهور صورة الملك ادوارد السابع وصورة الخديو في ألوان زاهية واضحة . وبما لاحظته سموه وجود أعلام انجليزية بجانب الأعلام المصرية في ساحة الاحتفال ، ولم يدع أحد من المجلس ولا الجمعية إلى هذه المأدبة .

وفي اليوم التالى ركبنا المحروسة عائدين بعد الوداع الرسمى المعتاد ، فوصلنا إلى الطور يوم ٤ منه حيث يوجد الحجر لاجراء الرسوم الصحية المعلومة . وكان هناك الوابور برنس عباس يقل المدعوين للاحتفال عائدين كذلك فأرسل إليهم سموه بيلقهم أسفه على عدم دعوتهم لمأدبة السردار وأنه آسف بسبب ذلك .

ووصلنا إلى السويس يوم ٥ منه ، فاستقبل سموه من جميع الطبقات بحفاوة كبيرة ، ونزل بالمدينة وطاف ببعض شوارعها ثم غادرنا السويس إلى القاهرة فوصلناها في الساعة الخامسة مساء .

سُوء الأُزهر . في ٩ أبريل كنت في سراى القبة مع الشيخ شاكر والمفتي والشيخ محمد حسين مخلوف العدوى ثم حضر الشيخ احمد زناقي فاجتمعنا بناء على الأمر الحديوى للنقاش في شئون الأزهر ومطالب الطلبة إزاء القانون الجديد ؛ وفي الشكاوى التي وصلت للسراى من الطلبة ومن جمعية اتحاد العلماء . وقد كان من رأي أن يأمر سموه بتشكيل لجنة من أحد علماء الأزهر وآخر من المعهد الاسكندري وثالث من طنطا ومن ابراهيم ممتاز باشا رئيس الأفلام العربية بالداخلية وحسن بك جلال أحد رجال القضاء وثلاثة آخرين مثل اسماعيل بك حسنين ناظر مدرسة المعلمين العليا واسماعيل رأفت بك المدرس بها وأمين بك سامى ناظر المدرسة الناصرية . وتنتظر هذه اللجنة في مطالب الطلبة ولها أن تنظر في تعديل القانون واللائحة الداخلية ، وأن تقترح التغييرات اللازم إدخالها لراحة الطلبة والعلماء في جميع المعاهد .

ولكن اقتراحى هذا لم ينل قبولا وقال الحديو : « إننا ننظر في جلسة غير رسمية في تقرير اللجنة ، ثم يجتمع المجلس العالى بصفة رسمية ويقرر ما يراه في هذا التقرير . »

استقالة الشيخ حسونة وتعيين الشيخ سليم البشرى للمرة الثانية : أسلفنا ذكر

ما كان بين الحديو وبين الشيخ حسونة من سوء تفاهم لم يزل إلا ظاهراً ؛ ولذلك فإن الشيخ انتهز فرصة التذمر من القانون الجديد وبادر في أوائل هذا العام بتقديم استقالته فقبلت ، وبعد المداولات قر الرأى على تعيين الشيخ سليم البشرى شيخاً للأزهر ؛ وكان الأمر محل بحث بين النظار وجورست . وانتهى بموافقة وصدور الأمر بالتعيين في ١٣ منه .

وفي ١٧ منه حضر الشيخ الجديد للسراى بين جمهور من العلماء فخلع عليه الحديو (الكرك) ولم يكن ذلك متبعاً من قبل .

تولية السلطان محمد رشاد وسفر الحديو لاستانة وأوروبا . وردت التلغرافات بتولية السلطان محمد رشاد خلفاً للسلطان عبد الحميد الذى أرسل إلى سلايك للإقامة فيها ، وفي يوم ١٤ أبريل احتفلت البلاد بهذه التولية ، وفي ٣٠ مايو سافر الحديو إلى الاستانة لتهنئة الخليفة الجديد فوصلها يوم أول يونيو ، ومن هناك أرسل سموه إلى

بطرس باشا القائم مقام برقية يصف فيها حسن استقباله عند وصوله وحفاوة السلطان



السلطان محمد رشاد

ورجال المابين به ، وكذلك رجال
حزنى الاتحاد والترقى ، ويأمر
بموفاته بالأخبار تباعا وكذلك
أرسل محمود شكرى باشا الى
رسالة مطولة يصف الاستقبال
ومما جاء فيها : « وكانت المدرعات
العثمانية الراسية أمام السراى
السلطانية تؤدى التحية العسكرية
للحضرة الخديوية وموسيقاها
تعزف بالسلام الخديوى وهذا
لم يحصل قبل الآن . » وجاء فيها
أيضاً : « وصدرت الارادة
الشاهانية مؤذنة للخديو المعظم
بزيارة الخزانة الجليلة التى تحوى
الآثار النبوية بسراى طوب قو . »

وقد نشرت هذه الرسالة بالوقائع المصرية ونقلتها عنها بعض الصحف فكان لها
وقع كبير لدى الأهالى الذين كانوا يظنون تغير نفس السلطان على الخديو نظراً لسياسة
الوفاق مع الانجليز فى العهد الأخير .

وعاد الخديو من رحلته فى ١٧ سبتمبر بعد تجواله فى أوروبا .

اشترابى لدارة الأوقاف الخديوية . فى ٢٠ يونيو قام احمد خيرى باشا

مدير الأوقاف الخديوية بالأجازة وكلفنى بناء على الأمر السابق صدوره إليه من الخديو
بقيامى بعمله حتى يعود من الأجازة فقامت بالعمل . وفى أول يوليو كانت الاحتفال
بامتحان مدرسة خليل أغا وافتتحت الحفلة بتلاوة القرآن ، ثم قام بعض الطلبة بتمثيل
رواية أدبية وبعدئذ ألقى الخطبة التالية : « أيها السادة . إني سعيد لاشتراكى معكم فى
هذا الاحتفال الذى يذكرنا بمؤسس هذا المعهد الفخم وهو المرحوم خليل أغا . أتعلون
من هو ؟ كان إذا ذكر اسم خليل أغا أيام سطوته وضع الناس أصابعهم فى آذانهم رغبة

عنه ! واليوم كلنا آذان مصغية لذكرى هذا المحسن العظيم ؛ ولم ذلك ؟ الجواب في قوله تعالى :
 « إن الحسنات يذهبن السيئات ، حكمة بالغة وعبرة كبرى . فاذا ذكرنا اليوم خليل أغا
 ذكرنا أعمال البر والاحسان ولا سيما المعاهد العلمية التي هي الأساس الوحيد لرقى
 الأمة ثم قلنا بعد ذلك إن العبد الرقيق الخصى هو خير من كثير من أغنيائنا — أسيادنا
 البخلاء — لأن خير الناس أنفعهم للناس .

« فمن لنا بأمثال خليل أغا وأمثال بطل الرواية التي سمعناها وهو زهدى بك لنهوض
 المصريين وتقديمهم ؟

« اللهم أكثر من الرجال النافعين لأممتنا فان ذلك ليس عليك بعزيز .
 « وإني في الختام أشكر جميع الذين شرفوا الاحتفال وأثنى على همه حضرة ناظر
 المدرسة وأسأدتهم الكرام . »

وقد علقت إحدى الجرائد على هذه الخطبة بقولها : « يا حبذا لو أن أمثال خليل أغا
 من الذين أثروا من وجوه غير شرعية أن يكفروا عن سيئاتهم بعمل الخيرات ! »

مضور عزت العابري باشا إلى مصر. حضر لمصر عزت العابري باشا ونزل ضيفاً
 على الشيخ على يوسف وقد توجه مساء ١٦ يوليو لمقابلة الخديو بالقبة ومكث معه مدة
 ثم انصرف يثنى عليه .

مرض السيد البكرى . بمناسبة مقالة كتبها السيد محمد توفيق البكرى في جريدة
 اللواء في السنة الماضية واطلع عليها الخديو غضب سموه عليه لأنها لم تكن تتناسب مع
 مركزه الديني ، وبلغ السيد ذلك فأرسل إلى رسالتين كلتاهما استرضاء واستعطاف
 للخديو . وقد بدأ البكرى يعاني آلام مرض عصبي شديد ، واستمر في شدته وتفاقمه
 وأصبح في حالة صعبة .

وفي ١٦ أغسطس وصلتني رسالة من الشيخ على يوسف يقول فيها إن حالة
 السيد البكرى سيئة جداً وإنه في مرضه يخيل إليه أنه مضطهد من الخديو والحكومة والعالم
 كله حتى أقاربه وأهل بيته ، فهو في حالة تشبه الجنون ، وإنه يريد من الشيخ على يوسف
 المساعدة في أمرين :

الاول أن أعاون السيد في عمل سلفة ليتمكن من السفر إلى الخارج ، وربما احتاج
 الأمر لادخاله في مصحة « سنا تور يوم » .

والثاني أن أحضر للقاهرة ، وأقابل السيد (*) وأطمئنه برضاء الخديو عنه .
ولما أطلعت بطرس باشا على خطاب الشيخ على يوسف أخبرني أنه أرسل إليه
جملة رسائل فيها تفصيل عن حالة السيد البكرى تؤكد جنونه . ثم أطلعني على برقيات
وتقارير من السيد نفسه يطلب فيها حمايته من المضطهدين له . وأنه ، أى بطرس باشا ،
أرسل إليه برقية يؤكد له فيها أن الحكومة ستتخذ الاجراءات اللازمة لمساعدته في
كل ما يطلبه وأرسل له النائب العموى ليطمئنه .

وبعد التفاهم مع بطرس باشا اتفق رأى على أن يأمر مدير الأوقاف بمساعدته
في عمل سلفة على أوقاف البكرى الخيرية بخمسمائة جنيه ، ليتيسر له الذهاب للخارج
مستشفياً ، وأن أتوجه إليه وأطمئنه من قبل الجناب العالى .

وقد زرتة فوجدته في حالة يرثى لها من التطورات المؤلمة ، وبذلت كل جهد
لطمأنته ونهت كل موظفي دائرة أوقاف البكرى لرعايته ، وأبلغته رضاء الخديو عنه
وعمله على معونته ، وخرجت من عنده بعد أن قمت بكل ما أمكننى لراحته .

وبعد ذلك تمت مسألة السلفة وسافر البكرى للاستشفاء في العصفورية في لبنان .

مهام سياسية لمحمود شكرى باشا في الاستانة . أسلفت أن محمود شكرى
باشا سافر للاستانة بناء على الاتفاق بين جورست و بطرس باشا والخديو ، للمفاوضة
في مسألة القاضى التركى واختصاصه ، بعد أن تشبث بأن تكون له الولاية الشرعية
العامّة ورفضت الحاقية ذلك . وقد استقال القاضى بعدئذ وأصبحت مهمة
محمود شكرى باشا أن يسوى مسألة تعيين القاضى الجديد . وقد انتهت بأن يعين الخديو
خلفاً له يختاره الباب العالى ، ثم جدّت مسألة جديدة هي حاجة مصر لقرض تعقده
تفريجاً للآزمة التى كانت تأخذ بخناقها ؛ فكلّف محمود شكرى باشا بأن يتفاوض مع
الباب العالى فيها على أن يتمها ثم يعود بمعية دولة الوالدة .

وقد حضر مع دولتها يوم ١٩ أكتوبر ؛ وعلى أثر وصوله عقد مجلس بحضور
الخديو ومحمود شكرى للباحثة في نتيجة مهمته ، وإن كانت الحكومة قد عدلت عن
القرض أخيراً .

وفى هذه الأثناء وردت برقية من الصدارة تقرر أن الدولة العلية توافق على عمل

(٥) وقد ذكرته قبل وفاته بدسائسه ضد المفتى تنفيذاً لأغراض الخديو مما هو مذكور في مذكراتى
فقال : « لئن أعترف بخطئى الناتج من نزعة الشباب وعدم الخبرة . »

قرض لتنمية ثروة البلاد على أن تبين الأوجه التي سيصرف فيها القرض .
فأرسلت هذه البرقية إلى دار الوكالة البريطانية لترى رأيها ، وبعد قليل ورد
منها رد مكتوب باللغة الفرنسية ليرسل للإستانة على لسان الخديو ، فسلبه لى سموه
لترجمته فكان نصه ما يأتى :

« ردأ على كتاب نخامتكم أنشرف بأن أخبركم أن قرار مجلس الوكلاء فى الاستانة
قد أنابنى فى عقد قرض . ولكن حكومتى لا تنوى الآن أن تعقد قرضاً فلا يعوزها
نصريح بهذا الصدد ، على أن منع مصر من الاقتراض دون إذن سابق من حكومة
السلطان هو عقبة مستمرة فى سبيل تنمية موارد البلاد بأحسن الوسائل الاقتصادية ،
ومن شأنه أن يؤخر تقدمها المادى الذى لا نشك أنه يهم جلاله السلطان ويهم نخامتكم
أيضاً . لذلك أبدى أشد الرغبة فى أن يرد لى ما كان لسلفى من الحق الكامل
فى عمل القرض . »

ولكننا لاحظنا أن الرد لا يتفق مع القرار ؛ لأن تركيا لم تمنع أن تقترض مصر
بل اشترطت فقط أن تخبرها بمصارف القرض . ولهذا تقرر أن يكون الرد بناء
على اقتراح بطرس باشا . بأن الحكومة تشكر الدولة على مساعدتها لعقد القرض ،
ولكن الحكومة ليس فى نيتها الآن عمله ، والذى يهمها فقط أن يرد إليها ما كان لها فى
مدة الخديو السابق من الحق فى عقد القروض عند الحاجة بدون استئذان . »

ثم دارت المخاطرة بين جورست وحسين رشدى باشا فى ذلك فوافق على
الرد الأخير .

مسألة امتياز قناة السويس . لما شعرت شركة قناة السويس بحاجة الحكومة
إلى المال انتهزت هذه الفرصة وعرضت على الحكومة أن تصرح لها بمد امتياز القناة
أربعين سنة جديدة مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ؛ وكان المستشار المالى يميل
للأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست و بطرس باشا ، إلا أن الرأى العام كان
ضدها ، وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدى باشا ومحمد سعيد باشا . وكتبت
الصحف بهذه المناسبة كتابات شديدة . وتماطرت البرقيات والاحتجاجات على السراى
من الأعيان والأحزاب والهيئات المختلفة . ووردت لنا برقيات من محمود سليمان باشا
وعلى شعراوى باشا واحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية ،
وكذلك جاءنا مثل هذا الطلب من حزب الاصلاح ، وأرسلت الاحتجاجات لناظر

الخارجية الانجليزية والرئيس النظار بطرس باشا . وقد كلفني سمو الخديو أن أسلم لبطرس باشا هذه البرقيات ، وأن أفهمه أن سموه يخشى أن تكون هذه الحركة ضده شخصياً فيلزمه أن يحتس منها ، وأن سموه لا يرى مانعاً بعد هذه الحركة القوية أن يعرض المشروع على الجمعية العمومية حتى تخف مسؤولية النظارة . وقد قابلت قبلها محمد سعيد باشا وفهم مهمتي ، فألح عليّ في القيام بها خير قيام ، وإقناع بطرس باشا إقناعاً تاماً ، ولما قابلته أبلغته رأي الخديو وزدت عليه : « إننا نجتهد الآن يا باشا في إزالة ما علق بالنفوس من حادثة دنشواي بدلاً من أن نضيف إليها أمراً جديداً تقع مسؤوليته عليك . » فقال لي : « حيثئذ يلزم أن يتفاهم أفندينا مع جورست . » قلت له : « وأنتم أيضاً . » فوجد بذلك ، وظهر لي أنه اقتنع بطرح المسألة على الجمعية العمومية .

وفي ٣٠ أكتوبر تقابلت مع محمد سعيد باشا فصرحت له بأن عمل محمود سليمان باشا ومن معه قد سرني وشرح صدرى ، لأنه يساعدكم على الوصول للغاية التي تطلبونها فأجابني بما فهمت منه أن له يدأ في تحريك المطالبين بتقديم المشروع للجمعية العمومية . وربما كان الواسطة هو احمد يحيى باشا .

واجتمعت بعدها بأباطله باشا فأخبرني أنه تقابل مع بطرس باشا وأقنعه بفكرة عرض المشروع على الجمعية العمومية أو مجلس الشورى فإن أمكن إقناع جورست بذلك كان بها وإلا فيلوح رئيس النظار بالاستقالة .

وقد حدثت أباطله باشا برأى الخديو ورغبته في أخذ رأى الأمة . فقال لي : « يظهر أن بطرس باشا مقتنع الآن تماماً ، ولهذا ذهب إلى جورست ليتفاهم معه . »

وتوجهت للنتزه يوم ٣١ أكتوبر فعرضت على الخديو كل ما سمعت من الأحاديث ؛ وبينما كنت معه حضر محمد سعيد باشا وأخبرنا أن الرئيس تقابل مع جورست وأقنعه بضرورة استشارة الجمعية العمومية فقبل . وبالفعل حضر جورست في صباح اليوم التالي وقابل سموه في سراي رأس التين وتحادثا طويلاً في الموضوع واتفقا على عرض المشروع على الجمعية على شرط أن يدافع سعد زغلول عنه ويكون رأى الجمعية قاطعاً . وقال جورست إنه إذا لم توافق الجمعية فيسكتب لحكومته لتصرف نظرها عن المشروع . وقد اطمأنت الأفكار وهدأت النفوس عندما أذيع قرار الحكومة بصفة رسمية .

أما موعد انعقاد الجمعية العمومية فقد أجل أسبوعاً حتى يتلقى جورست رأى حكومته في الموقف .

وفي أول نوفمبر وردت برقية للجناب العالي من الصدارة بأنه : « بلغ الباب العالي حدوث مخبرات في شأن امتياز قناة السويس ، وأن ذلك يدعو لأخذ رأى الباب العالي في هذه المسألة حيث لا يمكن تعديل شيء في فرمان الامتياز إلا بأرادة شاهانية وفرمان آخر . » وقد أبلغ الخديو الأمر لجورست ثم تقابل معه بطرس باشا واتفقا على الرد بكيفية مختصرة مضمونها : « إنه صحيح حدوث مخبرات بين الحكومة الانجليزية وشركة قناة السويس في الموضوع . »

وقد عرض المشروع على الجمعية العمومية ، ودافع عنه سعد باشا طبقاً لما تقرر ، ورفضته الجمعية بأغلبية كبيرة كما سيأتي مفصلاً .

وسيرى القارىء في السنة التالية أداء عباس لفريضة الحج التي بدأت في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ وانتهت في يناير سنة ١٩١٠ .

عباس يؤدى فريضة الحج . مسألة امتياز قناة السويس فى الجمعية العمومية . مقتل بطرس غالى باشا . الرئيس روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر . تعيين مدير الديوان الاوقاف العمومية وبعض أعماله فيه . وفاة ملك الانجليز . سفرى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف بالنظار . اعتبارى لرائسة لجنة اتحاد مدرسة المعلمين الناصرية . قضية ديوان « وطنيتى » . الخطوة الثالثة لاصلاح الأزهر .

عباس يؤدى فريضة الحج . عزم الخديو على أداء فريضة الحج منذ العام الماضى مع دولة والدة فأبلغنا الاستانة بذلك لتقوم باتخاذ ما يلزم لراحة سموه أثناء السفر وأداء الفريضة . وتقرر أن يكون بطرس غالى باشا قائم مقام خديو ، مدة غيابه ، وقد كتبت صيغة الامر الخديوى بهذا التعيين فى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٩ بحضور اسماعيل أباطه باشا والشيخ على يوسف ، ولوحظ أنه يحتوى على نقطتين هامتين : الأولى الشاء على الحكومة العثمانية وعلى السلطان بقصد إرضائهما بعدما كان من موقف الحكومة المصرية فى مسألتى القاضى والقرض ، والتنويه بذكر الخلافة الاسلامية للسلطان . والنقطة الثانية إظهار شعور الخديو نحو الأمة المصرية لتقريب النفوس وجذبها إليه . ومما جاء فى آخر الامر : « وسنرفع أكف الضراعة إلى مقام العزة الالهية فى تلك البقاع الطاهرة بأن يوفقنا إلى خدمة الأمة العزيزة المصرية التى لا نفارقها إلا وقلبتنا معها ، وفكرنا مشغول بما يؤدى إلى خيرها ومجدها فى الحال والاستقبال ، كما أننا على يقين من أن دعواتها الصالحة تكون ملازمة لنا فى الحل والترحال . »

ثم توجهت لبطرس باشا لأعرض عليه المشروع ولكنى لم أجده فتركته مع

قطعة باشا سكرتير مجلس النظار ، ولفت نظره إلى النقطتين السالفتين بنوع خاص ، ثم ذهبت إلى سراى عابدين لوداع الموظفين بأقلام المعية إذ كنا على أهبة السفر .

الوصول إلى مكة : وفي ضحى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ تحرك بنا القطار من القبة ، وكان معي اللواء حسين محرم باشا السرياور ، ومحمد عزت باشا ، واحمد خيرى باشا ، واحمد صادق بك وكيل الخاصة ، ومحمود محمد بك من القلم العربى ، والشيخ محمد شاكر وكييل الأزهر ، والسيد محمد البىلاوى من العلماء ووكيل الكتبخانة الخديوية ، والشيخ محمد عاشور مفتى الأوقاف الخصوصية ، وبعض ضباط الحرس لنعد ما يلزم لاستقبال الخديو فى مكة .

وقد وصلنا إلى السويس الساعة الرابعة مساءً فزلنا بالباخرة . برنس عباس ، وقضينا بها الليلة . وفى مساء ٨ منه غادرنا السويس وأحرمتنا صباح ١٠ منه عند وصولنا أمام ثغر رابغ وبدأنا بالتلبية . وفى عصر هذا اليوم وصلنا إلى جدة ونزلنا فى منزل السيد عمر ناصف وكيل الشريف فى جدة ، فاستقبلنا نجله أحسن استقبال وبتنا بها . وفى صباح اليوم التالى لحقنا بركب الحمل ، فوصلنا إلى بحرة فى الساعة العاشرة مساءً ، وفى الطريق شاهدنا قلاعاً تحتلها العساكر الشاهانية ، وكانت عند اقترابنا تحيينا بالسلام ، وفى بحرة قدم لاستقبالنا فيصل بك وعبد الله بك (*) نجل الشريف والشريف جميل بك ابن أخى الشريف موفداً منه ومعه ياور الشريف احمد بك ، ولما وصلنا إلى المدخل الضيق الموصل إلى مكة والمعد لتعداد الجمال والحجاج ، دعينا لركوب عربتين . فركبنا ودخلنا المدينة ومررنا بين شوارع فقيرة وبيوت عتيقة حتى وصلنا إلى الحرم الشريف . وبعد أن أدينا مراسم الحج قصدنا دار الامارة . فأبلغت الأمير الشريف حسين السلام الخديوى ونحن وقوف . فتشكر ثم جلسنا وشكرته على العناية التى لقيناها فى جدة ، وفى طول الطريق .

وقد علمت أن الشريف أعد داره لنزول الخديو ، وأما الوالدة فقد خصص لها منزل بناجا باشا أمام الحرم ، وكذلك أعدت المساكن لرجال الحاشية وبعضها مطل على الحرم .

وفى ١٤ منه زرنا بعض المقامات والمقابر ، وطفنا ببعض الشوارع الضيقة ، وعلى العموم لم ترق البلدة فى نظرى من حيث نظافتها وأحوالها الاجتماعية .

(٥) هما نيا بعد المرحوم الملك فيصل ، وسمو الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن .

استقبال الخديو : وفي ١٥ منه ووصل إلينا نبأ وصول الخديو إلى جدة وقيامه منها إلى بحرة ، فذهبت للشریف وأبلغته ذلك ، وبعد المحادثة قررنا إرسال مذكرة لسموه بكيفية الاستقبال التي اتفقنا عليها ونصها :

« ينتظر الشریف في قهوة البستان مع وكيل الوالى والعساكر الشاهانية وقومندانها وبعض الأشراف ، وتقيم البلدية سرادقاً للاستقبال ، ويقدم أعيان البلدية والأعيان بواسطة الشریف . »

ولما وصل الخديو إلى بحرة كان يرافقه سمو البرنس كمال الدين حسين ، والشيخ بكرى الصدفى المقتى ، والدكتور على ليب بك الجراح وبعض الياوران والحاشية ، وكان سموه ممتطياً صهوة جواده وسائراً فى الطليعة خلف ثلة من الحرس السوارى ، ويحيط هذا الركب فرقة من الجنود العثمانية ومعهم أنجال الشریف ومندوب حكومة الحجاز ، وحجم غفير من الأشراف .

ولما نزلت الوالدة وكرمتها ركبن عربته لاندو ، تجرها أربعة بغال ، أما البرنيس فاطمة فاضل خانم افندى والقفوات فركبن عربته الشریف والهوارج ، وأعدت شقائف لباقي رجال المعية ، وكان حول الموكب سوارى الحرس الخديوى وعساكر الشریف ومن خلفه حرس الدولة .

ثم تناول البرنس كمال الدين حسين ومعه جميع الحاشية وأنجال الشریف طعام الغداء على الطراز الأفرنجى ، أما فى العشاء فقد رأس المأدبة الخديو وأبدى شكره لأولاد الشریف على تلك الحفاوة . ثم بارح سموه بحرة ممتطياً جواده ومعه الحاشية قاصداً مكة . وبالقرب من قهوة البستان استقبله أحمد خيرى باشا ، وعطوفة أمين بك القائم بأعمال ولاية الحجاز ، وقومندان العساكر الشاهانية . وكان الشریف حسين أمير مكة منتظراً سموه فى القهوة المذكورة ، وسار برفقة سموه مع بعض الأشراف إلى السرايدات التى أعدتها الحكومة خارج مكة احتفالاً بسموه . وكان العلماء والوجهاء والأعيان والتجار فى انتظاره ، وعند نزوله عن جواده فى السرادق المخصص له قدم له كبار القوم ومن بينهم أعضاء بلدية مكة ، فأبدى الخديو شكره للجميع .

وبعد تناول القهوة سار إلى مكة محفوفاً من الجانبين بالجنود العثمانية ، حتى وصل إلى قشلاق الحميدة ، وعزفت الموسيقى بالسلام الخديوى . ولم أحضر الاستقبال لمرضى . ودخل سموه مكة من باب جرول حيث كان حرس المحمل واقفاً لأداء السلام .

وسار في طريق الشبيكة ومر أمام التكية المصرية التي كانت مزينة بالأعلام والمصاييح، وكذلك دار الامارة ودار البلدية وغيرها، وكان الطريق مزيناً، ووصل إلى باب الحرم الشريف فجر يوم الخميس ١٦ ديسمبر. وصلى الصبح مع الامام المالكي، ثم طاف طواف القدوم وخرج للسعي بين الصفا والمروة، وكانت الشريف قد عرض عليه أن يقوم بالسعي راكباً، ولكنه أبى وأراد أن يكون كباقي الحجاج، وبعدئذ نزل في دار الامارة وهناك قال له الشريف: «أنت تقيم في ملكك؛ لأن هذه من آثار جدك محمد علي باشا»، فشكره ثم انصرف.

وعند طلوع الشمس أطلقت المدافع ترحيباً بمقدم الجناب العالي ثم تبادل الزيارة مع الشريف، وجاء بعده القائم بأعمال الولاية أمين بك. وبعد الغروب طاف بيت الله المعظم.

ولما وصلت الوالدة ومن معها بموكبها إلى مكة في الغروب أطلقت المدافع، وعزفت الموسيقىات واستقبلتها الجوع أحسن استقبال. ونزلت في دار بناجا باشا. وبعد هزيع من الليل طافت دولتها طواف القدوم ثم سعت في عربتها مع البرنيسيات. تشريفات وزيارات: وفي يوم الجمعة ١٧ منه وفد المصريون إلى دار الامارة لكتابة أسمائهم بسجل التشريفات، ورد الخديو الزيارة إلى القائم بأعمال الولاية. وكانت فرقة من الجنود الشاهانية مصطفة على جانبي الطريق إلى بابها، ولما وصل الركب عزفت الموسيقى بالسلام الخديوي. فأسرع القائم مقام الذي كان ينتظر على بابها مرحباً بمقدم سموه، وهناك قدم له العلماء والمأمورون والملكيون والعسكريون، وأعضاء المجلس البلدي، والأعيان والتجار، ثم زار سموه التكية المصرية وتفقد محالها ومخازنها ومطبخها. وأكل من خبزها ثم عاد إلى دار الامارة وزار الشريف.

ولما آن وقت الظهر قصد الحرم الشريف لصلاة الجمعة، وأنعم سموه على الخطيب بخلة سنية. وفي أثناء الصلاة هطلت الأمطار فاستبشرت الأهالي لأنهم كانوا محرومين منها مدة طويلة.

وفي ١٨ منه زار الأماكن المباركة مع حاشيته وزار المحمل المصري في جرجول، فاستقبل استقبالاً فخماً وقدم لسموه أمير الحج جميع ضباط المحمل وموظفيه. ثم زار بعد ذلك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ثم مولد سيدنا علي كرم الله وجهه ثم عاد للسراي. وبعد الظهر استقبل كثيراً من الزائرين. وبعد الغروب قصد بيت الله الحرام،

ووضع المدرج فصعد ووصل هو والحاشية في محل فوق الكعبة . وقد أوقدت الشموع فيه . وبعد الدعاء المأثور نزلنا وعدنا .

وفي مساء ١٩ منه أول سموه وليمة للشریف وأنجاله وأمين بك وعليه القوم وكبار المأمورين والقاضى والمفتى وشيخ الحرم ومديره وقومندان العساكر الشاهانية ورجال المعية . وبعد العشاء والاستراحة في البهو الكبير خطب أمين بك خطبة بليغة رحب فيها بقدوم سموه .

وفي ٢٠ ديسمبر تبادل الزيارة مع دولة الشریف وزاره كثير من الزائرين وفي المساء طاف بالكعبة .

وفي يوم التروية خرج سموه من مكة إلى عرفة راكباً جواداً بملابس الاحرام مع حاشيته وكلهم محرمون . وكان يرافق سموه عبدالله بك نجل الشریف ومعه كثيرون من عليا الأشراف . وتقدمت هذا الركب فصيلة من عساكر الحرس الخديوى السوارى تتبعها فرقة من جنود البيشة (من عرب الحجاز) على هجنهم وهم يضربون نوتهم ويوقعون أناشيدهم البدوية وباقي الركب يلبي قائلاً : ابيك اللهم ليبيك ، لا شريك لك ليبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . . وكان هذا الهتاف الروحى الرنان ، بنغماته المؤثرة ، وما يتجلى فيها من آيات الخشوع ، ينفذ الى أعماق القلوب ، ويحدث في النفس أعماق الآثار . وكان يحيط بالركب جميعه فرقة أخرى من الحرس الخديوى . وقد استراح سموه بسرادق الشریف الخصوصى بمنى وبعد ذلك توجه إلى مسجد الخيف . وصلى الظهر ثم توجه لزيارة والدته بمنزل الشریف هناك ، ورجع إلى السرادق بعد صلاة العصر . وبعد صلاة صبح يوم ٢٢ ديسمبر ركب فى موكب إلى عرفة فوصلناها الساعة الحادية عشرة صباحاً ونزل سموه فى السرادق الذى أعده الشریف له . وأما الحاشية فنزلت فى سرادقات أخرى . وبعد صلاة العصر بنحو ساعة ركب الخديوى جواده ، وسار والى يساره دولة الشریف ومن خلفهما البرنس كال الدين ووكيل الولاية وجم غفير من كبار الأشراف ورجال الدولة وحاشية سموه ، حتى وقفنا حذاء جبل الرحمة على مرتفع ، وقد اجتمعت هناك ألوف الحجاج ، والكل فى خشوع يلبون ويسألون الله ما يريدون . وهنا يعجز القلم عن تصوير هذا المنظر الرائع الذى تتمزج فيه آلاف الأنفس والأرواح فى صعيد واحد . وتوجه كلها إلى وجهة واحدة ، هى مقام العلى الأعلى . وما زلنا وقوفاً هناك حتى أفاض الناس فأفصنا معهم .

وكانت إفاضة الجنب العالى من عرفات من الفخامة بما لم يشهد له مثيل . وما كاد يتحرك المحملان حتى سار سموه وإلى جانبه الشريف ثم من فى معيتهما من الأمراء والعظماء فى ركب نفخ رهيب ، حتى وصلنا إلى المزدلفة ونحن فى غاية ما يكون من الراحة وسارت صاحبة الدولة والدة والبرنيسيات فى موكب نفخ آخر .

استعراض حرس المحمل : ولما وصلنا جميعاً إلى المزدلفة نزلنا فى الامكنة التى أعدت لنا وقضينا فيها ليلة النحر ، وبارحنا فجر يوم الخميس ١٠ ذى الحجة الموافق ٢٣ ديسمبر إلى منى ورمينا جمرة العقبة وتحللنا من الاحرام ، ثم صلينا صلاة العيد ونحرت الضحايا الكثيرة بحضور الخديو ، ونزلنا مكة وطفنا طواف الافاضة ، ثم تغدى سموه فى دار الامارة وعدنا إلى منى بعد صلاة العصر .

وفى يوم الجمعة ١١ ذى الحجة الموافق ٢٤ ديسمبر احتفل بقراءة فرمان الشريف وذلك فى السراى المعد للجنب الخديوى ، فجلس سموه فى الوسط وعن يساره الشريف ثم أمين بك ثم أنجال الشريف وعلية الأشراف ، وعلى يمين سموه البرنس كمال الدين حسين فأنا ثم عزت باشا وخيرى باشا ثم موظفو المعية . وبعدئذ حضر الوفد الحامل للفرمان والخلعة السنية فقام مكتوب بحى الولاية وقرأ فرمان بالتركية ثم قام كاتب يد الشريف وتلا ترجمته بالعريسة . وعقب ذلك فك غلاف الخلعة وألبسها أحد المهندارين للشريف ثم أمر الجنب العالى بتوزيع الشربات على الجميع ، وبعد شرب القهوة انصرف الشريف مودعاً من الخديو بكل تجلة واحترام .

وبعد ذلك استعرض حرس المحملين الشامى والمصرى ، وقد لمع سموه عساكر على بن دينار سلطان دارفور مع رئيسهم وقد أتوا بمحملهم وراء الصفوف ، فاستدعى سموه رئيسهم . وبعد أن لاطفه وحياه أمره بأن يسير بجنده فى هذا الاستعراض فلبى الدعوة . وبعد نهاية الاستعراض استقبل الخديو المهنيين له بالعيد فى سرادقه ، ثم رد الزيارة للشريف . وبعد تبادل التهانى ركبنا والشريف معنا إلى رمى الجمرات وعدنا إلى مقرنا . وفى المساء أعدت وليمة عشاء للشريف وعظماء قومه .

وفى أثناء الطعام كانت الموسيقى تعزف وسهام الألعاب النارية تشق كبد الفضاء وقضينا يوم ٢٥ ديسمبر بمنى .

وفى ٢٦ منه بعد صلاة العصر نزلنا إلى مكة وبقينا بها . وفى ٢٧ منه وزعت الصدقات والهدايا من الخديو والوالدة وقامت الحاشية عند الظهر إلى بحرة ، وبعد صلاة

العشاء طاف الخديو وبعض رجال المعية طواف الوداع .

ومما أذكره أن الحجاج المدنيين عند دخولهم مكة كانوا ينشدون بنغمة طلية النشيد الآتي :

يا سلام اكتب سلام	بين زمزم والمقام
فاطمه ست النساء	وعلى سيد الاكرام
ومحمد بن عبد الله	يا قارىء كتاب الله
اقرأ الحمد باسم الله	أيا داخل الجنة
خبرني بما فيها	فيها الروح والريحان
دار الله لا حسد فيها	ومحمد وعلى فيها
فيها القبة الخضراء	فيها طير من جوهر
يغرغد بين حوائها	سیدی الحاج يا شريت
أما بشاره والا عليت	والا عروسه ما جينا
فك الكيس واعطينا	سیدی الحاج يا عكه
ربي يوصلك مكة	من مكة للدينه
من المدينه لبلاذك	من بلاذك لأولادك
زمزمى والطايرى	شيخي عبد القادر
والنبي من عادته	فرشوا سجادته
يا صلاة الله عليه	كلكم صلوا عليه

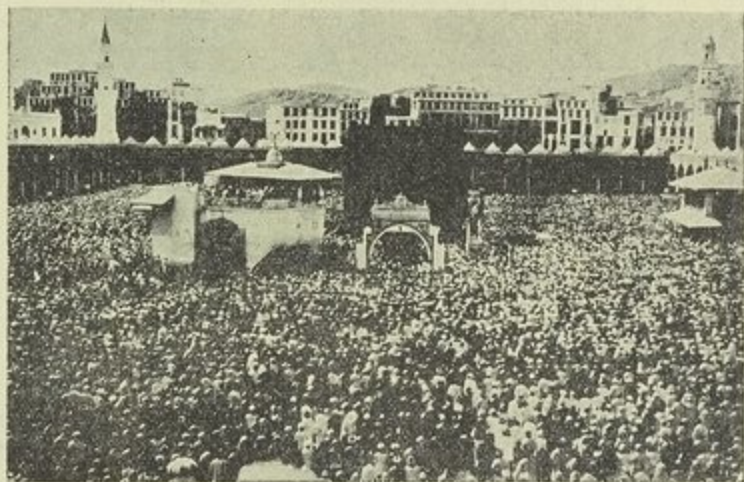
ثم يصيحون : يا حى .

وعند طواف البدو حول الكعبة كانوا يهرولون صارخين : ه اغفر اغفر إن لم تغفر من يغفر ؟ ، وكذلك أذكر أنه عند تجوالى فى حوارى مكة وجدت أسواقاً لمبيع الجوارى والعبيد بدون مراقبة ، وأيضاً تعرفت بأستاذ يابانى مسلم فى جامعة طوكيو وعلمت منه أنه أسلم منذ سنوات بعد أن قرأ القرآن مترجماً إلى الانجليزية فأنجذب إليه وكان يتكلم العربية بصعوبة .

وبعد أن خرجنا من باب مكة وجدنا الشريف وأنجاله وعظما القوم فى الانتظار لوداعتنا . وصحبنا الشريف ناصر ، الذى كان تعين مهمنداراً للخديو من قبل الشرافة العظمى مدة وجود سموه بالحجاز ، وقد أعدت الخيم الحصى لركوب الخديو ومن

معه من الحاشية . وكان منظر الصحراء في غاية البهجة لا كتمال القمر ، والسرور شامل . وكانت حوافر الحمير تغوص في الرمال وتسكبو ويقع بعض راكبيها فيضحك الساقون عليه ، ومع مزيد حرصى فقد وقعت . ولم تمض برهة حتى وقع الخديو أيضاً ولكن من يقع لم يكن يصاب بسوء . واستمرت هذه التسلية حتى وصلنا بحرة في منتصف ليلة ٢٧ ديسمبر واسترحنا قليلاً . ثم ركبنا إلى جدة فوصلناها يوم ٢٨ منه . وقد استقبلنا فيها قائمقامها وقومندان عساكرها مع كثير من الأعيان وسرنا جميعاً حتى محل الكورنتينة وركبنا زورقاً بخاريّاً إلى المحروسة ، وكانت الوالدة قد سبقتنا إليها مع حاشيتها . أما باقى رجال الحرس والمعية فقد نزلوا بالباخرة الرحمانية التي كانت في انتظارهم .

ثم استقبل الخديو في اليخت أنجال الشريف وقائمقام جدة وقومندان عساكرها ثم قناصل الدول وكانوا قد حضروا بصفة رسمية لتوديع سموه فشكرهم على رقتهم وأرسل برقيات الامتنان والشكر إلى جلالة السلطان ومقام الصدارة العظمى ودولة الشريف وحكومة الحجاز .



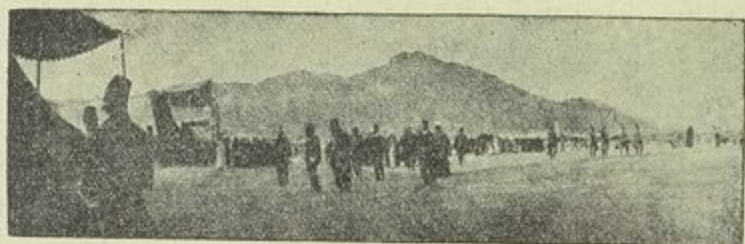
السكينة



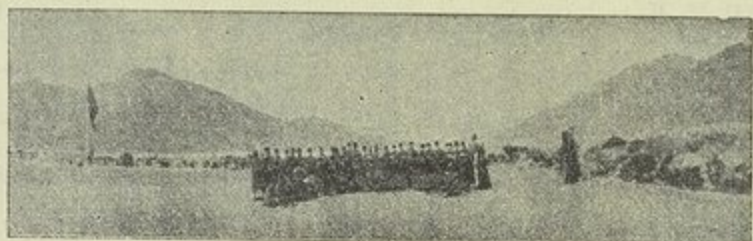
ميناء جدة



المحمل الشريف



بحرة



من



منظر عمومي لمي والحجاج يخيمون فيه



الحجاج على جبل الرحمة بعرفات

وقامت المحروسة من جدة إلى الوجه فوصلناها ظهر يوم ٢٩ منه .

وفي ٣١ منه نزلنا إلى البرسالمين فاستقبلنا قائمقام الوجه وسليمان باشا أبو رفاة شيخ قبائل بلي والمتعهد بحملة الركاب العالي ، فركب الخديو مع بعض رجال المعية الهجن في ركب حافل من عربات هذه الجهة ، أما باقي الحاشية فكانوا في شقافد فوصلنا في اليوم الأول من يناير سنة ١٩١٠ مكاناً به نبع ماء فاسترحنا وأمضينا اليوم هناك في الخيام المعدة لنا . وفي اليوم الثاني ركبنا حتى وصلنا إلى منبع ماء آخر فاسترحنا فيه أيضاً وأمضينا الليلة . وفي اليوم الثالث وصلنا إلى مسيل النجد . وقد وجدنا هناك أورطة من الجيش العثماني ، كانت أتت لحراسة الخديو من قبل الدولة وسارت معنا حتى وصلنا خشم بلع . وفي يوم ٤ منه ركبنا بعد صلاة الصبح إلى شرفة النجد في أرض صخرية وعرة المسالك ، يصعب السير فيها على الخيل والبغال والحير والجمال ، حتى إن أحد سوارى الترك كان يسرع فيها بجواده فانقلب به وارطم رأسه بحجر فانكسر وغاب شعوره . وقد مررنا على رأس الحرة وهي قمة عالية سوداء تشرف على واد ضيق فرشت أرضه بحجارة صوانية حمراء وصفراء ، ومازلنا سائرين في أراض جبلية وعرة حتى وصلنا النجوة .

وفي ٦ يناير وصلنا إلى محطة البدائع الساعة العاشرة صباحاً فاستقبل سموه عدة من الرجال الرسميين والأشراف والمشايخ فشكرهم وتوجه معهم إلى صيوانه الخاص واصطففت في الطريق فرقة من الجنود البيادة العثمانيين ، وقد أمر الخديوى بتوزيع الكساوى على من كان في خدمة الركاب الخديوى من الضوية والسقاين والعكامة والفراشين والخيمية ، وقد أمر الخديوى بسفر الحرس السوارى الخديوى وبعض بلوكات البيادة إلى محطة العلا لانتظار عودة سموه بها ، كما أمر بتجهيز قطار خاص يقوم مساء ذلك اليوم إلى المدينة المنورة بجانب من الحرس والخدمة وبعض رجال المعية ومعهم الخيام والصاوين اللازمة .

أما قطار الجناح العالى ودولة الوالدة فقد تحرك من البدائع صباح ٧ يناير ، وعندما وصل إلى محطة هدية بلغه أن السيول قطعت الطريق فرجع القطار الأول إلى محطة هدية المذكورة وانتظر بها .

وكان يوم ٨ يناير هو يوم عيد الجلوس ، ولكن الجناح العالى لم يرغب في عمل احتفال في هذا اليوم ؛ وتقدم لييب بك البتانوفى ، بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عنا جميعاً بالتهنئة لسموه .

وفي ٩ يناير وصل الخبر باصلاح الطريق ، فأمر سموه بقيام القطار الأول وكذلك القطار الخديوى حتى محطة الحفيرة حيث بات القطار الأول بها ، وأما القطار الخاص فبات بمحطة البوير التى قبل المحطة السالفة .

وفي ١٠ منه قفنا فوصلنا المدينة في الساعة السادسة مساءً تماماً ، فاستقبل سموه على رضا باشا محافظ المدينة وأبلغه سلام الدولة العلية وتمهاني الحكومة المحلية ، والشريف شحات وكيل شريف مكة وقومندان عموم القوة العسكرية الموجودة بها وكثيرون غيرهم ، وأطلقت المدافع إيذاناً بالوصول . ثم نزل سموه فقدم له المحافظ المستقبلين الذين حضروا واحداً واحداً فشكرهم ، وسار ومن خلفه المحافظ والبرنس كمال الدين ورجال المعية يتلوهم شيخ الحرم وأعيان المدينة المنورة ، بين صفوف العساكر التى كانت تؤدى التعظيم وموسيقاها تعزف السلام الخديوى . فدخلنا من باب العنبرية حتى وصلنا إلى الصيوان الخصوصى الخديوى ، وهناك استقبلهم سموه بكرمه وإيناسه وشكرهم شكراً جزيلاً . وبعد الاستراحة زار مع البرنس والحاشية الحرم الشريف وأدى صلاة المغرب وقام بواجب الخدمة بالمقصورة الشريفة وكان الخشوع متملكاً القلوب .

وزار الوالدة في منزل شيخ الحرم الذى خصص لاقامتها ثم عاد إلى سراحه .
وكانت عباس مدة وجوده بالمدينة يكثر من صلاته في الحرم ويؤدى الخدمة
بايقاد القناديل في الحجره الشريفه مساء وإطفائها صباحاً مرتدياً فروجيه بيضاء ويشد
عليها حزاماً ويلف رأسه بعمامة على نظام خدمة الحجره ثم يدخل من باب البتول .

وفي ١١ يناير بعد صلاة الفجر في الحرم قصدنا البقيع وهو مقبرة المدينة وزرنا
بها قبة سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا الامام مالك وسيدنا ابراهيم ثم زوجات الرسول
صلى الله عليه وسلم وسيدنا العباس وغيرهم . وبعد الظهر زرنا النكية المصرية وقصد
سموه دار الحكومة العثمانية لرد الزيارة لمحافظة .

وفي ١٢ منه وبعد صلاة الفجر وأداء الخدمة ، قصد سموه مسجد قباء ثم عاد
قبل الظهر إلى المسجد الشريف فصلى الظهر ورجع إلى صيوانه وأمضى اليوم في
استقبال الأعيان .

وفي ١٣ منه أدى الخدمة وقصد زيارة سيدنا حمزة . وفي اليوم التالى — بعد أداء
الخدمة وصلاة الصبح — رجع إلى المعسكر المصرى لاستقبال الزائرين ثم قصد الحرم
وصلى الجمعة .

وبعد أداء الصلاة خطب السيد محمد البيلالوى الخطبة الآتية قباله المقصورة الشريفه
أمام الخديو والحاشية : « الحمد لله الذى ألفت بين قلوب عباده المؤمنين ، ورفع درجات
من أحسن فى عمله ، وأخلص لله فى سره وجهره وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة عبد
معترف بربوبيته ، مقر بوحدانيته ، راج رحمة ، خائف من عذابه ، وأشهد أن سيدنا
محمدأ رسول الله ، هادى الخلق الى الحق ، ومرشدهم الى طريق السعادة ، اللهم صل وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين ألفت الله بين قلوبهم بالاسلام ، فتعاونوا على
البر والتقوى ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الالباب ؛ قال الله تعالى :
« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً . »

« عباد الله ، إن سعادة الأمم ، وارتقاءها وتقدمها ، وبلوغها غاية الشرف ، ونهاية
المجد ، إنما يكون باتتلاف أفرادها ، وتضامنهم فى جلب المنافع ، ودفع المضار ، وتطهير
قلوبهم من دنس الحسد ، ودرن الاحقاد ، حتى يكونوا — وإن تباينت مساكنهم ، وتباعدت
أماكنهم — كجسم واحد إن ألم منه عضو ألم لأجله سائر الأعضاء ، إذ ذاك يكون المسلمون

آباء رحماء ، وأبناء بررة ، يشملهم الله برحمته ، ويعممهم باحسانه ؛ لهذا آخى بعد الهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجعل لكل مهاجر أخاً من الأنصار ، فتواصلوا وتحابوا واتحدوا في إعزاز دين الله ؛ وإعلاء كلمته ، فأورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، وما ادخر لهم في دار السعادة خير وأبقى . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المحبة ، وهذا الاخلاص ، من علامات الايمان . فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

« فهل منا من أخلص وده لأخيه ! هل منا من أحب لأخيه ما يحب لنفسه ! هل منا من مد لأخيه يد المعونة ، إن رآه سالكا طريق خير وهدى ! هل منا من أشفق على أخيه ونصحه وقومه إن رآه سالكا طريق غي وضلال ! لم يكن شيء من ذلك ، بل اتخذنا الحقد قريناً ، والحسد سميراً ، ولم نعن على عمل خيري ، ولم نساعد في شيء من أعمال البر ، واتبعنا الشيطان ، وكان الشيطان لربه كفوراً . والأعجب من ذلك كله ، أنه إذا وفق الله رجلاً منا للقيام بعمل يعود علينا خيره ، ويشملنا نفعه ، نقف في وجهه ، ونسفه رأيه ، حسداً من عند أنفسنا . والواجب يقضى علينا أن نعرض عمل العامل منا على العقل والشرع ، فما وافقهما قبلناه من صاحبه وشكرناه عليه ، وما خالفهما رددناه إلى صاحبه ، ونهناه إلى مواطن الخطأ فيه ؛ لكن بالأدب والحكمة ، لا بالشدة والغلظة ، كي تقدم نفسه على الابتكار ، ولا تحجم عن عمل تظنه خيراً عاماً .

« فيا عباد الله ، اتقوا الله وكونوا إخواناً متناصرين ، وأعواناً متساندين . وإياكم والدخول فيما لا يعني ، والاشتغال بما لا يفيد ؛ لعل الله يصلح حالنا ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

وقد كان لهذه الخطبة تأثير عميق في النفوس ، حتى إن شيخ الحرم أثنى على الخطيب وهناه .

وبعد ذلك بارحنا الحرم ، وتوجه عباس لزيارة والدته .

وفي ١٥ منه أدى سموه الخدمة ، وصلى الصبح ، وزار زيارة الوداع ، وقصدنا المحطة حيث اكتظت بالمودعين ، فشكرهم وصالحهم ، وتحرك القطار إلى تبوك ؛ وكان قطار المعية قد سبق قبل القطار الخاص .

وما أذكره أن عباساً في مدة إقامته في المدينة كان يعامل بعض رجال المعية معاملة

سيئة بالشتم واللعن ، وبالأخص حين محرم باشا ، لهفوات بسيطة ؛ وكنا نقسامل عن هذه الحدة ، فقال أحدنا إنه لا اشتغال فكره بما عساه يحدث في مصر .

وفي صباح ١٦ منه وصلنا تبوك ، ودخل القطار الخاص إلى الكورتينة ونزلت به الوالدة . أما الخديو والمعينة فأننا نزلنا في صواوين خصوصية ؛ ومكثنا في تبوك خمسة أيام عانينا فيها كثيراً من شدة البرد .

وقد حضر إلى تبوك منيسر باشا الألماني ، باشمهندس الخط الحديدى الحجازى . ووفاء بك قائمقام معان ، فلم يتمكننا من مقابلة الخديو ، عملاً بتعليمات الكورتينات فبقيا في الضيافة حتى يوم ٢١ منه حيث قابلهم .

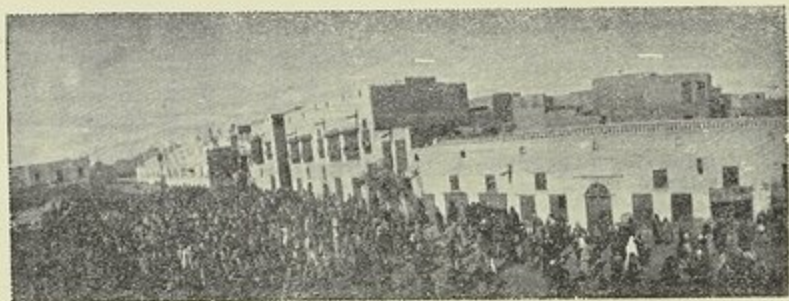
وبعدئذ قمنا من تبوك فوصلنا معان في منتصف الليل ، وهناك صدر الأمر للحرس بالقيام إلى العقبة فالسويس برأ . وفي معان تناول سموه الغداء في دار منيسر باشا .



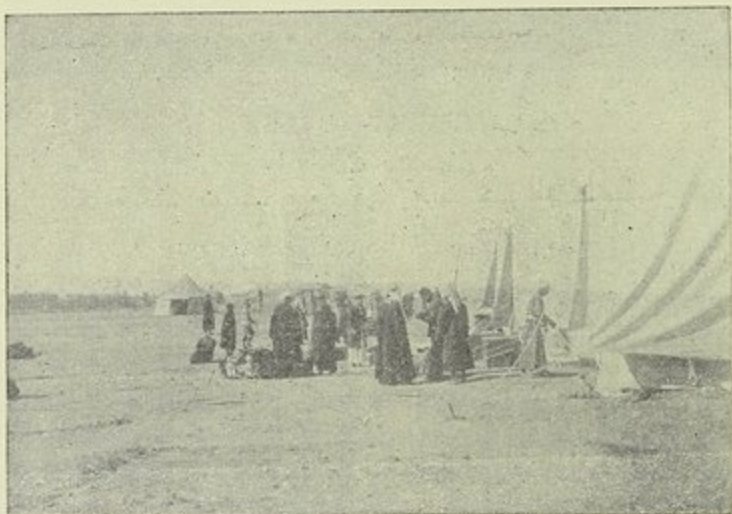
استقبال الخديو بمحطة المدينة المنورة



المدينة المنورة



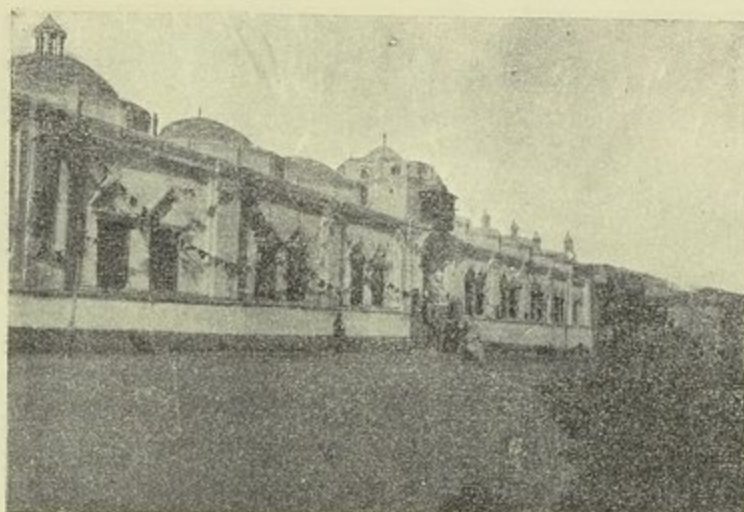
الركب المدني وهو داخل المدينة في عودته من الحج



تبوك



مخيمه معان



التكية المصرية بالمدينة المنورة

وفي الساعة الثالثة من مساء يوم ٢٢ منه تحرك القطار الخاص إلى حيفا ، فوصلناها بعد ظهر يوم الأحد ٢٣ منه ، فاستقبلته بها الوفود ، وفي مقدمتهم مأمور الدولة وقناصل الدول والعلماء والمتصرف ووكيله وقومندان عموم القوة العسكرية ، وأطلقت المدافع تحية بمقدمه ، وعزفت الموسيقى بالسلام الخديوى ؛ فنزل سموه إلى بهو المحطة الذى أعد لاستقباله ، وتناول القهوة ، ثم ركب القطار إلى الاسكلة ، ومنها بزورق بخارى إلى المحروسة وقد أمر سموه بترحيل فقراء الحجاج المصريين إلى بور سعيد على نفقته باحدى بواخر الشركة الخديوية . وفي الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم تحركت المحروسة ، فوصلنا الاسكندرية بعد ظهر يوم الاثنين ٢٥ يناير ، وكان الاستقبال فخما عظيما . وبذلك انتهينا من تأدية فريضة الحج .

وكان قد رافق عباس فى حجه الكاتب القدير محمد لبيب البتنونى بك لتدوين الرحلة الحجازية . وبعد رجوعه أخرجه بالتفصيل وزاد عليها تعليقات تاريخية قيمة عن هذه الأصقاع ، وجعلها فى سفر جليل باسم « الرحلة الحجازية » .

مسألة امتياز قناة السويس فى الجمعية العمومية . سبق أن قدمنا أن مسألة مد امتياز قناة السويس تقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ رأى فيها على شرط

أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة فيها ، وقد انفضت دورة الجمعية والمسألة لا تزال تحت البحث .

وفي ٧ فبراير افتتح سمو الخديو دور الانعقاد السنوى كالمعتاد . وكنت بجمعية سموه مع رئيس النظار ومحمود شكرى باشا وحسين محرم باشا . وقد ألقى سموه على الأعضاء الكلمة الآتية :

« أيها السادة . نهدي إليكم تحياتنا ونبدى لكم سرورنا من اجتماعكم في هذا اليوم .
« دعوناكم لآخذ رأيكم في الاتفاق الذى يراد عقده مع شركة قناة السويس ،
فإن هذه الشركة قد عرضت على حكومتنا منذ سنة امتداد أجل امتيازها ، وبعد المخاطبة الطويلة أمكن الوصول إلى المشروع المطروح أمامكم . وقد علمتم أن حكومتنا بجمعة على قبوله إذا رضيت الشركة بالتعديلات التى اقترحتها الحكومة عليها . فالغرض إذاً من اجتماعكم إنما هو البحث فيما إذا كان من مصلحتنا مد أجل الامتياز إلى أربعين سنة مع اقتسام الأرباح فى هذه المدة بين الحكومة والشركة مناصفة ؛ وفى مقابل إعطاء الشركة نصف الأرباح عن المدة الجديدة تدفع للخزينة مبالغ موزعة على الستين سنة الباقية من مدة الامتياز الحالى وقد قدر هذه . القيمة بعد البحث الدقيق أشخاص من ذوى الخبرة فى الشؤون المالية ، وهم يرون أنه إذا حصلت الموافقة على التعديلات المذكورة تكون الفائدة التى تنالها مصر موجبة لتقام الرضاء وأن ذلك غاية ما يصح طلبه من الشركة .

« ولا يخفاكم أن هذه المسألة ليست من المسائل التى يقضى القانون النظامى بأخذ رأى الجمعية فيها ، ولكن نظراً لأهميتها الاستثنائية بالنسبة إلى الجيل الحاضر والأجيال الآتية ، قرر مجلس النظار ألا يبت فيها برأى قبل أن يعلم إن كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز .

« ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم البيانات التى ترونها لازمة فى هذه المسألة ، ونحن واثقون أن كل واحد منكم يشعر بالمسؤولية التى يتحملها أمام بلاده عند نظره هذا المشروع المهم والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد . »

وبعد انتهاء الخطبة هتف الرئيس والأعضاء لسموه وعدنا للسراى ؛ ثم حضر الأعضاء لشكر سموه على افتتاح الجمعية فقال لهم جنابه :

ولأننى أأرغب أن أجمع الجمعية العمومية كلها على عمل من الأعمال الهامة . والمسألة المطروحة الآن أمام الجمعية هي من المسائل الدولية التي لم يسبق للجمعية النظر في مثلها بمقتضى القانون النظامي ، ولكننى آمل من الأعضاء ألا يكون هناك تأثير عليهم من الاشاعات والأقاويل ، وأن يجعلوا نصب أعينهم مصلحة البلاد وحدها ، لأن الآراء التي سيبدونها في هذه المسألة ستعرض على الرأي العام الأوربي الذي يحكم حينئذ حكمه على الجمعية التي هي هيئة البلاد النائبة ، وعنوان كفاءتها وفهمها للأمر .

وفي هذا الوقت كانت المظاهرات تطوف شوارع العاصمة هاتفة ضد مشروع قناة السويس وضد الاستبداد ، وضد جريدة الأهرام لأنها تروج للمشروع ؛ وكانت صحف الحزب الوطني والجريدة تكتب بلهجة حادة ضد مروجى المشروع ، وتتهم بطرس باشا خاصة والنظار عامة بالخيانة والاحرام في حق الوطن ، حتى لقد امتداتهاها إلى الخديو نفسه بعد إلقاء خطبته السابقة ، وكان الجو مكهرباً من جراء هذه الحملات وتوالت هذه المظاهرات الحماسية عدة أيام ، وانتهت بمقتل بطرس باشا كما سيأتى .

تقرير الجمعية العمومية : وقد تألفت لجنة خاصة في الجمعية العمومية لفحصه ، وفي يوم ٢٢ مارس عرضت اللجنة تقريرها على الجمعية وخلاصته ما يأتى :

١ — أن المشروع المعروض على الجمعية لم يستوف الاجراءات القانونية ، فإن الحكومة والشركة لم تتفقا عليه اتفاقاً صريحاً .

٢ — وأنه لا يحق للجمعية العمومية تعديل المشروع لأنه ليس اقتراحاً من الحكومة المصرية ، بل هو مجرد مشروع تعاقد بين الحكومة والشركة .

٣ — ومع ذلك فإن هناك غيباً فاحشاً فيه تقدره اللجنة بنحو ١٣٠٥٩٨٠٠٠ جنيه أصلاً وفائدة على قاعدة حساب المستشار المالى الذى قدمه فى المشروع .

٤ — أنه لا حقيقة للخوف التي تتوقعها الحكومة في حالة رفض المشروع كأن تعلن الدول أن القناة دولية مثلاً .

٥ — لا توجد ضرورة مالية ملجئة لهذا التعاقد بالغبن الفاحش ولا سيما وهو واقع على مستقبل بعيد ، لا بد في الحكم عليه من الخطأ العظيم الذى لا يقبله الجيل الحاضر ولا يرضى بتحمل تبعته أمام الاجيال القادمة ، ومثل هذا التعاقد لا يصح إلا إذا ظهر ربحه ظهوراً بيناً .

٦ — أنه حتى اليوم لم تشترك الأمة في تدبير الشؤون المالية حتى تضمن استخدام المبلغ المقابل لمدة أجل القناة في أغراض مثمرة ، وهو أقل ما يطلب في مثل هذه الحالة وبناء على هذه الأسباب قررت اللجنة رفض المشروع بالاجماع .

ولما انتهت اللجنة من تلاوة قرارها صفق الأعضاء وحددت الجمعية جلسة أخرى للمناقشة فيه في يوم ٥ ابريل ، وفيها تقدم محمد سعيد باشا رئيس النظار فألقى بياناً على الأعضاء بأن الحكومة حين قررت عرض المشروع على الجمعية ، قررت كذلك أن يكون رأيها فيه قطعياً بصفة استثنائية ، والحكومة تقرر لهم ذلك قبل النظر في المشروع حتى يكون لهم كل الحرية في قرارهم الذي يصدرونه وحتى يقدرُوا مسؤوليتهم أمام هذا الجيل والأجيال القادمة والرأى العام الأوربي .

ثم وقف بعده سمعد زغلول باشا فدافع عن المشروع حسبما تقرر ، وبعد ذلك سمع الأعضاء تقريرين قدمهما صابر باشا صبرى وطلعت حرب بك في بيان الخسائر الفادحة التي تتعرض لها البلاد من جراء المشروع ثم تقرر تأجيل القرار النهائي يومين .
رفض المشروع باجماع الآراء : وفي ٧ ابريل اجتمعت الجمعية ودارت مناقشات



احمد محمد خشبة بك



طلعت حرب بك

طويلة بين الاعضاء والنظارة ثم أخذت الأصوات فتقرر رفض المشروع بالاجماع .
وكان لهذا القرار وقع عميق في جميع الدوائر المصرية والأجنبية ، وقد أَرْضَى
النزعات الوطنية المتطرفة والمعتدلة على السواء .

حديث للخديو : وفي ١٩ منه تحدث سمو الخديو مع مراسل جريدة الطان
حديثاً جاء فيه :

« إننى أحب بلادى وشعبى ، وإن أمنتى أن أكون حاكماً دستورياً ، ومن الأدلة
على ذلك منح الجمعية العمومية رأى القطعى فى مشروع مد امتياز قناة السويس . »

مقتل بطرس باشا . وفى يوم ٢٠ فبراير وصل إلينا فى السراى نبأ خطير وهو
إطلاق الرصاص على بطرس باشا رئيس النظار من قتي يدعى ابراهيم ناصف الوردانى
المنتمى للحزب الوطنى؛ وذلك عند مغادرة الرئيس لنظارة الخارجية فى الساعة الواحدة
بعد الظهر .

وتفصيل الخبر هو أن بطرس باشا اعتاد أن يغادر الخارجية (سلم الحقانية الآن) كل يوم فى الساعة الواحدة . وفى هذا اليوم نزل من الديوان ومعه حسين رشدى باشا
وعبد الخالق ثروت باشا النائب العام ، وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل الحقانية
وأرمولى بك التشريقات بالخارجية ، ثم فارق من كانوا معه عند السلم الخارجى . وبينما
هو بهم بركوب عربته إذ دنا منه هذا الفتى « الوردانى » متظاهراً بأنه يريد أن يرفع
له عريضة ، وأطلق عليه رصاصتين أصابته إحداها فى خاصرته والأخرى فى صدره ،
وما كاد يلتفت خلفه ليرى صاحب الفعلة حتى أطلق عليه الفتى ثلاث رصاصات أخرى
أصابت إحداها عنقه من الخلف واثنتان فى كتفه ، وأطلق رصاصة سادسة أصابت ثيابه .
وكان خلف القاتل أحد سعاة النظارة فقبض عليه ، بينما كان الناظر قد سقط إلى
الأرض أمام عربته ، فحملة الحاضرون إلى فناء النظارة ، وحضر على الأثر الدكتور
سمعد بك الخادم فأخرج الرصاصات من العنق والكتف ، وأفاق الجريح قليلاً ، ثم
نقل إلى مستشفى الدكتور ملتون بيباب اللوق ، وهناك وافاه الأطباء وقرروا إجراء
عملية لإخراج الرصاصات الباقية .

ولما وقف الخديو على هذا النبأ بلغ التأثر منه ومن رجال الحاشية مبلغه ، نظراً
لما كان يتمتع به بطرس باشا من ثقة الجناب العالى ومحبة له .

وأصدر سموه أوامره في الحال تليفونياً إلى فتحي زغلول باشا باتخاذ جميع الوسائل الممكنة بكل سرعة للعناية بالجريح، ثم أوفدني سموه وأحمد خيرى باشا للسؤال عن صحته وإبلاغه أسف سموه وتمنياته في الشفاء وأن ترسل لسموه أخبار الجريح حتى يزوره بالمستشفى بنفسه .

وبعد قليل من وصولنا حضر سموه ودخل على بطرس باشا في غرفته ، ثم دنا منه وقبله والدموع تنسكب من عينيه ودعا له بالشفاء ، وكان الجريح أثناء ذلك يقول :
« العفو يا أفندينا . مرسى . مرسى . »

ثم غادر سموه المستشفى آسفاً متأثراً بعد أن شجع الجريح وحث الأطباء على بذل كل ما في وسعهم لانقاذه ، وأمر أن تبلغ إليه الأخبار لحظة فلحظة وبقيت أنا بالمستشفى لهذا الغرض . وبعد ذلك حضر البرنس حسين كامل ودنا من الجريح وقال له :
« تشجع ، فرد بطرس باشا بقوله : « أنا لا ألوم نفسى على شيء فقد قضيت ما يجب على للوطن . »

وبعد انتهاء العملية لاجراج الرصاص ارتاح الجريح نوعاً ولكن الألم ازداد بعد قليل وارتفعت درجة الحرارة ، وأصبح في خطر قريب ، ولم تأت الساعة الثامنة والرابع مساء ، حتى أسلم الروح بين بكاء الحاضرين .

وفي صباح ٢١ فبراير صدر أمر الجناب الخديوى بأن يكون الاحتفال بمنجزة المرحوم بطرس باشا رسمياً .

وفي الساعة العاشرة والنصف صباحاً سار الجناز من مستشفى الدكتور ملتون إلى كنيسة بطريكية الأقباط ثم إلى المدفن .

النظارة الجديدة : وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تم تأليف النظارة الجديدة على

الشكل الآتى :

محمد سعيد باشا لرياسة النظار والداخلية ، وسعد زغلول باشا للحقانية ، ويوسف سابا باشا للمالية وأحمد حشمت باشا للمعارف ، وحسين رشدى باشا للخارجية ، وسرى باشا للأشغال والحرية .

التحقيق والجاني : وكان المحققون قد تسلموا الجاني منذ ساعة الجريمة ، وهو شاب فى الثالثة والعشرين من عمره ، تلقى العلوم في المدارس المصرية حتى حصل على

شهادة البكالوريا وتوفى والده فقام بتربيته عمه الدكتور ظيفل حسن (باشا) وأرسله إلى سويسرا لتلقي علوم الصيدلة فمكث في لوزان سنتين ، ثم ذهب إلى إنجلترا ف قضى بها سنة وعاد إلى مصر فافتتح بها صيدلية في شارع عابدين واتصل بالحزب الوطني ، وهو شاب عصبي المزاج شديد الانفعال .

وقبل أن يفتح معه محضر التحقيق الرسمي سأله وكيل الحقانية : « لماذا فعلت فعلتك بالبasha ؟ » فأجاب غاضباً « لأنه خائن للوطن » فرد عليه بقوله « يا مسكين لو عرفت أنه أكبر وأصدق وطني في خدمة البلاد ما فعلت فعلتك » .

وقد تولى النائب العمومي ثروت باشا التحقيق ، وسئل عدة أشخاص ممن لهم صلة بالجاني والذين وجدت أسماؤهم أو صورهم بين أوراقه ، وأوراق أعضاء الحزب الوطني وفي مقدمتهم محمد بك فريد الذي قرر « أنه عرف الجاني منذ سنة ١٩٠٦ في جنيف حيث كان أميناً لصندوق جمعية الطلبة المصريين بها ، وأن هذه الجمعية أسست لمساعدة الطلبة المصريين الذي يفدون إلى جنيف ، وأن علاقته بالقاتل كعلاقته بكل عضو من أعضاء الحزب الوطني » .

وقبض على شفيق منصور وعباس حسنى ومحمد الصباحي الطالب بمدرسة رأس التين وعبدالله حلمي المهندس بالأوقاف ومحمد زكي على أفندي المحامي الذي تولى رياضة المظاهرة التي تقدم ذكرها ، ثم قبض بعد ذلك على اثني عشر آخرين .

جمعية سرية : وفي ٢٥ فبراير أطلق سراح ثمانية من هؤلاء المتهمين ، وبقي تسعة منهم الورداني ثبت أنهم أعضاء في جمعية سرية للقتل السياسي ألفت منذ ست سنوات * وقد ضبط قانون الجمعية بين أوراقهم ، كما ضبط خطاب وارد إلى شفيق منصور يقدم له فيه مرسله ابراهيم ناصف الورداني بأنه « صيدلى كيماوى بارع وعارف بتركيب الديناميت » .

وسمعت النسيابة أقوال على الشمسى أفندي وخلاصتها أنه رأى الورداني يوم انعقاد الجمعية العمومية للنظر في مشروع امتياز القناة وهو ثائر متهيج . وذكر عن أخلاقه أنه شديد الاخلاص لأخوانه حتى إنه كان ينفق عليهم بعض ماله ويدع نفسه في حاجة

وشدة، وكان يلاحظ فيه الحياء في مجالسه وقلة الكلام مع شدة الحماسة في الجدل ولكنه لم يكن يجاوز حدود الأدب في مناقشاته إذا احتد .

وقد تأيدت أقوال على الشمسى افندى عن تهيج الجاني في يوم اجتماع الجمعية بشهادة القاضي مراد سيداحمد بك واحمد حجازى بك وغيرهما .

واستدعت النيابة صاحب طوابع الملوك، لأنه ذكر في طالع الذي ظهر منذ ثلاثة شهور أياتاً، يؤخذ منها أن بطرس باشا يقتل وينعم على ابنه بالباشوية ويتولى رئاسة النظار سعد أو سعيد .

ولما سئل عن ذلك قال إنه لا دخل له في السياسة، ولكنه يقدر تقديرات فلسفية تدل على مثل هذه الحوادث، ولو فرض أنه كان عالماً بالمؤامرة فهل كان أيضاً يعرف أن الخديو سينعم على ابن القتل ونجيب غالى، بالباشوية ؟

نقص القانون : وقد ظل التحقيق حتى يوم ١٤ مارس ثم أصدر النائب العام قراراً بأحالة الوردانى والمقبوض عليهم على قاضى الاحالة، ونظرت القضية بالاحالة في يوم ٢٢ منه وكان القاضي متولى بك غنيم فأصدر قراره بأحالة الوردانى وحده إلى محكمة الجنايات وإخلاء سبيل الآخرين لأن القانون حتى ذلك الوقت كان ينص على إعفاء المشتركين في الاتفاق الجنائى إذا لم يرتكبوا حوادث بالفعل ^(١).

وفى جلسة ٢٠ ابريل نظرت القضية أمام الجنايات وسمعت المحكمة شهادة الشهود ثم قررت انتداب بعض كبار الأطباء لبيان ما إذا كانت العملية التى أجريت للفقيد كانت ضرورية كما قرر الأطباء الذين قاموا بها أم لا .

الحكم بالاعدام : وفى يوم ١٢ مايو سمعت المحكمة تقرير الأطباء وهو يفيد ضرورة العملية . وألقى النائب العام، ثروت باشا، مرافعة بليغة قوية، وقام بالدفاع عن المتهم محمود بك ابو النصر واحمد بك لطفي و ابراهيم بك الهلباوى، وطلب الدفاع لحض المتهم من الوجهة العقلية فرفضت المحكمة هذا الطلب، وقررت الحكم بالاعدام وأيد هذا الحكم فى النقض .

وقد حاول رجال الحزب الوطنى استصدار عفو من الخديو . وأيدت الصحف الافرنجية والجالية الايطالية بالعرائض والمنشورات هذا الطلب ولكن لم يجد ذلك نفعاً

(١) بعد ذلك بقليل عدل هذا القانون وأصبح مجرد الاتفاق الجنائى جريمة يعاقب عليها .

وبما هو جدير بالذكر أن الفتى المحكوم عليه أبدى ثباتاً مدهشاً حتى آخر لحظة .

روزفلت رئيس جمهورية أمريكا بمصر . كان هذا الرئيس قد حضر إلى مصر يوم ٢٤ مارس ، فاستقبله من قبل الحديو سعيد ذو الفقار باشا التشرىفاً الأول وزار سموه فى عابدين فرد له سموه الزيارة ثم أقيمت له مأدبة شائقة .

وفى ٢٦ منه أدب له البرنس أحمد فؤاد باشا رئيس الجامعة الأهلية المصرية مأدبة عشاء ودعاه لالقاء محاضرة فى الجامعة . فلبى الدعوة وألقى محاضرته فى اليوم التالى وتكلم فيها عن أهمية الجامعة وأنها الطريق القويم للتربية الصحيحة ، وتحدث عن واجبات الذين يلون أمرها والطلبة الذين ينتسبون إليها .

وبعد ذلك تكلم عن فضل بطرس باشا وأشار إلى أن هذه الجرائم مكروهة فى نفوس الجميع وأنها وبال على الأمانى الوطنية . وتطرق من ذلك إلى الحديث عن الأمم التى تمنح الدساتير وهى لم تزل فى دور التكوين ، وقال : « إن مثل هذه الأمم تكون خطراً على نفسها لأنها لم تتم فيها الصفات التى تمكنها من الانتفاع بالدستور ، وأن الأمر الجوهري ليس هو الاسراع للحصول على سلطة ليس أسهل من سوء استعمالها ، وإنما هو ترقية الصفات التى يسمو بها الفرد والأمة ترقية دائمة وإن تكن بطيئة ، وأن هذه الصفات هى التى تجعل الأمة قادرة على حكم نفسها بنفسها » .

ثم أشار إلى الادارة الانجليزية فى السودان (*) وأثنى على اللورد كرومر وسياسته فى مصر .

الوطنيون وروزفلت : وكان هذا الخطاب مثار عاصفة من النقد فى المؤيد والجريدة وصحف الحزب الوطنى ؛ ووجه الشيخ جاويز رسالة إلى روزفلت يلفت نظره فيها إلى أنه فى بلد إسلامى ، فليس له أن يبشر بحسنات المسيحية ، وأن ينسى فضل التعاليم الإسلامية ؛ ونظم حافظ ابراهيم قصيدة قوية يذكر فيها روزفلت برأى الأمريكين فى الانجليز يوم كانوا يحتلون بلادهم وبما جاء فيها :

يا نصير الضعيف : مالك تطرى
لم تطيقوا جوارهم بل أقسمت
أنت تطريهمو وثنى عليهم
خطة القوم بعد ذلك النكير !
فى حماكم من دونه ألف سور
نائياً آمناً وراء البحور

ليت شعري أكنت ، تدعو إليهم يوم كانوا على تخوم الثغور ؟
يوم سجلتم على صفحات الدهر — تاريخ مجدكم بالنور
ووثبتم إلى الحياة وثوباً ونفضتم عنكم غبار القبور
يا نصير الضعيف حبيب إليهم هجر مصر تفر بأجر كبير .

ووجه محمد فريد بك إلى روزفلت رسالة برقية باسم اللجنة التنفيذية للحزب الوطني يظهر فيها استياء البلاد من هذه الخطوة التي ترمى إلى تضييق هممة الأمة المصرية عن الاستمرار في جهادها السلمي للحصول على الدستور .

ووجهت إلى روزفلت أيضاً برقيات الاحتجاج من كثير من الهيئات والأفراد . وكتب الشيخ على يوسف في المؤيد خطاباً مفتوحاً إلى روزفلت حمل فيه على مسلكه وخطه وإخلاله بواجب الضيافة ، ونشرت ترجمة هذا الخطاب الشهير في بعض الصحف الأمريكية فكان له وقع كبير في أمريكا . وكتبت إحدى المجلات الأمريكية الشهيرة إلى الشيخ على يوسف تطلب إليه أن يكتب لها فصلاً في هذا الموضوع يتحدث فيه عن روزفلت ، وما كان لزيارته من أثر في نفس الشعب المصري ؛ فلبى الشيخ الدعوة وبعث إلى المجلة المذكورة بمقال رنان كان من خير ما كتب (١) .

سفر روزفلت : وقد غادر روزفلت مصر بعد هذا كله يحمل في نفسه أثر هذه الاحتجاجات وتلك الردود وما كاد يصل في طريقه إلى مدينة لنسدره حتى ألقى في جلد هول ، عن مصر خطاباً في منتهى الشدة جاءتنا البرقيات بتفاصيله في يوم ٧ يونيو ، وفيه يدعو روزفلت الانجليز إلى تثبيت أقدامهم في مصر ، لأنهم ليسوا حراس مصالحهم فيها فقط ، بل هم فوق ذلك حراس مرافق المدنية . ، وطعن في أخلاق المصريين ورماهم بالتوحش والذل ، وقال : « إن الانجليز أصلحوا مصر ولكنهم أخطأوا أخيراً إذ مكثوا المصريين من التمتع بشيء من الحرية ، فأظهر مقتل بطرس باشا أن هذه غلظة فاحشة يجب أن يتداركها الانجليز قبل فوات الوقت . ، إلى غير ذلك من المثالب والمطاعن . وقد كتبت الجرائد المصرية جميعها ما عدا المقطم منددة بهذا الخطاب ، مبدية ما فيه من غلو وتحامل في فهم المصريين ، وما يدل عليه من الحقد والتعصب على الشرقيين .
تصريح للسفير جرای : وفي يوم ١٤ يونيو حملت لنا البرقيات تصريحاً للسفير

(٥) نشرت المؤيد هذا المقال في عددها الصادر في ١١ يونيو سنة ١٩١٠ فليراجعه من شاء .



السير إدوارد جراى

إدوارد جراى عن موقف
انجلترا فى مصر بعد حادثة
مقتل بطرس باشا وبعد
خطاب روزفلت على أثر
سؤال من أحد النواب .
وقد جاء فى هذا التصريح :

« إننى أوافق على جميع
الآراء التى أبداهها المستر
روزفلت بشأن القطر المصرى
إلا قوله إن لينسا المتناهى
لأعداء الاحتلال قد عرض
عمل انكلترا بمصر إلى الضياع ،
فقد يمكن ألا أوافق على أن
عملنا عرضة للخطر ، ومن
الطبعى أن ينتقد التأخير
الذى حدث فى معاقبة

الوردانى ، ولكن لا يمكن توجيه اللوم إلى القضاة . ومن المتفق عليه أنه يجب حتماً
أن نستعمل سلطتنا حتى نظهر جلياً أن المصريين الذين يدبرون شئون بلادهم برأينا
— دون أن تكون لهم مندوحة عن اتباع هذا رأى — يجب حمايتهم من الاعتداء
عليهم بهذه الطريقة المستحدثة . »

خطبة فريد بك فى لندره ضد روزفلت وجراى : وعقب ذلك سافر محمد فريد
بك إلى لندره لدحض هذه المطاعن التى أذاعها روزفلت وذلك التصريح الذى ألقاه
السير جراى ، وقرأت فى برقيات يوم ٩ يوليو أنه ألقى خطاباً جامعاً فى لندره جاء فيه :
« يسرنى أن أتكلم هنا لأنى أشعر بأنى حر فى الكلام أكثر منى فى بلادى التى
تحكمها عصابة من المستعمرين الانجليز الذين يضرون انجلترا وهم يظنون أنهم يخدمونها .
« إننا لا يمكننا أن نقر الاحتلال الانجليزى ، بل إننا نعتبره ظلماً لا يستند إلا
إلى القوة التى لا تخول حقاً . إن أمتكم تستطيع — مدفوعة بيد الاستعماريين المالىين —

أن تعلن حمايتها على مصر، وأن تضمها إلى أملاكها، ولكن لا يمكنها أن تجعل مركزها في مصر شرعياً. والحماية والضم ذاته لا يسقطان حقوقنا.

• لقد اتخذ الاستعماريون فعلة الورداني متكاف لهم في إنفاذ حكم الارهاب بمصر فأصدروا قوانين منها :

أولاً : محاكمة الصحف أمام محاكم الجنايات التي لا تستأنف أحكامها.

ثانياً : فصل الطلبة الذين يشتركون في المظاهرات السياسية داخل المدارس أو خارجها.

ثالثاً : معاقبة كل من يتفقون على ارتكاب جريمة وإن لم يرتكبوها.

• وقد قوبل ذلك بالسكون واكتفت الأمة بالاحتجاج في الصحف ضد قوانين لا تسن إلا إبان الثورات.

• وهكذا يريد الاستعماريون أن يمثلونا بالفوضويين ليبرروا وجود الاحتلال وحرماننا مما بقي لنا من حرية قليلة. ولا يصح الحكم على أمة بأنها فوضوية لأن شخصاً متحمساً من أبنائها ارتكب جريمة سياسية. فالجرائم التي من هذا القبيل ترتكب كل يوم في أوروبا وأمريكا دون أن تضطرب الانسانية؛ فالرئيس « ماكنلي » في أمريكا و « كارنو » في فرنسا والملك « همبرتو » في إيطاليا... الخ قتلهم الفوضويون فلم يخطر لدولة احتلال بلاد القاتلين !..

ثم تحدث عن بطلان الاحتلال وبطلان اتفاقية السودان وغيرهما وذكر الانجليز بوعدهم بالجلاء في لهجة قوية قاسية.

تعيين مدير الاد'وقاف العمومية وبعض أعماله فيه . قدم مصطفى ماهر باشا مدير الأوقاف تقريراً عن حالة الديوان المالية قال فيه إن الديوان مشرف على الافلاس بسبب كثرة المطالبات منه . وكان المعروف عن هذا الديوان أن أعماله سر من الأسرار التي لا يطلع عليها أحد، حتى نوهت بعض الصحف بهذه الحالة وأشارت بوجود تعيين انجليزى يشرف على أعماله . وقد دارت المحادثات بينى وبين النظر بناء على الأمر لتعيين مدير جديد لديوان الأوقاف يستطيع إصلاح هذه الحالة فقر رأيهم على تعيينى رغم تمسك الخديو بأبقائى فى المعية، ولكن الضرورة حملته على قبول ما كان يأباه من قبل .

هذا الديوان . وإني أؤكد لكم أنني لا أنسى صاحب الفكر الصائب والنية الحسنة من المكافأة والتعزید . وإني مع اعترافي بتقدم ديوان الأوقاف في السنين الأخيرة أصرح بأنه لا يزال في احتياج عظيم للإصلاح ؛ وكل عمل في الوجود قابل للإصلاح والنمو حسب الطبيعة فعلينا بصفتنا حراساً على هذه المصلحة ، مسئولين عنها أمام الله وأمام الناس ، أن ننهض بها إلى الرقي المطلوب حسب رغبة الجنب العالی حفظه الله كما نوه بذلك في أمره العالی .

• المساجد محتاجة على الدوام لتعميرات ونظافة وعناية ، والمعاهد الدينية لالتفات خاص ورعاية ، والوعظ إلى انتشار على سنة نافعة مفيدة ، والأحياء الجديدة إلى محال لاقامة شعائر الدين بها ، والزراعات إلى ترقية ونمو مع استبدال القطع الصغيرة منها ، والخرابات التي في صقع جيد إلى تجديد واستبدال ما كان منها في صقع غير جيد ، والأحكار إلى طريقة موصلة لاستبدالها في زمن قصير .

• ولا تخفى عليكم علاقة الديوان مع المحكمة الشرعية الغراء فيلزم على الدوام أن يكون حسن التفاهم سائداً بيننا وبينها لكي تساعدنا على الإصلاحات الجمة المطلوبة منا خصوصاً في عهد سماحة قاضيا الحالی المذلل للبصائب بفكره الصائب .

• وأمام هذه الأعمال الكبيرة الكثيرة التي وصفتها إجمالاً لكم وتفصيلها ووقائعها لا تخفى عليكم لا يتيسر النجاح في القيام بها والفوز لاتمامها إلا ببذل الهمة والاخلاص في العمل والمثابرة على تأدية الواجب وما هو فوق الواجب بنية صالحة لا يشوبها تكلف أو تظاهر أو اشتغال بالصغائر وما يجري مجراها من الأمور الشخصية أو المنافسات الفردية ؛ فلنكن كلنا يداً واحدة وقلباً واحداً متوجهين إلى فكرة واحدة وهي القيام بالواجب الذي وجدنا من أجله في هذا المكان .

• ولا محسوبة ولا محاباة ولا تساهل في الواجب هنا . من قام بواجبه وأخلص النية فله مني التعزید والرعاية ، ومن قصر فلا ينتظر مني إغضاء عن تقصيره أو تراخياً في إنذاره أو معاقبته . فلا لين في حق ولا تراخي في باطل .

• هذه كلمتي لكم أقولها بكل إخلاص من قلبي وأرجو أن تصل إلى مكان الاخلاص من قلوبكم والله أسأله أن تكون هذه الإدارة مثال الكمال في كل حال . ،

فوضى الديوان وإنشاء قلم استعلامات : كان أول ما لاحظت في الديوان أن الفقراء الذين يقصدونه لالتماس المساعدة أو لأخذ استحقاقهم وكذلك أصحاب الأعمال

العامّة الذين يريدون قضاء أعمالهم لا يصلون إلى غايتهم إلا بعد مشقة أو تسلم أمورهم للخدم والفراشين وهؤلاء لا يستطيعون التصرف بشكل مقبول. ولهذا رأيت أن أحسن حل لهذا الموضوع هو إنشاء قلم في فناء الديوان باسم قلم الاستعلامات ليكون واسطة بين الإدارة وأصحاب الأعمال فيستقبل العرائض والمطالب ويوجهها إلى أقسامها يأخذ عنها الجواب فيبلغه لأربابها. وقد عاد هذا القلم بالراحة على أصحاب المصالح ومع احتكاكهم بالموظفين مباشرة لما كان معروفاً من أن بعضهم كان يرتشى، وكثيرات جريدة الأهرام بعددها الصادر في ٦ أبريل لإطراء لهذه الفكرة.

نظافة المساجد : وفي أول أبريل أديت فريضة الجمعة بالمسجد الحسيني وتفقدت حالة المسجد وملحقاته ومرافقه، وكان معي بعض كبار الموظفين في الديوان فلقت نظرهم إلى العناية بالمساجد ونظافتها، وخصوصاً دورات المياه منعاً للأمراض ومحافظة على حرمة المساجد وجلالها.

ولبت أودى صلاة الجمع في مساجد مختلفة دون علم القائمين بأمرها لنفس هذه الغاية حتى يشعر المباشرون لها أن هناك رقابة على أعمالهم، فكان لذلك أثره الحسن. تعيين مفتش للمعاهد من غير العلماء : ثم فكرت في إدخال بعض العناصر الجديدة في الأزهر بقصد إصلاحه، فقرر تعيين عبد الغنى شاكرك مفتشاً لإدارة المعاهد الدينية وسكرتيراً لمجلس الأزهر الأعلى، ولكن هذا التعيين أثار نائرة العلماء باعتبار أن منصب مفتش إدارة المعاهد من حقهم وأن عبد الغنى بك غريب عن الأزهر، فرفعوا عرائض بالاحتجاج لشيخ الأزهر، وكذلك جاءني الشيخ علي سرور الزنكلوني والشيخ محمد الشنواني وشكوا إلى من هذا القرار واتمسا النظر فيه.

وقد رأيت موافقتهما والسير في الإصلاح الذي أقدره بخطوات وثيدة فوعدهما بأن يكون عبد الغنى بك سكرتيراً فقط للمجلس الأعلى وتركت التفتيش لإدارة الأزهر وأرسلت التعليمات الخاصة بذلك إلى المشيخة.

توسيع اختصاص الموظفين : ولاحظت بعد ذلك أن حصر السلطة في يد واحدة وحرمان الموظفين إلا من سلطة محدودة يقلل من تفكيرهم وتصرفهم، ويجعلهم آلات تتحرك دون أن تفكر، وقدرت أن توزيع السلطة يزيد عدد العقول المفكرة في الأعمال، ويعطيها الفرصة الكافية لتنتج وفي الوقت نفسه يخفف العبء الثقيل الملق على عاتق الرئيس.

اجتمع في منزلي كبار الموظفين والمأمورين للتفاهم معهم في توسيع اختصاصهم وألقيت عليهم الكلمة الآتية :

« قد جمعتم اليوم للدولة في الأمور المختصة بوظائفكم لعلنا نهتدى من مبادلة الأفكار معكم إلى نتيجة تزيد في تحسين الأحوال وتعلو من سمعة الديوان .

« ثم أوصيكم قبل كل شيء بصفتكم نائبين في الجهات عن مدير الأوقاف أن تكون علاقاتكم مع الإدارة في الأقاليم وفروع الحكومة خصوصاً المحكمة الشرعية ، لارتباط أعمالكم بأعمالها في كثير من الأمور ؛ على أحسن حال وأهدى سبيل وأن تجتهدوا دائماً في تحسين هذه العلاقات لتسهيل الوسائط في إنجاز أعمال الأوقاف .

« وأود منكم بصفتكم ممثلين لديوان الأوقاف أيضاً ، وهو المصلحة الخيرية المتشعبة العلاقات مع طبقات الناس ، أن تكون معاملتكم للأفراد قائمة على الطريقة المثلى والخطة الحسنى وألا تشوب سيرتكم الخصوصية شائبة تضع من أقداركم في النفوس وترزى بكم في العيون . نعم ربما يقال إن السيرة الشخصية تتعلق بشخص الانسان ولا دخل لها في وظيفته مادام مؤدياً لها أحسن الأداء ؛ لكنني أرى أن الموظف إذا جمع إلى حسن الإدارة حسن السيرة ، كان ذلك أليق به وأكمل له ، واحترام الموظف لنفسه يكسبه احترام الناس ، خصوصاً من كان حوله من العمال فتربى له في النفوس سلطة أديبة هي في الواقع أرفع وأنفع من السلطة المادية ، وتلك هي زينة الوظيفة وجمالها .

« ثم إنني أود أن يكون المأمور منكم عالمًا بكل ما تحت إدارته محيطاً بأطراف عمله ، فإذا سئل عن أي شيء من هذا القليل كان جوابه عن علم ومعرفة وألا يكتفى بالنظر فيما أمامه من الأعمال الكتابية فوق مكتبه وإنجازها فقط ، بل يجب عليه أن يتنقل في أنحاء مأموريته ويطلع بنفسه على جميع الأماكن والمحال المتصلة بإدارته .

« والآن أطلب منكم أن تبدوا إلى ما يعين لكم من الملاحظات في مشروع الأمر الإداري المتعلق بتوسيع اختصاصاتكم .،

وبعد أن استمرت الجلسة أكثر من خمس ساعات صدر الأمر الإداري مفتوحاً بالمقدمة الآتية :

« قدر أينا أن نوسع لكم في اختصاصاتكم ما لم يكن لكم من قبل وقصدنا بذلك أن يكون في أيديكم من سعة الاختصاص ما يؤهلكم إلى الاحسان في العمل ويوصلكم إلى

الارتقاء فى الأعمال والوظائف وتدر كوا عظم المسئولية التى توازى سعة الاختصاص وقصدنا من جهة أخرى توفر الوقت فى العمل للتمكن من إنجاز الأشغال فى أوقاتها وانتظام السير فيها على وجه السرعة . وقد بدأنا باعطائكم بعض الاختصاصات على سبيل الاختبار لنبنى حكماً فى المستقبل على سيركم فيها .

كان لهذه الخطة أثر حسن جداً وعلقت عليها الصحف باستحسان وألحت على اتباعها فى جميع دواوين الحكومة .

تعديل المجلس الأعلى للأوقاف : فى ٢٧ يوليو صدر لى أمر خديوى بتعديل هيئة المجلس الأعلى فى ديوان الأوقاف . وخلاصته أن هذا المجلس يؤلف من مدير عموم

الأوقاف رئيساً ومن رئيس الديوان العربى الخديوى ومفتى الديار المصرية ومحافظ مصر والعضو المندوب عن القاهرة فى مجلس شورى القوانين وموسى غالب باشا المهندس والدكتور محمد شكرى باشا . وحسين واصف بك المهندس بالأشغال أعضاء . وينوب رئيس الديوان العربى عن الرئيس عند غيابه .

رحلة لزيارة مأموريات الأوقاف : وفى ١١ أغسطس سافرت إلى الوجه البحرى لزيارة مأموريات الأوقاف وتفقد أحوالها والوقوف على ما يعوزها من وسائل الإصلاح والتحسين . وكان يرافقنى محمد

سليمان أباطة بك مدير قسم الزراعة بالأوقاف ومحمد افندى وجيه السكرتير الخاص . وقد بدأنا بزيارة مديرية البحيرة فمررنا على أملاك الأوقاف بدمهور وعائنا ما تحتاجه من التعمير ثم قصدنا زراعتى الابراهيمية وجنبواى وغيرهما فوجدناها جميعاً فى حاجة للإصلاح وقد تقرر فتح اعتماد قدره ثلاثون ألف جنيه لذلك .

وفى ٢٠ منه زرنا زراعة مشتهرة فى القليوبية ، ثم سافرنا إلى الزقازيق فتفقدنا زراعة كفر الحمام ومأمورية الأوقاف بها وكانت فى حالة مرضية .



حسين واصف بك المهندس

وفي ٢٣ منه كنا في قلين وشباس، ثم زرنا مأمورية المحلة في اليوم التالي وتفقدنا وقف أبي العباس والمساجد في البندر ومدرسة الجمعية الخيرية بها.

وذهبنا للنصورة يوم ٢٧ منه فعابنا الأملاك بها وشاهدنا زراعات طلخا ثم شربين وسررت من حالتها.

وانتهت الرحلة يوم ٢٩ منه فعدت إلى الاسكندرية.

رحلة إلى مرسى مطروح: وفي أول سبتمبر ركبنا الباخرة عبد المنعم ومعى محمد على دلاور بك مدير الادارة ويوسف بك لطفى مأمور الاوقاف في الاسكندرية والشيخ محمد نجيت قاضى الشغل الشرعى وغيرهم من موظفى المصلحة قاصدين مرسى مطروح لافتتاح مسجد جديد قررت الاوقاف تشييده من قبل وأنفقنا عليه نحو ألف وخمسمائة جنيه. وقد وصلنا في اليوم التالى فاستقبلنا نائب قومندان خفر السواحل بصفة عسكرية ثم ركبنا الهجن إلى أن وصلنا إلى مسجد سيدى العوام، حيث استقبلنا مأمور المركز وموظفوه في سرادق أعد لذلك وكذلك أعيان الجهة والتجار ومشايخ العربان. وبعد أن أقام العربان حفلة برجاس، ألقى خطبة أعلنت فيها افتتاح المسجد باسم الخديو

٢



٦ ٥ ٤ ٣ ١

افتتاح مسجد مرسى مطروح

(١) ابراهيم آدم بك (٢) يوسف لطفى بك (٣) محمد على دلاور بك (٤) أحمد شفيق باشا
(٥) الشيخ محمد نجيت (٦) الشيخ محمد البوريني

فنهتف الجميع بالدعاء لسموه وتناولنا المرطبات في السراشق ثم أدينا فريضة الجمعة بالمسجد وخطب الشيخ بخيت وعدنا للباخرة .

وفي الساعة السادسة مساء قمنا من مرسى مطروح فوصلنا الاسكندرية صباح ٣ سبتمبر ثم عدت إلى القاهرة في ١٠ منه .

الاحتفال بذكرى محمد على الكبير : جرت عادة ديوان الأوقاف أن يحتفل في يومى ١٣ و ١٤ من رمضان كل عام في مسجد القلعة بذكرى وفاة محمد على الكبير وذلك بقراءة القرآن وتوزيع الصدقات . وقد رأيت أن الاكتفاء بذلك لا يمثل ذكرى المحتفل به حق التمثيل وأن اللازم ذكر شيء من تاريخه في هذه المناسبة ، فكتبت فعلا خطبة بها شيء عن إصلاحات محمد على ، على أن يلقيها الشيخ محمد راشد إمام الحضرة الخديوية في المسجد . ولما كان الخديو في أوروبا فقد أناب عنه دولة شقيقه البرنس محمد على وحضر النظار وكبار الموظفين كالمعتاد وبعد قراءة القرآن وقفت وألقيت الكلمة التالية :

«ورد في الحديث المأثور : « اذكروا محاسن موتاكم » . وفي ذكر هذه المحاسن من تمجيد أعمال السلف وتخليد آثارهم ما يجرى مجرى حسن الجزاء على ما أتوه من جليل الأفعال وما اتصفوا به من حميد الصفات فهو حق لهم في ذمة الخلف يجب علينا القيام به وحسن أدائه لهم . ولما كانت هذه الليلة ليلة الاحتفال بذكرى وفاة ذلك البطل العظيم رأس هذه العائلة المالكة فقد رأينا من الواجب المحتم أن نذكر شيئا من آثاره على طريق الاجمال والاختصار بوجه عام ، فوضعنا في ذلك نبذة جعلناها كالفهرست لتلك الأعمال الجليلة نضيف إليها في كل عام إن شاء الله تفصيل ما أجملناه وتوضيح ما لحصناه . وإني أستاذن دولة البرنس النائب عن الحضرة الفخيمة الخديوية بسماحها والله يتقبل منا صالح الدعوات لصاحب هذا الضريح في هذه الليلة المباركة إنه بالاجابة جدير . » ثم وقف الشيخ راشد فألقى الكلمة التي سبق أن كتبتها لتلقى في هذه الليلة .

حالة التكايا والمساجد : لما كانت التكايا داخلة في اختصاص الأوقاف وقد سمعت عنها أموراً غير مشرفة مع أنها لم توجد إلا لمساعدة المحتاجين ، كلفت مأمور قسم ثالث أوقاف أن يبحث هذه المسألة ويكتب لى عنها تقريراً وعن حالة المساجد التي تقع في دائرة اختصاصه . وقد بعث إلى بالتقرير الأول في ٦ سبتمبر وبالتقرير الثاني في ٢٠ منه ، فثبت لى أن حالة التكايا أسوأ مما بلغنى عنها ، وأنها أصبحت ملجأ لغير

المحتاجين ، على حين أن المستحقين فيها لا ينالون أرزاقهم ؛ وأصبح بعضها مباءات للفساد بسبب إهمالها وعدم تنظيم شئونها .

وقد قررت بعد ذلك أن يكون في كل تسكية سجلات خاصة بأسماء الفقراء يوقعون فيها على ما يتسلمونه من الصدقات منعاً للتلاعب ، مع تغيير بعض مشايخ التكايا المفسدين .

أما حالة المساجد فقد علمت من التقرير أن بعضها فتحت أمامه وبجواره مقام تزدحم بروادها وتعطل شعائر الصلاة بضوضائهم ، فكتبت إلى نظارة الداخلية لحظر هذا الأمر وإغلاق هذه المقاهى وعدم التصريح بفتحها بجوار المساجد .

التوظيف والترقى في الديوان : إن التسكلم على التوظيف في ديوان الأوقاف لمن النقط الأساسية التى عليها قوام العمل ، خصوصاً وقد ذهب الناس مذاهب شتى في أمره وأطلقوا فيه من الظنون ما لا يصادف الواقع ؛ فهم يتوهمون أن مجرد كون الديوان مصلحة خيرات وإحسان كاف لأن يقبل كل ملتجئ إليه طالب للخدمة دون أن يكون للكفاءة والنظام ورعاية وجوه الميزانية موضع من الاعتبار .

توهموا هذا وتوهموا أن الديوان لا يرد رجاء راج ما دام متوسلاً بشفاعة أو محسوبة فتصوروه مملوءاً بالعاطلين الذين ضاقت في وجوههم سبل العيش وأعجزتهم وسائل الرزق وصدوا عن كل عمل . وفى هذا القول مبالغة شديدة وغلو ظاهر .

والحق أن الديوان قد درج في المدة الأخيرة في أمر التوظيف على خطة اختيار الأكفاء الذين تستقيم بهم حركة الأعمال ملتزماً بحدود ميزانيته جارياً على حكم نصوص القانون المالى ولوائح الاستخدام التى تسير عليها الحكومة في ترتيب الدرجات وفى التعيين والترقى والعلالة والمعاش .

انتقاء الموظفين : وقاعدتنا فى انتقاء الموظفين إذا خلت وظيفة فى الأوقاف أن ننظر فى استعداد موظفيه وكفاءتهم وحسن سابقتهم فى الخدمة فننتخب من بينهم أليقهم لها وأحقهم بها أو نعتمد إلى الكفاء الذى شهد له عمله فى خدمة الحكومة فتعيينه أو نعلن عنها فى الصحف ليتقدم إليها أرباب الشهادات من متخرجى المدارس أو من مرفوقى الحكومة حتى إذا اجتمعت الطلبات عرضت على لجنة من رؤساء الأقسام لاختيار أكفأ الطالبين وأعظمهم أهلية للوظيفة التى يراد التعيين فيها .

حالة بعض الموظفين : وقد أكون مبالغاً إذا لم أستدرك على ذلك القول بأنه يوجد بالطبع بجمار الأكفاء المستخدمين عدد قليل الأهمية واللياقة سواء كان بين كبار الموظفين أو بين صغارهم .

وقد تأكدت من ذلك بنفسى أثناء طوافى بمأموريات الأوقاف فى الوجهين البحرى والقبلى إذ سألت أحد المأمورين عن مقدار المبالغ المتأخر تحصيلها عنده فأجاب بأنها لا تتجاوز مائة وخمسين جنيهاً وهى فى ذمة رجل مضمون ولما طلبت من كاتب الحسابات كشفاً ببيان هذه المبالغ ظهر أنها تقدر بآلاف الجنيهات . فلما راجعت المأمور أجاب بأن ما زاد على المائة وخمسين جنيهاً إنما هو قيمة المبالغ المرفوع بها قضايا أمام المحاكم ، وكأنه قد جرى فى خياله أن مجرد تقديم القضايا إلى المحكمة يخرج مبالغها عن وصف كونها مبالغ متأخرة فهى لا تستحق منه اهتماماً ولا ترتقى قيمتها عنده إلى مجرد ذكرها . ومن ذلك تبين درجة تقدير هذا المأمور لعمله ومسئوليته . كذلك لاحظت أن أحد المأمورين لا يعرف مواقع المساجد من المدينة التى يقيم فيها منذ أكثر من سنة ؛ وهذا وحده يدل على قدر اهتمامه بها ومبلغ تعهده لها . وإنما ضربت هذين المثالين لأهمية الموظفين المشار إليهما ، وأما الحال فى صغار المستخدمين فلا يعدم الناقد أن يجد من بينهم من تجرد عن الكفاءة والأهلية ، وسنبذل الجهد إن شاء الله فيما تنتظم به الأمور وتستقيم به الأحوال .

تعيين تلامذة : وقد اتخذنا طريقة جديدة لاعداد الموظفين فى الدرجات الصغيرة وتمرينهم على العمل حتى يتدرجوا فى الوظائف محيطين بأعمالها فقررنا عشر وظائف تلامذة مرتب كل منها ثلاثة جنيهاً ينتخب لها عشرة أشخاص من حاملى الشهادة الابتدائية بعد الاعلان عنها فى الصحف ؛ وقد كان ذلك ، وهم الآن ينتقلون فى أقسام الديوان وفروعه للتمرن على أعماله قسماً بعد قسم حتى إذا خلت وظيفة من الدرجة السابعة التى بدايتها خمسة جنيهاً ونهايتها تسعة ، ألحق بها التلييد سواء كان فى أقسام الديوان أو فى مأمورياته .

الظهورات : وهناك باب آخر من أبواب التوظيف ربما تناولته الشبهات وكان محلاً للظن بأن التعيين فيه جار على حسب الأغراض والآهواء وهو باب الظهورات . وقد رأينا من المصلحة منذ تولينا إدارة الديوان أن نضيق حدوده ما أمكن وألا نجد بعد الآن شيئاً من هذه الوظائف . ورأينا من جهة أخرى أن ندرج إلى تثبيت هؤلاء

العمال الظهورات الموجودين الآن شيئاً فشيئاً حتى ينتهى الأمر على طول الزمان بسد هذا الباب الذى ربما كان موضعاً لعبث الأيدي فى الرفق والتعيين .

وقد رفعنا بذلك مذكرة إلى المجلس الأعلى نالت مصادقته وقررنا فيها وجوب تثبيت العامل الظهورات متى توفرت فيه شروط أربعة وهى : (١) أن يكون حائزاً لرضا رؤسائه شاهدين له بالكفاءة والاستعداد وحسن السلوك (٢) ألا يكون وقع عليه مدة خدمته من الجزاءات التأديبية ما يمس جوهر وظيفته (٣) أن يكون أمضى فى خدمة المصلحة ثلاث سنوات على الأقل (٤) ألا يكون به داء عضال .

ومما يحسن ذكره فى هذا المقام ، للدلالة على ترقى حالة التوظيف فى ديوان الأوقاف ومراعاة المستخدمين فيه ، من حيث إنالهم كل ما يستحقونه من الترقية والعلاوات بلا تقتير ولا تقييد وحسن معاملتهم فى تطبيق نصوص القانون فى أمر معاشاتهم ، أن موظفى الحكومة كانوا قبل الآن يعتبرون خدمة الأوقاف أقل درجة فى الشأن من خدمة الحكومة فكانوا لا يقبلون عليها ؛ أما الآن فقد ظهرت شدة ميلهم لخدمتها رغبة فى التمتع بمزايا إدارتها .

هذه هى حال التوظيف فى ديوان الأوقاف بقيوده وشروطه الآن ؛ إلا أنه مع علم بعض الناس بها لا يزال لهم ولع بالسعى والرجاء وراء التوظف به . فاذا ذكرت لهم هذه القيود ، ردّدوا القول بأن المصلحة خيرية لا ينبغى فيها التدقيق فى بذل الخير للضعفاء والمعوزين بتعيينهم فى الوظائف التى ينالون بها وجوه العيش ويتوسلون بها إلى أبواب الرزق . ولكنه قول باطل ونظر ضعيف ، فإن الخير كل الخير للناس وللواقفين ولمصلحة الأوقاف أن يكون الموظف المؤمن على مال الوقف وإدارته من خير الناس وأكفأ العاملين ، وأضرب لك مثلاً أن رئيس الحكومة محمد سعيد باشا أوصانى على شخص لتوظيفه فعرضت عليه الدخول فى الامتحان فأبى . ولما سألته عن مؤهلاته ، لم أر منه الكفاءة لأخذ الوظيفة التى كان يرغب فيها فرفضت طلب الباشا . وتصادف وجوده فى المنتزه عندما توجهت لأداء صلاة الجمعة مع الخديو ففاتحنى أمام سموه عما فعلته بخصوص الشخص المذكور فأجبتّه بأنه غير لائق لدخوله فى الوظيفة المطلوبة له فقال بالنظرية السابق التنويه عنها فرددت عليه بأننى لا أقبل أن يحسب على موظف غير كفء للقيام بوظيفته فاذا كان الغرض مساعدته على معاشه فليكن من باب الإحسانات وما على الباشا إلا أن يلتبس من أفندينا تخصيص مرتب له فكان عباس من جانبي .

أما الترقية فقد انتهالت منذ وطأت أقدامى هذه المصلحة رسائل التوصية بترقي بعض الموظفين فكنت أؤشر عليها للبحث فى ملفات خدمتهم فان وجدت من بينهم المستحق كتبت اسمه فى كشف المستحقين لترقيته فى الوقت المناسب والباقي أرفضه ولو كانت التواصى من رجال المعية أو من النظار . فان أحد النظار طلب ترقية لأخيه وآخر لابن مرضعته فرفضت لعدم استحقاقهما لأننى لو أجبت طلبهما لانتقد على الموظفين ورموني بالمحاباة .

وكان بعض أصدقائى يرتكنون على مودتى لهم فيطلبون ترقية بعض المتتمين إليهم ولكننى كنت أتبع نفس هذه الطريقة .

وفاة ملك الانجليز . فى يوم ٧ مايو وصلت البرقيات بوفاة ملك الانجليز إدوارد السابع ، وقد أرسل سمو الخديو عقب وصول هذا الخبر برقية من الاسكندرية إلى السير الدون جورست يعزبه فيها هو والحكومة الانجليزية وهذا نصها :

« علمت الآن الخبر الرهيب بوفاة جلالة الملك إدوارد السابع فجأة ، فأرجو أن تبلغ تعزيتى للحكومة الانجليزية وتعرب لها عن مشاركتى لها فى أحزانها . ولو كنت بالقاهرة لحضرت بنفسى إلى الوكالة البريطانية لأعرب لكم عن كل ما أشعر به فى هذا المصاب المحزن الأليم ، ولكن نظار حكومتى سيزورونكم ليعربوا لكم عن أسف حكومتى ومشاركتها للحكومة الانجليزية فى أحزان هذا اليوم الذى نشترك كلنا فيه . »



البرنس محمد على يشيع الجنازة :
وفى ٩ منه سافر سعيد ذو الفقار باشا التشرىفاتى الأول واللواء واطسن باشا والصاغ محمود خيرى من الياوران إلى لندن ليلتقوا هناك بالبرنس محمد على للاشتراك فى تشيع جنازة الملك .

احتفال بالجنازة فى ثكنة قصر النيل : وفى ٢٠ منه احتفل فى ثكنة

قصر النيل بجانب الملك المتوفى ، وحضر هذا الاحتفال البرنس حسين كامل باشا وكثير من البرنسات والنظار ووكلاؤهم وأعضاء مجلس شورى القوانين ، وكنت ممن حضروا هذا الاحتفال بصفتي مديراً لدي ان الأوقاف العمومية .

وفي الساعة الخامسة عزفت الموسيقى بألحان حزنة وأقبل الموكب يتقدمه رئيس كهنة البروتستانت ويحف به رجال الدين حتى وصل إلى منصة في وسط ساحة الشكنة فاعتلاها الرئيس وتليت الصلوات المعتادة ، ثم أطلقت المدافع ونشر العلم البريطاني فحياه الجنود الانجليز هاتفين للملك الجديد ، جورج الخامس ، . وبذلك انتهت الحفلة ، وخرجنا بعد أن قدمنا للسير جورست عبارات التعزية ثم التهنئة بالملك الجديد .

سفرى للاسكندرية لقضاء فصل الصيف بالنظار . وفي ١٤ يونيو سافرت إلى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف وأخذت محلاً خصيصاً لأعمال الديوان في سان استفانو .

اختبارى لرياسة لجنة امتحان مدرسة المعلمين الناصرية . كان أحمد حشمت باشا ناظر المعارف طلب منى قبول رياسة امتحان مدرسة المعلمين الناصرية في أواخر شهر مايو الماضى ، فقبلت هذه المهمة . وبعد انتهاء الامتحان والتصحيح والمراجعة رفعت لناظر المعارف تقريراً فى ١١ يوليو عن حالة المدرسة ، وهذا نصه :

• بناء على إفادة نظارة المعارف العمومية المتضمنة لانتخابى رئيساً للجنة الامتحان بمدرسة المعلمين الناصرية :

• أنشرف بأن أرفع إلى سعادتكم تقريرى هذا بعد اطلاعى على جميع التقارير المقدمة من حضرات الممتحنين . وأنتهز هذه الفرصة فأؤكد لسعادتكم بأن نظام الامتحان كان بالغاً جداً يوجب الإعجاب والاستحسان بهمة سعادة ناظر المدرسة وحضرات الممتحنين والمراقبين .

• قد تبين لى من جملة تلك التقارير أن هذه المدرسة تسير سيراً جميلاً فى طريق التقدم والفلاح . وأن النتيجة فى هذا العام كانت أحسن منها فى العام الماضى جرياً على ستة الترقى . وقد وجدت فيها من الملاحظات والآراء ما يليق أن يوضع موضع النظر والعناية طلباً للكمال والاعتقان .

«والذى تنبج إليه الأفكار وتجتمع حوله الآراء هو وجوب صرف الهمة فى هذه المدرسة إلى العناية بتقدم فى الانشاء . لأنه مقصد المقاصد من التعليم فيها ما دامت الغاية منها تخريج الطلبة إلى وظيفة المعلمين للغة العربية .

«ولا وصول إلى هذا الغرض إلا بكثرة الدرس لتربية ملكة الانشاء . وهذه الملكة لا تنمو وتغزى مادتها بمجرد حفظ قطع معينة من النظم والنثر ، فان الاقتصار على طريقة الحفظ وحده تنتهى بالطالب الى أنه يعتمد كل الاعتماد على الاتيان بما حفظه دون أدنى تصرف . ومن المحقق أن سلوك هذه السبيل مما يعطل تربية الملكات التى لا تنأت إلى إلمام طريق تصرف الذهن وتشعب الفكر . ولا يتيسر تكوينها إلا بكثرة المطالعة فى الكتب المشتملة على جيد القول وحر الكلام فينتقل الطالب فيها ما شاء من باب إلى باب ومن مطلب إلى مطلب من غير كد ولا استكراه وبدون أدنى سأم أو ضجر فيتولد عنده حينئذ من الارتياح والاشتياق ما يجعل ذهنه منبسطاً لالتقاط محاسن التعبير وبدائع التركيب بما تنمو عليه الملكات الصالحة . هذا فضلاً عن اتساع محصوله من العلوم والفنون التى يتقلب فى أبوابها أثناء المطالعة فى مثل تلك الكتب المطولة فيتكون لديه منها ومن جملة ما يحفظه من قطع النظم والنثر مادة غزيرة يتصرف بها فى وجوه الكلام والانشاء .

« فأرى لأجل ذلك مطالعة كتابين أو ثلاثة من هذا القبيل مثل كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني وكتاب الكامل لأبى العباس المبرد وكتاب العقد الفريد لأبى عبدربه وما يماثلها من كتب الأدب واللغة والتاريخ .

« وأرى فوق ذلك من وجوه التحسين ، أن يعين درس محاضرة فى آداب اللغة مرة فى كل أسبوع حتى يتمرن الطلبة بكثرة المناقشة والمباحثة على قوة التصرف وصحة الرأى فيتكون لهم بذلك حكم يقدررون به على تصرف عقولهم دون الاتكال على أحكام الغير ، ويكون لفكرهم تحكيم فى الموازنات ولعقولهم تصرف فى المفاضلات .

« ثم لابد أن يسار بالطلبة فى طريق التفسير للقرآن الكريم ، سبيل التوسع فى التطبيق لأحكامه الشريفة على حاجات الهيئة الاجتماعية نظامية واقتصادية ؛ فلا يقفون به عند حد التفسير اللفظى . ولقد عز على ما رأيت من أحد الطلبة من التفسير فى تطبيقه للآيات الكريمة التى تعتبر أساساً لعلم الاقتصاد وهى قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين

وكان الشيطان لربه كفوراً، الى قوله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» .

«فان الطالب لم يحسن تطبيق معانيها الشريفة على أحوالنا الاجتماعية والاقتصادية التي نحن في حاجة الى معالجتها أدوائها بقوة الأحكام الالهية المؤثرة في النفوس تأثيراً لا يتسنى لغيرها من الأحكام الوضعية .

« وإن أُلزم ما يكون لطلبة هذه المدرسة الذين يتخرجون منها لممارسة صناعة التعليم والتربية، تضرعهم من علم الأخلاق فانه الأساس لاصلاح النفوس وتهذيب الطباع . وليس ينفع التبريز في العلوم والفنون ما دامت النفس خالية من فضائل الأخلاق ومحاسن الصفات؛ بل ربما كان النفع منها موهوماً والضرر محققاً . ولذلك أرى أن يزداد نصيب هذا العلم الواسع في أوقات الدراسة فان مدته في البروجرام الحاضر لا تزيد عن ساعتين في الأسبوع كله في السنة التحضيرية فقط .

« وأرى أيضاً أن تفتح نظارة المعارف باب الترغيب لمن تعلو درجاتهم من الطلبة في علوم اللغة العربية أدبياً ومادياً . أما الأدبي فهو أن تأمر النظارة بطبع ما تراه جيداً في باب الانشاء وغيره مما يحجى في أوراق الامتحان ثم تجعله مجموعة تنشر بأسماء الطلبة المجيدين مع التنبيه على ما يكون فيها من التقصير ثم توزع على سائر الطلبة . وأما المادى فهو أن تقرر النظارة مكافأة أو نوعاً من الترقية لمن يستمر على الاشتغال بما يجيد فيه بعد تخرجه من المدرسة مدة سنتين ويحوز السبق في الاختبار الذى يخصص لذلك فينشط المتخرجون إلى بلوغ درجة الاتقان في العلم الذى يصرفون همهم نحوه كما المعنا إلى ذلك في خطابنا الذى ألقيناه عليهم وكما يشير إليه حضرة الممتحن في الخط حيث ذكر في تقريره أنه يوجد أربعة من بين الطلبة حازوا الدرجة الهائية في هذا الفن وأنه يجب على نظارة المعارف أن تستخدمهم في مدارس القاهرة للانتفاع بهم وللحفاظة على تقدم الفن حتى يتمكنوا من إتقانه على أسانده فيصلا إلى درجة النبوغ فيه .

« وجملة القول أن حال هذه المدرسة يتدرج من حسن إلى أحسن ، خصوصاً إذا نالت من عناية النظارة بها ما تستحقه؛ وعدلت بعض التعديل في أوقات الدروس ، بتخفيض بعضها فيما هو ليس بضرورى جداً لطلبتها كالتصلع في مثل الجغرافيا الطبيعية والعمل الكيماوى؛ وازدياد بعضها في العلوم الجوهرية لهم لمزاولة صناعة التعليم المخصصين له مثل علوم اللغة والتفسير وعلوم التربية والأخلاق، وفي كثرة المطالعة والمحاضرة حتى

لا تكون نسبة الناجحين أقل منها في الرياضيات مثلاً .

« و إنني لأجد نفسي مقصراً عن الواجب إذا أنا ختمت تقريرى هذا ولم أكتب حرفاً عن المنافع والفوائد التى لا تزال هذه المدرسة مصدراً لها فى السابق واللاحق .
فكم أنجبت من الطلبة فى مدة خمس وثلاثين سنة منذ إنشائها إلى اليوم وكم انتفعت الأمة بعلومهم ومعارفهم . وكم استفادت الحكومة من استعدادهم للقيام بمهام وظائفها . فهى جديرة بأن تكون فى المقام الأول بالنسبة لحسن سابقها ولشدة الحاجة إليها اليوم ولضرورة الاستفادة منها فى المستقبل .

« وفى الواقع فإن الحاجة شديدة إليها داعية إلى صرف العناية نحو تقدمها وتوسعها إذا نحن ألقينا نظرة إلى النمو المتواتر كل عام فى عدد طلبة المدارس ، أميرية كانت أو حرة .
وبكفينا الاطلاع على جداول الامتحان فى هذا العام ليقوم لنا البرهان الواضح على أن الأمة فى حاجة مستمرة الى زيادة عدد المعلمين . ولا يقال إن المدارس المعينة لتخريج المعلمين مما تسد الحاجة أو تقوم بالمطلوب . فأننا إذا نظرنا الى عدد الداخلين فى هذا العام فى امتحان الشهادة الابتدائية وقدرهم ١٨٩٥ من المدارس الأميرية و ٢٥٩٦ من المدارس الحرة و ١١٣٣ من المتعلمين فى منازلهم مع ازدياد هذا العدد عاماً فعاماً ، وجدنا عدد المعلمين ينقص نقصاً ظاهراً بالنسبة لهذا العدد العظيم . نعم ربما قامت مدارس المعلمين بالحاجة لمدارس الحكومة الأميرية . ولكن من لنا بوجود العدد اللازم من المعلمين لتعليم طلبة المدارس الحرة ومدارس الجمعيات الخيرية وتعليم الطلبة فى منازلهم ، وعددهم عظيم كما يبناه والزيادة فيه متوالية كما نراه .

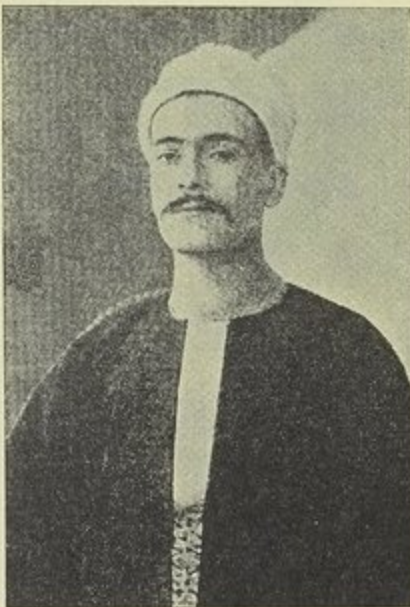
وهناك أمر آخر وهو أننا إذا نظرنا نظرة أيضاً الى أن عناية نظارة المعارف أصبحت متجهة نحو تعميم التعليم فى مختلف العلوم باللغة العربية ، ظهرت زيادة الحاجة الى كثرة عدد المعلمين من هذه المدرسة ووجب صرف العناية الى ترقيتها وتقدمها كل الوجوب لتكفلها بهذا الغرض أكثر من سواها ؛ لا أننا نراها فى ضعف النمو سنة عن سنة . فقد ألقى منها فصل فى هذا العام من السنة التحضيرية فاستبدل الفصلان بفصل واحد . فإذا استمر الحال على هذا المنوال فى كل عام فلا تمضى خمس سنوات حتى تنخفض فصولها الى خمسة فتتحد هذه المدرسة العظيمة الفائدة فى طريق النقص بدل أن تملو فى طريق النمو .

« وإنما دفعنى الى الاسهاب فى هذا الموضوع ما لا أزال أراه وأسمعه من كل

طرف عن شدة الحاجة والعوز الى وجود العدد العظيم من المعلمين بين الامة المصرية وأن هذا هو الأمر الأولي المقدم على سواه من وجوه انتشار التعليم فيها . ولو فرضنا أن العناية بهذه المدرسة جاءت بزيادة عدد المعلمين اللازمين فان المتخرجين منها يأتي منهم النفع العام على كل حال للامة بأسرها ، فضلا عن أن الحكومة ليست مكلفة باستخدام ما يزيد عن حاجتها ولهم في انتفاع الامة بهم مكان معلوم .

« وأنا لا أشك في أن هذه المدرسة ، التي كانت ولا تزال مفخرة المفاخر للبرحوم على مبارك باشا ولمن بعده من رجال الحكومة الذين أنالوها حقها من العناية ، ستكون إن شاء الله بعناية ناظر المعارف الحالى ورئيس الوزراء — وهمتها في رقى المعارف مشهورة مذكورة — سائرة في طريق التوسع والقدم على نظام يزيد في علو مكاتهما ويضاعف من حسن سمعتها ويكفل دوام الاستفادة منها وانتفاع الامة المصرية بها ، فتتكفل لوزراء مصر بدوام الفخر وتشهد لهم على الدهر بحسن الذكر . »

وقد ورد لى من ناظر المعارف رسالة الشكر التالية المؤرخة ٢٢ أغسطس وهذا نصها بعد الديباجة : « وصل إلينا التقرير الذى تفضلتم سعادتم بارساله إلينا عن نتيجة الامتحان النهائى لطلاب



الشيخ على الغاياني

مدرسة المعلمين الناصرية الذى جرى هذا العام تحت رئاستكم وأنا لنسدى سعادتم واجب الشكر الجزيل على هذه الخدمة العلمية الجليلة ونرجو ألا تحرم نظارة المعارف في جميع الفرص من عظيم مساعداتكم أفندم . »

قضية ديوان « وطنيتي » .

وفي ١٢ يوليو علمت أن النيابة تحقق في قضية سياسية خلاصتها أن الشيخ على الغاياني المحرر بجريدة العلم المنتمى للحزب الوطنى طبع ديوان شعر بعنوان « وطنيتي » فيه

حط من شأن الحكومة وتحريض على العبث بالنظام فاستدعته لتحقيق معه ، ولكنه فر إلى تركيا ؛ فاستحضرت الشيخ عبد العزيز جاويز لأنه كتب مقدمة للديوان يثني على موضوعاته وصاحبه ، واسماعيل حافظ صاحب العلم ، لسؤاله عن سبب مدحه وإطرانه لهذا الديوان .

وبعد التحقيق أحالتهما مع آخرين إلى محكمة الجنايات ، فحُكوا في جلسة ٩ أغسطس بتهم و التحريض على جنابة القتل السياسي و كراهة الحكومة والازدراء بها وتجييد الجرائم والعيب في حق الذات الخديوية .

وقد حكم على الشيخ الغيايات غيائياً بالحبس سنة مع الأشغال ، وعلى الشيخ جاويز بالحبس البسيط ثلاثة أشهر ، وحكم على الآخرين بشهرين مع إيقاف التنفيذ .

ومما جاء بديوان و وطنيتي ، في مهاجمته للخديو والطعن على خطته :

و أعباس هذا آخر العهد بيننا	فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
أيرضيك فيما أنت نكون أذلة	ننال إذا رمنا الحياة عقابا ؟
وأرضيت أعداء البسلا وأهلها	وأصليتنا بعد الوفاق عذابا ؟

وفيه من الدعوة إلى الثورة :

هل سال في مصر الدم	أم ثار فيها النوم ؟
ومضوا إلى أهل الضلا	ل فأعدموا من أعدموا ؟

الخطوة الثالثة لإصلاح الأزهر . كان اللورد كرومر يدرك ما للأزهر من

كبير الأثر في تكوين الرأي العام الاسلامي ، وما يحتاج إليه من الإصلاحات الجمة ، وكان يخشى التدخل في شؤونه خشية أن يتهم المصريون الانجليز بتعرضهم لشئونهم الدينية ، غير أنه كان يعضد بطريق غير مباشر الشيخ محمد عبده وغيره من الرجال القلائل الذين كان يأنس فيهم رغبة الإصلاح وتحرير هذا المعهد القديم من ركود الماضي وأغلاله . فلما توفي الشيخ محمد عبده ، وغادر كرومر مصر ، ضعف الاهتمام بأمر الأزهر وإصلاحه ، ولكن الخديو أدرك بذكائه أنه يجنى مغايم معنوية كثيرة إذا استعمل سلطته الخاصة بشئون الأزهر وعنى بإصلاحه ، وأنه يستطيع بهذه الوسيلة أن يزيد نفوذه في العالم الاسلامي وأن يزيد في بغض الرأي العام الاسلامي للانجليز ؛ ولهذا رأى أن يأخذ حركة إصلاح الأزهر بيده وعندئذ كانت الخطوة الثالثة للإصلاح .

بعد أن هدا الشعب الذى كان قائماً والذى أتينا على وصفه فيما تقدم ، وتقرّب الزغوليون من الخديو بالحاق مدرسة القضاء الشرعى بالأزهر — وكان سموه خريصاً على إلغائها ليكون القضاء مختصاً بخريجى الأزهر كما هو شأنه من قديم الزمان — عهد بوضع قانون



عبد الحالى ثروت باشا

آخر للأزهر إلى لجنة شكلت من فتحى زغلول باشا وكيل الحفائية واسماعيل صدقى باشا وعبد الخالق ثروت باشا فوضعوا المشروع على أساس أن تكون جميع المعاهد ملحقة بالأزهر ومجلس إدارته. وأن ترجع إلى المجلس الأعلى بواسطته ؛ ولكن الخديو لما عاد من السفر وقرئ المشروع أمام لجنة عقدت برياسته برأس التين من بينها رئيس النظار محمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا وفتحى زغلول باشا وشيخ الجامع الاحمدى الشيخ محمد حسنين وشيخ معهد الاسكندرية الشيخ أبو الفضل وأنا ، وتليت المادة المتعلقة

بالالحاق المذكور ، ناقشتها الخديو مناقشة وجيهة قضت بتغييرها ، وتغيير كل ما بنى عليها من المواد ، وجعلت المعاهد كلها تابعة للمجلس الأعلى مباشرة ولكل معهد مجلس إدارة خاص به كالأزهر .

ثم وجه الخديو سؤالاً إلى شيخ الجامع الاحمدى قائلاً : هل إذا ثار الأزهر مرة ثانية تشور المعاهد الملحقة به بمقتضى هذه المادة ؟ ، فأجابه بأن معهد طنطا لم يسلم من شر هذه الفتنة إلا بقطع العلاقات بينه وبين الأزهر وطلابه وشيوخه فى هذه المدة ، فكانت المشيخة لا ترخص لأحد من الأزهريين بدخول المسجد الاحمدى فى أى وقت من الأوقات ، لا للزيارة ولا لشيء إلا إذا قابل شيخ الجامع الاحمدى فى مكتبه بالمسجد ، بل كنا نعمل على مطاردتهم من المدينة ، وكانت المشيخة تضطربهم الى الخروج منها ، وساعدها على ذلك رجال الحكومة فى طنطا . وانتهت الجلسة عند هذه المادة وصدر الأمر بقراءة المشروع وتعديل سائر مواد على أساس القانون نمرة ٢٦ . ولما تم تعديله على هذا النحو وعرض على الخديو ، اقترح شيخ الجامع الاحمدى إرسال

المشروع لمجالس إدارة المعاهد لا بداء ملاحظاتهم عليه ثم قدم الى رئيس مجلس النظار محمد سعيد باشا ، فرأى أن يقرأه أولاً في لجنة مشكلة من شيخ الجامع الاحمدى وفتحى زغلول باشا واسماعيل صدقى باشا ؛ وانتهت قراءته على تعديل كثير من مواده ، ثم أخذ بعد ذلك دوراً طويلاً في مجلس الشورى وانتهى الامر باقراره ، وصدر به الامر العالى في ٢٧ سبتمبر ، وعمل به في المعاهد الدينية .

استرداد روح المعارضة . هول الرتب والنباشين لأعضاء مجلس الشورى
والجمعية العمومية . رحلتى للصعيد والسودان . الخطوة الثالثة فى اصلاح الأزهر .
رأى غورست والخديو فى المعارضة . المؤتمر القبطى . المؤتمر المصرى ومبادئه .
هربت غورست واخديو عن المؤتمرين . سفر الخديو لفرنسا وأوربا . وفاة
رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى . وفاة غورست وتعيين كشنر . اتجاه السياسة
الجديدة . الانعام على بنيناه ايطالى . أعمالى فى ديوانه الاوقاف . الدين
الأكبر السلطان رشاد فى مصر لخدمة ملك إنجلترا

استرداد روح المعارضة . كان مقتل المرحوم بطرس غالى باشا فى العام الماضى
مظهراً من مظاهر التطرف والتهور فى المعارضة التى لم يجد فى إسكانها بعث قانون
المطبوعات القديم الذى أبطل العمل به أيام كرومر . فاشتدت الحملات الصحفية على
الحكومة ولا سيما فى صحف الحزب الوطنى ، وكذلك صدر كتاب وطنيتى ، للشيخ
على الغياياتى حاوياً لكثير من الخوض على الثورة وتمجيد أعمال المجرمين السياسيين .
ولما كان محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى قد كتب مقدمة لهذا الديوان ،
فقد قدم للمحاكمة بتهمة تحسين جريمتى الوردانى ودينجرا الهندى ، اللذين أطراهما صاحب
الديوان فى بعض مقطوعاته .

سجن محمد فريد بك : عقدت الجلسة لمحاكمته يوم ٢٣ يناير برئاسة القاضى
دلبروغلى الأرمنى وعضوية أحمد ذى الفقار بك وأمين بك على ، ومثل النيابة محمد توفيق
نسيم بك رئيس نيابة الاستئناف ، وسئل فريد بك عن التهمة الموجهة إليه فقال

ما ملخصه : إن الكتاب ظهر وهو في أوروبا وأنه كتب المقدمة قبل سفره كقالة يجذب فيها الجهاد في سبيل الأوطان وأنها تصلح مقالة مستقلة كما تصلح مقدمة لديوان .

وقد اعترضت عليه المحكمة بأنه قرأ معظم ما حواه الديوان منشوراً في الصحف ، وبما أنه مطلع على القانون وفاهم للمسئولية فلا بد أن يكون قد عرف أن هذا القول مما يعاقب عليه القانون ، فرد عليها بأن هذا القول يعد عذراً له ، لأن سكوت الحكومة على المؤلف عقب نشره القصائد في الصحف يعتبر رضا منها به ، ويبيح له تقريره .

وبعد إتمام المناقشة ترفع رئيس النيابة ، ثم حكمت المحكمة على محمد فريد بك بالحبس البسيط لمدة ستة أشهر .

ولكن هذا الحكم لم يزد أعمال التيسير إلا شدة ، ولما قضى فريد بك مدة الحبس وخرج أقام له أعضاء الحزب الوطني حفلة تكريم بفندق الكونتنتال بالرغم من أن هذا التكريم نفسه يحرمه القانون لأنه استحسن الجزية .

المعارضة في مجلس شورى القوانين : في العام الماضي كان للجمعية العمومية موقف مشهود في مسألة مد أجل قنائة السويس ، دل على تنبه الأفكار ، وقوة روح المعارضة التي ظلت تنتهز كل فرصة لتطلب توسيع سلطة النواب ومنح الدستور للبلاد وعرض المسائل المالية .

وفي هذا العام تألفت جبهة معارضة في مجلس شورى القوانين قوامها أعضاء حزب الأمة في المجلس .

حول الرتب والنياسين لأعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وقد اقترح أعضاء المعارضة إصدار قانون يقضى بعدم منح أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية رتباً أو نياشين ، وذلك منعاً لسوء الظن بهم ، وضماناً لاستقلالهم عن السلطة التنفيذية .

وقد كان هذا الاقتراح مثار ضجة كبيرة داخل المجلس وخارجه ، وانتهى بالرفض من الأغلبية .

تكريم المعارضين : وقد تألفت لجنة بعد ذلك لتكريم ممثلي المعارضة في مجلس شورى القوانين ، وأقامت لهم حفلة في فندق الكونتنتال يوم ١٠ أبريل وهم : محمود سليمان باشا وعلى شعراوي باشا ومرقس سميك بك وفتح الله بركات بك وأحمد بك حبيب

وخطب في الحفلة حسن عبد الرازق بك، وأحمد عبد اللطيف المحامى وإبراهيم الهلباوى بك
ويوسف شكور باشا وأحمد لطفي السيد بك، ورد عليهم مرقس سميكه بك.

تكريم الأغلبية : وقد كان الرد على هذا التكريم، تكريماً آخر لأعضاء الأغلبية
بفسدق سافوى أوتيل يوم ١٥ أبريل برياسة حسن زايد باشا، وخطب في الحفلة
الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وحسين هلال بك وحسن زايد باشا والسيد محمد
رشيد رضا وموسى غالب باشا.

رحلتى للمصير والسودان . في مدينة الخرطوم مسجد قديم له أوقاف خاصة .
وقد تهدم هذا المسجد فشرعت الحكومة السودانية في إنشاء مسجد جديد ثم خابرت
ديوان الأوقاف في موضوع إتمام هذا المسجد على نفقته طالبة مدها بمبلغ ١٩٩٠٠ جنيه
لهذا الغرض . لذلك وحيث إن أوقاف المسجد القديم قد اندثرت رأيت أن أسافر إلى
الخرطوم لبحث هذه المسألة في مكانها مع رجال الحكومة السودانية وحصلت على إذن
سمو الخديو بهذا السفر .

ورأيت انتهاز هذه المناسبة للبرور على مأموريات الأوقاف ومزارعها ومساجدها
ومدارسها بالوجه القبلى فجمعت كل اللزوم من المعلومات عن المستخدمين وكفاءتهم
من تقارير رؤسائهم المختلفين .

وقد بدأت رحلتى مساء يوم ١٥ يناير على باخرة نيلية وضعتها تحت تصرفى دائرة
المرحوم على باشا فهمى مستصحباً السكرتير الخاص (محمد وجيه افدى) وباشمهندس
الديوان (محمود فهمى باشا) وقد رافقتنى حرمى وصديقتنا مدام تقلا باشا ووصلت
إلى بنى سويف فى اليوم التالى وزرت مسجدها ومأمورية الأوقاف بها ثم غادرتها إلى
بيا فزرت مأموريتها وزراعتها وزراعة أبسوج وسدس فوجدت حالتها جيدة إلا أن
المصارف كانت فى حاجة للتطهير فى زراعة بيا .

وفى ١٩ يناير وصلت بنى مزار فزرت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية وتفقدت
حالة التعليم بها ثم سافرت إلى المنيا فاستقبلنى بها مديرها ووكيلها وموظفو الأوقاف .
وبدأت بزيارة مساجد المدينة وانتهيت بمسجد الامام الفولى حيث أدبت فريضة العشاء
ثم حضرت الدرس الدينى به .

وفى الصباح قصدت مأمورية الأوقاف ثم زرت المدير والقاضى الشرعى
وشكرت لهما عنايتهما بمسائل الأوقاف .

وفي مساء ٢٢ منه وصلت إلى ملوى، وفي صباح اليوم التالي زرت مساجدها وأطيان وقف فاضل باشا وتنوف والبورة، وبعد الظهر زرت مأمورية الأوقاف ومكتبين تابعين لها.

وفي صباح ٢٤ منه قامت بنا بالباخرة إلى أسيوط فاستقبلني مديرها إبراهيم صبرى باشا، وبعد الاستراحة توجهت إلى ديوان المديرية لرد الزيارة. كما زرت رؤساء المحكمتين الأهلية والشرعية والنيابة وشكرتهم على اهتمامهم بمسائل الأوقاف. ثم زرت مدرسة الصنائع وكان يديرها حضرة أمين بهجت بك والمدرسة الأميرية الابتدائية وهي تسكن في دار تحت نظارة الأوقاف.

وفي المساء زرت المساجد الشهيرة، وقد لاحظت عدم إقبال الأهالي على حضور الدروس الدينية إذ رأيت مدرساً في أحد المساجد وليس أمامه إلا مستمع واحد! وفي ٢٥ منه زرت مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ومأمورية الأوقاف والمسكاتب التابعة لها ثم زرت أعضاء قومسيون الأوقاف.

وفي ٢٦ منه سافرت بالباخرة إلى طهطا فوصلتها في الساعة الرابعة بعد الظهر وزرت مساجدها، وفي الصباح سافرت بالسكة الحديدية إلى سوهاج فاستقبلني مديرها على أبو الفتوح بك والموظفون وأعيان المدينة. وبعد أن صليت الجمعة بمسجد الأستاذ العارف مررت على مساجد المدينة التابعة للأوقاف، وحضرت الدرس الديني في المساء بمسجد العارف. وقد تناولت الغداء على مائدة المدير مع همام حمادى باشا وعبد الرحيم حمادى بك وأمين العارف بك. وزرت مدارس مجلس المديرية ودار المجلس. كما زرت كلا من همام باشا وعبد الرحيم حمادى بك في منزلهما. وبعد أن زرت مدينة أخميم بارحت سوهاج إلى نجع حمادى فأقمت بها يوماً.

وفي ٢٩ منه سافرت إلى قنا فزرت مأمورية الأوقاف؛ ومدير قنا محمد خليل نايل بك ورئيس المحكمة الشرعية (رداً لزيارتهما) وتناولت الغداء على مائدة المدير. وفي المساء سافرت إلى قوص وزرت مسجدها الشهير وهو أكبر مساجد الوجه القبلي ووجدته في حاجة إلى الترميم.

وفي ٣٠ منه وصلت إلى الأقصر وزرت آثارها كقابر الخلفاء والدير البحري ومدينة الكرنك ومعبد الأقصر ومسجد أبي الحجاج.

ثم سافرت إلى أسوان فوصلتها يوم ٣ فبراير ، وفي المساء أبحرت بنا الباخرة من الشلال إلى وادى حلفا فوقفت في صباح ٤ فبراير عند الفجر عند معبد أبي سنبل فتمكنت من زيارته وهو منحوت في الجبل ، كبير الاتساع وواجهته شرقية بحيث يستقبل أشعة الشمس عند الشروق فتنتشر في أرجائه وهذا من أروع المناظر . وبلغنا وادى حلفا بعد ظهر يوم ٥ منه فأخذنا القطار إلى الخرطوم فوصلناها عصر يوم ٦ فبراير .

وعندما وقف القطار في أبي حمد حضر أحد كبار الضباط وسأل عنا وأبلغنا تحية الحاكم العام وترحيبه بنا واستفسر عن راحتنا فشكرنا له هذه العناية .

ولما بلغنا الخرطوم كان من مستقبلينا فضيلة قاضى قضاة السودان الأستاذ المراغى والضابط محمود حافظ رمضان أفندى شقيق الأستاذ حافظ رمضان بك — موفداً لاستقبالنا من قبل الحاكم العام ومرافقتنا مدة إقامتنا بالخرطوم .

وقد نزلنا في فندق (الجرانداوتيل) وكان به كثير من السائحين يملثون غرفه وهكذا نزل السكرتير والباشمهندس في غرفة واحدة .

وبعد الاستراحة في الفندق ذهبت في الموعد الذى حدد لى لزيارة ونجت باشا في سراى الحكومة فاستقبلنى بالترحاب وهو صديق قديم لى . وقد أبلغته سلام الخديو فسألنى عن سموه وأعرب عن شكره له ، كما أننى شكرته على اهتمامه بالسؤال عنى في الطريق .

ثم تبادلنا الحديث في موضوع سياحتى ومشاهداتى في رحلتى وغير ذلك من الشئون ، وأبلغنى أنه على استعداد للأمر بعمل كل التسهيلات اللازمة لى مدة إقامتى . وقبل انصرافى قال لى إن قاعة الاستقبال هذه ينقصها صورة الخديو فوعده بتبليغ ذلك مع التأكد بأنها سترسل له عقب وصولى إلى القاهرة .

بعد ذلك ، وفي اليوم التالى ، بدأت بزيارة صاحب الفضيلة قاضى قضاة السودان فى دار المحكمة الشرعية فاستقبلنى بالحفاوة وأجلسنى بجانبه ؛ وكان هناك أحد كبار الانجايين فعرفتى به وهو المستر كارتر السكرتير القضائى وأخذ مجلسه فى الجانب الآخر ، وجاءت القهوة وكانت المنضدة الصغيرة أقرب لفضيلة الأستاذ من المستر كارتر فلما أراد المستر كارتر وضع فنجان له لم يتحرك الأستاذ المراغى بل أمر الخادم فى وقار بتقريب المنضدة ، فأكبرت هذا المظهر المشرف لفضيلته وأدركت أنه يقدر مكانته حقاً ويحافظ

على كرامته وكرامة الشرع ومن تلك اللحظة امتلأت نفسى بالميل إليه وزاد قدره في نظرى .

وقد زرت بعد ذلك رؤساء المصالح مبتدئاً بالمستر كارتر وبناء على توصية الحاكم العام زرت كلية غوردون فاستقبلنى فيها مدير المعارف وهدايت بك ناظر الكلية ومفتش المعارف والأساتذة فطفنا حجر التدريس والمعمل الكيماوى ، وهى فى حالة بدائية .

وفى ٨ منه زرت القائمقام كندى بك مدير مصلحة الأشغال بالسودان وتحادثت معه فى شأن إتمام الجامع الذى زرتة مع باشمهندس الديوان الذى تبين من المعاينة أن بعض الأعمال الداخلة فى المبلغ المطلوب لإتمام المسجد قد تمت بالفعل وبعضها لا لزوم له والآخر فى حاجة للتعديل .

وبعد المناقشة مع رجال الحكومة تم الاتفاق على عمل مقايضة جديدة بالمطلوب من الأعمال وأخذ الباشمهندس فى إعدادها على أساس دفتر أثمان البناء وأدواته لحكومة السودان وقد حصلنا عليه لتعمل بعد ذلك مناقضة ويعهد بالعمل إلى أحد المقاولين ، وقد خصص مهندس لمراقبة العمل ، وقد تم بناء المسجد على حساب الديوان .

أما مسألة الأوقاف فقد علمت من فضيلة الشيخ المراغى أنه قد بحثها مع الحاكم العام وتشكلت لها لجنة من فضيلته ومن بعض الضباط ، وانتهت بحصر أعيان وقف الجامع القديم الذى اتضح عدم وجود حجج لها ولا يعرف من شروطها شئ . ولا يعرف على أى شئ هى موقوفة ، ولكن علم بالسماع وجود أوقاف وأنها كذا وكذا ، فحصل اتفاق على تسجيلها وعلى أن تكون للجامع وللشعائر الدينية واستبدال الأجزاء المأخوذة منها للنفقة العامة بأراض جيدة فى المدينة بغير غبن على جهة الوقف ؛ لهذا فضلت عدم التكلم فى شأنها ، ولكننى بحثت مسألة النظر على هذه الأوقاف فعلمت أن فضيلته فضل أن يؤول إليه فى أول الأمر فاطمأنيت لذلك .

ولقد صادفت من حكومة السودان كل حفاوة وتسهيل لمهمتى ، وعلى الأخص من السردار ونجت باشا إذ أخطر كل الجهات التى زرتها للاحتفاء بى ودعائى للعشاء مع الجنرال هاملتون .

وقد صادف أثناء وجودى فى الخرطوم إقامة حفلة سنوية يقيمها الانجليز فدعيت إليها ، وقد لفت نظرى أنه لم يكن هناك مطربش غيرى وسعادة شقير باشا .

كذلك أقام الضباط المصريون حفلة شاي احتفاء بنا في ناديتهم لاقينا فيها من الحفاوة والاكرام ما أثلج صدورنا وجعلنا نشعر بما بين المصريين من روابط المودة المتينة .

وقد نظمت لنا رحلة من الخرطوم إلى أم درمان على زورق من زوارق الحكومة السودانية ، فزرنا هذه المدينة القديمة وشاهدنا فيها آثار الحرب التي خربت كثيراً من مبانيها ودورها . ومن أروع ما يشاهد في هذه الرحلة خط التقاء النيلين ، الأبيض والأزرق ؛ ولون الماء فيهما هو سبب هذه التسمية . ويمتد هذا الخط واضحاً إلى أكثر من كيلو مترين قبل أن يتم امتزاج المياه ، وكانت هذه الزهرة جميلة جداً .

وعدنا في ٩ منه فبلغت القاهرة في ١٦ منه ورفعت تقريراً عن الرحلة إلى الخديو .

الخطوة الثالثة في اصلاح الأزهر .

قانون الأزهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في أيام ٧ و ٦ و ٩ أبريل الذي قامت بوضعه لجنة برئاسة فتحى زغلول باشا وكيل الحقانية ، وكان أظهر الأعضاء المعارضين لبعض مواد هذا القانون اسماعيل أباطه باشا وعلى شعراوى باشا وفتح الله بركات بك .

وقد كان موضع الاعتراض هو المادة ١١ ، التي تقضى بأن الخديو له الحق في رئاسة مجلس الأزهر الأعلى عند الاقتضاء ، والمادة ٢٣ ، التي تقضى بأن يختار الخديو رئيس الأزهر من بين هيئة كبار العلماء .

وكانت حجة المعارضين للمادة ١١ ، أنها تنقص من حرية الأعضاء في المناقشة كما أن فيها مضیعة لوقت الخديو في نظر المسائل الجزئية والاشتغال بها عن المسائل العامة ، وكانت حجتهم في معارضة المادة ٢٣ ، أنها لا تترك حرية اختيار الشيخ هيئة كبار العلماء وهم أعرف بأنفسهم .

وقد انتهت المسألة باقرار هاتين المادتين بحكم الأغلبية .

تنفيذ قانون الأزهر الجديد : سبقت الإشارة إلى عرض قانون الأزهر الجديد رقم ١٠ لسنة ١٩١١ على مجلس شورى القوانين ، وقد صدر به الأمر الخديوى في ١٢ أبريل .

وفي ٤ يونيو عقد مجلس الأزهر الأعلى بحسب هذا النظام الجديد برئاسة الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع وحضور الشيخ بكرى عاشور الصديق المفتى والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل الحقانية

وأحمد ذهني باشا ناظر مدرسة المهندسخانة وكنت عضواً فيه باعتباري مدير ديوان الأوقاف .

وقد سألتني أحمد فتحى زغلول باشا عما إذا كان ديوان الأوقاف يسمح بتقديم ما تدعو إليه الحاجة من المال لتنفيذ النظام الجديد فأجبت به بأن سمو الخديو قد أمر بوضع مبلغ ثلاثة آلاف جنيه تحت تصرف المجلس الأعلى للأزهر للاتفاق منه حتى نهاية هذه السنة .

ثم قرر المجلس سريان القانون الجديد على جميع المعاهد إلا فيما يتعلق بالمنهاج ، فقرر ألا يسرى إلا على الطلبة الجدد من بدء العام القادم .

رأى الخديو وغورست في المعارضة في مجلس شورى القوانين . وقد كانت هذه المناوشات سبباً في ازدياد نشاط المعارضة والحركة الديموقراطية العامة مما دعا إلى اهتمام الخديو بها ، فقد كان مسافراً لاسكندرية في يوم ٢٦ أبريل وقابله للوداع أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية فألقى عليهم خطبة جاء فيها :

رأى الخديو في المعارضة : « أتأسف أن بعض الأعضاء قد اشتغلوا بسفاسف الأمور والشخصيات التي جعلوها في شكل عموميات ، أكثر من اشتغالهم بالأمور الهامة العائدة على البلاد بالخير .

« إننى هنا منذ سنة ١٨٩٢ ولم يحصل ولم أسمع أن واحداً من حضرات أعضاء المجلس أو الجمعية طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً .

« والواقع أن كثيراً من أعضاء المجلس قد طالت خدمته فيه وأدوا خدمات جمة للحكومة والأمة ثم خرجوا منه ، وبعضهم توفى ، ولم ينالوا رتبة سامية .

« قلت : إننى منذ الثمانية وعشرين عاماً التي انقضت على المجلس لم أسمع أن واحداً من أعضائه طلب لنفسه رتبة أو نيشاناً ، ولكنى في هذا العام سمعت أن بعضكم سعى للحصول على رتبة سامية وغضب على نيشان مطلوب له .

« بل سمعت أن هذا الشخص قال أمس على مسمع من كثيرين إنه قد طلب له نيشان ورفضه ؛ ولكن كلامه هذا ناقص ، وكنت أحب أن يكمله وأن يكون صاحب مبدأ صحيح في رفض هذا النيشان وصاحب المبدأ يجب أن يتخذه أساساً في حياته ، فلا يقبل الرتبة قبل ٢٤ شهراً ، ثم يرفض النيشان الآن ، لأنه نيشان لا رتبة سامية ! »

وقد تحدث سموه يوم ١٣ مايو مع رئيس تحرير جريدة إيجبت فعاد لهذا الموضوع قائلاً إن هذه الحركة الصناعية لا تقلقه لأنه واثق من هدوء الشعب المصرى . وإن الدستور الذى تشده الأمة هو أول من يسعى لتحقيقه لأنه يريحه من الأعباء المثقلة ، ولذلك فهو يمد له باصلاح الشئون الداخلية ، وترقية مستوى الشعب وخبرته . وذكر أن الحرية أسوأ استعمالها مما اضطر الحكومة لبعث قانون المطبوعات .

رأى غورست فى المعارضة : ولم يكن الخديو وحده هو الذى اهتم بالمعارضة ، فإن السير الدون غورست تحدث عنها فى تقريره السنوى الذى ظهر فى ١٠ مايو ، فأشار إلى أن هناك روحاً عدائية ظاهرة فى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لمشروعاته الاصلاحية وللسياسة الانجليزية عامة ، وأن هذين المجلسين أصبحا آلتين فى يد الحزب الوطنى للتهيب والتخريض . واستشهد على ذلك بطلب المجلس والجمعية للحكومة دستورية تامة وحملتهما المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان والعداوة والريية اللتين ظهرتتا فى مشروع قناة السويس إلى أن قال :

« فلا نظارة بطرس باشا ولا نظارة محمد سعيد باشا استطاعتا أن تتوليا قيادة المجلس حتى الآن ، أو أن تنشأ حزباً قوياً للحكومة ، مع أن رجالهما مشهود لهم عند الجمهور بأنهم من أعقل المصريين وأقدرهم ، وكذلك البرنس حسين كامل باشا الذى قطع الأمل ، وعدل عن السعى فى إدخال روح النظام والاعتدال إلى المجلس فى مداولاته ؛ ولما استعفى من رياسته لم يكن من يقبل هذا المنصب الذى لا يعترف لمن فيه بالفضل ، بل كان المصريون يرفضونه واحداً بعد واحد . »

ثم ذكر أن هذه الحالة تدعو للنظر فى اختيار إحدى طريقتين : طريقة حكم مصر بمعاونة نظار من الوطنيين ؛ وطريقة السعى فى تنشيط المجالس النيابية ، لأن الطريقتين أصبحتا متعارضتين ، لا كما كان يحسب أنهما ستسيران معاً بالتعاون . وقد فضل الطريقة الاولى لأن النظار يختارون من أكفأ المصريين ، على حين أن النواب لا ينوبون فى الحقيقة إلا عن فئة البكوات والباشوات الأغنياء ، ولا يستطيعون مقاومة أى تخريض كاذب تصطنعه جماعات قليلة من ذوى الأغراض .

وختم تقريره بأن هناك كثيرين ينتقدون سياسته فى مصر من الانجليز أنفسهم ، وأن هذا الانتقاد منشأه عدم تفهم المهمة الشاقة التى تؤديها السياسة الانجليزية فى مصر ، وأنه إذا كان هناك فريق يعادى هذه السياسة فيها فليس من المستحسن أخذ الجميع بالشدة .

المؤتمر القبطي . سمعنا بفكرة عقد مؤتمر قبطي ، لبحث مطالب الأقباط وشكواهم قبل مقتل بطرس باشا ، وقد أخذ بعض أعيان الطائفة يعمل سراً لعقد هذا المؤتمر ، ويثبت روح السخط بين الأقباط ويصور لهم أنهم مغبونون في الوظائف والحقوق العامة ، وكانت صحيفتا الوطن ومصر تنفخان في هذه الروح .

معارضة بطرس باشا لها : وقد قابلت بطرس باشا وتحدثت معه في أمر هذه الحركة وعواقبها الخطيرة ، وتفريقها للأمة ، فطأنتني بأنه لا خوف منها ، وأنه لا يسمح باستفحالها . وقد كان بالفعل معارضاً لها حتى أرسل إنذاراً للجريدة الوطن بسبب هذه الحركة .

ولما حدثت حادثة اغتياله ، زادت الحركة قوة وبدأ الكثيرون من الأقباط يزيدون على الكتابة في الصحف القبطية ، الشكوى إلى الصحافة الانجليزية .

كلمة الأستاذ واصف بطرس غالى عن العنصرين : ولذلك أخذ اسماعيل أباطه باشا في تأليف لجنة للتوفيق بين الأقباط والمسلمين قبل استفحال الخطر الطائفي ، وكتبت جريدة الريفورم منوهة بهذا المجهود ، فكتب لها واصف غالى كلمة بتاريخ ٢٣ يناير ملخصها أن الوفاق تام بين العنصرين فلا يحتاج إلى لجان ولا مؤتمرات ، وأنه هو شخصياً قد تناسى الحملات التي وجهها بعض الكتاب في الصحف للرحوم والده ، لأنها لا تعبر عن رأى عقلاء الأمة .

وذكر في رسالته أن الخديو قال له بعد مقتل والده : « كما أن الشيء الناصع لا تشوبه شائبة ، فإن عمل المرحوم بطرس باشا مسجل في التاريخ لا يمسح شيء . » وأن شيخ الأزهر قال له في اليوم التالى : « إن ذلك المسيحي عمل من الخير للمسلمين ما لم يقدر على عمله كثير منهم . »

وانتهى من كلمته بقوله : « فهللوا إذن يامعشر المسلمين والأقباط ، لنضم بعضنا إلى بعض كالبنيان المرصوص حتى لا يميز في المستقبل بين مصرى ومصرى ، والعمل جميعاً باخلاص لما فيه خير البلاد . »

انعقاد المؤتمر ومطالبه : وعلى الرغم من جهود عقلاء المسلمين والأقباط فان فكرة عقد المؤتمر القبطي لم تضعف ، وتولى الدعوة إليه مطران أسيوط وجماعة من أعيان الوجه القبلى ، وحدد له يوم ٦ أبريل .

وقد تخوف القائلون بالفكرة من عقده في أسبوط وخشوا من مسلميها أن يلحقوا بهم أذى ، وأرادوا عقده في القاهرة وخصوصاً بعد أن قامت مشاجرة بين المسلمين والأقباط بالقرب من كنيسة أسبوط يوم ٤ أبريل . ثم عادوا فطلبوا الترخيص بعقده في أسبوط ، وبعد أن تأكدت الحكومة من المحافظة على الأمن عند انعقاده رخصت بعقده .

وقد خطب فيه : توفيق دوس بك ومرقس حنا افندى وأخنوخ فانوس المحامى . وتلخص المطالب التي انتهى إليها في طلب العطلة يوم الأحد بجانب الجمعة ، وأن تكون القاعدة للتوظيف هي الكفاءة وحدها ، ووضع نظام لمجالس المديريات يكفل للأقباط تمتعهم بالتعليم ، حتى لا يقتصر التعليم على الدين الاسلامى وحده ، ووضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصرى في المجالس النيابية .

المؤتمر المصرى ومباحثه . أحدث مؤتمر الأقباط ثغرة في الأمة ، وتنافراً بين العنصرين وأخذت صحف الفريقين تتناذب تنازداً خطراً .

لذلك رأى جماعة من عقلاء الأمة تلافى هذه الحالة باجتماع مؤتمر مصرى ، يبحث في شئون المصريين جميعاً بما فيها مطالب الأقباط باعتبارهم جزءاً من وحدة الأمة . ورأس هذه الحركة رياض باشا فنسبت الأمة أخطاه السياسية والنفت قلوبها حوله .

وقد اجتمع المجلس لأول مرة يوم ٢٩ أبريل بواحة عين شمس بفندق « الهليوبوليس » وحضره نحو خمسة آلاف من جميع المديريات والطبقات .

وافتحه رياض باشا بخطبة جاء فيها :

« دعوناكم وفيكم صفوة الكتاب والمفكرين لتتشاوروا في بعض المسائل العمومية الشاغلة للرأى العام في الحالة الحاضرة .

« ومن بين هذه المسائل مسألة ما كنا نود لها وجوداً وهي ما يسمونه بمطالب الأقباط ، لأن حالة البلاد لا تسمح بتقسيم المصالح بين أبنائها تبعاً لانقساماتهم الدينية . « وسنعرض عليكم موضوعات أخرى أدبية واقتصادية لتقرروا فيها الوسائط التي تساعد على رقى حالة التعليم ونمو الثروة العمومية ، وإنى لا أشك في أنكم ستحكون في مداولتكم ورغباتكم روح العدل والميل إلى تأييد الروابط الوطنية بينكم وبين سائر

إخواننا وأبنائنا من أبناء الديانات الأخرى ، إلا أن ذلك لا يمنعني من أن أوصيكم بأن تراعوا في مباحثاتكم وطلباتكم فوق روح العدل والانصاف ، روح التسامح والانعطاف ، الذي عرفت به ديانتنا السمحاء .

ثم تلاه احمد لطفي السيد بك فألقى تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر .

وعقدت الجلسة الثانية بعد الظهر فخطب فيها الدكتور ، أباتا باشا ، خطبة موضوعها ، إن عناصر الجنس المصرى كلها من أصل واحد .

وخطب بعده محمود أبو النصر في موضوع ، عطلة يوم الأحد ، وبعده محمد حافظ رمضان بك في ، العوامل الاجتماعية للحركة القبطية .

وفي ٣٠ أبريل عقدت الجلسة الثالثة وخطب فيها احمد عبد اللطيف بك المسكباتي عن ، الأقلية والمجالس النيابية ، ثم الشيخ عبد العزيز جاويش في ، جعل الخزانة المصرية مصدراً للانفاق على جميع المرافق المصرية بالسواء ، و ابراهيم الهلباوى بك في ، إسناد الوظائف للكفاء .

وفي ٢ مايو انعقدت الجلسة الرابعة والخامسة وخطب محمد أبو شادى بك والشيخ على يوسف عن ، التعليم في مصر ، وعلى الشمسى افندى في ، التعليم العملى ، و ابراهيم رمزى بك عن ، الصناعة في مصر ، وعبد الخالق مذكور باشا عن ، وسائل ترقية التجارة والصناعة ، وعمر لطفي بك في ، التعاون المالى والنقابات الزراعية .

وفي ٤ مايو عقد المؤتمر جلسته السادسة الأخيرة ، وكتب مذكرة عن المسألة القبطية تلخص في أن المؤتمر لا يرى إمكان قسمة الحقوق السياسية في مصر بين طوائفها الدينية المختلفة ، وأنه ليس من حقوق أبناء أى طائفة دينية أخرى أن تطلب عطلة يوم الأحد أو غيره من الأيام ، وأن تظل العطلة الرسمية هى يوم الجمعة فقط . وأن قاعدة التعيين في وظائف الحكومة هى الكفاءة من جميع وجوها عملية وإدارية وأخلاقية معاً . وأنه لا يرى تعديل قانون الانتخاب بما يجعل لكل طائفة دينية مصرية دائرة انتخابية خاصة . وعدم الموافقة على إعطاء كل طائفة من طوائف الأمة المصرية ما يجيبه منها مجالس المديرىات لتنفقه كما تشاء .

وقد وافق على معظم الاقتراحات التى عرضت عليه خاصة بحالة الأمة الاجتماعية والاقتصادية ، كالنشاء بنك وطنى وعقد مؤتمر للتعليم وتأسيس النقابات الزراعية .

مدينت غورست والخديو عن المؤتمرين . تحدث السير الدون غورست في تقريره الذى ظهر يوم ١٠ مايو عن مسألة الخلاف بين المسلمين والأقباط مبتدئاً بجريمة مقتل بطرس باشا وقال : إنه يعتبر الجريمة سياسية وليست طائفية كما كان يعتقد عند وقوعها .

ولكن مسلك الحزب الوطنى مع الوردانى جعل الأقباط يفهمون أن الجريمة طائفية وأدى ذلك إلى كثرة النقاش والجدل على صفحات الصحف والمناظرة بين الفريقين حتى اقتضى الأمر تنفيذ قانون المطبوعات وإنذار بعض الصحف مرة واثنين كالوطن ومصر ؛ وحتى وقعت عدة حوادث بين الأقباط والمسلمين عولجت بمنتهى الحكمة من الحكومة .

ثم أشار إلى مسألة طلب الأقباط لتعليم الدين المسيحى فذكر أن الأمر فى الواقع لم يكن يخلو من فرق فى المعاملة بين الأقباط والمسلمين ، واستصوب إجابة الأقباط إلى ما يرومون على قدر الامكان من هذا القبيل .

ثم عرض لبقية مطالب الأقباط ولا سيما مسألة التوظيف ، وذكر أنها ليست مبنية على أساس وطيد ثم استشهد بجدول لعدد الموظفين المسلمين والأقباط فى كل مصلحة ، واستدل منه على أن عدد الأقباط ورواتبهم يفوقان كثيراً نسبتهم العددية .

حديث الخديو عن المسألة القبطية : وقد تناول سمو الخديو هذه المسألة كذلك فى حديث له مع رئيس تحرير جريدة إيجبت يوم ١٣ مايو فأظهر ارتياحه لأعمال المؤتمر المصرى وما بدا فيه من الهدوء والروية ، ودعا الأقباط إلى البدء بمد يديهم لآخوانهم المسلمين لأنهم بدءوهم بالخصومة .

سفر الخديو للاستانة : عزم سمو الخديو على السفر للخارج فاصدر إرادته إلى رئيس النظار محمد سعيد باشا يوم ١٢ مايو بأن يكون قائمقام خديو مدة غيابه .

وقد أبحر من الاسكندرية يوم ١٥ منه إلى أراضيه بالضلمان وبقى بها حتى يوم ٢٩ منه ، حيث جاءتنا الأخبار بمبارحته لها إلى الاستانة فوصلها أول يونيو .

وقد بقى فى الاستانة مدة أسبوعين وسافر منها يوم ١٦ يونيو إلى قوله فوصلها يوم ١٧ منه فأقام بها يومين ثم غادرها إلى فينا .

وفى أول يوليو غادر النمسا إلى باريس وبقى بها حتى يوم ٢٠ يوليو .

حديث عباس مع مكاتب جريدة الفيجارو بباريس : بينما كان عباس في باريس نشرت جريدة الفيجارو في عددها بتاريخ ٤ يوليو حديثاً معه عن شؤون مصر المادية والأدبية نلخصه فيما يأتي :

قال إن مصر تحملت في السنوات الأخيرة أزمة مالية شديدة غير أنها والله الحمد تخلصت منها بسبب خصوبة أراضيها وجهود مزارعيها .

وأما عن المسائل الأدبية فإن البلاد تطورت تطوراً عظيماً وبعد أن كان المصري لا يهتم بالتعليم فإنه اليوم يجعله من أهم غاياته ؛ ولهذا فإن المدارس تنشأ في أنحاء البلاد وهي غاصة بالطلاب وأن البعثات العلمية إلى أوروبا تزداد انتشاراً .

وأما عن التقدم المادى والأدبى فأتى عند تجوالى فى داخلية البلاد أشعر بأن الأهالى صاروا أكثر تنوراً وانتباهاً عما كانوا عليه عند توليتى العرش فى سنة ١٨٩٢ .

ومن أهم النظم التى وجدت المجالس البلدية التى أعطت الأهالى بعض السلطة لإدارة شؤونهم . ورغبة منهم فى نشر التعليم قررت زيادة الأموال خمسة فى المائة لذلك حتى أصبح الآن التعليم الأولى والابتدائى والزراعى والصناعى عاماً فى جميع أنحاء البلاد . أما الحكومة فأخذت على عاتقها التعليم الثانوى والعالى .

أما عن نوع الحكم فى مصر فقال سموه إنه شخصياً ضد الاستبداد ولكنه يرى وجوب زيادة اشتراك الأمة مع الحكومة فى إدارة شؤون البلاد الآن حتى يتسنى لها الاستعداد للحكم النيابى لأن بلادنا غير بلاد أوروبا .

وقال أيضاً : « وجد بين المصريين بعض المتطرفين الذين أفسدوا ثقة الحكومة فى رزانة الشعب بأن ألحوا بطلب الدستور وسخطوا على الحكومة لرفض طلباتهم وعدوها عدوة للأمة ، فاضطرت الحكومة لإصدار قوانين جديدة ضد الصحافة ، ولكن لم تطبق لأن الأمة لم تسير المتطرفين بل اتخذت طريق الحكمة والاعتدال . » ثم تكلم سموه عن المجالس النيابية فقال « إن العمل فيها سائر على نظام تام والجميع دائبون فى عملهم بجد وليس هناك ما يقال بأن الهدوء فى البلاد معناه ضعف فى وطنية الأمة فإنها لم تكن أكثر قوة عما هى فى الوقت الحاضر . »

« أما بالنسبة للأقباط الذين يظنون أنهم مظلومون بجانب المسلمين فقد قال سموه إنه رغم التجاء الأقباط فى مطالبهم إلى غير حاكمهم الشرعى فإن عطفي عليهم ليس بأقل

من عطفي على المسلمين في وقت ما كما هو شأنى مع كافة الرعايا المصريين على اختلاف دياناتهم وجنسياتهم . ثم أكد أن تسامح المسلمين سائد مع إخوانهم الأقباط . وقد شكر المكاتب لسمو الخديو هذه المعلومات واستأذن في الانصراف .

زيارته لايطاليا وحفاوة ملكها به : وفى ٢١ منه سافر إلى تورينو بايطاليا ومعه عمه الرئيس فؤاد باشا بناء على دعوة ملكها لسموه .

وفى صباح اليوم التالى قصد قصر الكوينجى حيث كان الملك فى استقباله عند أسفل سلم القصر ورافقه إلى حجرة الجلوس التى كانت تنتظره جلالة الملكة فيها .

وفى المساء أقيمت لسموه مأدبة فخمة جلست فيها الملكة فى الصدر وعلى يمينها الخديو وعلى يسارها الرئيس فؤاد وأمامها الملك والبرنيس هيلانه وسعيد ذو الفقار باشا ، وأهدى الملك لسموه صورته فى إطار بديع ، وقد سعيداً ذا الفقار باشا وسام تاج إيطاليا من الدرجة الأولى ، وأنعم بمثل هذا الوسام على رمزى طاهر باشا السرياور . وفى اليوم التالى زار المعرض الايطالى .

ثم برح تورينو مساءً إلى سويسرا يوم ٢٣ منه وقد بقى سموه فى أوربا حتى منتصف أغسطس وعاد إلى مصر فى ٣١ منه .

وفاء رياض باشا رئيس المؤتمر المصرى . توفى مساء يوم ١٧ يونيو مصطفى رياض باشا فى قصره بالاسكندرية فكان لخبر وفاته رنة حزن وأسف عند جميع المصريين ، وقد نقلت جثته يوم ١٨ منه من قصره إلى محطة الرمل ، فى قطار خاص مؤلف من ثلاث عربات وضعت الجثة فى إحداها ، وركب فى الثانية الأميران حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا والقائم مقام الخديوى (محمد سعيد باشا) إذ كان سموه بالاستانة ، وناظر الأشغال والمعارف . وركبت فى الثالثة أسرة الفقيد .

وقد سارت الجثة فى موكب رهيب حتى وضعت فى قطار خاص إلى مصر ، فبلغها حوالى التاسعة مساءً ، فاستقبله فى محطتها على بك صديق وكيل المحافظة وكثير من أعيان المصريين وثلة من رجال البوليس .

ونقلت الجثة إلى حجرة الاستراحة محمولة على أيدي ٣١ بحاراً مصرياً ، وظلت بهذه الغرفة حتى الصباح .

وفى ١٩ منه ازدحمت محطة مصر بالأمراء والنظار والعلماء وكبار الموظفين

والأعيان الذين جاءوا لتشيع الفقيد، وانتشر البوليس في الطرق التي يجتازها، ونسكت الفنادق والأندية الأعلام حداداً عليه، وأغلقت الحكومة دواوينها ومصالحها كذلك.

وعند الساعة العاشرة نقلت الجثة من غرفة الاستراحة ملفوفة بالعلم المصري، ومحمولة على أكف البحارة فوضعت فوق عربة مدفع من مدافع الجيش، وسار المشهد يتقدمه أرباب «الآشائر» فشيوخ المولوية فأورطة السوارى الثالثة وبأيدى بعض فرسانها المزاريق، وبأيدى الآخرين سيوفهم منكسة، فبطارية الطوبجية الثالثة منكسة بنادقها، فتلاميد المدرسة الحربية، فأورطنا البيادة الثالثة والسابعة ومع كل منهما موسيقاها توقع نغمت الحزن، فكبار الضباط العسكريين الذين بالقاهرة من انجليز ومصريين. وتلوهم جميعاً جثة الفقيد تحيط بها ثلة من فرسان البوليس، ووراءها العلماء ثم قائمقام الخديو والبرنسان حسين كامل باشا وعمر طوسون باشا وغيرهم. وصلى على الفقيد في جامع قيسون، ثم دفن في الامام الشافعى.



البرنس عمر طوسون باشا



البرنس حسين كامل باشا

وفي مساء يوم ٢٨ يوليو أقيمت حفلة تأبين للفقيد العظيم في مدفنه، حيث أقيم سرادق ضم عظماء مصر وعلماءها، وكنت أحد الحاضرين بهذه الحفلة.

وقد أبى الفقيد عدد كبير من عظماء مصر وأدبائها منهم محمود فهمى باشا رئيس

الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين واحمد زكى باشا ومحمد حافظ رمضان بك وحافظ ابراهيم بك والشيخ محمد بنخيت وسواهم .

وظلت الصحف تنشر الفصول فى مآثر الفقيه وتاريخه ، والقصائد فى رثائه .

وفاة غورست وتعيين كتشنر . ساءت صحة السير الدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر فقصده إلى لندن يوم ١١ أبريل من هذا العام .

وفى يوم ١٢ يوليو وردت الأخبار البرقية منبئة بوفاته . وقد احتفل هنا بالصلاة على روحه فى الكنيسة الانجليزية ببولاك وحضر هذا الاحتفال احمد حشمت باشا القائم بأعمال نظارة الخارجية المصرية ، بصفته نائباً عن الحكومة المصرية .

تعيين اللورد كتشنر : وفى ١٤ يوليو قرأنا فى البرقيات أن لورد كتشنر عين خلفاً للسير الدون غورست .

وقد كان تعيين كتشنر مثاراً للقلق فى دوائر السراى لأنه رجل عسكري معروف بالشدة من جهة ، ثم هو معروف بعدائه للخديو من جهة أخرى منذ حادثة الحدود ، فارتقبنا أن يكون تعيينه بدء سياسة جديدة غير سياسة الوفاق التى سار عليها السير الدون غورست ، وتوقعنا أن تعود المصادمات بين المعتمد الانجليزى والخديو .

انحياز السياسة الجديدة . ولم تلبث الصحف الانجليزية أن أيدت ما توقعناه . فانه لم يكده يصل إلى مصر يوم ٢٧ سبتمبر حتى كتبت جريدة المورننج بوست تقول : « إن اللورد كتشنر قد عين فى هذا المنصب لأنه من أعظم الذين وضعوا أساس مركزنا فى مصر ، واشتغل فى عمل عظيم رجال الادارة الذين كانوا قبله فيها .

« ولكن كانت النتيجة السقوط فى هاوية من الارتباك والتشويش بسبب سياسة السير الدون غورست ، الذى كان قد أرسل لاتباع سياسة اعترف هو فى تقريره الأخير بخطئها . فهمة اللورد كتشنر أن يقلل هذا الارتباك ؛ ويعيد النظام ، وأن يعود للارهاب مع نشر التمدن ، وإيجاد حكومة جيدة . »

وكتبت جريدة الديلى جرافيك عن صعوبة مهمة اللورد كتشنر تقول :

« إن هذا الشعب ساخط على الدوام وجاحد ومرتكب على ما يعتبره حقاً له ، وهو شعب حرر من رق العبودية ولكنه يعادى المصالح الانجليزية . »

• والذي يجب أن يعرفه المصريون أنه مهما كانت الظروف والأحوال فإنه لا يمكن الرضا عن أمانتهم بالنسبة لمصالحنا العديدة التي ألجأتنا إليها حالة وجودنا في مصر ثلاثين سنة .

• وربما يمكن التفاهم حينما يدرك المصريون الحدود الواجبة في تدبير آمالهم السياسية ، وإن اللورد كتشير حائز . لكل الصفات اللازمة لهذا الحل ، وكتبت صحف انجليزية أخرى مقالات لا تخرج عن هذا المعنى .

ولقد أخذت سياسة كتشير تتضح بعد قدومه مباشرة في اهتمامه بأبسط المسائل وتدخله في كل كبيرة وصغيرة ، وقيامه برحلات في الأقاليم والاتصال بالفلاحين مباشرة ، مما سنأتى على ذكره فيما بعد .

الانعام على بنيشان ايطالى . ورد لى خطاب بتاريخ ٢٩ أغسطس من صاحب السعادة ناظر الخارجية حسين رشدى باشا يعرفنى فيه بأن حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا أنعم على بنيشان ، كورون دى إيتالى ، من الدرجة الثانية وأن الجناب الخديوى أذن لى بقبول هذا النيشان .

وفى ٢٨ أكتوبر ورد لى من سعاده أيضاً خطاب ومعه النيشان وكذلك خطاب آخر من ناظر خارجية إيطاليا بالتهنئة فرددت عليه بالشكر على هذا الانعام .

أعمالى فى ديوانه الأوقاف .

الأوقاف الأهلية : كانت الأعمال الخاصة بالأوقاف الأهلية التى يديرها الديوان منقسمة إلى قسمين منفصلين : أحدهما إدارى يتبع قسم الأوقاف الأهلية والآخر حسابى يتبع قسم الحسابات . فجمعت العملين فى قسم الأوقاف الأهلية تسهيلا للعمل وإنجازهم ومنعاً للمشادة والمجادلة التى كانت تقع أحياناً بين القسمين القائمين بالعمل .

وقد تم فى هذا القسم وضع قاعدة لصرف مرتبات شهرية للمستحقين فى الأوقاف الأهلية على نسبة إيرادهم سداً لحاجتهم الوقتية دون انتظار لآخر السنة فكان فى ذلك راحتهم وتوفر على الديوان كثرة تردهم وإلحاحهم فى الصرف على الحساب طول أوقات السنة .

قسم القضايا : كانت قد شكلت لجنة عليا لفحص أعمال قسم القضايا ووضع النظام اللازم له ؛ ولكن نظراً لما كان متراكماً فى القسم وفى فروعه من القضايا ، اشتغل القسم بتصفية العمل القديم مع الأخذ بأسباب التنظيم على التدريج . وقد ضم إليه قسم المباحث

الحقوقية وقيم العقود لما بين عملهما وعمل القسم من صلة وتجانس . وعدلت طريقة تكليف المحامين في الجهات بالقضايا واستبدلت بها تعيين عدد من المندوبين القضائيين في المأموريات ليتفرغوا لهذا العمل وتكسبهم الصلة المستمرة بأعمال المصلحة علماً أوسع بمشاكله وأسبابها وتفاصيل موضوعات القضايا أكثر من سواهم في الخارج .

قلم التحصيلات : وأنشأت في قسم الإيرادات قلماً جديداً باسم قلم التحصيلات وذلك لما تبينته من حاجة الديوان الشديدة لمراقبة سير التحصيل في الفروع مراقبة فعلية ومن عمل هذا القلم تمديد طريق السداد بالحسنى للتأخيرين دون الالتجاء لدوائر القضاء إلا في الأحوال التي لا تنجح فيها وسائل التراضي .

الاحتياطي للمعاشات : وقد كان المتحصل من احتياطي المعاشات ومكافآت المستخدمين يضم إلى ميزانية إيرادات الديوان مقابل احتساب ما يصرف من ذلك في ميزانية المصروفات العمومية فأبقت أن الاستمرار على هذه الطريقة قد يحمل ميزانية المصروفات ما يؤثر في وجوه الصرف الأخرى . فعمل حساب هذا المتوفر واستبعد من الميزانية العمومية وفتح له حساب خاص واشترى به من أطيان الأوقاف بجهة بيا ما يستثمر لمصلحة الميزانية الخصوصية للمعاشات والمكافآت .

الاشهار في المزايد العلني : وقد كان الاشهار في المزايد يجري بغير تحديد لمواعيد مما يجعل للناس سيلاً دائماً للنافسة والانتقام فينجم عن ذلك الضرر لهم وللديوان ؛ إذ كان يترتب على هذا تأخير أعماله ، فقررنا تعديل بعض أحكام لائحة التأجيلات لتقديم مواعيد البدء في الاشهار وتحديد عدد الجلسات ومواعيدها ، ووضعت الشروط اللازمة لقبول العطاءات بكيفية يضمن معها استقامة العمل وإنجازه في الأوقات المناسبة حتى يحمد الديوان الوقت الكافي لتحرير العقود النهائية مع من يرسو عليهم المزايد وتحقيق الضمانات التي يقدمونها .

تعديل مواعيد الأقساط : ولقد وجدنا الحاجة ماسة لتعديل مواعيد سداد أقساط الإيجارات بما يتفق مع الوضع الجغرافي لكل منطقة في القطر وأوان المحصولات فيها . فكان من نتائج هذا التعديل زيادة ضمان حقوق الديوان .

تحديد مساحة الصيني : ووضعنا كذلك نظاماً نافعاً لتحديد مساحة الأطيان المزروعة صيفاً ، وثقنا معه من زوال كل المشاكل التي كانت تقوم في هذا الشأن .

تطهير المساق والمصارف : وقد لاحظت أن المستأجرين لا يوجهون العناية الواجبة لحفظ الأراضي في حالة مرضية فيهملون تطهير المساق والمصارف الفرعية : فعالجت هذه الحالة بأن قررت قيام الديوان نفسه بهذا العمل على حساب المستأجرين محافظة على خصوبة الأراضي .

المستوصف العباسي : وقد فتح في أوائل سنة ١٩١١ المستوصف العباسي لمعالجة فقراء المصريين بعد أن قام الديوان بالاتفاق على إنشائه ثم قرر مساعدته بأعانة سنوية عندما كانت إدارته في يد جمعية المستشفيات والعيادات المجانية المصرية .

ولما لم توفق الجمعية المذكورة لوجود المساعدة من أهل البر بما يضمن لها نفقات هذا المستوصف كان لابد لديوان الأوقاف من أن يقوم بالاتفاق عليه . فرأينا أن نضمه لإدارة الديوان في سنة ١٩١٢ وتتكفل بكل نفقاته التي أعانته على الاقتصاد فيها تبرع حضرات الأطباء الأفاضل المشتغلين به من مصريين وأوربيين مجاناً خدمة منهم للإنسانية . وأصبح هذا المستشفى في مقدمة المستوصفات في معالجة مرضى الفقراء .

مسجد مصر الجديدة : في ٤ يونيو دعيت لحضور الاحتفال بافتتاح مسجد مصر الجديدة الذي أسسته شركة واحة عين شمس برياسة البرنس حسين كامل باشا ، وكان في المدعوين أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وإسماعيل سري باشا ناظر الأشغال وقاضي مصر وشيخ الجامع الأزهر والمفتي ومستشار الداخلية وإبراهيم فؤاد باشا ويعقوب أرئين باشا .

وابتدأت الحفلة بتلاوة آي القرآن ، ثم وقف بوغوص نوبار باشا فألقى كلمة الشركة بالفرنسية منوهاً فيها بمعاونة الجناب الخديوي للشركة في مشروعها شاكرًا فيها لسموه إنابة سمو البرنس حسين في حفلة الافتتاح ثم عرض لأعمال الشركة في بناء مساكن للعمال وإنشاء ترام سريع ، وتدرج إلى إنشاء هذا المسجد للمسلمين وهم غالبية سكان مصر الجديدة .

ثم تمت فألقيت كلمة بدأتها بشكر الشركة على اهتمامها بتأسيس هذا المسجد على نسق جميل يناسب جمال أبنيتها ، ورجوت أن يعقب ذلك الاهتمام مثله بتأسيس معاهد علمية وصناعية ، حتى تماثل مصر الجديدة عين شمس القديمة في شهرتها ، فيطلع عليها العرفان شمسه ، ويعيد التاريخ نفسه .

ثم نهض البرنس حسين كامل فافتتح المسجد بكلمة سمعها الحاضرون وقوفاً ،
ثم وقع سموه على محضر فتح المسجد ثم أديرت المربطات .
وقد صلينا الجمعة في المسجد الجديد .

أول تقرير عن أعمال الديوان : وفي نهاية العام قدمت للجناب العالى تقريراً
صافياً عن ديوان الأوقاف قالت عنه الصحف إنه الأول من نوعه بالنسبة لهذا
الديوان . وقد ذكرت فيه تاريخ ديوان الأوقاف وأسماء الذين تولوا إدارته من
النظار والمديرين وتواريخ تعيينهم ونهايتهم . ثم شرحت فصول الإيرادات وأبواب
المصروفات بتوسع ودقة في كل ناحية من نواحيه ، وقد كتبت هذا التقرير باللغتين
العربية والفرنسية ووزعته على الصحف ومثلى الدول وكبار الجاليات والموظفين
الأجانب ليتبين الاصلاح الذى وجد فى الديوان وما كان فيه من الداء الذى وصفت
له الدواء بصراحة تامة . ولما تقابلت مع الجناب الخديوى بعدها أبدى لى سروره من
أعمالى وثناؤه على هذا التقرير الجامع الدقيق . وبما جاء فيه :

مولاي

« إننى أشهد لمن سبقنى من المديرين فى الأزمان الأخيرة بجميل الأثر فى إدخال
كثير من النظام على هذه المصلحة . غير أن ما وضعوه لم ينتشر بين الجمهور أمره من
وقت لآخر فاستلمت زمام هذا الديوان وأنا على علم بما يدور على الألسنة وما يتقوله
عليه بعض الناس بوجوه مختلفة ربما كان لهم فيها العذر لعدم وقوفهم على جلية الأمر
ولأنهم يتخيلون فى شأنه بعض الغموض فى حالتيه المالية والإدارية .

« فكان أول ما انصرف إليه همى أن أسعى جهدى فى كشف الأحوال على وجه
يزيل الشك ويجعل الناقد على بينة من أمره فابتدأت برفع مذكرة عن ميزانية الديوان
لعامنا الحاضر يتبين منها أن الحالة المالية موطدة الدعائم على أحسن نظام فضلاً عن
وجود مبلغ من النقود يربو على الثلاثمائة ألف جنيه فى الخزينة .

« وأنا أرفع الآن هذا التقرير الإدارى متكفلاً بشرح نظام الديوان وتوضيح
إدارته وأنوّه فيه بكل صراحة عن مواضع النقص الذى يجب سده وما ينبغى أن يبذل
من المساعى فى سبيل الاصلاح المطلوب له وما أمكن لى فى هذه المدة القصيرة من سبل
البداية فى هذا الطريق . وقد أعددتة للنشر بعد رفعه الى مقامكم العالى فاتحة لأمثاله فى
الأعوام القادمة إن شاء الله .

مولای

« هذا منتهى ما وصلت اليه قدرة العبد الضعيف من الاحاطة بأعمال ديوان الاوقاف وبسط الكلام في توضيحها بعد أن بينت في كل قسم من أقسام هذا التقرير وجوه الآراء والأفكار وما تسنى القيام به من تعديل أو تحوير يؤدي إلى حسن الإدارة ودقة النظام، وأشارت في مواضعه إلى ما انعقدت العزيمة عليه من متابعة السير في تنسيق الوضع وتوفيق العمل على قدر ما هداني إليه البحث في مدة هذا العام الأول.

« ولست أدعى أنني أحطت بكل وجوه البحث والفحص في هذا الزمن القليل ولكنني على رجاء بأن أتلافى في الأعوام المقبلة ما فاتني في هذا العام إن شاء الله. ولا أزعم أنني بلغت منتهى الصواب في علاج ما عاجتته من الأعمال وإنما يمكنني الجزم بأنني بذلت قصارى المجهود. فإن كنت أصبت فهو بعض ما أطالب به نفسي في حسن الخدمة وأداء الواجب، وإن كنت قصرت فما هو عن إهمال أو توان. والله يعلم أنني ما أوردت في عملي ولا أصدرت إلا والاخلاص رائدى وابتغاء وجه المصلحة العامة قائدى. ولذلك رأيت من المصلحة أن أنشره على الملأ بعد عرضه على سادتكم السنية ليتناوب الامعان فيه أهل المعرفة والنظر فأتقبل منهم بالقبول الحسن والشكر الواجب ما يعن لهم من رأى السديد والفكر الصائب مما خفى على أمره وقصرت قدرتي عن بلوغه. فالنصح مقبول والحق متبع؛ وما دامت النية خالصة فالناس في خدمة المصلحة سواء والمعول عليه في إدارة الأمور أن يسترشد فيها برأى أهل الرشد والهدى وإن عز ذلك على أهل الغرض والهوى.

« والله يطيل بقاء مولانا المليك مصدراً لكل خير يفيض على أمته ويهدينا سواء السبيل في وجوه خدمتها وخدمته آمين.

العبد الخاضع

مدير الأوقاف

شفيق

مصر في يوم الأحد ١١ مايو سنة ١٩١١

أكبر أنجال السلطان رساد في مصر لتحية ملك إنجلترا :

وصوله للاسكندرية : في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩ نوفمبر رؤيت الباخرة (عثمانية) التي تقل حضرة صاحب الدولة والنجاسة أحمد ضياء الدين افندى ومن معه ، وما ظهرت في مياه النهر حتى خرجت زوارق كثيرة براكبها إلى البوغاز لاستقبال الزائر العظيم ، وفي الساعة الثالثة دخلت الباخرة الميناء ، وكانت الزوارق تحيطها عن بعد ، والمستقبلون يهتفون هتاف الترحيب والدعاء للسلطان ونجله ، وفي الساعة الرابعة وصل الخديو على زورقه الخاص واعتلى الباخرة ، فاستقبله ضياء الدين افندى وقدم لسموه رجال حاشيته ، وشكره والأمة المصرية وحكومتها لهذه العواطف السكرية . وكان من المستقبلين أيضاً كامل باشا الصدر الأعظم الأسبق ، وبعدهما هناء الجناح العالي واستراح قليلاً نزل هو واحد ضياء الدين افندى وحاشيته ومعهما كامل باشا الصدر الأسبق في الزورق إلى سراى رأس التين ، مارين بين صفوف زوارق المستقبلين من جماهير الأهلين الذين والوا الهتاف حين مرور الزورق ، وعند وصوله إلى رصيف السراى استقبلهم النظار ورجال المعية السنية وفرقة من الجنود المصرية وأخرى انجليزية ، وصدحت الموسيقى الخديوية ، وأطلقت المدافع إجلالاً وترحيباً ، وصعدوا جميعاً إلى السراى وتناولوا طعام العشاء ، وبعد ذلك استقل عباس مع ضيوفه القطار إلى سراى المنتزه لتخصيه الليل .

سفر الخديو والوفد الشاهاني إلى بورسعيد : وفي صبيحة يوم ٢٠ منه تنزه أحمد ضياء الدين افندى برفقة الخديو وشاهد جميع محتويات هذه السراى وأعجب بها ، وبعد تناول طعام الغداء استقلا مع حاشيتهما القطار الخاص من المنتزه قاصدين بورسعيد ؛ وكانت المحطات على طول الخط مزينة بالأعلام ، والجموع محتشدة وهتاف متواصل ، حتى وصل القطار إلى بورسعيد في الساعة الرابعة مساءً . وكان في استقبالها البرنس محمد علي باشا وجناب اللورد كيتشنر والسير رجيندل ونجت سردار الجيش وحاكم السودان والسير جون مكسويل قائد الحامية الانجليزية ومحمد محمود سليمان بك محافظ القنال والحكماء وكثيرون غيرهم من كبار الموظفين والوجوه والأعيان ، وكان في المحطة بلوكان أحدهما بريطاني والآخر مصري ، خيماً سموهما ، وصدحت الموسيقى بالنشيد العثماني والمصري ، وأطلق ٢١ مدفعاً ؛ وقد صافح سمو الخديو

المستقبلين وقدم كثيرين منهم إلى نجل السلطان ثم نزل في رفاص بخارى إلى نخت المحروسة يصحبه الوفد الشاهاني ودولة البرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا رئيس النظار وحسين رشدى باشا ناظر الخارجية .

١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦



٥ ٢ ١ ٣ ٤

(١) ضياء الدين افندى (٢) الخديو (٣) محمد سعيد باشا رئيس النظار (٤) حسين رشدى باشا ناظر الخارجية (٥) جنائى بك مدير تشریفات الباب العالى (٦) محمد صادق باشا ياور أول خديوى (٧) احمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية (٨) احمد بك ياور سلطانى (٩) عارف باشا بالديوان التركى (١٠) محمد عزت باشا رئيس ديوان تركى خديوى ومهندار ضياء الدين افندى (١١) طاهر رمزى سرباور خديوى (١٢) رشيد بك وكيل القيوكتخدائية المصرية بالاسانة (١٣) عونى بك سكرتير الامير (١٤) ثابت بك أتابيجى بائى السلطان .

وتناولوا طعام العشاء على المائدة الخديوية وقضى عباس وضيغه الكريم الليلة في المحروسة .

وصول ملك انجلترا وملكتها إلى بور سعيد : في الساعة الخامسة من مساء يوم ٢٠ منه لاحت مدينة ، في عرض البحر بين المدرعات التي تخفها ، ولما وصلت الميناء تشرف اللورد كتشنر بمقابلة جلالتهما .

استقبالها : وفي صباح ٢١ منه أعلن تشریف جلالة الملك والملكة رسميا ؛ فأطلقت المدافع واصطففت الجنود المصرية والانجليزية لأخذ السلام وعزفت الموسيقى . وفي الساعة العاشرة والنصف نزل الخديو وضياء الدين افندى وجنائى افندى مدير تشریفات الباب العالى والبرنس محمد علي باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا

وسعيد ذو الفقار باشا السرتشريفاتى ورمزى طاهر باشا السرباور ووطن باشا الياور الخديوى وجميعهم بالملابس العسكرية فى زورق بخارى وصعدوا إلى الباخرة مدينة ، فحيتهم موسيقاها بالسلام الخديوى أولاً ، وبالسلام السلطانى ثانياً ، وبعد التعارف أبلغ ضياء الدين افندى إلى جلالة الملك تحية جلالة والده السلطان ، ثم قدم له مكتوباً رقيقاً منه .

زيارة الملك للخديوى وللأمير ضياء الدين افندى : بعد أن تمت المقابلات بكبار الانجليز وقناصل الدول برح جلالة الملك يخته قاصداً المحروسة . فأدت البحارة السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد الملكى . وكان فى استقباله الخديوى وضياء الدين افندى والبرنس محمد على باشا وكبار الحاشية ، فصافح الخديوى وضياء الدين افندى ، ثم جلسوا فى بهو الاستقبال وتبادلوا الحديث برهة من الزمن ، وبعد ذلك عاد الملك بزورقه الى يخته .

وفى ظهر هذا اليوم تناول طعام الغداء مع الملك والملكة الخديوى والأمير وجنائى بك والبرنس محمد على ورئيس النظار وناظر الخارجية وكبار الحاشية وكتشترى وونجت ومكسويل وكذلك المستشاران للمالية والداخلية وقناصل الدول . وبعد تناول الطعام والقهوة دار الحديث بصفة ودية بين الملك والملكة وضيوفهما ، وقد اختلى الملك مع كامل باشا ، ثم ودع جلالتهما الجميع ، ورجع الخديوى وضياء الدين افندى ومن معهما إلى المحروسة .

عود الخديوى وضيوفه إلى القاهرة : بعد تناول طعام العشاء يوم ٢١ منه بارح الجميع بورسعيد على القطار الخاص بصفة غير رسمية الساعة ١١ مساء فوصلوا إلى سراى القبة فى صباح اليوم التالى ، وزيادة فى الحفاوة بضياء الدين افندى لم يشأ عباس أن يجعل إقامة دولته فى الأيام القصيرة التى يقضها بعيداً عنه ، فخصص له جناحاً فى سراى القبة مزيناً بالرياش الثمينة الفخمة يرافقه ثابت بك أثوابى باشى السلطان ، وقد اهتمت دولة الوالدة بتنظيم غرفة نومه وكانت ذلك بوجود محمد عزت باشا وزميله محسن بك فوزى . وقد علمت من الأخير أن الفراش كان فى غاية الأبهة وأن الغطاء كان مشغولاً بالقصب الحرّ محلى باللؤلؤ ، وقيل إن هذا الغطاء كان لسمو الوالدة فى عرسها .

سفر جلالة الملك : فى فجر الأربعاء ٢٢ منه تحرك اليخت الملكى ليجتاز القنال تتقدمه وتتبعه سفن الأسطول المسافرة فى حراسته وأطلقت المدافع عند حركة اليخت .

الانعام بنيشان على الأمير : وفي الساعة الخامسة مساء منه توجه جناب اللورد كتشنر إلى سراى القبة وقلد دولة ضياء الدين افندى نيشان فكتوريا من الدرجة الأولى ، المهدي اليه من جلالة الملك .

زيارات للأمير : في ٢٣ منه توجه الأمير والخديو وحاشيتهما إلى الأهرام لمشاهدة الآثار وتناول طعام الغداء في الكشك الخصوصي ، وفي مساء هذا اليوم أقام له عباس مأدبة الوداع في سراى عابدين حضرها بعض أفراد العائلة الخديوية وكامل باشا واللورد كتشنر والنظار ونائب القومسيير العثماني وكبار موظفي المعية وغيرهم .

وفي ٢٤ منه زار سموه برفقة المهندار مساجد آل البيت الشهيرة وجامع محمد علي والرفاعي والسلطان حسن ودار الكتب ودار الآثار العربية ودار الآثار المصرية . وفي نفس هذا اليوم أقامت صاحبة الدولة والعصمة والدة الخديو مأدبة في سرايها بقصر الدوبارة إكراما لسمو الأمير ومن معه .

سفر الخديو والأمير للاسكندرية : وفي يوم ٢٥ منه بعد الظهر ركب سمو الأمير والخديو وحاشيتهما القطار الخصوصي إلى الاسكندرية فوصلها الساعة ٥ مساء ثم نزل الجميع إلى نىخت المحروسة .

سفر الوفد الشاهاني للاستانة : وفي فجر ٢٦ منه أبحرت المحروسة بالوفد العثماني بعد أن ودع عباس ضياء الدين افندى وحاشيته ، وسافر بمعية الأمير من قبل الجناب العالي حضرات محمد عزت باشا ومحمود بك صادق من رجال المعية ورشيد بك من موظفي الخاصة الخديوية وعارف بك وكيل الديوان التركي الخديوى .

إهداء السلطان صورته لعباس : كان لما لقيه صاحب الدولة ضياء الدين افندى من حفاوة الخديو واهتمامه بتوفير وسائل راحته وسروره أثر عظيم في نفس السلطان محمد الخامس ، لذلك أراد أن يعرب عما كان لصنيع ملك مصر مع أكبر أنجاله من حسن الوقع وجميل الأثر لدى جلالاته فتفضل باهداء صورته الفوتوغرافية لسموه ، وقد ازدانت هذه الصورة الكريمة باسم جلالاته مرقوماً بالألماس على الطراز الكوفي الجليل وهي موضوعة في إطار بديع الصنع ويعلوه التاج الشاهاني من الألماس والياقوت .

أثر الهدية في نفس عباس : قد قابل الخديو هذه العلامة الأبوية بما يليق بمقام

جلالة المتبوع من الاجلال والاحترام ورفع لسدته آيات الشكر ان على هذه العواطف الكبرى وتلك الرعاية العلية العظمى .

وأذكر أن ثابت بك أثوابجى باشى السلطان قام بمساع لزواج ضياء الدين افندى من إحدى كريمات الخديو ولكنها لم تنجح لوجود ذرية من محظية له .

وأذكر أيضاً أنى لما تشرفت بمقابلة السلطان رشاد عقب تأليف صدارة الغازى مختار باشا الائتلافية تبادلنا الحديث أولاً عن عباس فأظهر محبته له وسأل عن صحته . ثم انتقلنا الى الكلام عن تأليف الصدارة الجديدة فسألنى السلطان عن رأى وما يقوله المصريون فيها ، فهنأته وقلت إننا نحن المصريين مسرورون من تشكيلها لأنها تضم اليها نخبة من الصدور الأقدمين ومن بينهم كامل باشا وإننا نسأل المولى التوفيق لهذه الصدارة فى خدمة البلاد ، قال جلالتـه : « أنا أعلم أن المصريين مخلصون لنا ، وبعدها نطق بالآية الآتية نطقاً تركيا : « إنما المؤمنون إخوة » ، وأخيراً التفت إلى ثابت بك الذى كان واقفاً بجانبه وقال : « ما رأيك أنت يا ثابت بك؟ » فأكثر من المديح والثناء فى حكمة الخليفة فى هذا الاختيار .

فظهر لى أن السلطان رشاد يعتمد على أراء ثابت بك حتى فى المسائل السياسية !

الحرب الطرابلسية . موقف مصر منها . البرنس فؤاد . تدخل الخديو .
محادثة مع سفير إنجلترا بالأستانة . الخديو والحزب الوطني المؤامرة على حياة
الخديو وكنتسرة محمد سعيد . انهماج محمد فريد بك للخديو . محاكمة الشيخ جاديش .
استقالة سعد باشا وقضيه مع اسماعيل أباظه باشا . كنتسرة في مصر . تعلية
خزانه أسوان . بيني وبين الشيخ علي يوسف . أعمال في ديوانه الأوقاف .

الحرب الطرابلسية . منذ زمن كانت إيطاليا تفكر في استعمار طرابلس عند
سنوح الفرصة، فلما أرسلت الدولة العلية بعض النقالات العسكرية إلى طرابلس أسرع
إيطاليا بإرسال إنذار نهائي بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ هذا نصه (*) :

ما انفكت الحكومة الإيطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد
لسوء النظام وإهمال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي، وبوجوب تمتيع هذه البلاد
بما تتمتع به سائر أقسام إفريقيا الشمالية وهذا التغيير (المشار إليه من حيث تأييد الأمن
وترقية البلاد) الذي يقتضيه التمدن يجعل المصالح الحيوية بحسب ما تستلزمه مصلحة
إيطاليا من أول درجة بالنظر لقصر المسافة الفاصلة بين تلك البلاد وشواطئ إيطاليا .

وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الإيطالية التي كانت دائماً موالية وعاضدة
لتركيا في كثير من المسائل السياسية في العهد الأخير وبالرغم من اعتدالها وصبرها
حتى الآن، كانت الحكومة العثمانية تجهل رغباتها في طرابلس، وليس ذلك فقط بل إن جميع
مشروعات الطلبان في تلك الأصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مطردة لا تحتمل .

(*) ولو أن الحرب الطرابلسية بدأت في آخر سبتمبر من السنة الماضية إلا أننا فضلنا وضعها في هذه
السنة حتى يسهل على القراء الاطاحة بباقي الحوادث التي حصلت فيها .

فالحكومة السلطانية التي كانت حتى الآن تبدى عداء دائماً نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي، وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة).

أقترحت على الحكومة الملكية (الطليانية) أن تفاهم معها وأعلنت أنها ميالة أن تمنح أى امتياز اقتصادى يتفق مع المعاهدات النافذة ومع شرف تركيا الأعلى ومصالحها، ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الآن بأنها فى أحوال موافقة للدخول فى المفاوضات بهذا الموضوع، المفاوضات التي برهن الاختبار الماضى على عدم نفعها وهي لا تشتمل على ضمان للمستقبل ولا تكون إلا سبباً للاحتكاك والنزاع.

ومن جهة أخرى فقد وردت الأخبار إلى الحكومة الملكية من قنصلها فى طرابلس وبنغازي تفيد أن الحالة هناك خطيرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان، التحريض الذى زاده الضباط وسائر موظفى الحكومة؛ فهذا التهييج خطر شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الأجانب على اختلاف جنسياتهم. ولما أصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرون البلاد بلا إبطاء، ووصول النقلات العسكرية العثمانية إلى طرابلس زاد الحالة خطراً وحرجاً مع أن الحكومة الملكية نهبت الحكومة العثمانية إلى نتائج السيئة من قبل. ولهذا تضطر الحكومة الملكية أن تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعاً للخطر الناجم منه.

ولما وجدت الحكومة الإيطالية نفسها مضطرة إلى الحرص على شرفها ومصالحها قررت أن تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً. هذا هو الحل الوحيد الذى تعول عليه إيطاليا، والحكومة الملكية تنتظر أن الحكومة السلطانية تصدر أوامرها حتى لا تصادف إيطاليا فى الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية، وألا تجد صعوبة فى إنفاذ ما تريد إنفاذه، وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة التي تلى ذلك الاحتلال.

وقد صدرت الأوامر للسفير الإيطالى فى الاستانة أن يلتمس جواباً حازماً فى هذه المسألة من الحكومة العثمانية فى ٢٤ ساعة منذ تسليمه هذا البلاغ حتى إذا لم تجاوب عليه كانت الحكومة الإيطالية مضطرة أن تنفذ المشروعات المدبرة لضمان الاحتلال. ونرجو أن يبلغ جواب الباب العالى المنتظر فى ٢٤ ساعة لنا عن يد السفير

الامضاء

سان جوليانو

العثماني فى رومه .

جواب الباب العالى على إنذار إيطاليا : تعرف السفارة الملكية كل المعرفة الظروف التى لم تسمح لطرابلس وبنغازى بأن تتقدم التقدم الموقر . ودرس المسألة بنزاهة عن الأغراض يكفى فى الحقيقة لأن يثبت أن الحكومة الدستورية العثمانية لا يجوز اتهامها بحالة هى نتيجة الحكم الماضى . فاذا ظهر ذلك وعدنا إلى تاريخ حوادث السنين الثلاث التى مرت ، يعجز الباب العالى أن يجد ظرفاً واحداً مفرداً ظهر فيه بمظهر العدوان للشروعات الطليانية فى طرابلس الغرب وبنغازى ، بل إنه يجد عكس ذلك أى إن إيطاليا كانت تساعد بما لها ونشاطها الصناعى على إنهاض ذلك الشطر من السلطنة اقتصادياً .

وتعتقد الحكومة السلطانية أنها أظهرت دائماً ميلاً حسناً إلى كل مقترحات كانت تقدم لها بهذا المعنى ، بل إنها درست وحلت ودياً كل طلب طلبته السفارة الملكية . ولا حاجة بنا إلى أن نزيد أنها كانت بذلك تنقاد دائماً لأرادتها فى أن تحفظ صلات الصداقة والثقة مع حكومة إيطاليا وفى أن تنمىها . وهذه الإرادة الحسنة هى التى دفعها مؤخراً إلى أن تقترح على السفارة الملكية اتفاقاً يكون أساسه الامتيازات الاقتصادية التى تفتح مجالا واسعا للنشاط الطليانى فى تلك الأقاليم ، على شرط أن يكون حد تلك الامتيازات كرامة السلطنة ومراقبتها والمعاهدات النافذة .

بهذا برهنت الحكومة العثمانية على ميولها السلبية دون أن يغيب عنها حفظ العهود التى تربطها بالدول الأخرى ، تلك العهود التى لا يمكن أن يسقط شرط منها بارادة فريق من المتعاقدين .

أما ما يختص بالنظام والأمن فى طرابلس وبنغازى فإن الحكومة العثمانية القادرة جيداً على تقويم الحالة لا يمكنها إلا أن تؤكد كما فعلت سابقاً أنه لا يوجد أقل سبب داع للخوف على الطليان والأجانب النازلين هناك .

ففى تلك الأقاليم لا يوجد اضطراب ولا تهيج ، ومهمة الضباط وغيرهم من موظفى الحكومة ضبط الأمن وهم يقومون بمهمتهم خير قيام .

أما وصول النقالات العسكرية العثمانية إلى طرابلس ، المتسكة به السفارة لأنها تتوقع منه نتائج خطيرة ، فجواب الباب العالى عليه أنه لم يرسل سوى نقالة واحدة سافرت قبل وصول مذكرة ٢٦ سبتمبر بيضعة أيام ، وزد على هذا أن تلك النقالة لا تحمل جنوداً فلا يمكن أن يكون لوصولها تأثير على أفكار الأهالى غير تأثير الهدوء .

فاذا تبين ذلك لا يبقى إلا عدم وجود الضمانة التي تضمن للحكومة الطليانية توسع مصالحها الاقتصادية في طرابلس وبنغازى، فاذا كانت الحكومة الملكية لا تعتمد إلى عمل خطير كالاحتلال العسكرى فان الباب العالى عاقد النية على إزالة هذا الخلاف والحكومة الساطانية تطلب من الحكومة الملكية أن تبين لها نوع الضمانات المطلوبة، فهى توافق عليها إذا لم تمس الأملاك، وهى تتعهد ألا تغير شيئاً من الحالة الحاضرة أثناء المفاوضات، من حيث الهيئة العسكرية في طرابلس وبنغازى، ولها الأمل أن الحكومة الملكية توافق الباب العالى على أمياله الحسنة.

الاستانة في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١

استغاثة السلطان بملوك أوروبا : وقد استغاث السلطان بملوك أوروبا، فرد ملك الانجليز معرباً عن أسفه لعدم استطاعته التدخل، وأجاب أمبراطور ألمانيا بأنه أصدر تعليمات لسفيره ليتوسط في الأمر؛ ولكن انفراد ألمانيا جعل وساطتها غير مجدية.

موقف مصر منها . وقد كان موقف مصر الرسمي من هذه الحرب هو موقف الحياد حسب إشارة إنجلترا، وقد أبدل بالمأمورين المصريين في الحدود الغربية انجليز، ومنع أهالى المغرب من الدخول للأراضى المصرية، وأعدت الزوارق التابعة لمصلحة خفر السواحل لمراقبة الحدود الغربية والشرقية حتى قطعت التجارة الطرابلسية المصرية وردت كل قافلة تجارية آتية من تلك البلاد.

أما موقف الشعب المصرى فكان موقف المعاضد لتركيا فشككت اللجان بكثير من أنحاء البلاد لجمع التبرعات للدولة العلية، ففي ١٤ أكتوبر سنة ١٩١١ شكلت لجنة عليا برياسة الأمير عمر طوسن، وبلغت قائمة التبرعات الأولى ١٦٩٢ جنيتها والثانية ٣١٣٧ جنيتها ثم توالى التبرعات من جميع النواحي حتى بلغت فى أول يناير مبلغ ٨٥٤٦٨ جنيتها، أخذت تزداد كل يوم.

وتألفت جمعية الهلال الأحمر برياسة الشيخ على يوسف وقررت تأليف عدة مستشفيات ميدان، وسافرت البعثة الأولى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩١١، كما سافرت ثلاث بعثات يوم ١٤ ديسمبر، وتوالى البعثات الطبية.

وفى ١٨ يناير سنة ١٩١٢ أعدت سوق خيرية فى حديقة الأزبكية لقبول تبرعات المتبرعين للهلال الأحمر تحت رعاية دولة الوالدة، وضربت عليها السراقات والزينات

البديعة وعرضت في السوق معروضات من بعض المحال التجارية وخصصت أرباحها للجمعية . وقد توالى التبرعات بالحلى والجواهر والأواني الفضية والذهبية من أميرات البيت الحديوى وحرم الكبراء والعظماء وسواهم .

مظاهرات الأهالى : وقد كان الشعور لدى الأهالى بالغاً حد الانتباه لكل حركات الحرب وتفصيلاتها ، ووردت الأنباء مبدئياً بانتصار الأتراك . فقامت مظاهرة ابتهاج فى الاسكندرية ، فعز ذلك على الجالية الايطالية فيها فاشتبكت مع المتظاهرين وأطلق بعضهم عيارات نارية أصابت المصريين وانتهى الحادث قبل استفحاله .

مجهودات عزيز المصرى بك والأستاذ عبد الرحمن عزام : وقد اشترك فى هذه الحرب من المصريين عزيز المصرى بك ، وكان قائداً فى بنغازى ؛ والأستاذ عبد الرحمن عزام ، وكانت لهما جهود كبيرة فى تأليف الجيوش والجهاد .

كتشنر وسياسته مع المصريين : فى أوائل هذه الحرب ذهب وفد من كبار المسلمين إلى اللورد كتشنر وطلبوا منه إرسال بعض أورط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ، فأجابهم قائلاً : هذه فكرة صائبة ولكن لما كان من الصعب أن نجد جنوداً آخرين ليحلوا محل الجنود المطلوب سفرهم ، فانى سأضطر فى هذه الحالة لأن أطلب من حكومتى أن ترسل لمصر جنوداً من الانجليز ، فانصرف الوفد دون إلحاح .

وفى ذات يوم ذهب أيضاً جماعة من الضباط المصريين وطلبوا منه السماح لهم بالتطوع فى الجيش التركى ، فقال لهم : لا أرى مانعاً من إجابة هذا الطلب ، ولكننى أقول لكم مقدماً بأنكم إذا سافرتهم فمن الضرورى ملء مرا كزكم فى الجيش بصغار الضباط فمعد عودتكم تجدون أنفسكم بطبيعة الحال فى كشف الاستيداع ،

وجاء أيضاً وفد من مشايخ العربان واستأذنه فى جمع المتطوعين لى ينضموا إلى الجيش التركى ، فقال لهم إنه يهتهم على ما أظهره من الشجاعة والبسالة بتقديم هذا الطلب ، ولكن من الحرام أن تفقد مصر رجالاً مثلهم ذوى شجاعة وبسالة فان حكومة مصر ستضطر عند عودتهم أن تطبق عليهم قانون القرعة العسكرية المعافين منه إلى الآن ، وبعد المشاورة انصرفوا من عنده ولم يرجعوا إليه مرة ثانية ، وبذلك تخلص اللورد من إجابة هذه الطلبات تخلصاً من مسئولية حياد مصر .

جيوش السنوسى : وفى ١٤ يناير جاءت الأنباء بأن السيد احمد الشريف السنوسى

وإخوته يؤلفون الجيوش إلى ميدان القتال تحت قيادتهم الشخصية ، وقد نشروا الدعوة لكافة مشايخ القبائل والزوايا والمجاهدين ، وفي أول أبريل وصل السنوسى بجيوشه إلى جغبوب .

البرنسى فؤاد . راجت إشاعات عن البرنس فؤاد باشا فى المسألة الطرابلسية تلخص فى أن ملك إيطاليا وعده بامارة طرابلس بعد احتلالها ، وأنه بسبب هذا الوعد عمل على التقريب بين سمو الخديو وجلالة ملك إيطاليا ، فتمت زيارة الخديو لإيطاليا فى العام الماضى يرافقه البرنس ؛ وقد رددت هذه الاشاعات بعض الصحف الفرنسية والألمانية فارسل البرنس تكذيبات لها نشرت فى ١٠ يناير سنة ١٩١٢ .

تذبذب الخديو . وقد سهل الخديو فى أول الأمر لإرسال الاعانات والبعثات ومنها ما كان يحمل مدافع مفككة وسلاحاً وذخيرة ومؤونة بعد أن أرسل رشدى باشا إلى كتشنر للتفاهم معه قبل منح التسهيلات اللازمة بدون مسئولية عليه أو على حكومته . ولما توالى انتصارات الايطاليين فى طرابلس فى الأشهر الأخيرة من الحرب ، وتغير موقف الخديو ، عاد فطلب من كتشنر بواسطة حسين رشدى باشا وقف المساعدات ، فامتنع عن اتخاذ خطة صريحة بذلك بعد ما سمح بإرسالها أولاً ، وانتهى الأمر بأن يقال إن البعوث الأخيرة ضلت الطريق وقد منعت بعوث المهلال الأحمر العائدة من الدخول بالمرضى .

عبد الحميد بك شديد ومهمته (*) : وأرسل الخديو عبد الحميد بك شديد للسيد ادريس السنوسى لغيره بالاتفاق مع إيطاليا حسماً للحرب على أن يسعى الخديو فى الحصول له على امتياز من إيطاليا وتنصيبه رئيساً على السنوسيين بدلا من عمه الشيخ احمد السنوسى الكبير ؛ وفى نظير ذلك يتحصل سموه على وعد بمبيع سكة حديد مربوط لاحد بنوك إيطاليا بشمن يرضيه . ولكن المساعى التى كان عباس يبذل الجهد فيها للوصول إلى ذلك قد فشلت ، لأن كتشنر ضربها ضربة قاضية .

الخديو والحزب الوطنى . منذ عامين والجفاء يشتد بين الخديو والحزب الوطنى ، وقد ورد شئ من ذلك فى مذكراتى فى السنين الماضية .

وفى ١٩ يناير من هذا العام أقيمت حفلة لرعاية الأطفال بدار الأوبرا تحت

(*) وقد طلبت من عبد الحميد بك شديد بعض تفصيلات عن مهمته ولكنه اعتذر بمرضه .

رعاية سمو الخديو وحضرها مندوب من قبل سموه ، وقد حدث عند دخول المندوب وعزف الموسيقى بالشيد الخديوى أن وقف جميع الحاضرين حسب المعتاد ما عدا محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى ، مما استرعى أنظار الحاضرين جميعاً .

ولما كانت هذه هى الحادثة الأولى من نوعها ، فتناقلتها الألسن والصحف ، وكانت لها ضجة فى داخل السراى .

وقد خاطب حسين رشدى باشا فريد بك فى هذا الشأن فأجابه بأن ليس هناك قانون يحتم عليه الوقوف .

وكانت هذه الظاهرة بمثابة إعلان حرب عدائية على الخديو ، والخروج على الاحترام اللائق به .

الحض على كراهة الحكومة : وفى ٢٦ مارس اجتمعت الجمعية العمومية للحزب الوطنى فألقى محمد فريد بك خطبة نارية ، اعتبرتها النيابة حضاً على كراهة الحكومة ، فأخذت فى محاكمته .

وقد كان سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية فلم يؤخذ رأيه فى هذه المحاكمة فاستقال من النظارة (كما سيحى ذلك بالتفصيل) .

وفى يوم ٣٠ أبريل نظرت القضية أمام محكمة الجنايات متهماً فيها محمد فريد بك بالحض على كراهة الحكومة والدعوة للثورة ولم يكن حاضراً ، وعلى اسماعيل حافظ مدير العلم ، وعلى فهمى كامل الحارس القضائى لجريدة اللواء لنشر الخطبة فى جريدتهما .

وقد مثل النيابة محمد زكى الابراشى افندى ، وترافع عن المتهم الثانى عبد العزيز فهمى بك وعن الثالث محمود ابو النصر بك . وحكمت المحكمة بالحبس سنة مع الشغل على فريد بك وبالحبس البسيط ثلاثة أشهر على كل من الثانى والثالث .

المؤامرة على الخديو وكنتشر ومحمد سعيد : وفى أول أغسطس قبض البوليس على ثلاثة شبان وهم محمد عبد السلام وإمام واكد ومحمود طاهر العربى بتهمة المؤامرة على حياة الخديو وكنتشر ومحمد سعيد ، وقد كان تدبير القبض عليهم من فلييدس مأمور إدارة الضبط بالقاهرة .

ونظرت القضية فى ١١ أغسطس وحضر للدفاع عن المتهمين ابراهيم الهلباوى بك ومصطفى الشوربجى افندى وعبد الوهاب افندى البرعى .

وكانت الجلسة برئاسة على ذى الفقار باشا وعضوية احمد موسى بك ومحمد توفيق رفعت بك .

وتولى الاتهام عبد الخالق ثروت باشا النائب العام ؛ وقد أنكر المتهمون التهمة الموجهة إليهم .

وفي ١٢ أغسطس أصدرت المحكمة حكمها بالسجن مع الأشغال الشاقة ١٥ سنة على إمام واكد ، وبالسجن مع الشغل ١٥ سنة كذلك على محمود طاهر العربي ومحمد عبد السلام .

اتهام فريد بك للتخريب : في يوم ٢٠ أغسطس نشر محمد فريد بك في جريدة السيكل الفرنسية مقالا يتهم فيه الخديو بالعمل ضد عرش الخلافة وضد كيان الدولة بالاتفاق مع انجلترا نظير اعترافه بالحماية سراً .

وأن الغرض من هذه المساعي ضم برقة وسوريا وبلاد العرب لمصر وتنصيب عباس خليفة عليها خاضعاً للانجليز ، وأنه يستعين بعلباء الازهر وبعض مشايخ الزوايا والتكايا ويرسلهم برسائل خاصة إلى اليمن والعسير ليثبتوا روح العصيان .

ولكى يتسنى تثقيف رسل تتوفر فيهم الكفاءة لنشر هذه الدعوة ، كلف الشيخ محمد رشيد رضا بتأسيس مدرسة خاصة في القاهرة باسم مدرسة الدعوة والارشاد ، ولهذه المدرسة فرع في باريس باسم جمعية تنشيط العلوم العربية تحت رئاسة طالب ينفق عليه الخديو .

وقد ندب الشيخ رشيد رضا عقب تنظيم المدرسة من لدن رؤسائه (الخديو وأنصاره) للذهاب إلى الهند لحضور مؤتمر إسلامي في « لكناو » لينصح للمسلمين بالخضوع للانجليز ويطرى الخديو وحكومته في مصر ، ويمنع الاكتتابات للعثمانيين في طرابلس ففشل في مهمته (*) .

ثم إن مصلحة المخابرات التابعة لنظارة الحريسة المصرية تبث جواسيسها في سوريا لنشر هذه الفكرة وأكثر رسلها من السوريين .

(٥) مع اتصالى الشديد بالسراى وما يدور فيها فأتى لم أسمع عن هذه التدبيرات التى ذكرها محمد فريد بك خاصة بسعى الخديو للخلافة تحت الحاية الانجليزية أما فيما يختص بمدرسة الدعوة والارشاد فأتى أعلم أنها أنشئت لغاية سامية جذبتها وساعدتها وهى الدعوة الدينية الخالصة وقد تخرج فيها بعض نوابغ المسلمين ومنهم السيد محمد الحسينى مفتى القدس ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى .

وقد أعقب فريد بك هذه المقالة بمقالين آخرين في ٥ و ١٠ سبتمبر فيهما تؤكد وتفصيل لما ورد بالمقالة الأولى ، وختمها بقوله :

« وقد رغبت في نشر هذه البيانات لاماطة اللثام عن هذه الدسائس أمام العالم المتمدنين ، ولأحذر الدول ذات الشأن من الأعمال التي يقوم بها عباس الثاني إرضاء لطمع شخصي يحاول به أن يززع توازن العالم بوضع الخلافة في يد إنجلترا ، فيجب على فرنسا هذه الدولة ذات المستعمرات الاسلامية الكثيرة أن تراقب الحالة عن كثب .. » وبعد ظهور هذه المقالات أخذ بعض أعضاء الحزب الوطني - بمساعي الخديو وتأثيره - يطلبون عزل محمد فريد بك من رئاسة الحزب ، وطلبوا انعقاد اللجنة الادارية للحزب لمحاكمته ، فعارض في هذا على فهمي كامل بك .

وأخيراً عقدت اللجنة وقررت استنكار مقالات فريد بك ، ولكن لم ينشر هذا القرار في الصحف ؛ فاستقال بعض الأعضاء ومنهم على المنزلاوى بك ومحمود فهمي سكرتير الحزب .

وفي ٢٠ سبتمبر نشرت « الاهرام » برقية أرسلها فريد بك لعلي فهمي كامل بك وكيل الحزب باستقالته لاضطراره للبقاء خارج القطر ، وطلب أن تعرض الاستقالة على الجمعية العمومية للحزب دون غيرها ؛ وذلك نظراً لما بلغه عن مساعي الخديو مع أعضاء اللجنة الادارية .

محاكمة الشيخ جاويش . وفي يوم ٢٤ أغسطس ضبط بوليس جمرك الاسكندرية مع الشاب « احمد مختار » القادم من الاستانة حقيبة بها منشورات ثورية مطبوعة في مطبعة الهلال العثماني التي يصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، تتضمن قدحاً شديداً في الخديو ، ودعوة لتأسيس الجمعيات السرية للفتك والاغتيال .

وظهرت في الوقت نفسه منشورات ثورية في الاسكندرية ووطنطا .

وتكررت المقالات المثيرة في اللواء والعلم فصدر أمران باغلاقهما : الأول يوم ٣١ أغسطس والثاني يوم ٧ نوفمبر ، بعد إنذارهما مرتين .

وقد قبض في الاستانة على الشيخ جاويش وأحضر للاسكندرية يوم ٨ منه . فكتب فريد بك في جريدة السيكل ينتقد حكومة الاستانة لتسليمها رجلاً متهماً بتهمة سياسية لخصومه ، مخالفة في ذلك جميع التقاليد الدولية .

وقد حوكم الشيخ جاويش وحفظت القضية بالنسبة له في ١٩ أكتوبر لعدم كفاية الأدلة .

استقالة سعد باشا : في أواخر يناير من هذا العام جرى حديث بين سعد باشا ناظر الحقانية ومندوب جريدة الأخبار نفي فيه الاشاعات التي تناقلتها الصحف عن قرب استقالته من الحقانية .

ولكن في أول أبريل ، بعد الشروع في محاكمة محمد بك فريد بتهمة تحريره على كراهة الحكومة ، دون استشارة سعد باشا ، قدم استقالته للخديو مبنية على أنه لم يوفق لرضا سموه في الظروف الحاضرة .

وقد قبلت الاستقالة ، وصدر الأمر لحسين رشدى باشا بالقيام بعمله ، ثم عين نهائياً يوم ١٤ منه .

وفي ٦ أبريل نشر مقال بالأهرام بتوقيع « عارف » جاء فيه :
« إن سعد باشا من مدة قريبة كان يقول : « إننى لم أفكر وإن أفكر فى الاستقالة مادمت قائماً بواجباتى نحو أمتى وبلادى . »

ثم قال إن بعض الناس يقولون عن سعد باشا إنه متصلب خشن والقضاء فى حاجة لتصلبه وخشونته . أما أنا فأقرر أنه إذا كان صلباً خشناً فهو كذلك مرن لين ، يميل عند الضرورة للخضوع والتسليم ، بدليل تصميمه على عدم الاستقالة ، ثم استقالته الآن .

ثم أخذ يتكلم عن سبب استقالته ، وبعد أن وجه عدة غمزات شديدة لسعد باشا فى أخلاقه قال :

« إن بعض أخصائه ذكر أن سعادته روى فى مقام من المقامات العالية عبارة تمس بأمانة وكرامة رجل من كبار موظفى الحكومة ، وكان يعتقد أنه إنما يخدم أمته وبلاده بما روى ، ولكنه يظهر أن الدهر لم يسعد سعد باشا فى هذه الدفعة حيث جنى عليه اجتهاده ، وتبادر إلى الأذهان أن سعادته يريد بهذا العمل إيقاع النفرة بين مقامين من قادة الأمة ، ومن مصلحة البلاد تمكين عرا الوفاق وحسن التفاهم بينهما ، فتربت على ذلك مطالبة سعد باشا بأثبات ما صدر عنه فى هذا الشأن ، ولكنه عجز ؛ وسرعان ما تزعزت الثقة فى مروياته من نفس السلطة الفعلية . أما السلطة الشرعية فيقال إنها

قد ازدادت اقتناعاً بأن ساعة استقالة سعد باشا إذا لم تكن قد حانت من زمن فانها قد حانت .

ثم ذكر أن سعد باشا لم يرد الاستقالة وقتذاك ، وانتظر أن تأتي فرصة أخرى ليخرج بمناسبة شريفة .

وأنه ، وقد فقد السلطة الفعلية ، أراد التقرب للسلطة الشرعية ، ووسط بعض أصهار العائلة الخديوية ، فلم تنتج الوساطة ، وأخيراً قدم استقالته .

وذكر أن سعادته سلم صورة الاستقالة لمستشار الحقانية لتسليمها لكنتشنر مشفوعة بعبارة مفادها : « لقد ضحيتُموني لارضاء الجنب الخديوى ، وأن اللورد رد على ذلك شفوياً بأنه قد علم بقبول الاستقالة ، وأنه ينظر إلى هذا القبول بعين الارتياح ، وإنه إن كان قد ضحاه كما يقول فما عمل هذا إلا إرضاء للمصالح العام .

وبعد ذلك أخذ يشرح أسباب تولية سعد النظارة في عهد كرومر فذكر أن اللورد أراد بها تقوية مركزه بعد حادثة دنشواى ، لما كان مشهوراً عن معارضة سعد للحكومة والسياسة الانجليزية ، فكان تعيينه إرضاء للوطنيين ، وثناؤه على الانجليز وسيلة لتقوية مركز المعتمد في إنجلترا .

ثم دارت الأيام واتفقت السلطان فلم يبق ما يدعو لخدمات سعد باشا ، فهو قد دخل النظارة للشقاق والنزاع وتركها للوفاق والسلام .

وقد أرسل سعد باشا من مسجد وصيف برقية للصحف نفي فيها ما جاء بمقال عارف ، وخصوصاً ما يتعلق بالالتجاء إلى أحد أصهار العائلة الخديوية ، وبارسال الاستقالة إلى كنتشنر .

وذكر أنه مستعد لاطهار الحقيقة في ذلك كله إذا كشف العارف عن اسمه ، وصرح بأنه مأذون في نشر ما رواه لأن بيان الحقيقة يستلزم إفشاء أسرار يقضى الواجب بكتمانها إلا إذا أذن أصحاب الشأن صراحة أو ضمناً بإفشافها .

وبعد ذلك أخذت الصحف تخوض حول هذا الموضوع وتملأ كثيراً من أعمدها بالمناقشة والردود .

وفي ١١ أبريل نشرت « الأهرام » ، أن « عارف » ، فوض إليها نشر اسمه إذا طلبته إحدى المحاكم الأهلية أو المختلطة أو نيابة إحداهما ، وأنها أبلغت سعد باشا ذلك .

وفي ١٢ منه نشرت مقالة أخرى لعارف فيها غمز شديد لسعد باشا وتوكيد لما ورد في المقال الأول وتفصيل لحوادثه ، وقال « إن البرقية التي نشرت باسم سعد اخترعتها صحيفة « الجريدة » ولكنها أخطأت وأسأت لسعد بها ولم تحسن الدفاع عنه . » وفي ١٤ منه بدأ التحقيق في القضية وظهر اسم « العارف » وهو اسم عيل أباطة باشا وحضر عن المدعى المدنى (سعد باشا) ابراهيم بك الهلباوى ومحمد بك يوسف . وقد وجهت النيابة تهمة السب والقذف لأباطة باشا ، فطلب مهلة أسبوعين للإجابة ، لأن ما نسب لسعد باشا خاص بعمله كموظف .

ثم طلب حضور سعد نفسه لأنه أعرف الناس بما يختص بشخصه وهناك أشياء قد يرى سعادته بعد المناقشة أن من المصلحة عدم الخوض فيها . وقد أجل التحقيق خمسة عشر يوماً .

وفي ٢٩ منه استأنف التحقيق وصرح محاميا سعد للتهمة باثبات كل ما يريد إثباته ، وأن موكلهما لا يتمسك بالقانون ، الذى لا يبيح للطاعن فى أحد الأفراد كما هي صفة سعد الآن إثبات قذفه .

وكرر أباطة باشا طلب حضور سعد باشا فقرر محامياه أن سعادته لن يحضر ، ثم قدما توكلهما عنه فذكر أباطة باشا أنه قاصر ، ولم يحدد مهمة الوكيلين ، وامتنع عن الاجابة حتى يحضر توكيل مفصل ويثبت رسمياً أنه من المدعى المدنى . وقد اعتبر التحقيق منتحباً بهذا .

وفي ٣٠ مايو عرضت القضية فى جلسة سرية وقد دعت للشهادة فقررت أن الخديو كان مستاء من سعد باشا منذ حادثة دقه المنضدة أمام سموه فى جلسة مجلس النظر عند نظر قانون مدرسة القضاء الشرعى ، وأن أباطة باشا كان مندفعاً فيما كتب بتأثير خصومته لسعد باشا واعتقاده أن ما كتبه قد يرتاح إليه الخديو .

كشتر فى مصر . فى يوم ٩ فبراير قرأت فى جريدة مورنج بوست كلمة عن اللورد كشتر فى مصر جاء فيها :

« إنه يختلف كل الاختلاف عن اللورد كرومر والسير الدون جورست ، ويزيد فى مزاياه عن سلفيه أنه فاتح الخرطوم ، وقاهر المهدي ، والسرदार السابق ، والعارف لكل من خدم فى الجيش المصرى ، والمعروف عند أخط الطبقات المصرية . »

« إنه يتكلم اللغة العربية كما يتكلمها ابن مصر، ويعرف كل مركز من مراكز الوجهين، ويلم بكل مسألة تقع في البلاد، ويذهب إلى كل مكان.. »
وقالت عن علاقاته بالخدو: « إنها حسنة وصريحة وكل منهما يعرف حدود صاحبه ونفوذه وكلاهما راض بما عنده.. »

تدخله في جميع الشؤون : وهذا الذي ذكرته الصحيفة الانجليزية عن كتشنر صحيح في عمومه فانه منذ أن عين معتمداً في مصر لم يفتأ يهتم بأبسط المسائل ويزور البلاد ويتحدث مع أهلها ويسمع اقتراحاتهم، كأنه الحاكم الشرعي في البلاد. وكانت استقبالاته من الحكام ومن ذوى الحاجات لا تدع مجالاً للشك في أنه قابض على كل السلطة في مصر؛ ومن أمثلة ذلك أن يطلب إليه أهالي أسبوط في إحدى الزيارات إنشاء مدرسة ثانوية، ويطلب أهالي فوة خطأ حديدياً بينها وبين دسوق... الخ.

كما أنه كان يبذل أشد الاهتمام لشئون الفلاحين فأنفذت بإشارته عدة مشروعات خاصة بهم كقانون خمسة الأفدنة، الذي حمى الفلاحين من أيدي المرابين الذين يعيشون في الأقاليم الفسادة؛ وبذلك القانون أنقذ هؤلاء الفلاحين الذين يكونون أربعة أخماس تعداد القطر المصري.

وكذلك أنشأ ميدان صلاح الدين الأيوبي بالقلعة ووسع ميدان باب الحديد وأنشأ كذلك صناديق للتوفير في القرى، وتكوين لجنة لبحث آفات القطن وانتقاء البذور، ومحاكم الأخطا.

وقد ساعدت تحت ضغط اليقظة القومية على تقرير التدريس باللغة العربية في المدارس الثانوية من العام القادم.

وفي ١٨ مايو صدر تقريره الأول فابتدأه بالثناء على الخديو ونظاره للنجاح الذي حصلوا عليه في سبيل تحسين حالة الأهالي.

ثم ذكر أن الأمة المصرية أظهرت هدوءاً وإخلاصاً نحو الواجب والقانون والنظام في الحرب الطرابلسية الأخيرة، وذلك رغم إغراء صحف الحزب الوطني ورجاله الذين لا يحسبون حساباً للعواقب. وذكر أن مجلس الشورى قام بواجبه خير قيام وأنه يحسن توسيع سلطته واختصاصه.

وقال: « إن ارتقاء السواد الأعظم من القطر يتوقف على تحسين الزراعة وترقية

المعارف بينهم ، وأن مصلحة الزراعة تعمل جهدها في تعليم الأهالي وإرشادهم ؛ واقترح التعليم نصف اليومى فى القرى . ثم عمد إلى تفصيلات جزئية كثيرة فى كل نواحى الأعمال نتيجة لتدخله فيها جميعا .

ومن الصراحة أن نقول إن الخديو عندما رأى تغلغل نفوذ ككتشنر فى البلاد ، وأنه لم يبق له أية سلطة ، اعتكف فى سراى القبة وامتنع عن التدخل فى أمور البلاد ولم ينزل إلى سراى عابدين إلا للضرورة القصوى ، ولم يرأس مجلس النظار إلا نادراً ، وترك العمل لككتشنر ومحمد سعيد ؛ وسرى كيف وثب من رقدته لاسترداد نفوذه .

تعلية خزان أسوان . تمت تعلية خزان أسوان وتقرر افتتاحها يوم ٢٢ ديسمبر وقد حضرها الخديو ورجال الحاشية ، وسبقه النظار لاستقباله . وفى الساعة الخامسة مساء وصلنا إلى الخزان فاستقبل سموه العطاء والكبراء والنظار واللورد ككتشنر .

وألقى ناظر الأشغال اسماعيل سرى باشا خطبة عن سياسة الرى والحاجة لتعلية الخزان وفوائدها والتفقات التى احتاجها وهى نحو خمسة ملايين جنيه . ثم ألقى الخديو كلمة عبر فيها عن سروره بهذا العمل وعنايته بسعادة مصر والعمل لما فيه خير الأجيال القادمة .

وقام اللورد ككتشنر فأبلغ الخديو رسالة من ملك انجلترا جاء فيها :
« أرغب إليكم فى هذه الفرصة المباركة أن تعربوا للجناب العالى الخديوى عن تهنئتي القلبية لسموه بمناسبة انتهاء الأثر الجليل الذى يتصل به اسم عمى الدوق أوف كونوت (*) »
« وإذا كنت أواصل بنظرى مع الاهتمام الشديد بنجاح القطر المصرى فأنى أشاطر سموه الاغتراب بآتمام ذلك الأثر الجليل . »

ثم تناول الخديو محرراً ففضياً فحركه فانفتح الحاويس ومرت السفن محيية سموه .
بنى وبين الشيخ على يوسف . قابلنى الشيخ على يوسف وأخبرنى أنه تحادث مع الخديو بشأن وقف عبد الرازق الوفاى بالاسكندرية الذى تحت نظر الأوقاف ، وأثبت لسموه أنه تابع لوقف أبى الأنوار السادات ، فأمر بأعداد الأمر الخديوى

بتحويل نظارة الوقف إليه وعرضه على سموه لتوقيعه عند المقابلة لصلاة الجمعة بالاسكندرية .

فأخذت في بحث المسألة ، وكلفت من يتحقق من الشواهد بمدافن السادات فثبت لى أن الاسم لمسميين ، وأن بين الواحد والآخر جيلا كاملا ، وليست هناك صلة بين وقف عبد الرازق الوفاى بالاسكندرية ، وعبد الرازق الوفاى التابع لأبى الأنوار .

وفى يوم خميس مر على الشيخ وسألنى مستبظاً إعداد الأمر الحديوى ، فأخبرته بنتيجة الأبحاث التى قمت بها ولم يكن ينتظر — للصدقة التى بينى وبينه — أن أقف منه هذا الموقف ، ولذلك قام من عندى غاضباً .

وفى يوم الجمعة ذهبت لسراى رأس التين فوجدت هناك سعد باشا وآخرين فسألنى : « ماذا بينك وبين الشيخ على والرجل حجته واضحة ظاهرة ، فأخبرته بالامر ، فقص على أن الشيخ عليا هنا وأنه قص القصة وهو متأثر وأغمى عليه . »

ثم دعيت لمقابلة الحديوى فلما دخلت وجدت محمد سعيد باشا واسماعيل أباطة باشا فسألنى محمد سعيد باشا عن الموضوع وتحدث فى صالح الشيخ على فأخبرته بالحقيقة ، وكان الحديوى وأباطة باشا يتغامزان !

ولما طلب منى محمد سعيد باشا أن أتساهل قلت له : « إن المسألة مسألة شرعية ، فلماذا يطلب الشيخ على من الحديوى أن يقضى فيها ، وهذا دخول من النافذة لا من الباب ، والأولى أن يعرض الأمر على المحكمة الشرعية للفصل فيه . »

فاعترض محمد سعيد باشا على ذلك محتجاً بأنه ليس من اللائق أن يخلع الحديوى عن نظارة وقف بطريق المحاكم .

فأجبت به أن هذه ليست أول مرة وليس فيها غضاضة ولا مساس بالجناى الحديوى ، لأن الأصل فى نظارة الوقف أن تكون لمستحقه ، فإذا لم يوجد أحداً تحكم المحكمة بتنظر الأوقاف عليه ، وفيما بعد إذا اتضح وجود أحد من الذرية عين ناظراً .

فرد محمد سعيد باشا بأن فى هذا التصرف ضجة على كل حال .

فقلت له : « إنه كان يشاع عن الجناى الحديوى أنه يطلق يده فى خزانة الأوقاف فيخرج منها مايشاء من النقود ليوزعها على أنصاره وأنا أخشى أن يقال الآن إنه حينما وجد حارساً للخزانة أخذ يوزع منها الهبات والمنح أملاكا ونظارات . »

أما إذا حكمت المحكمة لصالح الشيخ على فإن ذلك يثبت عدم تسامح سموه حتى مع أخصائه في مسائل الأوقاف .

وأخيراً اقترح محمد سعيد باشا ، بدلا من المحكمة الشرعية ، أن تشكل لجنة تنظر في طلبات الشيخ على واعتراضاتى عليها . فأجبت بأنه لا مانع عندى من قبول هذا الحل ، ولكن على شرط أن يكون الشيخ بخاق مفتى الديوان عضواً في هذه اللجنة .

وقد ألفت اللجنة وكان من بينها فضيلة شيخ الجامع الأزهر والمفتى ومفتى الديوان وقدم الديوان لها مستنداته وطلبت من الشيخ على تقديم تقريره ، ولكنه لم يقدم شيئاً .

وبعد ذلك أخذ الشيخ يثير حول انتقادات في جريدة المحروسة وسواها ، ومن وقت لآخر كان الخديو يوجه نظري لهذه الحملة ، فأجيبه بأنى مطمئن لأننى واثق من أعمالى وعالم بحقيقة هذه الحملة وأسبابها .

وأخيراً رأى سموه أن يوجد حلا لهذه الخصومة وأن أصطلح مع الشيخ على ، فاخبرته أنه لا شئ يمنعنى من الصلح ، لأننى غير غاضب عليه .

وقد اقترح اسماعيل أباطة باشا أن يدعونا نحن الاثنين للغداء على مائدته ، وخوفاً من عدم ذهائى فى الموعد قال إنه سيحضر ليأخذنى ولكنه تأخر عن مواعده فذهبت منفرداً .

ولما رآنى داخلا تعجب لمجيئى وحدى ووقف لمصاحفى وتقدم كذلك الشيخ على يوسف فصاحته وقلت له : « ساحك الله ، فأنا قد تحملت الانتقاد دون كلمة رد واحدة ... » فما كان منه إلا أن قال : « هذا هو الذى قتلنى ! »

أعمالى فى ديوانه الأوقاف . عندما تسلمت أعمال الأوقاف كان لزماً على أن أستعين على مهام هذه المصلحة الواسعة بمعلومات واختبارات رجلين يشرفان على أقسام الديوان ، أحدهما محمد على دلاور بك مدير الادارة والحسابات وغير ذلك والثانى محمد سليمان أباطة بك مدير الايرادات والزراعة ؛ والحق أن كلا منهما كفى : فدلاور بك ذكى ومنظم ونشيط ومحمد سليمان أباطة بك من أحسن الفنين فى الزراعة .

وقد أوليتهما ثقى وأولياني إخلاصهما ، فكنا نتشاور فى المسائل كلا فى اختصاصه فاستبشرت خيراً .



محمد علي دلاور بك



محمد سليمان أباطه بك

ولكن بالأسف لم ألبث أن علمت وجود خصام بينهما؛ وانقسم الموظفون حزيين، كل واحد يطعن في الآخر في البارات والمقاهي على مسمع من الجمهور، فتمس بذلك سمعة الديوان فبادرت إلى تلافي ذلك بجمعتهما ونصحتهما باللين للكف عن هذا الخصام الذي يضر المصلحة العامة وأن نكون يدًا واحدة في خدمة هذه المصلحة الخيرية؛ وانتهى الحال على قبول النصيحة ونبت الخصام؛ وأظهرت سروري لها فانصرفا، غير أنه لم يمتض على هذا الصلح إلا القليل حتى رجعا إلى ما كانا عليه من النفور، وقد فهمت أن السبب في ذلك عائد إلى أن كل واحد منهما يريد التغلب على الآخر بزيادة النفوذ في الديوان فقررت بأن العلاج الوحيد لذلك هو تغيير هذا النظام واستبداله بوكيل لتوحيد العمل في يده حتى لا تكون هناك منافسة.

وفي أواخر السنة الماضية عرضت فكرتي على الجناب الخديوي فلاحظ صعوبة تنفيذها؛ لأن دلاور بك منتم إلى حسين رشدي باشا والآخر معضد من عميد الأسرة الأباطية، اسماعيل أباطه باشا. فقال لي سموه: «وماذا تفعل يا شفيق حينئذ؟» فاجبته

بأنى أفعل ما فيه المصلحة العامة وأتحمل كل غضب منهما. وأخيراً قبل الحديو الفكرة واستبدلت وظيفتي المديرين بوظيفة وكيل، ولارضائهما طلبت من المجلس الأعلى زيادة سنى خدمتهما فكانت هذه الوسيلة مرضية لهما.

ومما أضحكنى أن أزهرى بك حضر عندى وقال لى: «ما هذه السياسة يا باشا؟ لما توليت إدارة الأوقاف ورحبت بهما وأوليتهما ثقتك كنا نحن كبار الموظفين نقول ها هو أيضاً شقيق باشا لعبا به واستمالاه ووضعهما على كفتيه وما شعرنا إلا أنك نفضتهما فوقنا!»،

ومن حظ الديوان وحظى أيضاً أن تعين عبد الرحمن رضا بك الرجل القانونى النزيه فى منصب الوكالة وساعدنى على أعمالى فى المدة الوجيزة التى أقامها فى الأوقاف قبل نقله إلى القضاء، وتعين بعده عبد الرحمن فهمى بك وهو خير خلف لخير سلف وله مواقف مشرفة كما سيأتى الكلام عنها.

جناح جديد: ضاق بناء ديوان الأوقاف بموظفيه وأعماله فأنشأت به قسماً جديداً تقرر افتتاحه فى يوم ٨ يناير وهو اليوم الموافق لعيد جلوس الحديو.

وقد دعوت للاحتفال بافتتاحه كثيرين فى مقدمتهم أعضاء مجلس الأوقاف الأعلى والعلماء وأعضاء مجلس شورى القوانين وبعض قناصل الدول وكلاء النظارات ومندوبى الصحف العربية والافرنجية.

وكان رؤساء الديوان يستقبلون المدعوين فى حجرة وضع فيها رسم تخطيطى للبناء الجديد من صنع محمود فهمى بك باشمهندس الديوان.

وفى الساعة العاشرة والنصف حضر سمو البرنس محمد على باشا نائباً عن الحديو. وافتتحت الحفلة بالقرآن الكريم ثم وقفت فألقيت كلمة جاء فيها:

«أفتتح هذا البناء الجديد باسم الله فى هذا اليوم المبارك يوم عيد الجلوس الحديوى تيمناً به.»

ثم ذكرت ملخصاً لتاريخ الديوان من يوم إنشائه صغيراً حيث كان إirاده نحو ألف جنيه، وتنقله فى عدة أماكن تبعاً لاتساعه إلى أن استقر به المقام فى داره الحالية سنة ١٨٩٤، ثم إقامة هذا الجناح الجديد، للحاجة إلى توسعته شيئاً فشيئاً.

ثم شكرت صابر صبرى باشا باشمهندس الأوقاف السابق ومحمود فهمى بك

الباشمهندس الحالى ، وختمت كلمتى بالدعاء للجناب الخديوى وشكر الحاضرين .

ثم تفقد سمو البرنس البناء وأديرت الحلوى على الحاضرين .

وفى المساء أقيمت الزينات على بناء الديوان ابتهاجاً بعيد الجلوس وأقيمت حفلة ألقىت بها كلمة ، أشرت فيها إلى الابتهاج بالعيد الخديوى وشكرت بهذه المناسبة للذين عاونونى فى ديوان الأوقاف ، وأبدت أسفى على فراق من انتهت مدة عضويتهم بمجالس الأوقاف الأعلى ، ورحبت بالأعضاء الجدد .

رئيس قسم القضايا : ولقد كانت وظيفة رئيس قسم القضايا خالية ، فاذا ذكر أن زارنى يوماً خالد الفوال بك المحامى فى السنة الماضية وبادرنى بقوله إنه كان مع سمو الخديوى فى مدرسة هكسيوس بجنيف وإنه جاء بناء على أمر سموه ليتكلم معى فى عينيه رئيساً لهذا القسم . فدهشت لهذه المفاجأة ولم ترتج نفسى لهذا الأسلوب الذى أراد به التأثير علىّ بإشارته إلى سمو الخديوى . ولما سأله عن مؤهلاته لم يقدم لى شيئاً يميزه عن سواه من المحامين . فصرفته على أن أفكر فى الأمر وقابلت سمو الخديوى وذكرت له ما حدث تفصيلاً وقلت إنه ، وهو لا يمتاز عن سواه ، لن يسعنى تعيينه فى هذه الوظيفة الرئيسية الكبرى ، ولا سيما أنه يوجد بالقسم وكيل قضى زمناً طويلاً فى مباشرة أعماله واكتسب خبرة واسعة وإلماماً بسير القضايا وهو خليل إبراهيم بك الذى لا يقل عن خالد الفوال بك من حيث المؤهلات ويمتاز عليه بتلك الخبرة .

بعد ذلك زارنى خالد الفوال بك مرة أخرى ومعه خطاب من رشدى باشا ناظر الحقانية يؤيد فيه ترشيحه لتلك الوظيفة ويثنى على كفاءته ، فأدركت أن سمو الخديوى لابد وأن يكون هو الذى أوحى لرشدى باشا بهذه التوصية . ولكنى لم أتحول عن رأىى وقابلت سمو الخديوى ثانية وذكرت له أنى إن وافقت على تعيينه فيكون فى وظيفة نائب رئيس للقسم لا رئيساً له . فقوض لى سموه التصرف فى الأمر ، وبالفعل عين خالد الفوال بك بهذا المركز ولم يظهر كفاءته فى تنظيم القسم ولا ترافع مدة وجوده به فى قضية ما . ولما علم الخديوى بذلك أمرنى بالاستغناء عنه عند وضع الميزانية فى أوائل سنة ١٩١٣ باستبدال نائب رئيس .

وقد وردت لى رسائل كثيرة بتوقيعات مجهولة ينتقد فيها كاتبوها توليته هذا المنصب ، ومن بينها كتاب بامضاء (مسلم غيور على مصلحة المسلمين) جاء فيه :
نشرت الصحف عقب عيد الجلوس السعيد بأن سعادتم رقيتم حالة الأوقاف

العمومية مالياً وأدياً وقضيتهم على الأغراض التي كانت السبب في جعل المصلحة فوضى .
 « مع أننا نرى أن الوظائف العالية لا تعطى إلا لمن كانت محكوماً عليه من
 الحكومة بالطرد أو النفي الإداري أو المتشردين الذين لا مأوى لهم غير البارات والحانات
 مع توابعهم الذين لا تخلو وظيفة إلا وسرعان ما يعينون فيها بلا مسوغ شرعى أو
 قانونى مثل « الفوال » ، وأتباعه وأتباع تابعيه الذى يشغل أعظم وظيفة ما أنشئت إلا
 للحفاظ على حقوق المصلحة الخيرية ... الخ ،

وأخيراً استطعت إقناع الخديو بضرر وجوده فوافقتى واستغنى عنه .

تنظيم قسم الهندسة : قد لاحظت في قسم الهندسة استقلالاً يفصله عن باقى الأقسام
 ويجعل إدارة الديوان على غير علم تام بسير الأعمال فيه . فسعت في وضع النظام اللازم
 له وصدر الأمر الخديوى فى ١٥ يناير بالموافقة على تشكيل لجنة من كبار أهل الفن
 لاتمام هذا الغرض تحت رئاسة صاحب السعادة اسماعيل سرى باشا ناظر الأشغال
 العمومية فقامت اللجنة بالأمر أحسن قيام ووضعت اللائحة الداخلية لقسم الهندسة
 فى مايو .

عيادة الجذام : ولما وجد بين المرضى الذين يختلفون إلى عيادات الأوقاف
 ومستشفياتها أشخاص مصابون بمرض الجذام رأى الديوان منذ سنتين عزلهم عن
 غيرهم من المصابين بأمراض عادية اعتناء بشأنهم ورحمة بالذين يخالطونهم ، وخصهم
 بوقت آخر يعالجون فيه باحدى العيادات ، وتبرع الدكتور انجل بك من موظفى مصلحة
 الصحة العمومية ومن الاختصاصيين فى هذا المرض بمعالجتهم مرة فى كل أسبوع بشرط
 أن يصرف الديوان ما يتطلبه علاجهم من الأدوية . وما زال يتدرج عدد المرضى فى
 الزيادة حتى دعت الحال إلى إفرادهم بمكان خاص والاعتناء بشأنهم اعتناء يناسب تلك
 الزيادة ، فرتب ما تقتضيه إدارة ذلك المكان وبدأ العمل فيه فعلاً من أول هذه السنة
 وتعين طبيب مساعد للدكتور انجل بك مع الخدمة اللازمين لتيسير العناية بالمرضى
 وعيادتهم بأكثر مما كان جارياً طول مدة العلاج .

مستشفى الأمراض غير القابلة للشفاء : لما كان ما عمل بشأن مستشفى الجذام عملاً
 وقتياً لا يحقق كل ما نرجوه فقد اشتغل الديوان بدرس مشروع لإنشاء مستشفى كبير
 خاص بالأمراض غير القابلة للشفاء ، فذهبت إلى مستشار المالية وعرضت عليه الفكرة

فاستحسنها كثيراً وخصص لهذا المشروع قطعة من الأرض في جهة البساتين مسطحها ٦٨٩٩٩ متراً، ولجأنا إلى المتوفر من خيرات وقف المرحومة ممتاز قادن افندى الشهيرة بأم حسين بك لآخذ ما يستلزمه تشييد هذا المعهد من المال وفقاً لما كانت ترمى إليه الواقعة من العطف على الفقراء والمساكين وتخفيف آلام المصابين من البائسين . وسيكون الشروع في بنائه سنة ١٩١٣ .

صندوق الاقتصاد والتعاون : ونظرت إلى حالة المستخدمين الخارجين عن هيئة العمال فأتممت لهم وضع لأئحة لانشاء صندوق الاقتصاد والتعاون ، ليوفروا فيه جزءاً من مرتبهم يضاف إليه من إعانة الديوان ما يسد حاجتهم عند ترك الخدمة ويساعد أسرهم في حالة الوفاة .

وفي أول يونيو عقد مجلس إدارة الصندوق في ديوان الأوقاف برياسى فألقيت خطبة جاء فيها :

« إننا نجتمع اليوم لتعاون بالرأى على القيام بالعمل الجليل الذى عهد به إلينا احتساباً بالبر بالضعفاء وبذل المعونة لأولى الناس بها وأشدّهم احتياجاً إليها .. »

وذكرت أن التفكير في هذا المشروع سببه أن هؤلاء المستخدمين لا يبقى لهم ما ينفقون منه بعد عجزهم عن العمل ، فالمشروع يهيء لهم وسائل الادخار وتشمير ما يجمع منهم ليكون لهم عدة بعد ذلك ، وذلك فضلاً على غرس عادة الاقتصاد فيهم .

ثم اخترت محمد وجيه افندى (١) سكرتيراً لمجلس الإدارة واحمد افندى زكى رئيس قسم إدارة الخزانة أميناً لصندوقها . وانتخبت لجنة وقتية للأعمال الادارية من عبد الرحمن فهمى بك الوكيل (٢) و ابراهيم على بك (٣) مدير إدارة الحسابات واحمد الأزهرى بك (٤) والسيد محمود البيلالوى والسيد احمد محسن .

تعديل لأئحة الديوان : وكان مما يشغل فكرى دائماً لأئحة الديوان العمومية الصادرة سنة ١٨٩٥ فقد مضى عليها زمن طويل اتسعت فيه دائرة العمل وهى على حالها حتى أصبحت غير ملائمة لما تقتضى به حالة النمو والارتقاء . فسمعت في سبيل تعديلها وصدر أمر الخديو في ١٦ مايو بتشكيل لجنة عالية لهذا الغرض تحت رئاسة صاحب السعادة حسين رشدى باشا ناظر الحفانية .

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) صورهم موجودة في مجموعة الصور التى أهديت لى عند تركى ديوان الأوقاف . وسيرها القارىء فيما بعد

أما اللوائح الخاصة بكل قسم من أقسام العمل في الديوان فقد تم وضع بعضها مثل لائحة المساجد ولائحة الزراعات ولائحة الجباة . ولا يزال الديوان مشغلا بوضع لوائح الأقسام الأخرى حتى يتكون من مجموع هذه اللوائح لائحة الديوان الداخلية .

وقد وجدنا من باب المحافظة والضمان على النقود الموجودة في عهدة صرافى الفروع والمحصلين أن تتفق مع البنك الأهلى على أن يقبل ما يودعونه في خزائنه من زيادة الإيرادات عن المصروفات في كل يوم أو في خزائن البنك الزراعى لحساب البنك الأهلى في الجهات التى ليس له بها فروع . وفتح لكل مأمورية اعتماد شهرى لدى البنك تأخذ منه ما يلزمها للاتفاق فيما يزيد على الإيرادات .

تعليم بعض العلوم الأزهرية : لما كان قانون الأزهر الجديد قد اشترط لقبول المنتسبين شروطا لا تتوفر في كل من يطلب العلم رأينا ألا يحرم من كان من هذا القبيل أن يأخذ نصيبه من العلم ، فخصصنا لهم مساجد معينة يدرس لهم فيها بعض العلوم الأزهرية .

الشعبة الأزهرية لترقية الوعظ : وبالنسبة لما رأيناه من حاجة العامة في القطر كله إلى وجود وعاظ يقوّمون المعوج من الأخلاق ويرشدونهم إلى ما ينفعهم في المعاش والمعاد ، شرعنا في إنشاء ، الشعبة الأزهرية لترقية الوعظ والخطابة ، حيث يمرن فيها الخطيب والواعظ على الطريقة المثلى في الوعظ وحسن التأثير .

فرش المساجد وإنارتها بالكهرباء للبرة الأولى : ونظرنا في أمر الأثاث ففرشت المساجد الكبيرة بالبسط الثمينة ونقل ما كان منها من البسط إلى المساجد الأخرى بعد إصلاحها .

ثم أدخلنا النور الكهربائى في المساجد الكبيرة المدن التى توجد فيها الكهرباء . ولا يزال الديوان يشغل للوصول إلى أحسن طرق الانارة في المساجد الأخرى .

إلغاء إدارة المساجد بالعهد : وكان من عادة الديوان أن يعطى المساجد بالعهد ، بمعنى أنه كان يفوض لبعض الأشخاص مباشرة أمر المسجد من إقامة الشعائر ونحوها نظير مرتب جزئى لا يبلغ حد الكفاية ؛ فألغينا هذه الطريقة التى لا يخفى ما فيها من وجوه النقص والاهمال .

إستبدال النقود بالخبز في المقارى : ثم طرّقنا باب إصلاح جديد في أمر كانت

الشكوى منه عامة وهو طريقة توزيع الخبز في المقارىء ؛ لأنه كان من المستحيل أن تصل الحقوق إلى أربابها سالمة من الغش وليس من المتيسر إقامة المراقبة الكافلة للتوزيع . فقررنا استبدال النقود بالخبز . فقامت في وجهنا من أجل ذلك مصاعب جمّة كادت تقضى على المشروع خصوصاً من مفتى الديار ولكن لما وجدت هذه المعارضة طلبت عرضه على المستفيدين فمن قبل كان بها ومن لم يقبل يستمر على الطريقة القديمة ولم يمتض إلا قليل حتى اختار المستحقون الطريقة المقترحة فكان هذا أكبر مساعد لنا على تنفيذه .

قسم الصحة : أفاد إنشاء هذا القسم فائدة ظاهرة في نظام الأعمال الادارية بالمستشفيات والعيادات والتكيا والملاجىء التى يديرها ديوان الأوقاف . فاختيرت الأماكن اللاتمة ووضعت النظمات الكافلة راحة المرضى وحسن العناية بالفقراء فى التكيا . وأدخل على ملجأ الأطفال نظام صالح من ضمنه وجود التعليم الصناعى للذكور وللانات معاً فضلاً عن تعليم القراءة والكتابة والديانة وقواعد الحساب بما يفيد أولئك الأطفال فى مستقبلهم .

تنظيم مخزن الأدوية : ووضع نظام جيد للمخزن العمومى يضمن ضبط الوارد والمنصرف من الأدوات والأدوية لجميع الأماكن الصحية مع عدم التبذير والاسراف .

تشديد معهدى طنطا ودمياط : وشيدت معهداً ضخماً لطلبة العلم بطنطا على النظام الحديث بعد أن كان التدريس لهم فى المسجد الاحمدى ، وليس فيه متسع لذلك وإقامة الشعائر معاً ؛ وكذلك شيدت معهداً لطلبة العلم بدمياط وسيتم افتتاحه قريباً .

مصاريف المعاهد الدينية : ولا يزال الديوان مهتماً بتنفيذ الاصلاحات التى تضمنتها القوانين الحديثة للمعاهد الدينية الصادرة فى ١٣ مايو سنة ١٩١١ وفى ٢٣ يوليو زاد بذلك المخصص لها فى ميزانية الأوقاف إلى مبلغ ٦١٩٢٤ جنيهاً بعد أن كان ١٩٧٠٠ جنيه فى سنة ١٩٠٨ .

عدد المأموريات : ظهر لى من ممارسة العمل أن عدد مأموريات الفروع يزيد عن الحاجة خصوصاً فى بعض الجهات التى تقاربت فيها مراكز هذه المأموريات تقارباً بيناً ، فألغيت أربع مأموريات حوّلت أعمالها على المأموريات المجاورة لها فأصبح

عدددها في الوجه البحرى خمساً بعد أن كانت ثمانياً ونقص عدددها في الوجه القبلى من ست إلى خمس .

انتخاب العمال الأكفاء : ولاحظنا أن العمل الكتابى في الفروع فيه تأخير وإهمال مع كثرة شكوى المأموريات من حالة عمالها خصوصا كتابها الأول، فرفعنا أسباب الشكاية بانتخاب الأكفاء من الكتبة ورؤسائهم فحسن سير الأعمال وسلكت سبيل الانجاز .

التفتيش الكتابى : وأوجدنا التفتيش الكتابى من أول السنة لضمان السير بها على الوجه المرضى .

مشروعات تحت النظر : وفي نهاية هذا العام تقرررت إحالتى على المعاش (لأسباب سيرد تفصيلها في مذكرات العام الآتى) فقدمت تقريراً بما أدخلته في الديوان من الاصلاحات في السنوات الثلاث الماضية، وقد ورد ذكرها في سنواتها ثم أردفت ذلك بذكر مشروعات كانت لا تزال تحت النظر، وكنت معتمداً إنفاذاها في السنوات المقبلة وهى :

إيجاد الطريقة الموصلة للارتفاع بما يزيد من ريع الأوقاف الأصلية المرصدة على الخيرات عن حاجة وجوه الخير المقررة في الوقفيات؛ فان هذه الزيادة تتجمع الآن في خزانه الديوان دون أن يكون له حرية التصرف في توجيهها إلى المنافع التى تعود على سائر القطر والفقراء، مثل إنشاء المستشفيات العمومية ومنع التسول في الطرق بإقامة الملاجىء لايواء العجزة والمساكين ممن لا قدرة لهم على الكسب .

ومنها تقرير قاعدة تضمن تنفيذ الخيرات المقررة في الأوقاف التى في غير نظر الديوان؛ لأن الوقفيات تخول لنظارها حق الصرف بمعرفتهم مع أن كثيراً منهم يخالف شروط الواقفين ويضن على وجوه الخير ويتصرف بكيفية تعود بالنفع عليه وحده دون المستحقين من الفقراء والمساكين . فلو أن هذه المبالغ المخصصة في تلك الوقفيات للخيرات استعملت على حقيقة ما وضعت له لعادت على البلد وأهله بالخير الجزيل .

ومنها وضع نظام مفيد لإنشاء المساجد التى ينشئها الديوان والأهالى في أنحاء القطر من جهة العدد اللازم لكل ناحية من النواحي وانتخاب المحالّ اللاتقة بها بعد وضع رسومات لها حسب درجاتها من الأهمية . وأن يلاحظ في إنشائها ما يضمن

استمرار وجودها على الحالة المرضية مع البحث في أمر المساجد المتخربة الزائدة عن الحاجة .

ومنها تكوين هيئة مؤقتة تابعة لقسم الإيرادات يناط بها تحقيق الأحكام وتصفيها بالاستبدال مع تسهيل الطريق لذلك بدلا من توزيع هذا العمل على فروع الديوان في الجهات كما هو واقع الآن .

ومنها وضع خطط ورسومات هندسية لجميع العقارات والأراضي التابعة للديوان .
ومنها تجديد السجلات التي أصبحت بمرور الزمن الطويل عليها وكثرة أيدي الباحثين فيها تؤدي وظيفتها بكل صعوبة مع أنها من ذخائر الديوان الثمينة التي يرجع إليها عند الحاجة في كثير من الأحيان .

ومنها تنظيم الدفترخانة بطريقة تصبح معها قادرة على أداء ما يطلب منها بالسرعة المطلوبة وحفظ ما فيها من الأوراق والمستندات .

إلى غير ذلك من الأبحاث التي يتسع فيها مجال العمل بديوان الأوقاف لدوام ترقيته وحسن الانتفاع العام بوجوه خيراته .

« وعلى العموم فأنني أترك خدمة هذه المصلحة الخيرية وحالتها المالية في يسر ورواج وحالتها الادارية على نظام لم يبق فيه مجال للشقاق والنزاع . »

ما قاله لي البرنس حسين كامل ورأى كتشنر عني : بعد تقديم تقريرى عن هذه السنة للجناب الخديوى زرت البرنس حسين كامل وقدمت له نسخة أخرى من هذا التقرير فشكر لى ثم أثنى على مجهودى فى إصلاح الأوقاف وأضاف قائلا : « إنك يا شفيق باشا قدمت إلى اللورد كتشنر نسخة من هذا التقرير بالفرنسية وقد حدثته بمجهوداتك القيمة وبكفاءتك وأنتك من المصلحين الذين يفيدون البلاد ويليقيون لوجودهم فى أعلى المناصب ، فرد على كتشنر بأنه يعلم ذلك ولكنك خديوى صميم ، فشكرت للبرنس حسن ظنه بى وقلت : « إتنى لا أرى فى وصف كتشنر لى عيباً . »



ريوف باشا

الذى عين قومسيراً بمصر بعد سفر الغازى مختار باشا لتشكيل الصدارة
الاتلافية .

سنة ١٩١٣

حرب البلقان . مساعرات مصر للدولة . خطة لاستقلال مصر . البرنس فوآد وعرش ألبانيا . أفراس الخديو . صفقة طيبة . اختياري للأوقاف الخصوصية . مدير عموم الأوقاف يباع ويشتري بمرأهم معدودة . عباس يصيب عصفورين بحجر . تحويل ديوانه الأوقاف الى نظارة . انشاء الجمعية القشرية . سنو مختلفه . مساعى الصالح بين الخديو ومحمد فريد بك .

حرب البلقان . فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٢ وردت إلينا الأخبار بحصول اضطرابات فى البلقان فقد قامت بلغاريا والصرب والجبل الأسود تطلب الاستقلال الإدارى من تركيا وتعيب الادارة التركية ، واليونان تطلب جزر الأرخيل ؛ وقد اشتدت هذه الاضطرابات ، وحدثت مناوشات بين جيوش هذه الدول والحاميات التركية .

مساعرات مصر للدولة . وفى ٢٧ أكتوبر أعلنت تركيا الحرب عليها، وفى هذا اليوم نفسه تألفت لجنة برئاسة البرنس عمر طوسن ورعاية البرنس محمد على لجمع التبرعات للدولة ، وقد افتتحها الرئيس بخمسة آلاف جنيه ، ثم أخذت تطوف فى المديرىات . وتعد الاجتماعات ، فتنهال عليها التبرعات الكبيرة .

وقد وعد سمو الخديو بأن تقطع الحكومة المصرية علاقتها بدول البلقان الأربع ، وتعطى قناصلها فى مصر جوازات السفر لمبارحتها .

وكان لهذا الوعد وتلك التبرعات وقع طيب فى الاستانة فأرسل جلالة السلطان يوم ٩ نوفمبر شكراً لسموه ولأبنائه المصريين .

مؤتمر لندره : وفي أوائل ديسمبر عقد مؤتمر لندره للنظر في المسألة البلقانية، وظل يوالى عقد جلساته حتى ٢٣ يناير، وانتهى إلى قرارات قبلتها نظارة كامل باشا وأهمها التنازل عن أدرنة وعن جزر الأرخبيل .

إسقاط كامل باشا وتولية شوكت باشا : وعند ذلك ثارت ثائرة الاتحاديين، وأسقطوا نظارة كامل باشا، وتولى الصدارة محمود شوكت باشا وكان ناظراً في صدارة طلعت بك .

وأعلنت النظارة الجديدة أنها ستدافع عن حقوق البلاد، وطلبت إلى الشعب أن يعاونها باخلاص .

ألمانيا والاتحاديون : وقد علمنا أن ألمانيا تؤيد الاتحاديين، وأنها منحت امتيازاً اقتصادياً في الأناضول مقابل مليون ونصف مليون جنيه .

عودة الحرب : وقد انتهت الهدنة على إثر وضع الصدارة الجديدة شروطاً تصون بها حقوق الدولة، وقامت الحرب من جديد .

وصدرت الارادة السلطانية بعقد قرض أهلى قدره خمسة ملايين ليرة تركية، فأقبل الشعب التركي على المساهمة في هذا القرض .

مظاهرات النصر في الاسكندرية : وقد جاءت الأخبار في ١٤ فبراير بانتصار الجيوش التركية عند بدء القتال، فقامت المظاهرات في الاسكندرية ابتهاجاً بهذا النصر، وقبض على حامد المليحي افندى ومحمد كاظم افندى من شبان الحزب الوطنى بتهمة التحريض على المظاهرات، وحكم عليهما يوم ٢٠ منه بالغرامة .

هزيمة بعد انتصار وسقوط أدرنة : ولكن ما لبثت الأخبار أن جاءت بتقهقر الجيوش التركية وسقوط أدرنة، بعد أن ظلت أربعة أشهر وهى محاصرة، وكان قائد حاميتها البطل شكري باشا .

وقد كان لسقوطها رنة حزن وأسف في أنحاء العالم الاسلامى، لأنها طريق للاستانة قتل الصدر شوكت باشا : وفي ١١ يونيو قتل محمود شوكت باشا الصدر الأعظم بيد أربعة من الشبان كانوا يركبون سيارة .

سعيد حليم صدر أعظم : وعهد بالصدارة إلى سعيد حليم باشا . وقد شكلت محكمة عرفية لمحكمة القاتلين ومن يتصلون بهم، وعلمت (و كنت مذكرات م - ١٩ ق ٢ - ج ٢ -

بالاستانة للاصطاف مع أسرتي) أن طلعت بك حادث رئيس المحكمة في موضوع المحاكمة وذكر له أن الشعب ينتظر الحكم بالاعدام على كل من يثبت عليهم اتصالهم بالمؤامرة ولو بلغ عددهم الخمسين ! ، فرد عليه بأن في هذا الكلام خطأ قانونياً وسياسياً ، فأصر على طلبه ، ولما لم يجد من رئيس المحكمة الموافقة اللازمة ، عرض عليه أن يتغيب باجازه لمدة شهر ، وعين بدله رمزي بك أحد أركان الاتحاديين .

وقد حكم بالشنق على عشرين منهم الداماد شريف صهر السلطان والبرنس صباح الدين من أسرته .

وبعد الشنق أخذت الدوريات تطوف في المدينة وتقبض على كل من يتحدث عن فضاة هذا الحكم .

خطة لاستقلال مصر . ظلت الانتصارات تتوالى للبلقانيين حتى أصبحوا على أبواب الاستانة ، وكان الخديو قد حضر إليها يوم ١٥ سبتمبر بعد زيارته لأوروبا .

وفي يوم من الأيام كنت في بيك وحضر فريد باشا الصدر الأسبق للزيارة وكان سموه في الحريم ، جلست معه ودار الحديث بيننا عن حالة تركيا السيئة ، فقلت له : « إنني أخشى أن تكون هذه الهزائم مسهلة لتحقيق مشروع دول أوروبا القديم في تقسيم تركيا ؛ وإذا كان الأمر كذلك فماذا يحصل لمصر وهي من أملاك الدولة ؟ فهلا يمكن التفكير في مستقبلها بأن تتفق مع انجلترا للوصول إلى استقلالها ؟ ،

فرد فريد باشا بأن سياسة الخديو مع انجلترا لا تجعلها تأمن له أو تثق به فتساعد على ذلك .

ثم سألتني : فكيف تفتحون الانجليز في هذا الموضوع ؟

فقلت : يوجد حل هو أنني قبل سفري من مصر علمت أن كتشنر ينتظر عودة الخديو ليطالب من الحكومة التخلي عن قطعة أرض في أبي قبر لاقامة تلغراف لاسلكي تابع لوزارة الحرية البريطانية ، فعند تقديم هذا الطلب ، يحتاج الخديو بأن الفرمانات تقيده بعدم التنازل عن شبر من الأرض بغير موافقة الدولة ، وإذا كان الانجليز يحبون إفساح المجال لسموه في هذه الشئون ، فعليهم أن يساعدوا مصر على الاستقلال .

وهنا حضر الخديو ، فسأل عن موضوع الحديث ، فاخبرته به .

وقد ظلت هذه الفكرة تدور برأسه حتى رجعنا لمصر في ٢ أكتوبر . وبمجرد

وصولنا أرسل محمد سعيد وحسين رشدى لمقابلته بالقبة، وحضر الاجتماع اسماعيل أبازله وقص الخديو ما دار بينى وبين فريد باشا .

وبعد المداولة فى الموضوع تقرر أن يتوجه حسين رشدى لكثشنر ويتفاهم معه ، وقد استمع كثشنر لحديثه ، ثم طلب منه مهلة للتفكير .

وقد أمرنى الخديو بالاجتماع مرة أخرى مع رشدى باشا وأبازله باشا للتداول وتحديد المطالب ، فاجتمعنا إلى منتصف الليل ولكننا لم نقرر شيئاً لأننا أرجأنا البحث فى ذلك حتى نعلم رأى كثشنر وتبين إن كانت انجلترا تساعد مصر على فصلها عن تركيا وعند ذلك نبحت فى الذى نطلبه : إما الاستقلال وعقد محالفة مع انجلترا أو طريقة أخرى تبعاً لما تبيده وزارة انجلترا . ولما تقابل رشدى باشا مع كثشنر قال له : ولقد كنا أصدقاء للدولة ، فلا يصح أن تنكر لها فى وقت محنتها ؛ وبذلك طوى المشروع .

عقد الصلح : وأخيراً عقد الصلح بين تركيا ودول البلقان ونالت انجلترا فى مقابل وساطتها ، امتيازات إدارية فى العراق ، وتنازل الحكومة التركية عن حق مراقبتها على القروض المصرية .

البرنس فؤاد وعرش ألبانيا . فى أثناء الاضطرابات البلقانية ، تحدثت الصحف الأوربية عن سعى البرنس فؤاد لتولى عرش ألبانيا ، وقد ورد فى جريدة الطان الفرنسية نقلاً عن صحف رومه ، أن سموه ينوى دخول ألبانيا على رأس قوة من عشرين ألفاً من الألبانيين الثائرين على حكومتهم فيعلن استقلالها ، ثم عقبته على هذا الخبر بقولها : « إن الدول معترفة باستقلال ألبانيا فعلاً ، ولكن البرنس ينوى زيارة باريس كما زار رومه وفينا ، ويسعى لأن تحفظ لألبانيا حدودها الطبيعية . »

وذكرت صحف النمسا أن حكومتها لم تقبل ترشيح البرنس لعرش ألبانيا .

أفراح الخديو . فى يوم ٢٧ مارس عقد فى قصر القبة كتاب محمد جلال الدين باشا نجل فريد باشا الصدر الأسبق على البرنيس عطية الله خانم أفندى كريمة الخديو ، وقد حضرت العقد مع النظار وفريد باشا ورشيد بك ناظر الداخلية التركية سابقاً وجمال الدين أفندى شيخ الاسلام السابق بالاستانة وقاضى مصر (التركى) وشيخ الأزهر والمفتى وغيرهم .

وكان وكيل العروس عمها البرنس محمد على ، ووكيل الزوج شيخ الاسلام .

وانجعل مقدم الصداق ثلاثة آلاف جنيهه ومؤجله سبعة عشر ألف جنيهه وكتب العقد قاضى مصر .

صفقة طيبة (أرض المطاعنة) . فى يوم من أيام سنة ١٩١٢ جاءنى على جلال باشا (أحد المقربين للخديو) فى ديوان الأوقاف وقال لى : « إن أفندينا أرسلنى إليك فى شأن شراء أرض للأوقاف عن طريق الاستبدال وهى صفقة طيبة ، فسألته عنها ، فقال : هى أطيان أخيك محمد توفيق بك وتادرس شنوده والبابى الحلبي وتبلغ مساحتها ٣٥٠٠ فدان تقريباً فى المطاعنة . »

وقد كنت خبيراً بهذه الأرض وفيها قصر عظيم أعده السير إرنست كاسل لإقامته مدة الشتاء ، وكنت عالماً بالثمن الذى اشتريته به ، فقلت له أن ليس لى ما يمنع من إتمام هذه الصفقة .

فسألنى : « أتعرف الثمن ، ؟ فقلت : « إننى اشتريتها لأخى بسعر ٦٥ جنيهاً للفدان للأرض الطيبة العالية ، وكنت أعلم أن أوطى جزء فيها على الساحل كان معروضاً بأربعين جنيهاً فقط للفدان ، والملاك الآن فى عمر لتسديد أقساط البنك العقارى التى عليها ؛ لذلك فإنها ستباع بالمزاد فى المحكمة ، فالثمن لابد أن يكون منخفضاً . »

فقال لى : « كلا ! إننا نريد ثمناً عالياً لهذه الأرض » فأجبت به بأن الذى أنوى اتباعه هو أن تؤلف لجنة وتفحص الأرض وتقدر لها الثمن المناسب .

ولما وجدنى غير مستعد للسير فى التيار الذى يريده ، قال لى : « إن لك فائدة فى هذه الصفقة ! » فابتسمت وقلت له : « دعنا من هذا الآن ، فأنا على كل حال لا أستطيع أن أنصرف تصرفاً غير قانونى ما دمت فى ديوان الأوقاف . »

وعندئذ سألنى : « ماذا ستصنع إذن ؟ » فقلت له : « اتركونى لأتصرف بما توجبه المصلحة . »

وفى مرة كنت مع الخديو ومحمد سعيد باشا ومحمد عزت باشا فى قطاره الخصوصى عائدين من تفتيش إنشاص إلى مصر بعد أن تفقدنا أعمال الإصلاحات فيه ، فقال لى محمد سعيد باشا : « لماذا لم تنه مسألة المطاعنة ؟ » فأجبت به بأن ضميرى لا يسمح لى وأنا فى الأوقاف أن أقوم بعمل يسيء سمعة الخديو . ومن هنا عرف الأفاضل مطلقاً من محاولاتهم معى .

وبعد أيام جاءني أحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية وسألني عما عزمته عليه في هذه المسألة؛ فأجبتُه بأنني أحب أن أتصرف تصرفاً لا انتقاد فيه، وخصوصاً أن الخديو قد تدخل في هذا الموضوع، فيجب ألا نعمل ما يسبب أى انتقاد، فقال لي: «لا تفكر في هذه الأشياء فإن الخديو ينوي أن يجعلك ناظراً في وقت قريب، فأجبتُه بأنني على كل حال رجل الخديو سواء كنت ناظراً أو مديراً للأوقاف، ولا أقبل على نفسي أن أعمل عملاً يسبب انتقاداً على سموه.

ولما تبين للخديو أنني غير مستعد للتساهل في هذا الأمر، ترك المسألة مؤقتاً. ولم يفتحني سموه ولا غيره في مسألة المطاعنة. ولما لم أنفذ أمره سمح لي بأجازة أقضيها مع عائلتي في الاستانة بمجرد أن التماسها من سموه.

وفي أثناء وجودي بها واصلتني عدة رسائل من عبد الرحمن فهمي بك ومن محمد وجيه أفندي سكرتيري الخاص، بالمحاولات التي بذلت لاتمام الصفقة بواسطة الأول. وبعد رجوعي علمت منه أيضاً أن أحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية قابله وقال له إن الخديو يريد أن تعمل المباحثات اللازمة عن ٣٠٠٠ فدان وكسور بجهة المطاعنة كي تشتريها الأوقاف العمومية. وبينما كان بمسجد أبي العباس المرسي لصلاة الجمعة مع الخديو، سأله سموه عما تم فيما أبلغه به أحمد صادق بك، فعرفه بأنه سيقدم تقريراً عما أجراه، وبالتحري علم له أن هذه الأطنان يمتلكها الآن شخصان، أحدهما محمد توفيق بك وله الثلثان وأندراوس بشاره ويملك الثلث الذي اشتراه في العام الماضي (سنة ١٩١١) من الباني الحلبي الكسبي المشتري الأصلي لهذا الثلث، وأن هذه الأطنان متأخر عليها قسطا سنتين للبنك العقاري الذي حل محل الدائرة السنية البائعة الأصلية، وأن البنك المذكور شرع في نزع ملكية هذه الأطنان وتحددت جلسة للبيع.

وقد علم عبد الرحمن فهمي بك بأنه يراد مشتري هذه الأطنان للأوقاف العمومية بأكثر من ضعفي ثمنها ليستفيد المالكان بعض الشيء، والبعض الآخر لمن يلحون بأجراء هذا المشتري، فأسرع بمقابلة عباس في سراي رأس التين وعرض عليه عدم إمكان مشتري هذه الأطنان بطريق الممارسة لأنها معروضة للبيع بالمزاد الجبري، وأن هذا مخالف للقانون المالي، فظهر له امتعاض الخديو من أقواله. وبجلسة أخرى مع سموه بوجود أحمد صادق بك قال: «تأكد يا أفندينا أنني أضحي كل شيء في سبيل مرضاتك ولكنتي في الوقت نفسه أضحي حياتي في عدم مساس المصلحة المرتبطة بأسفلك بسوء.

هذه الأطنان كان يمتلك ثلثها شخص يدعى البابي الحلبي، باع نصيبه في العام الماضي إلى اندراوس بشاره بسعر الفدان ٤٠ جنيتها مصريا وقيل بـ ٥٠٠ جنيتها مصريا، وهذا الرجل وزع نشرة على جميع القناصل والنظار والمستشارين والعلماء وعلى كل ذي حثية في البلد، قال فيها إن أموال العجزة والمكسحين تبعثر ذات اليمين وذات اليسار، وأن الأوقاف تريد مشتري أطنان لا يساوي الفدان منها أكثر من ٤٠ جنيتها بخمسة وتسعين جنيتها، ويستنهض همم القوم إلى ملاقة هذا العمل، فتلقاء هذا يا أفندينا نرى أن الحكمة تقضى بعدم التفكير في المشتري بالممارسة، وأن المشتري بالمراد العلني لا جناح عليه ولا تريب .

عندئذ فكر الخديوية وقال له : « أعد فحص المسألة ثانياً، وإن وجدت لها حلاً فاشترها . ثم سافر الخديوي في اليوم التالي إلى أوروبا . ولكنه لم يقبل تنفيذ الأمر ووقف موقفاً مشرفاً .

امتهاري للأوقاف الخصوصية . وبعد رجوعي من الإجازة استدعاني عباس لسراي عابدين، وهناك وجدت محمد سعيد باشا، فقال سموه : « طلبتك مع سعيد باشا لتفكرا في اختيار رجل غير أحمد خيرى باشا يدير الأوقاف الخديوية لأنه ليس من المجددين الذين يدخلون الإصلاحات والنظم الجديدة .

وفي مرة أخرى سألتني عما إذا كنت قد فكرت فيمن يصلح لهذه المهمة، فأجبتُه بأنني أرشح على أبا الفتوح باشا لأنه رجل إداري وقانوني وجدى في عمله وتصرفاته . ثم سألت عن اختاره محمد سعيد باشا، فقال إنه لم يرشح أحداً للآن ثم فكر قليلاً وقال : « ولماذا نبحث يا شفيق بعيداً عن رجل صالح للأوقاف الخصوصية وعندنا من يصلح ؟ ، قلت : « ومن هو ؟ ، قال : « أنت .

وسألتني عما أتأوله من ديوان الأوقاف فقلت : « ١٧٥٠٠ جنيتها . قال : « وإذا أحلت على المعاش ؟ ، قلت : « ثمانمائة جنيه ، قال : « فإذا نلت هذين المبلغين تكون قد وصلت إلى مرتب ناظر، وبعد ذلك ننظر في ترقية أخرى !

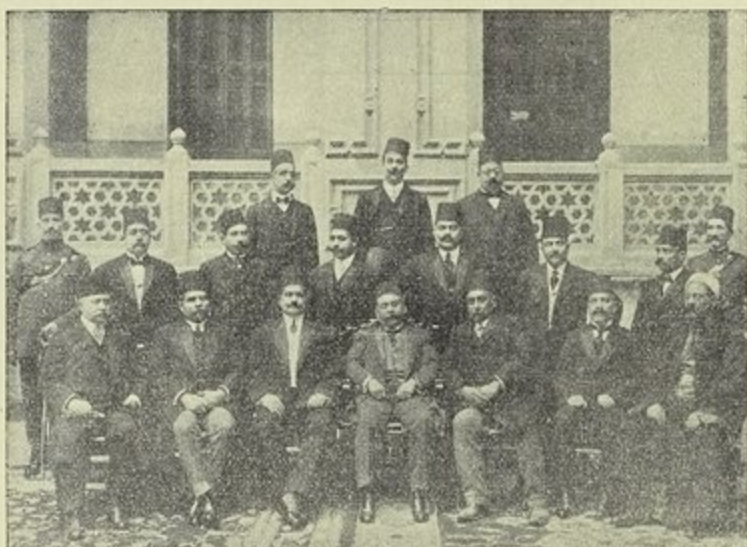
فقلت لسموه : « إن الناس كانوا يقولون عن ديوان الأوقاف إنه رجل مريض ويحتاج إلى علاج، وأنا قد أخذت في علاجه، ولا أستطيع أن أقول إنه أصبح سليماً معافى، فهو ما يزال في حاجة للعلاج، وأريد ألا أتركه حتى يتم شفاؤه . فقال لي : « لقد عملت كثيراً، وأصلحت كل شيء فيه .

فأجبت: «إنتي أحب أن أتم هذا العمل حتى يقال: هذا هو المصري الوحيد الذي ليس له «جوكي» انجليزى فيكون عملي نموذجاً للمصري المصلح، وهذا يعود لسموك ولاختيارك وإرشادك».

ولكننى وجدت من الحنديو لإصراراً تاماً على فكرته، ووجدت نفسى أمام ابن ولى نعمتى توفيق، فقبلت مكرها، ولكننى عرضت بقائى حتى يتم تنظيم الميزانية لعام ١٩١٣ فوافق سموه على ذلك.

وعند تركى الديوان أهدى إلى رؤساؤه إطاراً من البرونز الفخم به صورتهم هذه وأنا فى وسطهم تذكاراً للسنوات الثلاث التى قضيتها معهم مما دل على حبهم وإخلاصهم لى؛ وقد أدخلت على هذه الهدية الثمينة السرور العظيم خصوصاً وإنى لا أذكر أن أحداً من سلفائى قد نال ما نلت، فشكرت لهم كل الشكر، وصاغتهم وودعتهم.

(٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤)



(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

- (١) أحمد الأزهري بك (٢) إبراهيم بك على (٣) محمود باشا فهمى (٤) شفيق باشا
(٥) عبد الرحمن فهمى بك (٦) على لبيب بك (٧) هرتس باشا (٨) خالد بك الفوال
(٩) عبد الفتى بك شاكر (١٠) خليل بك إبراهيم (١١) محمد بك حسنى (١٢) عثمان بك محرم
(١٣) جلال بك فهمى (١٤) أحمد بك السيد

هذه الصورة أخذت فى أواخر شهر ديسمبر عندما علم رؤسا الديوان بقرب استقالتى

وبما أذكره أنتى قبل خروجى تركت مذكرة لخلى لفت فيها نظره إلى بعض المسائل الهامة القانونية كانت أو إدارية - وكانت تحت التنفيذ - ومن بينها رفع دعوى ضد عبد الرحيم باشا الدمرداش ، بخصوص أرض بالقرب من حدائق القبة . وكنت قد سلمت أوراقها إلى ناظر الداخلية محمد سعيد باشا بناء على أمر الجنب الخديوى لفحصها ومعرفة إذا ما كان للديوان الحق فى رفع هذه الدعوى (*)

كيف تسلمت إدارة الأوقاف الخديوية : شتان ما بين سرورى وآمالى عندما أهدت إلى إدارة الأوقاف العمومية ، لأننى كنت أشعر بأن المولى سبحانه وتعالى سيساعدنى على تحسين حالة هذه المصلحة الخيرية ، وبين اليوم الذى تسلمت فيه إدارة الأوقاف الخديوية الخصوصية ، فإن قلبى كان حزينا لأنه يشعر بأن تقلى إليها ما كان فى الحق لغرض إصلاحها بل لمنفعة كان يطلبها الخديو كما سبرى القارىء .

ولما جلست على مكنتى جاءنى الوكيل احمد صادق بك وقدم إلى كبار الموظفين وسألت كل واحد عن اختصاصاته وأخذت مذكرة بذلك . ثم سألت عن الأعمال غير الادارية الموجودة بالديوان ، فعلت منه أن فى الأوقاف الخديوية موارد للتخيرات يأذن الخديو شفها بصرفها للدير ويسلمها إما لسموه أو للوكيل أو للصراف لتوزيعها سرا لمن يستحقونها من البيوتات التى أخنى عليها الدهر أو لأعمال خيرية ، وقد سألت عما إذا كان المدير الذى يتسلم المبالغ التى يأمر بها الخديو يأخذها وصولات سواء كان من سموه أو من الذى يأمر باستلامها ، فقال لا لأنه كان معتادا فى مدة سلفى أحمد خيرى باشا ألا تؤخذ إيصالات بهذه المبالغ ويكتفى بالوصل الذى يعطيه المدير للصراف . ولكن من باب الاحتياط صممت على أنه إذا جاءنى من يبلغنى أمر الخديو بصرف مبلغ ، قل أو كثير ، أن أراجع الخديو وأعلمه بأن فلانا أبلغنى أمركم بصرف (كذا) فلن أسلم هذا المبلغ ، فيقول لفلان ألى حتى أنا كد أنا من أوامره . هذا كل الاحتياط الذى أجرته .

مدير الأوقاف العمومية يباع ويشترى بمرأهم معدودة . بعد حديثى مع

الخديو بخصوص تقلى للأوقاف الخديوية جاءتنى مدموزل إمري ، وكانت مربية لأحد أولادى قبل سفره لأوربا ، ثم توظفت بصفة معلمة فى منزل أحد أصحابى القانونيين

(*) وقد علمت فيما بعد من إبراهيم باشا نجيب الذى خلفنى أنه لما طلب رد هذه الأوراق إليه من

محمد سعيد باشا أخبره ، أنه كان سلمها الى وكيله لبحثها ، وأنها فقدت من مكنتى !

وكانت تتردد علينا من آن لآخر ، فسألني يوماً : « هل ستترك الأوقاف العمومية ويحل محلك البك الذي أنا في خدمته ؟ » فاستغربت لمعرفتها بأمر تم الاتفاق بيني وبين الخديو عليه فقط ، وسألتها عن مصدر هذا الخبر ، فقالت إنني سمعت في منزل مخدومي أنه باع قطعة أرض ، ودفع خمسة آلاف جنيه للوسيط من رجال المعية .

عباسي بصيب عصفورين بحجر . عندئذ ظهر لي أن محاولة إخراجي من الأوقاف العمومية لها وجهتان : فالأولى هي أخذ الخمسة الآلاف جنيه ؛ أما الثانية فهي تنفيذ صفقة المطاعة ، وشراء الأطيان بمبلغ ٩٥ جنيهاً للفدان الواحد ، في مقابل سمسة قدرها ستون ألف جنيه ، تسلمها أحمد صادق بك من إدارة خزانة الأوقاف ، عدا ما استفاده البائعون .

تحويل الأوقاف إلى نظارة . قد علم كتشنر بهذا السر (شراء الأوقاف أرض المطاعة وأخذ الخديو مبلغ ستين ألف جنيه) وصمم على جعل ديوان الأوقاف نظارة . ولما كانت للمشكلة صبغة دينية ، فانه أراد أن يعرف رأى الاستانة .

كتشنر يستشير الصدر الأعظم وشيخ الاسلام : وكانت له علاقة مع عماد الدين بك وكيل دائرة الأمير حلیم باشا ، فطلب منه عند سفره إلى استانبول في فصل الصيف مقابلة شيخ الاسلام ، خيري افندي ، والصدر الأعظم ، البرنس سعيد حلیم باشا ، ومفاتيحهما لأخذ رأيهما في تحويل الأوقاف المصرية إلى نظارة ، فسافر ؛ وذات يوم عقب اجتماع الوكلاء في سراي الصدر ، عرض عماد الدين عليهم الموضوع ، فأظهروا جميعاً موافقتهم ، وكان البادى طلعت باشا ناظر الداخلية ، وكان الصدر الأعظم وشيخ الاسلام صامتين . ولما سئل الصدر الأعظم عن رأيه ، أجاب أن الرأي لحضرة شيخ الاسلام ، فقال إنه لا يرى مانعاً خفياً ، بل يرى المصلحة في هذا التحويل ، وقال الصدر الأعظم : « ما دمت قد وافقتم جميعاً فأنا أوافق معكم . »

ولما عاد عماد الدين في الخريف ، أخبر كتشنر بالنتيجة ، وكانت وزارة الخارجية الانجليزية تركت لكتشنر التصرف في هذا الأمر تحت مسؤوليته .

عندئذ أرسل حسين رشدي باشا للخديو ليفاء به في الأمر ، فاعترض بأن المسألة شرعية ، وهو لا يستطيع أن يعمل فيها شيئاً . ولما سمع كتشنر هذا الرد غضب وقال : « إذا كان لا يريد الموافقة ، فأنا أسلم العرش لابن عمه ، (يعني سعيد حلیم الصدر الأعظم ، وعداؤه للخديو معروف .)

ودارت المخاطبات في الموضوع بضعة أيام ، بواسطة محمد سعيد باشا ، وحسين رشدي باشا . وانتهى الأمر بسؤال الخديو الصدارة بصفة رسمية ، فوافقت على المشروع ، وبذلك تمت المسألة كطلب كتشنر .

النظام الجديد للأوقاف : وقد اضطر الخديو للموافقة أخيراً ، واجتمع مجلس النظار في ٧ نوفمبر لوضع النظام الجديد لهذا التحويل ، وحضر الاجتماع لورد ادوارد سيدسل مستشار المالية ، والسير ملكولم مكليس ، والمسيو روكاسيرا المستشار الخديوي في مجلس النظار .

وفي ٢١ نوفمبر صدر الأمر بالتحويل ، على أن يتألف مجلس أعلى لنظارة الأوقاف من ناظرها رئيساً ، ومن شيخ الجامع الأزهر والمفتي وثلاثة أعضاء آخرين .

وتكون ميزانية الأوقاف نافذة بمقتضى إرادة خديوية ، بناء على طلب ناظر الأوقاف ، وموافقة المجلس الأعلى ، وبعد أخذ رأى الجمعية التشريعية .

وعدلت النظارة ، فعين أحمد حشمت باشا ناظراً للأوقاف ، ومحمد شفيق باشا وكيلاً لها ، واحمد حلمي باشا للمعارف ، وسعيد ذو الفقار باشا للمالية ، ومحمد محب باشا للزراعة التي أنشئت حديثاً ، والمستر هينز وكيلاً للزراعة .

وعين الأعضاء الثلاثة في المجلس الأعلى ، وهم يحيى ابراهيم باشا ، وحسين واصف باشا المهندس ، واسماعيل حسنين باشا .

وقد تردد يحيى باشا في قبول منصبه هذا لأنه وهو رئيس محكمة الاستئناف سيكون عند انعقاد المجلس الأعلى تحت رئاسة وكيل النظارة عند غياب الناظر ، وحل هذا الاشكال بالألا يحضر إلا الجلسات التي يرأسها الناظر .

الانتقام من عبد الرحمن فهمي بك : سبق القول بأن عبد الرحمن فهمي بك وقف في وجه الخديو في صفقة المطاعنة ، وقد حملها له الخديو ، وطلب منه مرات أن يستقيل من منصبه فأبى ، فانتهز الخديو فرصة تحويل الأوقاف إلى نظارة ، وأشار بإخراج عبد الرحمن فهمي بك منها على محمد سعيد باشا ، الذي اتفق مع عبد الرحمن بك على تعيينه مديراً للنيا أو محافظاً للقنال . ولما سمع الخديو بذلك أظهر استياءه لمحمد سعيد باشا ، فعدل عن تعيينه بعد إخراجة من الأوقاف .

وهكذا كانت الصفقة التي أبيتها سبباً في هذا الانقلاب ، بعد أن انكشف مركز الخديو فيها ، وتعرض للأقويل .

انشاء الجمعية التشريعية . ورد في تقرير كتشنر الذى نشر في العام الماضى ما يشير إلى العزم على توسيع اختصاص مجلس شورى القوانين ، وقد أخذ من هذا الوقت في تنفيذ الخطة التى أشير إليها ، وإعداد قانون نظامى جديد بدل القانون القديم فى سنة ١٨٨٣ الذى أنشئ بموجبه مجلس الشورى والجمعية العمومية .

وفى ١٥ يوليو سافر حسين رشدى باشا من مصر ومعه القانون الجديد لتوقيعه من الخديو (وكان فى باريس) .

صدور قانون الجمعية : وفى ٢١ منه صدر هذا القانون وهو يقضى بانشاء جمعية تشريعية تحل محل مجلس الشورى والجمعية العمومية وتألّف مجلس فى كل مديرية .

ولاهمية هذا الموضوع أوردنا بعض ما جاء فيه . والجمعية تؤلف من أعضاء قانونيين وأعضاء منتخبين وأعضاء معينين . ويكون النظار أعضاء قانونيين .

وحدد عدد المعينين بسبعة عشر عضواً : أحدهم رئيس والثانى وكيل ، والخمسة عشر يعينون على نحو يكفل النيابة عن الأقليات والمصالح التى لا تنال نصيباً من الانتخابات . وأما المنتخبون فيوزعون حسب النظام الآتى :

للقاهرة أربعة وللاسكندرية ثلاثة وللغربية سبعة ولكل من المنوفية والدقهلية والبحيرة والشرقية وأسيوط خمسة وكل من المنيا وجرجا وقنا أربعة وكل من القليوبية والجيزة والفيوم ثلاثة ولبنى سويف اثنان ولكل من بورسعيد ودمياط والسويس وأسوان واحد .

والمعينون يوزعون هكذا: للأقباط أربعة وللعرب البدو ثلاثة ولكل من التجار والأطباء ورجال التربية العامة والدينية اثنان وللهندسين والمجالس البلدية عضو واحد ويأخذ المعينون والمنتخبون مكافأة قدرها خمسة وعشرون جنيهاً فى الشهر .

ومدة عضوية الأعضاء ست سنوات ويسقط منهم الثلث فى كل سنتين . ولا يجوز عزل العضو إلا بأمر عال بناء على عرض مجلس النظار بعد قرار بأغلبية ثلاثة أرباع الجمعية .

ويجوز حل الجمعية فى أى وقت بأمر خديوى بناء على طلب مجلس النظار وتجربى لانتخابات الجديدة فى هذه الحالة فى ظرف ثلاثة أشهر .

اختصاصات الجمعية : أما اختصاصاتها فهي أنه لا يجوز إصدار أى قانون ما لم يتقدم أولاً للجمعية لأخذ رأيها . ويعتبر قانوناً كل تقنين يتعلق بأمور مصر الداخلية وله أساس بتنظيم سلطات الحكومة ، أو يقرر بطريقة عامة أمراً متعلقاً بحقوق سكانها المدنية والسياسية ، وكل أمر عال يشتمل على لائحة إدارة عمومية .

وللجمعية حق تحضير مشروعات القوانين ، عدا ما يتعلق منها بالقوانين النظامية ، وللمجلس النظر أن يوافق على المشروعات التي تقرها أو يرفضها ، وفي حالة الرفض يذكر الأسباب ؛ ولا يجوز للجمعية مناقشة هذه الأسباب .

وإذا لم تقتنع الجمعية بالأسباب التي أبداهها المجلس فإنها تنعقد هي والنظار في هيئة مؤتمر ؛ فإذا لم تقتنع بما يبدية النظر فإنها تحل .

ولا يجوز ربط أموال أو رسوم إلا بعد موافقة الجمعية . وتستشار في كل سلفة عمومية ، وفي كل مشروع عام متعلق بمجملة مديريات وخاص بأشياء أو بإبطال ترعة أو مصرف أو خط من خطوط السكك الحديدية ، وفي فرز أطيان القطر لتقدير درجات أموالها .

وليس من اختصاصها النظر في مخصصات الخديو وويركو الاستانة والدين العمومي وكل الواجبات والالتزامات الناتجة من قانون التصفية أو الاتفاقات الدولية والمسائل المتعلقة بالدول الأجنبية وعلاقات مصر بهذه الدول والمسائل المتعلقة بتعيين أحد موظفي الحكومة أو أحد مأموريها أو بترقيته أو نقله أو عقوبته أو فصله ، وكل عمل آخر تجريه الحكومة بالنسبة لأحد موظفيها أو مأموريها .

وترسل ميزانية إيرادات ومصرفات الحكومة للجمعية قبل انتهاء السنة المالية بأربعين يوماً .

قانون الانتخاب : وقد صدر كذلك قانون الانتخاب وهو يعطى حق انتخاب مندوبى الدرجة الأولى لكل مصرى بلغ من العمر عشرين عاماً ، واشترط لانتخاب المندوب أن تكون سنه ثلاثين عاماً ، والمندوبون يختارون النائب .

كتاب أبيض لكشنر : وقد نشر قانون الجمعية وقانون الانتخاب فى لندره يوم ٣١ يوليو مع كتاب أبيض للورد كشنر يحوى إيضاحاً للأسباب التى بنى عليها هذان القانونان وبما جاء فيه :

« إن الجمعية العمومية كانت اجتماعاتها قليلة ولم يكن لها عمل غير اعتماد القوانين الجديدة الخاصة بالأموال المقررة والمستخدمين والضرائب ، أما مجلس الشورى فإنه وإن كانت وظيفته استشارية محضة إلا أنه اشترك اشتراكاً فعلياً في تنقيح القوانين ، ولذلك روى أنه من المناسب توسيع سلطة هذا المجلس وإضافة اختصاص الجمعية العمومية إلى اختصاصاته .

« ومع ذلك فقد أعطى للجمعية الجديدة شيء من حق الاقتراح وإبداء الرأي مع الوسائط التي بها تضطر الحكومة إلى إطالة النظر في درس القوانين التي لا تصادق عليها الجمعية بكل اعتناء وتدقيق . »
وكتبت « التيمس » تقول :

« أنفذ اللورد كاتشنر مشروعاً من شأنه توسيع حرية الأمة المصرية توسيعاً كبيراً . وهذه الإصلاحات التي كان اللورد واسطتها تستحق أكثر من الالتفات العادي لأنها رد واضح على الدعوى التي كررت مراراً ، وقيل فيها إن النفوذ الانجليزي ضغط مطامح المصريين ضغطاً يفوق الحد ؛ فإن كثيراً من الحرية والنفوذ اللذين يتمتع بهما سكان مصر الآن هو نتيجة الاحتلال الانجليزي رأساً وإن تكن الشبيبة المصرية تتجاهل التاريخ الماضي عند اجتماعها في جنيف وغيرها ، لأن ذلك يصادف هوى في فؤادها . »
انتخاب المندوبين : وفي ٢٦ أكتوبر أجرى انتخاب المندوبين ، وحدد يوم ١٣ ديسمبر لانتخاب الأعضاء .

أول بيان انتخابي : وبعد ذلك أصدر سعد زغلول باشا أول بيان انتخابي في تاريخ النيابة المصرية وقد جاء فيه :

« إذا شاء أبناء وطني أن ينتخبوني نائباً عنهم فأنا أعدهم بأن أجد في خدمتهم بالبحث عن كل العلل والأسباب التي يشكون منها ، وجمع الشواهد وإعداد الأدلة والحجج التي أتوصل بها إلى إقناع زملائي في المجلس حتى يؤيدوني فيما أقترحه على الحكومة من التعديل لخير الأمة ، وإلى إقناع الحكومة بصحة اقتراحنا واستمالتها إلى قبوله والعمل به حياً لخير الأمة .

« إنني اخترت أحوال التدريس والمدارس زماناً طويلاً ، فإذا انتخبت في الجمعية التشريعية فاني أعاهد الأمة على إفراغ الجهد في توسيع نطاق التعليم حتى يتيسر لأبناء الفقراء أن ينبغوا كبناء الأغنياء .

« وأنا لا أزال مقبلاً على رأيي في إعطاء الصحافة الحرية اللازمة لزيادة نجاحها ،
فاذا انتخبت فسأحاول إقناع الحكومة بوضع قانون تصان به حرية الصحافة ويصان
به النظام العام من ضرر شططها .

« وإنى أجعل حاجات معظم الأهالي نصب عيني وخصوصاً المزارعين ، فأسعى
في سبيل وسائل الزراعة والرى ومد السكك الحديدية والزراعية ، وأدرس مسألة
أسعار القطن درساً دقيقاً وأبذل جهدي في اتخاذ الوسائل التي تحمي مصالح الزراعة .
المنشورات الانتخابية : وتوالى بعد ذلك المنشورات الانتخابية من محمد كمال
بك وحسين واصف باشا وإدريس راغب بك وأمين سامى باشا وغيرهم .

انتخاب النواب : وفي ١٣ ديسمبر أجريت الانتخابات للنواب ، وهذه بعض
أسماء البارزين من المنتخبين : سعد زغلول باشا في دائرة بولاق والسيدة زينب وقد
اختار دائرة السيدة زينب وأعيد الانتخاب في بولاق ، وعبد الخالق مدكور باشا
عن الدرب الأحمر ، والسيد عبد الرحيم الدمرداش عن الجمالية ، ومحمد يكن باشا ومنصور
يوسف باشا في الاسكندرية ، وعبد السلام العلايلي بك عن دمياط ، وعلى المنزلاوى
بك وإبراهيم سعيد باشا ومحمد البدراوى باشا وفتح الله برحات بك في الغربية ،
ومحمد السيد باشا أبو على وعبد المجيد سلطان باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد علوى
الجزار بك ومحمد أبو حسين باشا في المنوفية ، وعلى الشمسى أفسدى في الشرقية ،
وعبد اللطيف الصوفانى بك في البحيرة ، وحسين هلال بك وعبد اللطيف المسكباتى
في الدقهلية ، وحمد الباسل بك في الفيوم ، والسعدى المصرى بك وعلى شعراوى باشا
وحسين الشريعى بك في المنيا ، ومحمد محفوظ باشا وعبد الرحمن محمود بك ومحمد قطب
قرشى بك في أسيوط ، ومحمد أبو ستيت بك ومحمد همام حمادى بك في جرجا .

النواب المعينون : ومن عين عن الأقباط قلبنى فهمى باشا ، ومرقص سميكة بك
وسينوت حنا .

رئيس الجمعية ووكيلها المعين : وقد اختير لرياسة الجمعية يوم ١٩ ديسمبر
أحمد مظلوم باشا ناظر المالية سابقاً .

وعرض على عدلى يكن باشا أن يكون وكيلها المعين ، فاشترط للقبول أن يكون
بمنزلة النظار في التشريفات والحفلات الرسمية ، وقبل شرطه فعين وكيله .

انعقاد الجمعية : وقد صدر الأمر الخديوى بدعوة الجمعية التشريعية للانعقاد يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ .

مسمى الصلح بين الخديوى ومحمد فريد بك . حصلت مخبرات مع توفيق زاهر بك ومحمد لبيب البستاني ويوسف صديق باشا ومحمد على دلاور بك بخصوص صلح الخديوى مع محمد فريد بك .

وساطة مدام روشيرون : فى ١٠ أكتوبر تقابلت مع فريد بك وكانت موفدة من قبل الخديوى لاتمام الصلح ، فأخبرها بأنه يقبل الصلح إذا كان الكلام يكون بينه وبين عباس بلا وسيط ، ولكن لم يتم الصلح لأن عباس خشى جواسيس الانجليز فى جنيف أن يطلعوا على اتصاله بفريد بك فرجع إلى مصر دون أن يتم الصلح .

شؤون مختلفة .

تقرير ككتشنر : فى ٢٤ مايو ظهر تقرير اللورد ككتشنر فقال ما ملخصه إن الملاحظات السياسية التى أبداهها فى السنة الماضية قد أثمرت فنقص تحزب الأحزاب وتنازعها وازدادت الثقة بالحكومة .

ثم قال : « إن مصر بقيت على الحياد فى حروب البلقان أيضاً أسوة بالحرب الإيطالية التركية ؛ وإن كانوا أظهروا ميلهم للمسلمين فأنشأوا جمعية للهلال الأحمر وجمعوا التبرعات لها والدولة . »

ثم ذكر استقالة سعد باشا من النظارة وأتى على ملخص لتدرجه فى الأعمال الحكومية وقال إنه أدخل إصلاحات كثيرة على نظارتى المعارف والحقانية اللتين تولاهما . ثم تكلم عن المؤامرة والمنشورات الثورية ، وقال : إن المؤامرات لو تمت لأخرت مصر كثيراً ؛ والمنشورات قال عنها إنها ضببط ففشل قصدها . وأن القضية الخاصة بها أخذت شهرة لا تستحقها لاتهم الشيخ جاويز باشتراكه فيها ، وهذا الرجل من كبار المهيجين فى الحزب الوطنى .

ثم تكلم عن الشؤون الخاصة بالزراعة وامتدح قانون خمسة الأفدنة وإنشاء محاكم الاخطا وتعليق خزان أسوان ، ، ، الخ

وفى نهاية العام قدمت استقالتي بعد عمل الميزانية وتقديم التقرير السنوى على حسب ما ورد فى مذكرات العام الماضى .

سنة ١٩١٤

الجمعية التشريعية . عبد الجبار الخديوي . حادثة الطيار فديريش الفرنسي . سقوط نظارة محمد سعيد . كفتنر بلجاً للخديوي . الاستقلال بوضع الحجر الاساسي للجامعة . رحلة الخديوي في الوجه البحري وظهور نفوذه . تألم كفتنر لنجاح الرحلة تكريم واصف بطرس غالي . وداع المجمع العلمي طاسيرو . مبيع سكة هديرو مربوط . نهريديرات كفتنر بعزل الخديوي . تفكير عباس في التنازل عن العرش . حادثة الاعتماد على حياة الخديوي وسفور المصير بين نحوها .

الجمعية التشريعية . تصريح لرئيسها . قال مظلوم باشا إن الجمعية التشريعية سيكون لها من الشأن ما يعادل الضجة التي اقيمت في سبيلها ؛ لأن فيها عدداً من خيرة الرجال العاملين ، وإنهم كلهم بما فيهم المعينون سيكونون معارضين للحكومة كما أنهم سيكونون معها ، لأن النقد والمعارضة سيكونان على أصولهما .

ثم قال : إن الأعضاء المعينين من قبل الحكومة لن يكونوا تحت أي تأثير ، ولن تكون حريتهم تحت أي ضغط يميل بهم مع الحكومة ؛ لأن الغرض الاساسي من تعيينهم هو تكملة العدد وتمثيل الاقليات .

سعد باشا ووكالة الجمعية : وقد كانت الانظار تنبج إلى سعد باشا ليكون في وكالة الجمعية عن المنتخبين ؛ ولكن اختلفت الآراء ، فبعض الناس أرسل للصحف يطلب منه ترشيح نفسه ، وبعضهم أرسل يشير بعدم ترشيحه ؛ لأن هذا المركز قد يمنعه من العمل في حرية .

وفي ٦ منه نشر محمد بك أبو شادي نداء لأعضاء الجمعية ، يطلب منهم فيه أن ينتخبوا سعدا وكيلا للجمعية .

مآذب لأعضائها : وفي يوم ١٥ منه أدب سمو الخديو مآذبة لأعضاء الجمعية . والنظار وكبار المعبة بسرأى عابدين

وفي يوم ١٩ منه أقام اللورد كتشنر مآذبة أخرى لرئيس الجمعية ، ووكيلها المعين وأعضائها ، وآخرين .

وكان يتقدم المدعويين صاحب الدولة البرنس حسين كامل ، والبرنس كمال الدين ، والنظار ووكلاؤهم ، والمستشارون ، والمستر لانجلى مدير مصلحة الأملاك .

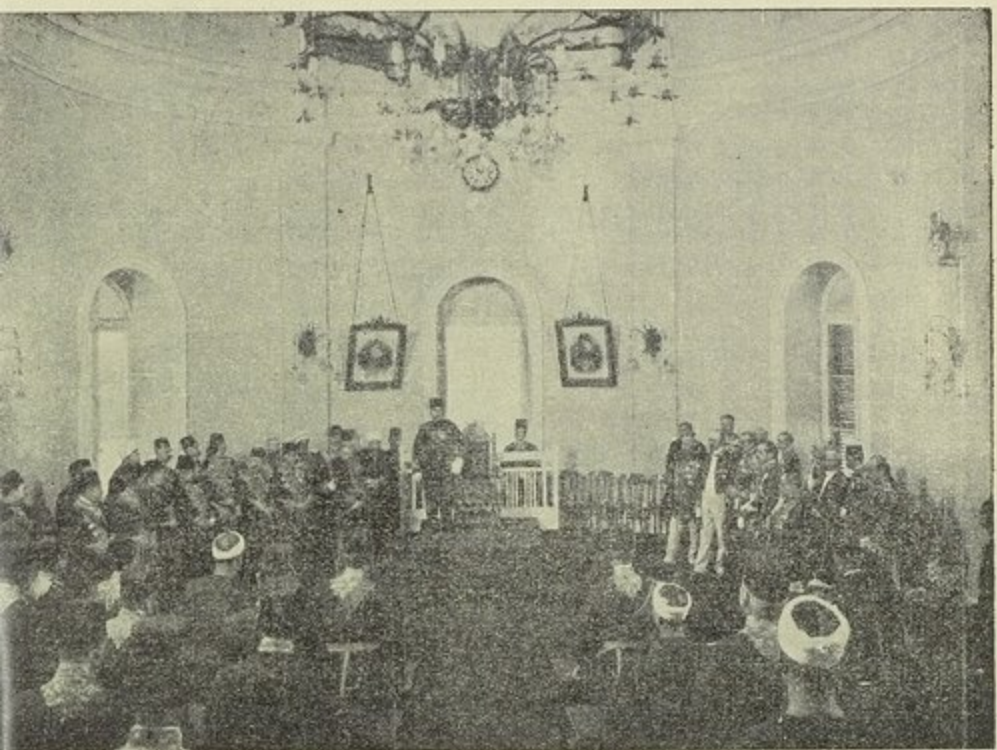
وفي يوم ٢١ منه أدب رئيس النظار مآذبة كذلك للأعضاء ، في فندق سافواى ودعا اليها اللورد كتشنر ، ومستشارى النظارات ووكلاؤها .

افتتاح الجمعية : وفي يوم ٢٢ افتتح الخديو الجمعية التشريعية ، وقد أعد احتفال كبير بهذا الافتتاح .

وقد ركب الجناح الخديوى من قصر عابدين إلى الجمعية التشريعية حوالى الساعة العاشرة صباحا ، لابسا كسوته الرسمية ، ومستصحبا في مركبته عن يساره عطوفة رئيس نظاره محمد سعيد باشا ، وأمامهما صاحب السعادة عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديوى ، واللواء اسماعيل مختار باشا السرياور الخديوى ، ومن ورائه مركبتان تقل إحدهما صاحبي السعادة محمد عارف باشا السر تشرىفاتى ، ويوسف صديق باشا ناظر الدائرة الخاصة وتقل الأخرى احمد صادق بك والميرالاي ابراهيم أدهم بك ؛ وتقدم موكبه ثلة كبيرة من خيالة البوليس ؛ فاجتاز الطريق المؤدية من القصر إلى الجمعية بين تحيات الجنود المصطفة في جانبيها ، وبين تحيات الألوف من شعبه المجتمعين لمشاهدته في تلك الطريق ، وفي المقاهى وشرفات المنازل المطلة عليها .

وعند بلوغه الجمعية استقبله في مدخلها سعادة رئيسها ، ومعه حضرات النظار ووكيل الجمعية ، ومحافظ مصر ؛ وبعد أن استراح بضع دقائق في الغرفة المقابلة لقاعة الجمعية دخل إلى القاعة فحف بكرسيه عن اليمين حضرات العلماء وفي مقدمتهم سباحة جمال الدين أفندى شيخ الاسلام الأسبق بالآستانه ، وفضيلة قاضى مصر ، وفضيلة شيخ الأزهر ، وغبطة الأنبا كيرلس بطريق الأقباط الأرثوذكس ، وبعض النظار ، وعن اليسار

وكلاء الدول كلهم وفي مقدمتهم لورد كاتشنر لابساً حلة المشيرية ، وبقية النظار ومن ورائهم جميعاً دولة البرنس ابراهيم حليم وسعادة اسماعيل حتى بك متولى مهام القومسيرية العثمانية .



افتتاح الجمعية التشريعية

وبعد أن حلف حضرات رئيس الجمعية وأعضائها اليمين القانونية بين يديه
السكرتيرين ألقى سموه خطبة سنوية ومما جاء فيها :
أيها السادة

، إننى أنظر بعين الارتياح إلى اجتماع حضراتكم فى هذا المكان حيث أرى
الأعضاء الذين اختارهم حكومتى ، جنباً إلى جنب مع المندوبين الذين بعثت بهم أمتى
لتمثيلها فى هذه الجمعية التشريعية الجديدة ؛ فبشكل سرور أفتتح اليوم أعمال هذه الهيئة
الموقرة ؛ ولقد تحققت الآن رغباتى ومقاصدى التى أعربت عنها منذ عامين ، فيما يتعلق
بتحسين أحوال النظام النيابى العام وجعله أحسن مطابقة لمصلحة البلاد .

« إن صدرى لينشرح عندما يدور بخاطرى أنكم ستقدرون هذه الخدمة بما تقتضيه مكانتها السامية ؛ وأنكم ستتضافرون على تحقيق ما تتمناه لنجاح النظام الجديد ، فتبرهنوا على إخلاصكم فى القيام على خدمة المرافق الحقيقية ، لهذا القطر بوجه العموم .
 ونحن على ثقة أن ما تظهرونه من الروية والفكر الثاقب فى أعمالكم ؛ وما تبذلونه لحكومتنا من المعاونة الصادرة عن الفطنة والدراية ، متوخين فى ذلك سبيل الوفاق المبني على تنور الأفكار ، واتلاف القلوب - كل ذلك يكون كفيلا بما ستقدمونه من الخدم الحسنة الصادقة التى ننتظرها وتنتظرها البلاد منكم ؛ كما أنه يكون أكبر ضمان لازدياد الثقة بمستقبل النظام النيابى ، بما يعود على الأمة فى بلادنا بأكبر الخيرات وأوفر البركات .

« والله يتولاكم أيها السادة بحسن رعايته ،

ثم عاد سموه إلى قصره بعد أن ودع بمثل ما قبل به من التجلة والاحترام .
اللائحة الداخلية : وقد ألفت لجنة لوضع اللائحة الداخلية للجمعية ؛ وفى أثناء وضعها علمت اللجنة أن الحكومة وولاية الأمور يريدون أن يمنعوا الجمعية من طلب الدستور (كما كان ذلك منتظرا) أو إبداء رغبة فى طلبه أو رأى فى ذلك الطلب ، ويريدون أن يكون فى اللائحة الداخلية ما يخول لرئيس الجمعية الحق فى منع أى نائب من الكلام فى هذا الموضوع ، فإذا لم يمتنع أحال البحث فى ذلك إلى جلسة سرية .
 وقد تناقش النواب فى ذلك كثيرا وأخيرا ارتضوا وضع مادة بذلك ، فى مقابل تصريح تعلنه الحكومة ، بأنها إذا حلت الجمعية لخلاف معها على مشروع ، وأصرت الجمعية الجديدة على المشروع ذاته ، يعتبر رأى الجمعية الجديدة قطعياً .

عيد الجلوس الخديوى : فى يوم ٨ يناير احتفل بعيد الجلوس الخديوى ، واستعرض البرنس محمد على باشا بالملابس الرسمية الحامية المصرية العسكرية فى عابدين والعباسية بميدان عابدين ، نائباً عن سمو شقيقه لأن سموه لا يقابل المهنيين فى عيده مرعاة لحداده على المغفور لها البرنيس نازلى هانم فاضل ؛ وبحضور عطوفة سعيد باشا رئيس النظار ، والنظار ، والمستشارين ، ووكلاء النظار ، وكبار الموظفين والأعيان .

مائدة الطيار فدرين الفرنسى : حضر لمصر الطيار جول فدرين ، فى مسابقة

مع منافس آخر فرنسي ، وثالث انجليزي ؛ وكان من حظ الأول « فدرين » ، أن وصل لمصر قبل الآخرين ، وطار بطيارته في بعض الأماكن بمصر ، وفي يوم الاحتفال بعيد جلوس الخديو استعرض الجيش المصري في ميدان عابدين ؛ وحلق فدرين بطيارته فوق الميدان ، وألقى العلم المصري في مكان الاحتفال ، فسر الجميع من ذلك .

وفي يوم ٢٨ منه تشرف بمقابلة سمو الخديو دون تدخل المسيو دي فرانس المعتمد الفرنسي كما كانت تقضي بذلك الرسميات ؛ وفي ٢٩ منه تقابل هذا المعتمد مع عطوفة رئيس النظار سعادة محمد سعيد باشا وناظر الخارجية عدلي باشا محتجاً على ما وقع من مقابلة فدرين للخديو بدون وساطته ؛ فتشرف محمد سعيد باشا بمقابلة سموه وعرض عليه احتجاج المعتمد ؛ فأفهمه عباس أنه سبق أن تعرف بالطيار فدرين وخليلته في باريس فوجد أن لا ضرورة لوساطة المعتمد الفرنسي ؛ ولكن هذا السبب لم يكن مقنعاً ، فطلب المعتمد ترصية عن هذه الإهانة ؛ وبعد المداولة مع رئيس النظار وكبار الحاشية الخديوية تقرر إيفاد السر تشريفاتي محمد عارف باشا إلى الوكالة الفرنسية للاعتذار للمعتمد عن المخالفة التي وقعت منه بدون قصد ؛ غير أنه لم يكتف بهذا الاعتذار وألح في إبعاده عن وظيفته ؛ وأخيراً صدر أمر الخديو بنقله إلى رأسه الديوان التركي .

وفي ٣٠ يناير وزعت شركة هافاس نشرة نصها : « إن معتمد فرنسا قد خاطب عطوفة رئيس النظار ، وسعادة ناظر الخارجية المصرية ، بشأن الظروف التي تشرف فيها أحد الطيارين الفرنسيين المقيمين في القاهرة ، بمقابلة سمو الخديو يوم الأربعاء ٢٨ يناير ، وفي أول فبراير نشرت جريدة الطان الفرنسية ما يأتي :

« إن معتمد الدولة الفرنسية طلب عزل هذا الموظف ثم اكتفى بزيارة منه يسدى له أسفه . وأن الحكومة المصرية في مجموعها قد وجدت الحق في جانب معتمد فرنسا ، فقررت في الحال نقل الموظف المسئول . »

ولما اطلع الجناب الخديوي على ما كتبه الطان غضب ، وتناقش مع رشدي باشا فيما يجب عمله إزاء ما كتبه هذه الجريدة ؛ وهو يعتبر ماساً بكرامة سموه . فتقرر نشر التكذيب الآتي بواسطة قلم المطبوعات في الجرائد في ٩ فبراير (بعد نص كلام الطان) « هذه الرواية غير صحيحة إذ الحقيقة أن الجناب الخديوي العالي ، تعلقت إرادته السنية بنقل رئيس تشريفاته ، من وظيفته إلى وظيفة أخرى تعادها ، اجتناباً لكل إشكال مع الوكالة الفرنسية . »

وبذلك أسدل الستار على هذه الحادثة .

سقوط نظارة محمد سعيد . في ٥ فبراير تم بيع سكة حديد مريوط التي يملكها الخديو ، للحكومة المصرية بمبلغ ٣٩٠ ألف جنيه .

وكان الخديو يرى أن هذه الصفقة لم تأت بالربح المنتظر ، لأن محمد سعيد باشا رئيس النظار لم يساعده فيها ، فحق عليه لذلك . ولم تكن هذه الحادثة وحدها هي السبب في استياء الخديو من رئيس النظار ، فانه كان يأخذ عليه أنه يسير تبعاً لسكتشنر ولا يحفل بأخذ آراء سموه ، لدرجة أنه كان لا يطلعه على كثير من مجريات الأمور ، اعتماداً على أن سكتشنر قد وافق عليها .

وقد انتهز الخديو فرصة مقابلته مع سكتشنر ، فأظهر استياءه من محمد سعيد لهذا السبب ، ولمح بأن مصطفى فهمى باشا لم يكن يتبع هذه الخطأ ، وأنه يفضل من هذه الناحية ، لأنه يستطيع أن يعرف منه سير الحوادث ، ورغبات اللورد ، حتى يتفاهما عليها . وكان يرمى في تلويحه باسم مصطفى فهمى لضمان رضا الانجليز ، فقبل اللورد سكتشنر . وعند حديث اللورد مع مصطفى فهمى باشا في اختيار أعضاء النظارة ، طلب منه أن يأخذ أحمد حلمى باشا في نظارته نظراً لحالته المالية ؛ وكان قد وعده بذلك ، ولكن الرئيس لم يقبل ، وأراد أن يكون حراً في اختيار زملائه ؛ وكانت هذه مفاجأة للورد لم يكن ينتظرها ، وانتهى الخلاف بتنحي مصطفى فهمى باشا .

كتسّر بلجاً للخديو . عندئذ اضطر سكتشنر أن يلجأ للخديو لحل هذه الازمة التي لم يكن يتوقعها ، بعدما أصبح الحاكم بأمره في البلاد ، وبعدها انزوى الخديو في قصره انزواء تاماً .

وقد رشح سموه حسين رشدى باشا ، وتم تشكيل النظارة في يوم ١٥ أبريل .

تمت في شئون الجامعة المصرية : سبق لنا أن تحدثنا عن إنشاء الجامعة ، من أول نشأتها ، إلى انتخاب حضرة صاحب الدولة البرنس احمد فؤاد رئيساً لها . والآن نأتى بملخص خطواتها ، إلى الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لها .

الاكتتابات للجامعة : تبرع مصطفى كامل الغمراوى بك بستة أفدنة وقفها على الجامعة ، وحسن زايد بك من سراة المنوفية بخمسين فدناً ؛ وبمناسبة هذه الوقفية أقام

حفلة نخمة في سرايه ببلدة سراوة في ١٥ أبريل سنة ١٩٠٨ ، تحت رئاسة البرنس فؤاد باشا ، وبحضور أعضاء مجلس إدارة الجامعة ، وعدد عظيم من الأعيان . ووقف احمد الشريف بك من أثرياء الغريبة مائة فدان . وسمو البرنس يوسف كمال مائة وخمسة وعشرين فداناً بالقلبوية ، وثلثائة جنيه للمساعدة في نفقات إصلاح تلك الأطنان ، وذلك عام ١٩١١ .

وقد تبرعت البرنيس فاطمة هانم اسماعيل ، كريمة المغفور له اسماعيل باشا الخديو الأسبق ، بستة أفدنة بجوار سرايها بالدقي لبناء دار الجامعة عليها ؛ ووقفت ستائة فدان من أجود أطنانها ، لصرف ريعها على الجامعة ، غير جواهر قيمتها ثمانية عشر ألف جنيه .

هدايا مدرسية وقبول بعض صغار الطلبة مجاناً : سعى دولة رئيس الجامعة حتى أهدى الامبراطور غليوم للجامعة كتباً تركية نادرة ، وبمجموعة ثمينة من المؤلفات الألمانية أكثرها خاص بالشرق ، وكذلك أدوات علمية لقسم الطبيعيات .

وكذلك أهدى ملك إيطاليا للجامعة كتاباً نادراً ، وبمجموعة مؤلفة من النقود الايطالية ؛ وأهدى رجال حكومته مجموعة من معادن إيطاليا .

وأهدى سلطان مراکش عدة مطبوعات ، طبعت بمطبعته الخاصة بفاس .

ثم سعى دولة الرئيس حتى قبلت فرنسا ثلاثة من صغار الطلبة المصريين في مدارسها بالبحر ، وحذت إيطاليا حذوها .

الاحتفال بوضع الحجر الاساسي للجامعة . أمرت دولة الاميرة الجليلة

فاطمة هانم بأن تكون جميع نفقات الاحتفال بوضع الحجر الاساسي لدار الجامعة من مال دولتها الخاص ؛ وأن تكون لا تقة بمقام الخديو الذي سيرأس هذه الحفلة ، فأقام المنوط بهم أمر الاحتفال سرادقاً فاخراً للخديو ، وأقاموا أمامه سرادقاً آخر يسع الألوف من المدعوين ، وفي الساعة الخامسة من يوم الاثنين ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ ، الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩١٤ ، أقبل الخديو بموكبه الحافل ؛ فاستقبله الأمراء والنظار وأعضاء مجلس إدارة الجامعة ، يتقدمهم أصحاب الدولة فريد باشا الصدر الأعظم الأسبق ، والبرنس ابراهيم حلي باشا ، والبرنس فؤاد باشا ، والبرنس محمد علي حليم باشا ، وسباحة جمال الدين افندي شيخ الاسلام الأسبق ، وفضيلة قاضي مصر ، وشيخ الجامع الأزهر ، وحسين رشدى باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة ، وأحمد شفيق باشا وكيلها ، فصعدت الموسيقى

العسكرية بالنشيد الخديوى ؛ ثم دخل سموه إلى السراى المعد له حيث تقدم أحمد زكى باشا سكرتير مجلس النظار ، وتلا بين يديه محضراً بوضع الحجر الأساسى فى الزاوية الشرقية الشمالية من البناء ، فوقع سموه هو وصاحبة الدولة فاطمة هانم اسماعيل على هذا المحضر ؛ وكذلك أعضاء مجلس إدارة الجامعة ؛ وألقى سموه بعد ذلك خطبة بليغة ؛ ثم تقدم حسين رشدى باشا رئيس مجلس إدارة الجامعة ؛ وألقى كلمة مناسبة للقيام ؛ وبعد ذلك سار الجناى العالى ، يتبعه أعضاء مجلس الإدارة ، وكبار المدعوين إلى حيث أعد حجر الزاوية . فقدم عبد الله وهى باشا المهندس إلى سموه بحارة ومطرقة من الفضة ، قبضتها من الأبوس المنقوش ؛ وقد كتب على كل منهما وعلى حجر الزاوية « الجامعة المصرية - الأميرة فاطمة ابنة اسماعيل سنة ١٣٣٢ هـ ، وقارباً للملاط (المونه) من الفضة كذلك ، وصندوقاً يحتوى على النقود المصرية الذهبية والفضية ، وعلى نسخة من هذا المحضر والصحف المصرية ، فوضع هذا الصندوق فى حجر الزاوية ، فتناول الجناى الخديوى المحارة وأخذ بها قليلاً من الملاط ، ووضعها على الحجر ؛ ثم غطى هذا الحجر برخامة محكمة وطرقتها سموه بالمطرقة ؛ ثم ناولها لرشدى باشا فطرقتها بها أيضاً ؛ وناولها إلى ، فطرقتها بها كذلك ، وأنزل الحجر حينئذ إلى مكانه ؛ ثم عاد الجناى العالى والمدعوون إلى السراى ؛ وبعد أن سمع قصيدة من المطرب زكى عكاشه أفندى من إنشاء أمير الشعراء أحمد شوقى بك ، انصرف مودعاً بمثل ما قبل به من التجلة والاكرام . وقد اتدبنى مجلس إدارة الجامعة فى مجلس قسم الآداب ، للنظر فيما يرفع شأن التعليم إلى المنزلة اللائقة به ؛ وتقرر كذلك انتخاب الأستاذ اسماعيل بك رأت عميداً له والأستاذ المستر برسى وايت نائباً للعميد ، والأستاذ محمود فهمى أفندى سكرتيراً للمجلس ؛ وحددت مواعيد الامتحانات عن سنة ١٩١٤ فى العلوم الآتية :

آداب اللغة الفرنسية - وآداب اللغة الانجليزية - وآداب اللغة العربية وتاريخها -
وتاريخ الأمم الإسلامية - وعلم تقويم البلدان ووصف الشعوب - وتاريخ الشرق القديم
امتحان العالمية : وحدد لامتحان العالمية يوم الاثنين ٤ مايو فتقدم فيه الشيخ
طه حسين الطالب المنتسب ؛ وقد اختار مجلس القسم موضوعين لمناقشته فيهما وهما :

١ - علم الجغرافيا عند العرب

٢ - المقارنة بين الروح الدينى للخوارج فى أشعارهم ، وفى كتب المتكلمين

أما موضوع رسالة الدكتوراه التى قدمها فهمى « حياة أبى العلاء المعرى » .

وتألفت لجنة الامتحان من الاساتذة الشيخ محمد الحضري رئيساً ، والشيخ محمد المهدي ومحمود فهمي افندي المدرسين بالجامعة ، وحضرتي اسماعيل رأفت بك ، والشيخ علام سلامة المتدينين من نظارة المعارف العمومية .

وكان اجتماع هذه اللجنة علنياً بحضوري ؛ وبعد مناقشة الشيخ طه في رسالته التي وضعها في تاريخ أبي العلاء المعري ، ثم في الموضوعين اللذين اختارها مناقشة استمرت نحو ساعتين وربع ، اجتمعت لجنة الامتحان للداولة فيما يستحقه الطالب من الدرجات فقررت أنه يستحق :

١ — درجة جيد جداً في الرسالة

ب — درجة فائق في الجغرافية عند العرب

ج — درجة فائق في موضوع الروح الدينية للخوارج

وقد تقرر إيفاده إلى فرنسا لتتيم دراسته العالية ؛ وقد صحبته من مصر إلى سراي رأس التين ؛ وقدمته بصفتي وكيلًا للجامعة إلى الخديو ، فشجعه وتمنى له النجاح فأنصرف مسروراً .

بعثات الجامعة : وبلغ المبعوثون من الجامعة حتى هذا التاريخ تسعة ، وقد كان إرسال البعثة الأولى في سنة ١٩٠٨ ؛ وعددها أربعة طلاب لفرنسا ، وواحد لـإنجلترا .

رحلة الخديو في الوجه البحري وظهور نفوذه . بعدما حدثت أزمة النظارة وانتهت بالحل الذي تقدم ذكره ، بواسطة الخديو ، أشرنا نحن رجال الحاشية على سموه أن ينتهز هذه الفرصة ويخرج من عزلته ، ويتصل بالشعب ، باعتباره الحاكم الشرعي في البلاد .

واستقر الرأي على أن يقوم برحلة في الوجه البحري ، واختار من رجال المعية عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديوي ، واللواء اسماعيل مختار باشا السرياور الخديوي ، ومحمد فهمي بك التشريفاتي الأول ، والميرالاي ابراهيم أدهم بك ، والشيخ محمد عثمان ، والدكتور عبد العزيز بك ، وتوفيق الحضري بك ، والشيخ محمد البردبني ، لمرافقة سموه في رحلته .

وكذلك تقرر أن النظار ورئيسهم يتناوبون مرافقته ، وقسمت الرحلة إلى مناطق يرافقه بعضهم في كل مرحلة منها .

وفي الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل وصل الركاب الخديري إلى قليبوب وكان في معيته رئيس الظار، ومحب باشا، وسرى باشا؛ وبعد أن استقبل استقبالاً عظيماً من عائلة الشواربي، وأعيان واعمد مركز قليبوب، افتتح المدرسة الابتدائية؛ وبعد تفقدها ذهب للسراشق الذي أعده لذلك حامد الشواربي بك وأخوته، وأعيان المركز؛ واستقبل فيه الأهالي، والعمد والأعيان، والموظفين؛ ثم زار المستشفى الأميري؛ وغادر قليبوب إلى القناطر الخيرية؛ وكان يشرف على النظام والأمن مدير القليوبية وحكمدارها؛ وكانت الزينات تمتد على جانبي الطريق؛ وزار في القناطر منزل على عبد الله بك، وشقيقه محمود عزى افندي، حيث تناول الحلوى؛ ثم قام من القناطر إلى البرادعة؛ وقد أقام أمين سامى باشا زينة بدیعة من القناطر إلى سرايه الذى استراح فيه الخديو؛ وقد تشرف بمقابلته هناك محمود سامى بك، والدكتور حافظ عفيفي بك، وعامة أهل البرادعة؛ ثم تفرج سموه على حديقة الباشا، وغرس فيها بيده شجرة كثرى، تذكراً لتشريفه؛ ثم وضع أساس مسجد بناء سامى باشا في عزبته. ومن البرادعة تحرك الركاب إلى مديرية المنوفية، فيم نحو الباجور، وزار السراشق العظيم الذى أقامه الوجهه ابراهيم أبو حسين بك؛ وكان يحيط بسموه الوزراء، ورجال المعية ومدير المنوفية؛ وبعد أن تناول سموه القهوة والمرطبات، سافر إلى شنوان؛ وكان سعادة محمود سوسه باشا، قد أقام سراشقا فخماً، فسيح الأرجاء، متسع الجوانب، لاستقبال سموه فيه؛ وقد ضم هذا السراشق عمد وأعيان مركز منوف، ورجال القضاء والادارة؛ وعند وصول سموه خرج الجمع المحتشد لاستقباله، فغياهم وأظهر سروره العظيم لحفاوتهم؛ وبعد أن تناول الحلوى والمرطبات برح مكان الاحتفال، قاصداً ميت خلف، فقبل بالحفاوة العظيمة؛ وتناول الغداء في تفتيش ميت خلف. وفي الساعة الثالثة تحرك الركاب إلى مدينة شين الكوم؛ وعلى أثر وصوله إلى سراى المديرية، جرت المقابلات الخديوية، وبعدها عاد إلى تفتيش ميت خلف، ليتناول العشاء هناك، ويمضى سحابة الليل.

وفي ٢٩ منه تحرك ركابه إلى بابل وبمعيته محمد حلمى باشا، فظهرت الزينات التي أقامها الوجهه محمود الغنيمى بك، وبعد أن زاره سموه استأنف الموكب سيره إلى تلا، في وسط الزينات التي أقامها احمد رسلان بك، فشرفها سموه، واستقبل الأعيان والأهالي في سراشق عظيم، وشكرهم لشدة حفاوتهم به؛ ثم سار الموكب في بندر تلا بين الجماهير والموسيقات، وزغاريد النساء، حتى وصل إلى سراى حسنين عبد الغفار

بك ، فدخلها الخديو ومعه النظار ورجال المعية ؛ ثم استقبل فيها آل عبد الغفار ، وأعرب لهم عن سروره بما شاهد من حسن احتفائهم به . ومن هناك سار الموكب إلى كفر ربيع بين الزينات الفخمة ، التي أقامها محمود أبو حسين باشا ؛ ولما وصل سموه ، نحرت الذبايح ، وكان عددها تسعا ، ووزعت على الفقراء ؛ ثم استقبل سموه أفراد العائلة . وكبار الأعيان ؛ وبعد ذلك سار سموه بزورق في النيل . إلى سراي السيد شعير باشا بدراجيل ؛ فاستقبل هناك استقبالا رائعا ؛ ومن هناك عاد إلى كفر ربيع ؛ ومنها إلى كفر العلوى ؛ فشونى لزيارة عائلة أبى جازية ؛ ومن شونى إلى قسطوخ ، لزيارة عائلة عيسوى بك زايد ؛ وبعد الاستقبال والترحيب ، سار إلى زاوية بيم ، فزار الوجه شرف الدين غازى بك فى سرايه ؛ وسار ثانية بعد ذلك بموكبه الحافل إلى ميت خلف ؛ وبعد أن تناول طعام الغداء مع النظار ، سار بموكبه إلى قويسنا ؛ ولما شرفها سموه ، صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى واستقبل سموه آل أبو زكرى ، وأحمد عمر بك ، وغيرهم من كبار العمد والأعيان ؛ ثم سار إلى بحيرم فزار محمود حمدى بك ، واستقبل باقى أفراد عائلته ، وكثيرين من الأعيان ثم سار إلى مسطاي ، وبزل السراى المعد لاستقباله هناك ؛ ومنها تحرك إلى كفر هلال وكان بانتظار سموه هناك فى السراى الفخم المعد لنزوله ، إبراهيم فتحى باشا مدير الغربية مع الأعيان والعمد ، فخياهم سموه ، وسار قاصداً بلدة حنون ، حيث احتفل بمقدمه عائلة الحشن وزمزم ، وكثيرون من العمد والأعيان ؛ ثم سار إلى زفتى ، فوصلها فى الساعة الرابعة بعد الظهر ؛ ومنها إلى مسجد وصيف حيث زار مصطفى فهمى باشا ، وعطف فى سيره على عزبة صدق باشا ناظر الزراعة ؛ وزار السيد على الرفاعى بك بزفتى ؛ وقصد بعد ذلك زيارة المعاهد العلمية بها ، والمستشفى النافع لمجلس المديرية ؛ ثم زار السباعى المصرى بك ؛ ثم انتقل سموه إلى ميت غمر ؛ ومنها إلى الذهبية الراسية فى فم الصافورية للمبيت فيها . وفى صباح اليوم الثالث من رحلته ، قام من ميت غمر إلى بلدة كوم النور ، وبمعيته حضرات أصحاب السعادة اسماعيل سرى باشا ، وعدلى باشا ، وعثمان مرتضى باشا ومدير الدقهلية ، ومحمد فهمى التشرىفاتى الأول ؛ فزار عبد الله بك هلال ، واستقبلته عائلة هلال ، والدكتور عبد الله شقير أحسن استقبال ؛ ثم سار سموه لزيارة معاهد هذا البلد العلمية والصناعية والزراعية ونقابه ؛ وقدمت لسموه هناك هدية من المعرض الزراعى وهى محفظة مصنوعة من الصدف والسن ، داخلها قانون نقابة كوم النور .

وبعدها سار إلى دنديط لزيارة محمد باشا نافع ، فاحتفل به الباشا وأعيان وعمدة

البلدة احتفالاً كبيراً ؛ وبعد أن تناول القهوة والمرطبات ، برحها سموه إلى صهرجت الكبرى ، فاستقبله حضرة الوجه عبد الله بك شريف والأعيان ؛ ثم برحها إلى الزقازيق بين هتاف الاخلاص وزغاريد النساء ؛ واستقبله سعادة مدير الشرقية عند بلدة النحاس أول حدود الشرقية هو وعمد وأعيان البلاد ؛ واستمر في ركابه حتى مدينة الزقازيق ، فكان في انتظاره جميع موظفي المديرية ، وأعيانها وعمدها ، وفي مقدمتهم مصطفى خليل باشا وجميع أفراد عائلة أباطه ، وغيرهم من كبار الأعيان ، وزار المستشفى الأميري ؛ ثم قصد ديوان المديرية حيث تناول الغداء ؛ ثم استقبل العلماء ، ورجال القضاء ، وأعضاء الجمعية التشريعية ، ومجلس المديرية ، والقناصل ، والموظفين ، فالأعيان والعمد ؛ ثم زار المعاهد العلمية وبعد ذلك تحرك الركاب العالى إلى ديرب نجم ، ومنها إلى السبلاوين ، فالمنصورة .

وبوصوله احتشدت جموع الأهالي الغفيرة ، والموظفون ، والأعيان ، والعمد لمقابلته ودوى الهتاف والتصفيق ، فسار الخديو بين الكتل البشرية ، لزيارة أعيان المدينة ومدارسها ؛ وفي الساعة الثامنة مساء توجه إلى سراى المديرية ، فجرت التشرifiات هناك وانتهت في الساعة الحادية عشرة ، حيث ركب إلى الركائب الراسية أمام المنصورة للبيت فيها .

وفي صباح الجمعة أول مايو تحرك الركاب إلى المحلة الكبرى ، فاستقبلته الأهالي والموظفون والعمد والأعيان ؛ وبعد أن استراح قليلا ، استقبل أعيانها ، ثم سار إلى بناء المستشفى ، ووضع يده الحجر الأساسى ؛ ثم زار مستشفى الرمد والمعاهد العلمية بها ؛ ثم برحها إلى مدينة طنطا ، فأطلقت المدافع إيذاناً بوصوله ، فعلا الهتاف ، وارتفعت الزغاريد ، وكان استقباله فيها لانظير له ، فأظهر سروره من حسن الاستقبال ، وروعة النظام الذى رآه من موظفي المديرية ، وأعيانها وسكانها وقد تركت تلك الزيارة في نفس الخديو أثراً طيباً . وقد توجه سموه إلى المديرية وتناول الغداء هناك ؛ ثم جرت التشرifiات ، وبعدها خرج ، وزار الأعيان ، ودور العلم ، والمستشفيات ، ومسجد حسين بك عطيفه ، فالمتحف ، وافتتح المعهد العلمى ، وأدى الصلاة في الجامع الأحمدى ؛ وبعد أن شكر الجميع تحرك الركاب إلى السلاهيـب ، ماراً ببـلدة المـرابـعين ، والكوم الطويل ، وزار فيها الوجه محمد سعيد بك ؛ ثم قصد السلاهيـب ، ونزل بالسراـدق الفخـم المـقام في بلدة أبو بدوى ، وبوصوله للسلاهيـب استقبلته الجموع الحاشدة وبعد أن شكرهم عاد إلى سراى الدومين للبيت فيها .

وفي صباح ٢ منه زار الخديو محل المشروعات الجديدة بالسلاهيبة ؛ ومنها تحرك الركاب إلى إيشان ، واستقبل هناك استقبالا حسنا ؛ ثم واصل سيره إلى بيله ؛ ثم سار بموكبه العظيم إلى بندر كفر الشيخ ؛ وقد تناول طعام الغداء في مصلحة الدومين في سخا ؛ وفيها قدمت له امرأة فقيرة عريضة ، تشكو فيها حالها ، وأنها وضعت ثلاثة ذكور في بطن واحد ولا يزالون أحياء ، ففجها سموه بعشرة جنيهات .

وفي كفر الشيخ استقبل العمدة والأعيان ، في سراق عظيم أعد لذلك ؛ ثم برح البندر إلى مركز دسوق ، بين مظاهر الزينات ، فوصل إلى كفر الشيخ حسن لزيارة محمد الوكيل باشا ؛ وهناك استقبل عمدة وأعيان المركز ، وبندر المحمودية ، بالسراق الفخم وبعد ذلك عرج على سراي آل الوكيل ، واستقبل كبار أفراد عائلته ؛ وبعد أن استراح قليلا ، شكر محمد الوكيل باشا على حفاوته ؛ ثم برح كفر الشيخ حسن إلى الرحمانية ، فزار عائلة المحامدة ، وعلى بك خليفة ؛ وفي منزل سعادة أحمد محمود باشا عميد عائلة المحامدة ، أخذ المصور زولا صورة لسموه ، والباشا عن يساره .

ومن الرحمانية تحرك الركاب إلى شبراخيت ، ماراً بمحلة بشر ، حيث نزل في عزبة فاضل ، فلقى سموه استقبالا غنيا من عثمان مرتضى باشا وعائلته ، وإسماعيل عمر بك وإبراهيم فاضل بك ، فقد أقاموا سراحاً بديعاً مزينا بالأعلام ، مفروشا بالسجاجيد الثمينة لاستقبال سموه ، وخطب عثمان مرتضى باشا خطبة مرحبا به ، ووزعت علب الحلوى وكانت في غلاف بديع الصنع ، وكل علبة منها ذات إطار من الحرير الملون . ثم استأنف السير إلى شنديد ، حيث زار خليل دبوس بك ؛ ثم واصل السير إلى إيتاي البارود ؛ وكان في استقباله هناك جمهور عظيم من الأعيان ، وعمدة البلاد ، والموظفين وعساكر البوليس .

وفي صباح ٣ منه تحرك الركاب إلى التوفيقية ، لزيارة على مهنا باشا ، وعند تشريفه ذبحت الذبائح ، ووزعت لحومها على الفقراء ؛ ثم برحها سموه إلى بلدة برسيم ، وسط الهتاف وقد زارها مدرسة الجورجي بك ؛ ثم ركب السيارة إلى محطة كوم حمادة ، حيث ركب القطار الأبيض ، وتوجه إلى الطيرية ، ومنها إلى أبي الخاوي ، لزيارة عبد اللطيف الصوفاني بك ؛ وبعد أن استقبل استقبالا عظيما من آل الصوفاني ، ركب الزورق إلى محطة الطيرية ، ومنها عاد بالقطار إلى كوم حمادة ، فوصلها وزار السراق الذي كان مقاما أمام ديوان المركز ، وصافح الحاضرين من العمدة والأعيان ؛ وبعد

ذلك توجه سموه إلى إيتاي البارود، فتناول الغداء بالتفتيش؛ وبعد الظهر خرج للبرور على أراضي التفتيش؛ ثم عاد إلى سرايه، وبات فيه.

وفي صباح ٤ منه تحرك الركاب من إيتاي البارود إلى الطود فالدلنجات، فدمهور؛ وما أن وصل إليها حتى أطلقت المدافع إيداناً بوصول ركبه؛ وبعد أن استقبلته جموع الأعيان والعمد وكبار الموظفين، توجه إلى سراي المديرية فاستراح به قليلاً؛ ثم أظهر رغبته في زيارة دور العلم؛ وفعلاً ركب سموه وزارها هي والمستشفيات وفي الظهر قصد المدرسة الصناعية وتناول طعام الغداء فيها، ومعه اسماعيل سري باشا، ووهبه باشا، وصدقي باشا، ومحب باشا، وأنا، وعثمان مرتضى باشا، واللواء مختار باشا، واسماعيل أباطه باشا، ومحمد فهمي بك، وحافظ عوض بك، واحمد صادق بك. وفي نحو الساعة الثانية بعد الظهر وصل إلى نديبة، فذبحت الذبائح، ووزعت لجوهرها على الفقراء والمساكين وزار عائلة نواز؛ ثم سار ركابه إلى حوش عيسى؛ ومنه إلى أبو المطامير؛ ومن هناك زار سيدى غازى؛ ثم سار موكبه إلى كفر الدوار حوالى الساعة الرابعة والنصف؛ وبعد أن جلس مدة تقرب من نصف الساعة، صدرت إرادته السنية بالسفر إلى الاسكندرية فوصل الثغر فى الساعة السادسة تماماً.

وفي يوم ١٧ مايو دعا سموه جمعاً كبيراً من أعيان مديريات القليوبية، والدقهلية والبحيرة، لتناول طعام الغداء على المائدة الخديوية.

وفي المساء دعا آل منشة، وبعض سرة الاسرائيلين فى الاسكندرية، إلى حفلة شائقة.

وفي يوم ١٩ منه أقام سموه مأدبة لأعيان الشرقية، والغربية، والمنوفية بسراي رأس التين لتناول طعام الخديو.

نالم كفتشدر لنجاح الرحلة: ولقد كان نجاح هذه الرحلة مثاراً لآلم اللورد كفتشدر الذى كان قد قضى على كل نفوذ للخديو، فاذا بنفوذ يظهر فجأة بعد الازمة النظرية وبعد هذه الرحلة الناجحة.

(وسنرى فيما بعد آثار ذلك الآلم فى الصراع بين الخديو وكفتشدر)

سفر الخديو لأوروبا: وفى يوم ٢٠ مايو استقل سمو الخديو أحد الزوارق الخديوية إلى نىخت المحروسة، قاصداً الصولمان فأوروبا. وكان فى معيته حسن خالده بك

مدير القلم التركي ، وحسن حلبي بك التشريفاتي ، والبكباشي ارفاي الياور ، والصاغ حسن حسني شفيق الياور ، وغيرهم ؛ وقد وكل عطوفة حسين رشدي باشا ناظر النظار في مدة غيابه وهاك نص التوكيل .

صورة الأمر الكريم الصادر لعطوفة رشدي باشا بتولي شؤون القائمة
الخديوية أثناء غيبة سموه : « رئيس مجلس النظار عطوفتو حسين رشدي باشا : قد عزمنا بالمشيئة الربانية على السفر خارج القطر ، ولتمام ثقتنا بكم ، وكال اعتمادنا عليكم ، قد جعلناكم نائباً عنا ، وقائماً مقامنا مدة غيابنا ، للنظر في أشغال حكومتنا ، وإصدار ما يلزم من الأوامر عنها ، بما هو معهود فيكم من الروية والدراية . فاذا احتجتم للسفر خارج القطر يكون النظر في أشغال حكومتنا مدة غيابكم بمعرفة حضرات الباقين من زملائكم مجتمعين بهيئة مجلس نظار ، كما هو المعهود لدينا فيهم من حسن الخبرة بالأعمال ، وما يقررونه تصدر به الأوامر ، تحت إمضاء أقدمهم .
وقد أصدرنا أمراً هذا لعطوفتكم للعلم به والعمل بموجبه .

والله تعالى ولي التوفيق ،

تحريراً بالاسكندرية في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٣٢ عباس حلبي

٢٠ مايو ١٩١٤

تكريم واصف بطرس غالي . كانت لي مع المرحوم بطرس غالي باشا والد الأستاذ واصف غالي صلات ودية وثيقة ، وكانت الثقة بيننا متبادلة ، وزياراتي له متوالية ، وكانت تدور بيننا الأحاديث في شتى الأمور السياسية والخصوصية ، كما كنا نجتمع بالخديو للتشاور في المسائل الهامة والمواقف الحرجة . فيتوصل بطرس باشا بعقله الراجح إلى حلول صائبة مرضية ؛ فكنت أسميه « حلال المشكلات ! »

وقد بلغ من ثقته بي أن كان يفوض لي تدبير كثير من شؤنه الاقتصادية ، ويطلق يدي في شراء الصفقات التي أراها رابحة ؛ وكان يستفيد بالفعل منها ، حتى لقد أطلق عليّ نجله الأكبر نجيب غالي باشا لقب « مستشار والده المالي ! »

وفي ذات يوم زرت بطرس باشا فوجدته مشغول البال ، فسألته عما يشغل خاطره ، فعلمت أنه غير مستريح لحالة ابنه واصف ، لرغبته عن إدارة أملاكه الزراعية في بيا ؛ وسألني : « هل من بعد أن صار رجلاً ، يجوز ألا يقوم بعمل نافع لأسرته ؟ »

فاجبته بأنه معذور لعدم إلمامه بالزراعة ، وإنتى أرجو أن يكون قريباً ذلك اليوم الذى تستفيد البلاد من مواهبه الأخرى .

وفى اليوم التالى لهذه المحادثة ، تقابلت مع الخديو ، ونقلت له فخواها ؛ وبعد المداولة ، تقرر تعيينه فى وظيفة بقسم قضايا الخاصة الخديوية ؛ فأسرعت بإبلاغ هذا الخبر لوالده .

لمحة عن الأستاذ واصف بطرس غالى : والأستاذ واصف أتم دراسته العالية فى باريس ؛ وتخرج فى كلية الحقوق ، ودرس الأدب الفرنسى ، ونبع فيه كما نبع فى الأدب العربى .

وقد اطلعت على مقال طريف له بالفرنسية ، نشره بتوقيع « ميمون ، بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩٠٨ فى جريدة « جرنال دو كير » ، نعره للقارىء ليرى مقدراته البيانية ، وخیاله الخصب :

الآزمة النظرية

تتناقل الاشاعات فى هذه الايام ، وجود أزمة نظرية . وقد سبق أن راجت مثل هذه الاشاعة ، عندما غادر كرومر مصر ، غير أن الأزمة لم تقع ؛ فهل الاشاعة الراجية الآن لها أساس من الصحة ؟ هذا هو الأمر الذى أجبنا إلى الاستفهام عنه من النظار أنفسهم .

والحق يقال إن مقابلتهم كانت فى غاية اللطف ، لدرجة أننا تساءلنا : « هل يمكن أن يكون الناظر المصرى فى هذا اللطف ؟ إلا حينما يستقيل !! » ،

وإليك المحادثات التى دارت فى المقابلات السبع ، نقلها بغاية الدقة :

قال الرئيس « مصطفى فهمى باشا » : « أنا لا أحب الصحفيين ، وخصوصاً المعارضين منهم ، ولكن بما أن سؤالكم بهم البلاد ، فأنا أجيبك باختصار : « طبيعى أوصانى بمعيشة منظمة ، بعيدة عن الانفعالات النفسانية ؛ وكل من كان فى سنى ، يكون قد تعودت بعبادات خاصة ، يصعب عليه تركها ؛ فلماذا تريد أن أخاطر بصحتى ، عندما أترك النظارة ؟ إذن فانتى سأستمر فيها ، لأسباب صحية ! » ،

وأجاب « عبانى باشا » ، مقطلاً حاجيه ، ومبرماً شاريه : « هل يجوز لك أن تلقى هذا السؤال على ناظر الحرية والبحرية ؟ ألا تعلم أنتى جنسدى ، ولا يسمح للجندى

أن يترك مركزه، إلا بأمر عالٍ؟، وإذن فانا لا أترشح عن مكانى، وهذا بناء على الأوامر العسكرية!

وقال لى وسعد باشا، مؤكداً بهدوء: «إن هذا السؤال، فلما يخصنى، لا محل له؛ فكيف تريد أن أترك منصبى هذا، وأنا لم أتسلمه إلا منذ قليل؟ ألا يكون هذا منافياً للآداب، ومغابراً للياقة والتقاليد؟ ثم إننى هنا للفن، أعنى فن الخطابة؛ وبلاغتى تتقدم فى اليوم الذى أكون فيه ناظراً؛ فانا أستقبل، إذا أسندت إلى رئاسة مجلس النظارة؛ وأما وغرى باشا، ناظر الأشغال، فقال: «إن أماننا ومشروعات كثيرة، فيجب علينا تلبية خزان أسوان، وتقوية كوبرى الروضة، وافتتاح كوبرى بولاق الجديد، فشاغلى لا تترك لى وقتاً للتفكير فى الاستقالة».

وانفعل مظلوم باشا، قائلاً: «تكفينى أزيمة واحدة» (أى الأزيمة المالية) فلا تبحثوا عما يزيد الحالة سوءاً أيها الصحفيون! ونحن لا نخطر على بالنا مطلقاً تقديم حسابنا؛ بل بالعكس سنحافظ على مراكرنا؛ وبالجملة فانا لا أرى سبباً يدعو لاستقالتي! وأجاب إبراهيم فؤاد باشا، (ناظر الحقانية) بهدوء: «أنا أستقبل إذا كان ذلك مقدراً علىّ، فإن ما نقرره فى المسائل الخطيرة أو الصغيرة، إنما هو بمشيئة الله؛ فهو وحده الذى يعلم لماذا أصبحت ناظراً، وهو وحده يعلم متى أترك النظارة!».

وسألنى بطرس غالى باشا، عما إذا كنت صحفياً، ثم قال: «لما أقيمت على سؤالك ظننت أنك شاعر! أنا أحب الشعراء كثيراً، فهم من أطرف المجانين، ولهم خيالات عجيبة. فما الذى تريد معرفته؟ أأستقيل أم لا أستقبل؟ ألا يلوح لك أن هذا يشبه المناجاة المشهورة فى رواية «هملت»؟! أظن أنك من منشئ الروايات! وهنا انقطع الحديث لزيارة قنصل جنرال إحدى الدول العظمى؛ وعلى ذلك لم أتمكن من الحصول على الجواب القاطع لسؤالى.

وكان من حظى عند خروجى من غرفة الناظر، أن تقابلت مع مديراً أفلام الخارجية نجيب غالى بك، الخفيف الروح؛ فأخبرته بمهمتى، فقال لى: «والدى لا يستقبل؛ وقد استقال مراراً بدون نتيجة. ثم إنى أسألك: ومنذا يخلقه يا ترى؟... أنا؟ قد يكون ذلك، ولكنهم يحدوننى صغیر السن! صغیر جداً؛ فعليك يا صحفى أن تكرر على مسامعهم ذكرى قواد الثورة الفرنسية، صغیرى السن؛ فتقدم لى خدمة جلييلة!».

تكريم الأستاذ واصف غالى : وقد فكر جماعة من كبار الأدباء المصريين



واصف بطرس غالى بك

حتى تسكريمه ، لتأليفه كتاباً عن الشعر العربى باللغة الفرنسية ، اسمه وحديقة الأزهار ، ، فأقاموا حفلة لذلك فى مساء يوم ٤ يونيو سنة ١٩١٤ فى فندق شبرد ، تحت رعاية سمو الخديو ، الذى أناب عنه عثمان مرتضى باشا ؛ وكانت الحفلة برياضة اسماعيل صبرى باشا .

وحضر هذه الحفلة : عبد الخالق ثروت باشا ناظر الحقانية ، ويوسف وهبه باشا ناظر المالية ، وعدلى يكن باشا ناظر الخارجية ، واسماعيل صدق باشا ناظر الزراعة ، وصاحب

هذه المذكرات ، وبعض وكلاء النظارات ، والنظار السابقين ، والنائب العام ، ومحافظ القاهرة ، وبعض مستشارى الاستئناف ، ورجال القضاء والأدب والصحافة ؛ وبلغ عدد المحتفلين مائة وسبعة

وقد أقيمت فى الحفلة قصائد من الرئيس ، وأحمد شوقى بك ، وحافظ إبراهيم بك وأحمد افندى نسيم ، ثم أقيمت بعد ذلك عدة خطب كلها ثناء على المحتفل به ، واعتراف بنبوغه ؛ وأخيراً قام الأستاذ ، وبصا واصف ، فألقى كلمة جاء فيها :

« قرأت ما كتبه حضرة واصف بك ، وما فاء به فى محاضراته التى ألقاها فى باريس ، فأعجبت كل الإعجاب بما كتبه ، ونطق به . كتب ما كتبه كشاعر ليحب من يقرأ كتابه فى الشعر العربى ، فاستعمل لغة الشعراء ، حتى لقد يخيل إلى القارئ أنه يقرأ شعراً لا نثراً . وفى الحقيقة أن واصف بك ولد شاعراً ؛ فغرامه بالشعر العربى (سيد الشعر) — كما يقول — هو غرام فطرى ، عبر عنه بلغة هى لغة الآلهة ، كما يقول القدماء . »

ثم وصف بيانه لمحاسن الشعر العربى ، وأحكامه الصائبة فيه ، إلى أن قال :

« أيها الصديق : ظهرت فى عالم الأدب فككتبت وخطبت ، فأصبحنا بعد قراءة

ما كتبته تنظر إلى الشعر العربي نظر المجنون إلى ليلي ؛ ولكننا ننتظر منك أكثر من ذلك ؛ فإنا أصبحنا في القرن العشرين ، ميالين للبحث والتنقيب ، والانتقاد والتحليل ، حتى في الآداب .

قلت : إن العرب لم يضعوا شيئاً في أشعارهم من الروايات القصصية والتشيلية ، على أنني لما كنت معك في فرسايل ، تكلمنا في أن هذين النوعين من الشعر موجودان في جميع الآداب ، التي يتخذها الافرنج أساساً لتربية أولادهم ، فيلقنونهم — كما لقنونا — أشعار « هوميروس » ، و« أناشيد » رولان ، وروايات « شكسبير » . فقراءة كتاباتك أوجدت عندي بعض الأسف ؛ لأنني بما أشربته من الميل لمعرفة علل الحوادث ، تمنيت لو أنك جدت علينا بفضل ما أوتيته من وافر الفصاحة ، ببيان سبب خلو آداب اللغة العربية من هذين النوعين ، رغماً عما بلغته من رفيع المنزلة بين بلاغات الأمم .

فاذا فعلت ذلك ، تكون قد أفدت العلم فائدة عظيمة ؛ وأنت أجدر من يعنى بهذا البحث ، بما توهلك له تربيتك ، ومعارفك . . .

وداع المجمع العلمي لماسبرو . خدم العالم الجليل مسيو ماسبرو الآثار المصرية والتاريخ المصري القديم أجل خدمة ببحوثه القيمة ، وكان مديراً للآثار المصرية . وبمناسبة تركه الخدمة في إدارة دار الآثار المصرية ، وعزمه على العودة لفرنسا ، أقام له المجمع العلمي المصري الذي كان رئيساً شرفياً له ، مساء يوم ١١ يونيو ، حفلة وداع ؛ وقد رأس هذه الحفلة سرى باشا ناظر الأشغال ، نائباً عن القائمقام الخديوي رشدي باشا ؛ وكان في مقدمة الحاضرين أحمد زكي باشا ، وعلوي باشا ، وهرس باشا ، ويوبو بك ، وعلى كمال بك ، وعلى بهجت بك ، والدكتور باي ، وغيرهم من الفضلاء والأدباء والعلماء .

الجامعة المصرية تسكرم ماسبرو : وفي ٢ يوليو ، أقامت الجامعة المصرية مأدبة لتكريمه بفندق الكوكتنتال في منتصف الساعة التاسعة مساءً ، وكان عضواً عاملاً بمجلس إدارة الجامعة .

وقد حضر الحفلة دولة البرنس احمد فؤاد باشا ، رئيس شرف الجامعة ، ومن مجلس الإدارة : أنا وكيل للجامعة ونائباً عن رشدي باشا رئيسها ، والدكتور محمد علوي باشا المراقب العام ، واسماعيل حسانين باشا ، ومرقص حنا بك ، وعلى بهجت بك ؛

ومن الأساتذة: اسماعيل رأفت بك عميد قسم الآداب، والشيخ محمد الحضري، والشيخ محمد المهدي، ومحمود فهمي افندي، ومحمد صادق افندي.

وبعد تناول الحلوى ألقى البرنس فؤاد خطاباً رقيقاً، هذا نصه :

« سيدى العزيز ماسيرو

« ما علمت مصر بنياً رجليكم عنها، حتى لبست لذلك النبا ثياب الأسف، مظهرة للعالم بأسره مقدار حبها لكم، واحترامها لشخصكم، وإعجابها بجميل صنعكم؛ فلئن كنت في هذه العجالة لا أستطيع أن أعرب لكم باسم الجامعة المصرية عما نحن مدينون لكم به من الفضل الذى لا ينكر؛ فلا يسعنى إلا أن أرجو أن تسمحوا لى أن أقول لكم كلمة باسمى، وبالنباة عنها؛ وهى أننا جميعاً نشكركم، ونكرر الشكر لكم..

وبعد ذلك وقفت،

فقلوت الرسائل البرقية والاعتذارات الواردة من حسين رشدى باشا القائمقام الخديوى ورئيس الجامعة، وعبد الخالق ثروت باشا ناظر الحقانية، واسماعيل صدق باشا ناظر الزراعة؛ والرسائل البريدية الواردة من عبد الله وهبى باشا، وحسين رمزى افندي، وغيرهما من الأعضاء والأساتذة؛ ثم ألقيت الكلمة الآتية :



احمد شفيق باشا (رسمى)

« سيدى وزميلي العزيز

« لى مكلف من قبل

مجلس إدارة الجامعة وأساتذتها من جهة؛ وملزم بواجب الشخصى من جهة أخرى، باهدائكم أجل شكرنا، وعظيم احترامنا، ومزيد أسفنا لفراقكم.

« لقد كان في اشتراككم معنا بعواطفكم الكريمة ، ونظركم الثاقب ، أجل نفع
لجامعتنا ؛ إذ كنتم خير نبراس نهتدى به إذا أشكل الأمر ، والتبست علينا السيل ؛
فكان لنا منكم عضد قوى ، نستعين به على نجاح عملنا . وخير مساعد لرفع شأن مشروعنا .
« ألم تكفكم ألقاب الشرف الحسالة التي نلتموها بكنوزكم التي لا تقدر بثمن ،
والتي دتم بها العلوم والآداب ، حتى وكلت إليكم مشاعركم واجب القيام بأمر آخر هو
عنوان الفخر والجلال ؟

« أيها المنفذ لوصاة الفراغة : ألم يكفك أن تنقل إلى وراثتهم من بعدهم متاع
آبائهم وأجدادهم ، حتى أردت أن يكونوا على علم بقيمة هذه الوصاة ، فدأبت على تعليمهم
حتى عرفت ناشئتنا ورجال المستقبل بيننا ، أن العلم والعمل هما اللذان يجعلانهم خليقين
بفخر أجدادهم ؟

« إن الشواهد الكثيرة تنطق بأن حكم لمصر كان عظيماً ، وسيظل كذلك
في المستقبل ، بعد أن اتخذتموها لكم وطناً ثانياً ؛ فتقوا بشدة أسف إخوانكم في مصر ،
لرحيلكم عنها . وما كان يدور بخلدنا أن يفجأنا الزمان بذلك اليوم الذي ترحلون فيه
عنا ؛ وتركون أفئدتنا بعدكم تهفو في إثركم لوعة وشجنا .

« هل يعلم الراحل ما يحول بخاطرى الآن ؟ إني أتصور (بخيالي) أنكم لستم
بذلك الفتى الشاب الذي نراه بأعيننا ، بعد أن تعودنا أن نرجع باسمه إلى هاتيك القرون
الخالية ، فتمتزج ذكراه بهذه الآثار المدهشة ، والعاديات العتيقة ، التي اندمج اسمكم
بها ، حتى كان جزءاً منها ، والتي خصتها (الآلهة) بشباب لا يذوى ولا يذبل ؛ فيا لأسف
العلماء من (علمهم) ، هؤلاء الذين لا يملكون حق التصرف في أنفسهم ؛ وبإلتنا نستطيع
أن نخلصكم من قبضة النبوغ التي استسلمتم في العلم إليها ، حتى يبق لدينا ذلك الرجل
الوديع الذي عرفناه في شخصكم ؛ والذي ملك القلوب بفصاحة لسانه ، وبلغ كلامه ،
ورقيق حديثه ، وسمو أخلاقه .

ونحن لا نظن أن رحيلكم عن مصر يوهن صلاتك بها ، أو يقلل من ذكراك
على ألسنتها ؛ إذ استقرت أصول غرسك وجذوره ، حتى لا خوف على ذكراك بيننا
من أثر فراقك ؛ فلا عجب إذا أسسنا آمالنا على ما لدينا من الحقائق ، فنرى المصريين
يؤمنونك في فرنسا للاستفادة من علمك ، والاهتداء بنور بحثك ، والتمتع في جوارك
بالتأهيل والترحيب ، اللذين كنتم تقابلونا بهما في مصر — فالجامعة المصرية التي تزدهى

وتفخر بك كلما ذكر اسمك ، ترجو أن يكون حظها في بعدك كما كان حظها في قربك ، من العناية بأمرها ، وتشجيعها في طريقها ، وعدم حرمانها نصائحك الثمينة ، وإرشادك الذى لا غنى لها عنه ؛ والجامعة التى تعترف لك بجليل فضلك ، تعاهد الله على تسييحها بحملى صنعك ، وترجو أن تقبلوا منها لقب « عضو شرف ومستشار لها » ؛ هذا ما قرره مجلس إدارتها باجماع الأصوات ؛ وإنا نلرجو لكم من الله فوق ذلك أن يتمتع بالصحة والعافية ، ويسبل عليكم ثياب السعادة والسودد .

ثم قام بعد ذلك علوى باشا وأهدى لماسيرو مجموعة صور للأعضاء فى مجلد ثمين ، كتبت عليه هذه العبارة باللغة العربية والهيوغليفيه والفرنسية : « شكر الجامعة المصرية للسير جاستون ماسيرو » .

ثم قام على أثرهم السير جاستون فشكر للمحتفلين به جميل عواطفهم .

مبيع سكة هدير مربوط . أنشأ الخديو سكة حديد مربوط لاصلاح أراضي الزراعية بغرب الاسكندرية ، وقدمت له مصلحة السكة الحديد بعض ما عندها من الأدوات المستعملة اللازمة لهذه السكة بثمان قليل ، وكذلك أرسلت له نظارة الداخلية جماعة من المحكوم عليهم بالسجن ليساعدوه فى مدها . وقد روى لى بروستر بك أن الانجليز تركوا للخديو هذه السكة كألعبه ليلهو بها عن مناوأتهم ؛ وفضلا عن ذلك كان الخديو يشغل رجال الحرس فيها .

وفى أوائل سنة ١٩١٣ ، أى بعد عقد الصلح بين الأتراك والطلينانين بثلاثة شهور ، وفى أثناء استمرار القتال فى طرابلس والبلقان ، أشيع أن الخديو باع سكة حديد مربوط إلى بنك درسدن الألمانى ؛ فاهتم الانجليز لهذا الخبر ولكن ظهر فيما بعد أن هذا غير صحيح . والحقيقة كما علمت من صديق منصور شكور باشا أن الخديو كلفه بالبحث عن شركة انجليزية لمشترى هذه السكة الحديدية ، وأنه وجد فعلا بعض المالىين لمشتراها . غير أنه وجد منافساً كبيراً ، وهو بنك إيطاليا ؛ وبعد تردد أمضى الخديو عقد البيع مع البنك المذكور ، ورخص له بأن يمد هذا الخط لغاية حدود طرابلس فى السلوم . فذهب اللورد كنتشر فى الحال إلى السراى ، وأبلغ الخديو بأن سموه قد وضع نفسه فى مركز حرج ؛ إذ أنه باع أرضاً ليست ملكا له ، وأنه لذلك يكون مسئولاً شخصياً أمام الحكومة المصرية صاحبة هذه الأرض ؛ فخاف الخديو من العاقبة ، ووعد بالغاء عقد البيع ، وطلب مبيع هذه السكة للحكومة ؛ فرفض اللورد

أولاً ؛ ولكن سموه وسط محمد سعيد باشا لاقناع اللورد باجابه طلب سموه ، واعدأ بتحسين سيره في المستقبل ، فوافق اللورد على المشتري ، وتمت الصفقة في ٥ مارس سنة ١٩١٣ بتسليم الحكومة السكة ، وقبضت الخاصة الخديوية ثمنها من الحكومة ، وقدره ٣٩٠ ألف جنيه ، بحساب الكيلو متر ثمانمائة جنيه

ولما علم كتشنر بأن الوسيط في هذه الصفقة كان هو يوسف صديق باشا رئيس الديوان الخديوى ، عزم على نفيه من مصر . فلما بلغ الباشا ذلك الحكم القاسى ، وكان يعلم أن احمد جودت بك صديق لكتشنر ، رجاء أن يتوسط في هذه المسألة لدى اللورد لىكى يحصل على وعد بعدم تنفيذ هذا الحكم . فقبل البك وزار اللورد وتكلم معه في هذا الموضوع ، فألقى اللورد نظرة استغراب على وجهه وقال : « كيف تطلب منى ذلك وأنت تعلم يا جودت بك أنه رجل « بطل » — مع علمه بأنه في مركز رسمى عال ، ولا يجوز له أن يتدخل في مسألة يعلم جيداً أنها ضارة ببلده ؟ ، فأجابه جودت بك : « هل هو فقط الرجل « البطل » في مصر ؟ فان كان الغرض تنظيفها من الأشخاص البطالين ، فهم كثيرون ، فاعمل ، عندها تبسم اللورد ووعدته خيراً .

وكان قد بلغ الخديو من دومرتينو باشا عزم كتشنر ، فأسرع في فصله من رئاسة الديوان الخديوى ، وعينه ناظراً لخاصته ، وأعطاه أجازة يقضيها في أوربا ، ثم يقابله في باريس .

تهربيرات كتشنر بعزل الخديو . كل مصرى يذكر ولا ينسى أن الخصام بين اللورد كتشنر والخديو لم يكن ابن يومه ؛ بل كان قديماً ، بدأ في سنة ١٨٩٤ عندما استعرض عباس جيشه ولاحظ على بعضه ملاحظات تقبلها اللورد بشئ من الامتعاض . ومنعا للطوارىء الفجائية ، طلب كتشنر من الحكومة تخصيص مبلغ كبير لبناء الثكنات والحصون في الثغور المصرية ، فعارض الخديو في ذلك بحجة أن الفرمانات العثمانية لا تبيح لها ذلك بدون الرجوع إلى الباب العالى ، فأضمر اللورد للخديو العدا .

ولما سمع بأن الخديو باع سكة حديد مربوط هدهد وأخرج مركزه واضطره أن يعدل عن بيعها لاطاليا ، ثم باعها للحكومة المصرية ، كما مر ذكره .

كتشنر يعرض عرش مصر على سعيد حليم : ثانياً لما أراد اللورد جعل ديوان الأوقاف العمومية نظارة ، عارض الخديو في ذلك أيضاً ، فغضب اللورد عليه وأرسل

عماد الدين وهبي بك وكيل دائرة سمو الأمير سعيد حليم باشا للاستانة ، ليتفاهم مع الأمير علي خلع عباس وتوليته خديوية مصر . ولكن سمو الأمير امتنع ورفض ؛ لأن مركزه في الدولة مركز هام ، وأنه يمكنه أن يخدم مصر وهو صدر أعظم أكثر مما لو كان خديوياً لها .

ومن هذا اليوم أيقن الخديو بنوايا كشنر نحوه ، وأخذ حذرته منه ، وأصبح يفكر في التنازل عن العرش .

تفكير عباس في التنازل عن العرش . كنت أعلم أنه لما اشتد الخلاف بين رجال الحكومة الانجليزية بمصر وبين الخديو ، لم يستطع صبراً على ذلك ، وأراد أن يتخلص من عداوتهم وجفائهم له ، وخصوصاً بعد تهديدات كشنر المتوالية ؛ ففكر أن يتخلص من هذه المصاعب .

وعند وجودى مرة معه في عربة السبت الخصوصية ، التي كان يقودها بنفسه للفسحة في ضواحي القبة ، بعد انقطاع حديث عادى بيننا ، وصمت من سموه ، وسؤالى عما يحول بخاطره ، قال :

« كنت أشعر في أوائل توليتي الحكم وما لاقيته من الصعاب في سياستى التي كانت ترمى إلى إنقاذ بلادى من نير الغاصب ، أن مدى حكى قد لا يزيد عن حكم جدى اسماعيل ؛ غير أن حكى لا يزال إلى هذا اليوم ، وزادت متاعبى ، وإنى أفكر في كيف أتخلص منها . »

فلا عجب إذن أنه كان يفكر في اعتزال الحكم بالتنازل عن عرشه لولى عهده بطريقة لا تضر بكرامته ؛ لذلك أرسل فاستدعى الدكتور فارس نمر صاحب المقطم ، وتمكلم معه على الطريقة التي يجب عملها ، تفادياً من المصادمة والمناوأة بينه وبين المعتمدين البريطانيين بمصر ، بعد أن لحقه كثير من الاهانات .

ولما كان يعتقده الخديو من محبة الانجليز لفارس نمر ، فقد أراد أن ينتدبه للقيام لدى رجال الانجليز بالسعى لمساعدته في التنازل عن العرش لولى عهده ، وتوليته إمارة سوريا . ولاهمية هذا الموضوع أثبتنا ما جاء في المقطم ملخصاً في سنة ١٩٢٧ :

« لما مثل الدكتور فارس نمر بين يدى الخديو وكاشفه برغبته ، وكلفه بأن يقوم بدور الوسيط في تلك المهمة ، اعتذر أولاً ؛ ولكن سموه لم يقبل عذراً من أعذاره ، بل

كان يدفعها بتأكيد اقتناعه بكفاءة الدكتور واقتداره . ولما رأى الدكتور أن سموه سد عليه أبواب الاعتذار ، وابتظر مساعدته ، قال له بالصراحة : « ما الفائدة من تكلمنا مع ولاية الأمور بلندره ، وسموكم أدرى منا أن الحكومة البريطانية تعتمد كل الاعتماد على وكيلها هنا : فترى بعينه ، وتسمع بأذنيه ، ولا تجزم في أمر إلا بعد ما تطلعه عليه ، وتأخذ رأيه فيه ؟ فما دتم سموكم مصرين على رأيكم ، فالواجب قبل كل شيء مفاوضة اللورد كتشنر في ذلك ؛ وإلا فن المحال أن نتجح فيه ، وخصوصاً ما دام المعتمد هو اللورد كتشنر معبود أمتي . » فرفع سموه يديه وقال البرق والرعد ! البرق والرعد ! صدقتم فليس لقوله مرد ، ثم كلفه أن يقابل اللورد كتشنر ، ويعرض المسألة عليه ، ويسمع رأيه فيها

فتوجه الدكتور فارس نمر إلى الوكالة البريطانية ، وطلب من جناب سكرتيره حينئذ السر رجينلد ستورس أن يسأله تعيين ميعاد لمقابلته ؛ وفي الميعاد المعين قابله وقال له : « قد جئنا لنكلم نغامتكم عن الجناب الخديوي ، بعد ما شاع وذاع عن اشتداد الجفاء بينه وبينكم ، فقال اللورد : « وما هو السلام الذي عنديكم ؟ » فرد الدكتور قائلاً : « إن البلاد عموماً ، ورجال الحكومة خصوصاً ، يشكون شكوى دائمة من هذا الخلاف الذي طال فيه الجذب والدفع بين الخديو الحالي ومعتمدي الدولة البريطانية الثلاثة : اللورد كرومر وسير دن غورست ونغامتكم ، من حين حادثة الحدود إلى هذا اليوم . والظاهر أن سمو الخديو مل الصبر على هذه الحال ، ورأى أن لا راحة له ولا لشعبه باستمرارها ، فصمم على التنازل عن العرش ، وخصوصاً بعد الذي حدث أخيراً ، وبعد الكلام المر الذي سمعه بسبب سكة حديد مريوط . » ثم قص عليه أيضاً ما سمعه من سموه ، وكل الكلام الذي جرى له معه ، ففزع اللورد رأسه كمن لا يزال يرتاب في إمكان ذلك ، فقال له الدكتور : « ولماذا تبقى في ريب ما دام الوصول إلى الحقيقة سهلاً ؟ فالأمر لا يحتاج إلى أكثر من مقابلتكم لسموه ، وسؤاله عن كل ما نقلناه إليكم ، واحكموا بعد ذلك بنفسكم لأنفسكم . » فقال اللورد : « نعم ولكني أنا لا أفعل ذلك ولا أريد أن تكون لي علاقة بهذه المسألة . »

وفي غد ذلك اليوم تشرف الدكتور فارس نمر بمقابلة الخديو في سراي القبة ، وأخبره بما سمعه من اللورد كتشنر ، فقال إذن تحال المسألة إلى لندرة ، وطلب منه السفر إلى إنجلترا .

وفي منتصف شهر يوليو وصل الدكتور إلى لندرة ، وقابل أحد معارفه المتصل بالمستر سلبى سكرتير وزير خارجية إنجلترا ، وطلب منه شرح الحالة السيئة القائمة بين عباس والمحتلين ، وأنه يريد مقابلة ناظر الخارجية لايجاد حل لهذه الحالة . ولما علم المستر سلبى بفكرة عباس فى التخلي عن عرش مصر ، قال : « لو أن الخديو تنازل لولى عهده من تلقاء نفسه ، فيقينه هو أن إنجلترا لا تتأخر عن فعل المستطاع للحصول على ذلك . » وقد تواعد الوسيط والمستر سلبى على أن يتقابلا مرة أخرى .

ولما التقى جناب المستر سلبى بالوسيط فى اليوم التالى ، أفهمه أن مسألة الخديو التى تكلمها عنها بالأمس وقعت موقع الاهتمام عند ولاية الأمور ، وأنهم يحبون أن يعملوا من الدكتور كل ما يعلمه عن هذه المسألة ، وطلب منه أن يكتب مذكرة مفصلة بها لى ينظروا فيها ، ويروا إن كان الحل الذى يقترحه ممكن التنفيذ . على ذلك أسرع الدكتور فارس نمر بكتابة المذكرة ، وشرح فيها ماسمعه من الجناب العالى ، وأنه إذا كانت وزارة الخارجية البريطانية تريد أن تتحقق ذلك ، فى الامكان أن تسمعه من فم الخديو نفسه . وقد أوفد الخديو أيضاً يوسف صديق باشا إلى لندرة لعمل المساعى لمقابلة عباس للملك ، فلم يفلح . وفى هذا الوقت أعلنت الحرب الكبرى ، وبذلك انقطع الأمل فى مقابلة اللورد جراى وتسوية المسألة .

حادثة الاعتداء على حياة الخديو وشهور المهربين نحوها . فى يوم ١٦ يوليو وردت البرقيات من الاستانة باعتداء أحد المصريين المقيمين بها باطلاق الرصاص على الجناب الخديوى ، عند خروجه من زيارة الصدر فى الباب العالى ، فكان لهذا النبأ المزعج



الباب العالى

أثر أليم ، وتلقته الأمة المصرية بقلب خافق مروع وغضب شديد . فان وقعه كان عظيماً : فقد بلغ عدد التلغرافات التى وردت على عطوفة رئيس النظار من جميع أنحاء القطر ، معربة عن أسف الأمة ، واستنكارها لتلك الجريمة وإظهار عواطف

ولائها وإخلاصها لملكها خمسة آلاف تلغراف .

وقد أقيمت في جميع مساجد وكنائس القطر الصلوات لله والدعوات بأن ينـ
بالشفاء العاجل على سموه .

وقد سافر وفد من الجمعية التشريعية للاستانة ، كما سافر أيضاً كثير من أعيان
مصر وعلمائها وكبار موظفيها العرض ولأنهم على الخديو ، والاعراب عن مسرتهم بنجاته .
شعور الأجانب بمصر : ولم يكذب ينشر خبر وقوع الاعتداء على سمو الخديو
حتى توافد إلى سراى الحكومة فى بولسكى معتمدو الدول وقناصلها الجنرالية ، فزاروا
سعادة عدلى يكن باشا ، مظهرين الأسف لوقوع الحادث ، وتمنين لسموه الشفاء .

شعور المصريين الموجودين بأوربا : لما نقلت التلغرافات خبر الاعتداء فى جميع
أنحاء الدول ، وشاع ذكر هذه الحادثة الشنيعة ، ظهرت علامات الحزن على كل المصريين
فى أوربا ، وعلى كل من له علاقة بمصر ، ولا سيما المصريين الذين كانوا بسويسرة
(جنيف) وكانوا يتشوقون لمعرفة تفصيل الحادثة ونتيجتها .

وقد علمنا فيما بعد من رسالة بامضاء محمد أمين بهجت بجنيـف ، أن المصريين
بها عندما وردت التلغرافات العمومية بالاعتداء على حياة الخديو ، ظهرت علامات
الأسف الشديد عليهم ، وعمهم الحزن ، وأبدوا السخط على كل من له علاقة أو يد فى
هذه المؤامرة الدنيئة ؛ وكان من بينهم محمود بسيونى بك المحامى ، وعبد الرحمن
عزت القاضى بك ، وعزيز جريس بك ، وسعادة عمر سلطان باشا ، وسعادة مصطفى
ماهر باشا ؛ وكان أغلبهم هجروا الجلوس بالقهاوى والمتنزعات التى يغشاها فريد بك
ومنصور رفعت فراراً منها ، وخصوصاً من الأخير ، لنشره نشرات ذميمة بها طعن
شديد على الخديو .

وأخيراً قر الرأى على إرسال البرقية الآتية بمضاهة من محمد فريد بك للخديو :
« نظهر أسفنا لما حصل لسموكم من المؤامرة التى كانت مدبرة ضدكم ، وتتمنى لكم
طول العمر . »

الحرب العظمى

* المخبرات الرسمية بين الخديو بالاستانة وقائمقامه بمصر

* الانجليز يمنعون عباس من العودة لمصر . * ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ . * مطالب الانجليز من مصر بعد اعلانهم الحرب . * انتدابي مرمزة خطيرة لدى عباس . * تبشير عباس للمصريين ببقائه . * وفاة مصطفى فهمي باشا . * الحاج الانجليز بترك عباس للاستانة والاقامة في ايطاليا . * قطع علاقاته بالانجليز . * تابع المخبرات الرسمية والحوادث . * منع الحج ومنع التضيعة والاكتتاب للصليب الأحمر . * زيارة عباس لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . عباس والصدر والحزب الوطني . الاتفاق الثماني بين ألمانيا وتركيا وعباس . الحملة التركية على مصر . مفسور الخديو لرعاياه مصريين وسودانيين . تحذير مرمزة الحملة . عود الى الحملة . طلب الاتحاديين اعانات مالية من عباس . تركية تعلن الحرب على روسيا وانجلترا وفرنسا . البعثات الخديوية للماوى بالحملة التركية . شعور الخديو في ظروف مختلفة . قلق ايطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتداد القلق لاعماله الجهاد . كيف تخبر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين في مالطة . عرش

(*) لم يرض على حادث الاعتداء على الخديو أكثر من أسبوعين حتى أعلنت الحرب العظمى ، وقد دارت بين سموه وقائمقامه مخبرات رسمية بالبرق والمراسلات في موضوعات ميزانها بنجوم ، أضفت إليها ما علمته من مداولات الخديو مع رجال الحكومة التركية وسواهم . وسيروى القارى ذلك فيما بعد .

مصريين عباس وعز الدين وسعيد سليم . مرهني السياسة في ايطاليا ومحادثات هامز ومقابلتي مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات أخرى مع المصريين وغيرهم . المساعي لخروج الخديو من الاستانة واقامته في فينا . هربت عباس فيينا مع هريارس عن هادة الاعتداء . رأى عباس في حل مسألة السودان . كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين . قتل عباس بعد الانقلاب في مصر . الحفاوة بالخديو في فينا . كلمة هنامية . سؤره مختلفة .

الانجليز يمنعونه عباس من العودة لمصره . أرسل عثمان مرتضى باشا برقية في ٣ أغسطس لرشدى يقول فيها : إن الخديو سيرجع قريباً إلى مصر على المحروسة ؛ وبما أن الحالة الحاضرة مضطربة ، فالرجو إخبار إيطاليا واليونان بواسطة معتمديهما في مصر ، لكي تؤخذ الاحتياطات اللازمة عند مرورها بالجزر .

فرد رشدى في ٧ منه بأنه مهتم باتخاذ أحسن الوسائل لرجوع أفندينا ؛ وعلى كل حال فالرجوع بالمحروسة فيه خطر الآن ؛ اللهم إلا إذا عملت ترتيبات خصوصية . وأعرفكم بخطر تعدى المدرعات الألمانية عليها ؛ ولذا يجب إخطار الحكومة الانجليزية بالمحافظة عليها في الرجوع .

فأرسل مرتضى برقية سرية في ٩ منه ، وفيها : قررنا السفر بالمحروسة يوم الأربعاء مع الباخرة عثمانية ، للبرور من الدردنيل معاً ، ثم نذهب إلى الضلمان ؛ أما باقى خطتنا فسيعرفكم عنها شفويّاً محمد فهمى بك الذى سيسافر على العثمانية قاصداً مصر .

فرد رشدى في ١٠ منه يقول : وصلتني برقيتكم السرية ، فهل لى أن أعلن حكومات اليونان وإيطاليا وانجلترا ؟

وفى يوم ١٩ وردت لنا منه رسالة بتاريخ ١٢ منه ، يقول فيها : إن السردار والمستشار المالى حضرا مصر ، وقال لى شيتهم نائب كتشنر بالنص : علمت الآن أن الخديو فى طريقه إلى مصر . وبناء على تبليغات شفوية للمستشار المالى ، فان حكومتى

تعلم الحديو بعدم الرجوع لمصر في هذا الوقت ، وإن رجوعه الآن يكون ضد رغبة حكومتى . ولهذا أطلب منكم أن تجربوا سموه بذلك بريقة لاسلكية ، وإن إحدى مدرعاتنا توصلها إلى المحروسة . فأجبت أنه لا ينتظر مبارحته الاستانة ، ولهذا فائق أرسل له بلاغكم إلى الاستانة : أما أنتى أ برق له بواسطة مدرعاتكم — إذا فرض وكان قد ترك الاستانة — فهذا أمر لا يمكننى عمله .

• وأ برق فى ١٤ منه يقول : حيث إن انجلترا أعلنت الحرب على النمسا والمجر ، وبما أننا أعلننا الحرب عليهما بناء على طلب لندرة ، فنفذنا عليهما نفس الاجراءات التى التى وضعناها على ألمانيا .

ونظراً لاحتمال دخول تركيا فى الحرب بجانب ألمانيا ، فسيكون موقفنا وموقف أفندينا صعباً . فمن الضرورى اليوم وجود أفندينا فى مصر ، فهل يمكن لسموه وهو فى الاستانة أخذ التدابير لرجوعه ؟ وهلا يمكنه على كل حال أن يعلننا بريقة عن رأيه لآتنا فى غاية الحيرة ، والقلق مستول على المصريين ؟

أ برق عباس فى ٢٠ منه يقول : علينا بالمذكرة الشفوية التى أبلغها لكم المعتمد الانجليزى ، وأرجو الرد عليها بالآتى :

• الحديو بأسف غاية الأسف ؛ لأنه فى الظروف الحالية التى تستدعى ضرورة وجوده فى مصر من كل وجه ، والفائدة التى تعود عليها ، فان بريطانيا العظمى تأمركم بتبليغى رغبتها بعدم رجوعه لها . اشرحوا لنا نظريتكم ونظرية زملائكم ، وكذلك موقف كبار موظفى الانجليز ، والرأى العام المصرى .

• جاء الرد فى ٢٣ منه بأن رشدى أبلغ البرقية السالفة الذكر إلى الوكالة الانجليزية ، وأوضح بالتفصيل ضرورة وجود أفندينا حالا ، حتى إنه سلم مذكرة لسهولة توصيلها إلى لندرة ، وأنه فى انتظار نتيجة هذا المسعى ، وأنه طلب من المعتمد والمستشارين فى المالية وفى الداخلية تعريفة بصراحة - ولو بصفة شخصية - عن سبب تأجيل رجوع أفندينا ، وإلى أى وقت سيكون هذا التأجيل .

• وأرسل رشدى بريقة فى ١٤ ، ووصلت فى ١٨ ، قال فيها : إن القلق مستول على المصريين ، فاذا كانت صحة سموكم تسمح ، فالضرورة تقضى برجعكم حالا .

• ومن ضمن بريقة أخرى فى ١٧ منه أنه قال لمعتمد انجلترا : إن النظار يتوقعون

احتمال دخول تركيا في الحرب بجانب ألمانيا ، ويتساءلون عن النتيجة بالنسبة لمصر ، ويقولون بضرورة رجوع الخديو لأخذ رأيه فيما إذا كان هذا الاحتمال يقع ؛ لهذا فإن القائمقامية بعثت ببرقية لسموه بالرجوع حالاً . واليوم رجع للوكالة لنفهم المعتمد بأن صالح بريطانيا يقضى بوجود أفندينا في مصر عاجلاً ، وسأرسل ببرقية قريباً أو برسول لسموه .

• وقد أرسل رشدى بأن الرد على أسئلته التى قدمها فى مذكرة للوكالة الانجليزية كان كما يأتى :

عن السؤال الاول ، لم يحصل على جواب قطعى ، إنما فهم من كلامهم أنهم يخشون نفوذ سموه ودسائس بعض حاشيته ؛ ولحوا عن موقف سموه فى مسألة العقبة (طابة) أما عن المسألة الثانية ، فأكدوا لرشدى أن هذا التأجيل مؤقت لمدة أسبوع أو أقل ، لحين وصول الجنود الهندية لمصر . وأما عن شعور الموظفين الانجليز ، فهو عدم الاعتماد على سموه فى أعمالهم . أما موقفهم بخصوص القيام بواجبهم ، فانه لم يتغير . أما الجمهور ، فانه يجهل الأسباب ويحسن ألا يعرفها . ثم قال رشدى إن أحمد شفيق فى الطريق ، ليعرض على أفندينا الحالة فى مصر تفصيلاً من ابتداء الحرب .

• وفى ٢٥ منه قال القائمقام إنه تقابل مع محمد فهمى بك ، وعلم منه أنه قيل للخديو إن الأحكام العرفية أعلنت ، وأنه حكم بالاعدام على بعض الأشخاص ؛ فكذب رشدى كل ذلك ، وقال إن الهدوء التام لا يزال سائداً هنا .

وفى اليوم نفسه ، زار الصدر سمو الخديو لتهنئته بالعيد ؛ وفى أثناء الحديث تكلم عن منع الانجليز سموه من الرجوع لمصر ، فقال سعيد حليم :

• حيث إن أفندينا كلفنى رسمياً فى مسألة منعه من العودة إلى مصر ، فافى سأطلب من سفير انجلترا إيضاحات عن سبب هذا المنع . ، فشكره سموه .

• وفى ٣٠ منه أبرق عباس لرشدى بأن السفارة الانجليزية أخبرته بأن الوقت مناسب لرجوعنا إلى مصر ؛ ولكن نظراً لسكوتكم وحرماننا من كل المعلومات اللازمة للجابة ، لم تتمكن من أخذ قرار فى ذلك ،

ثم إن المستشار سأل سموه عما ينوى عمله ، فأجاب أنه كان ينوى السفر إلى النمسا ولكن ظهر أن طريق رومانيا معطل ؛ ثم فكر فى أن يأخذ إحدى البواخر الإيطالية

فيذهب إلى أملاكه بالضمان، ولكن الصدر الأعظم طلب منه أن يبقى في الاستانة بضعة أيام، فتأخر للآن .

وطلب سموه إرسال معلومات بالتفصيل، وروى له ما عليه من وصول الجنود الهندية إلى مصر .

وفي اليوم نفسه (٣٠ أغسطس) جاءت برقية من رشدى يقول فيها إنه توجه إلى الوكالة البريطانية للاستفهام عن نتيجة مساعيه . فردت بعدم وصول شيء لها ، ولكنها تعتقد بوجود مخبرات ودية بين سموه والسفارة الانجليزية بالاستانة . وأخبر أيضاً بأن العساكر الهندية لم تصل بعد ، وطلب من الوكالة بمجرد حضورها أن يرجع أفندينا حالا، وإذا عارضوا يقدم استقالته ، ورشدى يستحسن إرسال مرتضى باشا إلى كتشتر شخصياً ليجذ رجوعكم . وقال إن البرنس عزيز حسن كلم المعتمد البريطانى فى أن يستمر فى منع أفندينا عن رجوعه ، ليكون بعيداً عن مجرى الحوادث ؛ والمستشار المالى قال لرشدى إن سموه على وشك السفر إلى إيطاليا ، ومن رأى القائمقام، إن كان عدم رجوع أفندينا يطول ، فسفره إلى إيطاليا أرجح من إقامته فى تركيا .

وردأ على برقية عباس أرسل رشدى يقول فى ٣١ منه : إنه بعد تبليغ سفارة انجلترا بعدم المانع من رجوع أفندينا ، لا شيء يبرر أقل تردد فى ذلك ؛ فان صالح البلد وصالح سموه الحقيقى ، يستلزمان رجوعه حالا . الحالة لم تتغير هنا ما عدا الصعوبات الاقتصادية التى فى كل البلاد . الأهالى والجرائد فى هدوء . موقف الاحتلال ليس فيه ما يدعو إلى الملاحظة . الكل ينتظر رجوع سموه بفروغ صبر ، لأنه لا يوجد أحد يفهم أن غياب أفندينا يستمر بعد رفع المعارضة . فبناء على ذلك ، زملائى وأنا نرى أننا ملزمون بالالحاح لرجوعه حالا . ومن المهم لمواجهة الحوادث التى يمكن وقوعها أن النظارة تكون على اتصال مباشر مع سموه . والجنود الهندية لم ترد للآن .

قبل أن أرسل هذه البرقية توجهت إلى الوكالة الانجليزية ، وهى : لا تعلم شيئاً عن بلاغ السفارة الانجليزية بالاستانة لسموه . اطلبوا إرسال البلاغ المذكور إلى الوكالة بواسطة السفارة أو الحكومة الانجليزية ؛ وهذا الاحتياط ضرورى ، وإلا فأتى مصمم على برقتى السالفة .

أشار محب باشا على الخديو بزيارة السفير الانجليزى اليوم كما زار السفراء الآخرين ، وكتب يخطر السفارة بذلك ، فرد الترجمان بأن السفير متغيب . ثم قال :

أما بخصوص سفر الخديو من الاستانة ، فربما لم أكن أوضحت تماماً يوم الأحد عما كنت أريد أن أقوله . والمفهوم أن الأصوب أن يبقى بعيداً عن مصر مدة أخرى ، وأن سياحته إلى إيطاليا أو في جنيف في الوقت الذي يجب فيه ترك الاستانة تكون في محلها . وقد أبرق الخديو لرشدي باشا برد الترجمان ، ثم قال له :

« وعليه نرى أن تركوا لنا وقتاً للتروي ، لأخذ قرار وخطة للسير عليها ؛ وسنفيدكم عنها . ومن جهتكم وافونا برأيكم ومشروعاتكم ومساعدكم التي تزيدنا معرفة عما يجب علينا اتخاذه ؛ ونظن أيضاً أن لكم خطة مقررّة حيث تلحون في رجوعنا ، خطة يجب أن نفهمها بالتفصيل ؛ ونود أيضاً أن نعرف كيف يكون وجودنا عند حضورنا لمصر بعد تصريح إنجلترا به لنا ، وكيف تكون حالتنا حينما تدخل تركيا الحرب بجانب ألمانيا .

وفي ٣١ منه ، ذهب أفندينا لشكر السلطان رشاد على سؤاله عن صحته ، وجاء فيما قاله جلالته لسموه : « يمكن لسموكم الرجوع إلى مصر ، حيث لا مانع الآن من طرف الانجليز ، ولا بد أن الصدر الأعظم كان قد أبلغ جلالته بمساعيه في هذا الخصوص . ومن ضمن برقية وردت في ٢ سبتمبر ، يقول القائم مقام إن محب باشا أبلغه الرسالة ويرى على كل حال أن وجود أفندينا لا يكون في أمن بجنيف ، ويقول أيضاً إن الوكالة البريطانية أبلغته بأن الحكومة الانجليزية لم تغير نظريتها بخصوص تأجيل رجوع الخديو ، فهل بلاغ سفير إنجلترا لسموه حصل مباشرة ؟

« وفي اليوم نفسه أبرق عباس للقائم مقام يقول : « بعد مساعي الصدر الأعظم لدى سفير إنجلترا بخصوص رجوعنا لمصر ، حضر مستشار هذه السفارة وترك لنا الخيار في الرجوع مباشرة لمصر أو بعد سياحة في أوروبا ؛ إنما فضل تركنا الاستانة حتى يتجنب الحوادث التي يمكن ؛ بل المحتمل ، وقوعها في تركيا .

وفي ٣ منه زار سفير إنجلترا لسموه وقال له : إن عدم رجوع لسموه لمصر ، هو لفائدته ؛ لأنه يكون في مركز صعب لو حصلت حرب بين تركيا وإنجلترا . ثم قرأ برقية وردت له من حكومته ، تطلب منه أن ينصح لسموه بترك الاستانة إلى إيطاليا . فأجابه بأنه كان ينوي السفر ، ولكن الصدر طلب منه البقاء حتى يتخبر مع السفارة الانجليزية في أمر رجوعه إلى مصر ؛ لأن الأهالي يسألون لماذا لم يرجع إلى بلده في هذا الوقت الحرج .

« وفي ٦ منه جاءت برقية من رشدي يقول فيها لمحّب باشا : ها أنا ذا أرسل لكم

هذه البرقية لكى أعرب لكم فيها عن وجهة نظرى بصراحة وحرية. وأترك لكم أن تعرضوا على سموه ما يكتنه صدرى بالطريقة اللائقة .

فى الحالة الحاضرة علينا أن نأخذ باحدى خطتين: الأولى أن ندع المقادير تسير فى طريقها، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً. وهذه الخطوة سهلة؛ ولكن هل هى موافقة للواجب الذى يقضى علينا عمله؟ والثانية، هى أن نراعى مصالح مصر؛ ولأجل ذلك يجب علينا فحصها جيداً، بأن تأمل فى كل الاحتمالات التى يمكن وقوعها، وعلينا أن نوجه دقة سفتيتنا على حسب مقتضيات الأحوال، مهما كان الخطر الذى يصيبها. والخطوة الثانية تستلزم وجود أفندينا فى مصر؛ لأن هذه الأمور لا يمكن البت فيها عن بعد، ولا بالمراسلات؛ وخصوصاً أنه فى فترة المخابرات يمكن أن تتغير أسس التقارير: لهذا كنت أسمى للآن عند الوكالة البريطانية للحصول على رجوع أفندينا .

وقد سبق أن ألفت على سموه بالرجوع حالاً عند ماوردت إلى برقيته برفع المعارضة من رجوعه. وبما أن إنجلترا مستمرة على المعارضة، وحتى إذا فرض رفعها، يظهر لى أن الجانب العالى لا يرغب فى الحضور لمصر حالاً، فعندئذ لم يبق أمامى إلا الأخذ الآن بالخطوة الأولى. وإلى أن تصدر لى أوامر جديدة، فانى أترك كل مسعى لحضور أفندينا. لكن يلزمنى أن أعلمكم أنه إذا رفعت المعارضة ولم يحضر سموه، فإن ذلك يسهل للانجليز استبعاده بالسكينة، ويستغلون هذه الفرصة ليعرفوا المصريين أن خديويهم لا يهتم بمستقبل بلادهم، وفى هذه الحالة أستقيل. أما إذا دخلت تركيا الحرب بجانب ألمانيا فى غياب سموه، فنجد أنفسنا هنا حيارى بدون قيادة؛ إذ ذاك إما أن تضم إنجلترا مصر إليها، أو تتفق معها على إعطائها الاستقلال الداخلى، حتى تجذب إليها الأهالى. فى الحالة الأولى، أعتبر مهمتى قد انتهت، وأدخل فى عداد الأفراد .

أما فى الحالة الثانية فلدى ما أفعله؛ فالمرجو أن تعرفونى بنظريتك ولو شفويّاً .

وفى ١٧ سبتمبر أرسل محب لرشدى برقية، جاء فيها: فهمى نقل لى معلوماتكم فكونوا مطمئنين. أنا هنا للسهر على أن كل شىء يسير على ما يرام. الخديو ممنون جداً من الأعمال فى مصر. وأنا لم أرغب أن أرسلكم كثيراً حتى لا أشتت أفكاركم، وإذا صدرت أوامر فانى أبلغها لكم بالضبط .

كنت على وشك السفر إلى لندرة، ثم تأجل، وسألح على سموه بالسفر حتى يوافق على اقتراحى لاكون قريباً من محل العمل لاحتمال ما قد يقع، فهل أنتم على هذا الرأى؟

كنت أردت أن أوضح لكم وجهة نظر أفندينا ولكنه في آخر لحظة كلف أباطه باشا بهذه المأمورية. إنني لست موافقاً عليها تماماً، غير أنني أرجو أن يبلغكم رأيي بالضبط؛ أما القرار الأخير فهو انتظار مجرى الحوادث هنا، مع استمرار الصلات الودية مع الأتراك، الذين لا شك في استعدادهم للدخول في الحرب.

لجاء الرد في اليوم نفسه، وفيه يقول رشدي: وصلتني برقيتكم، وأنا لا أزال على رأيكم من سفركم إلى لندرة لبذل المساعي لرجوع أفندينا.

في ٢٧ منه جاءت برقية من رشدي لمح، يقول فيها: إن أباطه ومرتضى أبلغاني وجهة نظر أفندينا، وإنني ضد ذلك بالكلية؛ لأنها مبنية على خطأ عظيم في التقدير. فإذا كانت إنجلترا تطلب من سموه الخروج من الأستانة والذهاب إلى سويسرا أو إيطاليا، فأرجوكم الإلحاح عليه بقبوله، والأصوب السفر إلى إيطاليا. وعليه أن يتفق مع الانجليز بخصوص إقامته فيها، ولا يلزم أن يعتقد سموه أنهم يريدون إبعاده عن مصر بالكلية؛ لأن القصد هو إبعاده عنها مؤقتاً. وإنني متأكد بأنه إذا أعطى برهاناً واضحاً على حسن نيته نحو الانجليز، بأن يضحى بدون تردد بحاشيته التي تناوئهم، فيمكن في الحال أن أحصل على رفع المنع. فهل لي أن أتدخل في هذه المسألة؟

* ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارئ. في ٤ أغسطس أرسل القائمقام لمرتضى

يقول: لمنع القحط اتخذنا الاحتياطات الآتية:

أولاً - منعنا تصدير المواد الغذائية.

ثانياً - جعلنا صرف البنكنوت الأهلي إلزامياً؛ ومع ذلك فإن البنك الشرقي الألماني

أقل أبوابه.

ثالثاً - أذنا البنك الأهلي في إصدار أوراق مالية بمبلغ مليون جنيه، على أن تكون

نصف القيمة الضامنة من الفضة بدلا من الذهب.

رابعاً - سمحنا للبنك زيادة في الاحتياطات، بإصدار مليون آخر بضمانة سندات

مالية من الدرجة الأولى: ونصف القيمة والثلث حدد بمعرفة الطرفين

وفي ٥ منه أبقى يقول: نظرنا لاضطراب الحالة المالية قررنا الموراتوريوم

للنقد، وأعلنا ثلاثة أيام عطلة للبنوك والمحال التجارية؛ وبنكودي روما أو صد أبوابه،

وكان قد طلب سلفة من البنك الأهلي على أن يقدم له ضمانة من بنكو ديطاليا، ولكن

هذا رفض في آخر لحظة

وفي ٩ منه بناء على الدكرتو الصادر في ٧ منه منعت الحكومة كل التصديرات ،
والقمح المعتاد لإرساله إلى الحجاز

وفي ١٣ سبتمبر أ برق القائمقام بأنه تقرر استمرار الموراتوريوم إلى أول
أكتوبر ، ولكن بشروط أخرى نص عليها القرار

وصدر دكرتو في ٢٥ منه لتحديد أثمان المواد الغذائية ، وتألفت لجنة لفحص
ما يلزم منها للبلاد ، وطريقة توزيعها ؛ وجرى البحث أيضاً لاتخاذ الوسائل المالية للمساعدة
على تصريف حاصلات القطن ، وتشكلت لجنة كبيرة لذلك

من برقية في ٢٥ سبتمبر قال رشدي : « إن اللجنة التي أرسلت إلى إنجلترا أبرقت
بامكان توزيع أربعة ملايين قنطار من قطن المحصول الآتي . فأصبح على الحكومة
واجبان : الأول ، أن العرض لا يتعدى الطلب ، بحيث أن البنوك وتجارة الصادرات
تمكن من إيجاد المبالغ اللازمة لتداول النقود . والواجب الثاني ، أن تصدر الحكومة
أمرها بتخفيض مليون فدان من زراعة القطن ، حتى يمكن المحافظة على الثمن من جهة ؛
ومن جهة أخرى يمكن إيجاد الكمية الكافية من الغلال لحاجة البلاد ، وتصدير الزيادة
إن وجدت .

ومن برقية في ٢٦ منه طلب عباس تعريفه بالاحتياجات الهامة التي اتخذت
في المسائل الاقتصادية .

فرد عليه رشدي بأن الحالة لم تتغير ، ما عدا الصعوبات الاقتصادية ، فإنها كما
هي في كل البلاد .

* مطالب الإنجليز من مصر بعد اعطائهم الحرب . أرسل رشدي باشا
للخديو برقية في ٥ أغسطس بأن إنجلترا أعلنت الحرب على ألمانيا ؛ وأن لندرة طلبت
أن يعلن مجلس النظار بعض الاجراءات لصيانة مصالحها في مصر ؛ وقد تداول مجلس
النظار في هذه الطلبات وملخصها هو :

أولاً — أن قوة الاحتلال تقوم بكل الاجراءات التي تستدعيها الحرب في بلادنا .

ثانياً — منع كل مساعدة لألمانيا ، والتوصية بكل المساعدات لإنجلترا .

ثالثاً — منع تصدير الأسلحة والذخائر والمواد الحربية والآلات ، ودواب
الركوب ، والفحم ، والمواد الغذائية

وهم يطلبون قراراً عاجلاً في ذلك . وقد قال رشدي : « إننا إذا لم ننفذ هذه الاجراءات ، يخشى من أن تقوم السلطة الانجليزية بتنفيذها . وفي كلتا الحالتين سنكون عرضة لاعتداء الألمانين وحلفائهم ؛ فالخطر محقق بنا . ومن جهة أخرى فإنه لصيانة مصالحنا السياسية إزاء إنجلترا ، يستصوب أن نعمل باذتنا بدلاً من استعمال سلطتهم .

وفي ٧ منه أرسل رشدي يقول إنه بعد انتظار ٢٤ ساعة اضطررنا إلى إصدار قرار نظراً للحاح الشديد بتنفيذ المطلوب حالا ، وبعد كل التروى وجدنا أن نقرر ما طلب منا ، فإذا انتصرت إنجلترا فالمنتظر أنها تعدل في النظام السياسي ؛ وأما شكله وشروطه ، فيكون بنسبة الخطة التي نسير عليها معهم . أما إذا رفضنا المطالب المذكورة فإن الانجليز يعدلون هذا النظام ، لكي يضمنوا استعمال حقوقهم الشرعية التي تخولها لهم قوانين الحرب . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تكون على حذر منا . وبتنفيذنا الاجراءات المطلوبة نعتقد أننا قد تبصرنا في العواقب ، للمحافظة على كيان نظامنا السياسي الحالي .

وفي ٧ أغسطس أصدرنا دكرتو جاء في مقدمته : « بما أنه قضى لسوء الحظ باعلان الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندة والملحقات البريطانية فيما وراء البحار وأمباطور الهند ، وبين امباطور ألمانيا .

« ونظراً لأن وجود جيش الاحتلال في القطر المصري يجعل هذا القطر عرضة لهجوم أعداء صاحب الجلالة البريطانية .

« وبما أنه من الضروري ، نظراً لهذه الحالة الفعلية ، التمكن من اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لدفع خطر مثل هذا الهجوم عن القطر المصري .

« وبما أنه قد أشير على الحكومة المصرية ، تحقيقاً لهذا الغرض ، أن تتخذ الاجراءات الآتية » .

وفي ٩ أغسطس أرسل عباس لرشدي برقية قال فيها : إن الصدر عرفنا بأن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا . أرسلوا حالا بالبرق تفصيلات عن هذه المسألة ، والأسباب التي استوجبت هذا الاعلان ، حتى يمكن إخبار الباب العالي بذلك .

مصر تقطع علاقاتها مع ألمانيا والنمسا : في ١٠ منه أرسلت المعية برقية تقول فيها : « إن قنصل جنرال ألمانيا يرفض ترك مصر اعتماداً على أنها على الحياد ، وليست في

حالة حرب؛ والنظار عقدوا جلسات عدة بخصوص العلاقات الرسمية بيننا وبين ألمانيا، والنظر في حالة المراكب النمساوية الراسية في الموانئ المصرية، بعد إعلان الحكومة بأنها في حالة حرب بينهما.

إخراج معتمدى ألمانيا والنمسا من مصر: وفي ٢ سبتمبر أ برق رشدى بأن قومندان قوة الاحتلال أرسل بلاغاً بواسطة أحد ضباطه، إلى قنصلى جنرال ألمانيا والنمسا بوجوب ترك القطر المصرى. وهذا بقرار صادر منه بدون إحاطتنا، وفقط أعلننا به. ومثل النمسا حضر عندنا وسألنا عما إذا كان هذا الأمر حصل بموافقة الحكومة المصرية. فأجبناه بأن البلاغ صدر وأرسل بقرار من السلطة العسكرية الانجليزية؛ وليس بقرار سياسى من الحكومة المصرية.

فأرسل الرد في ٣ منه بموافقة سموه على ذلك.

وفي ٦ منه حضر سفير النمسا بالأستانة، وقابل الخديو، واحتج لديه كما احتج لدى الصدر على طرد معتمد النمسا من مصر، وقال: «إنه معتمد لدى أفندينا، وليس معتمداً لدى الاحتلال الذى ليس له حق فيما فعله»

استدراجي بمهمة خطيرة لدى عباس: في ١٢ أغسطس قابلت حسين باشا رشدى تلبية لطلبه، وقلت له إننى في خدمته، حيث إن مجلس النظار عاد من الاسكندرية إلى القاهرة، فحدثني في الحالة الحاضرة وصعوبتها، وخرج مركزه، وتعدت المخاطبة مع أفندينا؛ وقال لي إنه أرسل إلى سموه يقول إنه لم يصل إليه رد برقيتين بعث بهما إليه، وأنه يوجد عنده كلام لا يمكن أن يرسله بالبرق خوفاً من المراقبة في مصر وفي الأستانة. فقلت له إنى رهين إشارته فيما إذا أراد أن يكلفنى السفر، فقال: «ولابأس» فطلبت منه أن يحضر لى جميع الأوراق التى يطلب عرضها، فقال: «وهو كذلك؛ إنى سأعطيك هذه الأوراق، فإذا خفت ضبطها فألق بها في البحر».

وفي ١٤ منه قابلته، فقال لي إنه يرى ضرورة سفرى إلى الأستانة، وأمرنى بالاستعداد وفي ١٥ منه جاءتني برقية من عثمان مرتضى باشا بجبوقلى، يطلب حضوري للأستانة ومعى ثلاثة آلاف جنيه ذهباً. منها ألفان من الخاصة، والالف من الأوقاف الخصوصية. وفي ١٨ منه اختليت مع حسين رشدى باشا ليلا من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة ونصف بعد منتصف الليل، فأخبرني:

أولاً — بأنه حقيقة كان عازماً على الاستقالة عندما طلب منه الانجيز إقرار وجود مصر في حالة حرب مع ألمانيا ، بدلا من الحياد ؛ ولكنه رأى أنه ربما لا تخلفه نظارة أخرى ، فيتولى الانجيز أمور البلد فيوقعونها في مشاكل

ثانياً — أنه أعطى مذكرة شفوية لوكيل كتشنر سير ملن شتهام ، بأنه إذا دخلت تركيا في الحرب مع ألمانيا ، فإن مصر تعلن استقلالها عن تركيا تحت شروط

(أ) ان إنجلترا تحمل محل الدائنين الأجانب في صندوق الدين .

(ب) ألا تسن قوانين بخصوص الأجانب إلا بعد مصادقة إنجلترا

(ج) أن عساكر هذه الدولة تحمي قنال السويس .

ثالثاً — أن الانجيز غير مرتاحين لرجوع أفندينا الآن إلى مصر ؛ لأنهم يخشون أن يعرقل هو وحاشيته أعمالهم ، وهم الآن مطمئنون وسائرون بالاتحاد مع النظارة .

رابعاً — أنهم كفوا رشدى باشا أن يرسل لسموه برقية لاسلكية بأن يرجع للأستانة ؛ ظنا منهم أن الخديو غادرها على يخط المحروسة ، عائداً إلى مصر ، إلى أن تأتي الجنود الهندية ؛ فأبى بتاتاً ، قائلاً إنه يفضل الاستقالة على ذلك ؛ لأنه يعتبر هذا العمل بمثابة خلع أفندينا ، فضلاً عن أنه لم يتسلم برقية بمبارحته الأستانة ، كما هي العادة . واستفهم منهم عما إذا كان ذلك بناء على أوامر صريحة من دولة إنجلترا ، فقال شتهام إن اللورد سسل المستشار المالى ، سبق أن فهم من كتشنر أنه يريد ذلك ، فأجابه أن هذا لا يكفي ، لأنها نقطة صعبة جداً يلزم أن تتأكدوا منها ، وأفهمه أن ذلك ليس من صالح الانجيز ؛ بل الأصوب أن يكون الخديو بمصر حتى يمكنهم أن يستعملوا نفوذه ؛ وإلا فاذا أعلنت تركيا الحرب فإنها تستعمل هذا النفوذ ضد الانجيز في مصر .

وقال لى رشدى باشا إنه يحسن بأفندينا ترك يوسف صديق ، واحمد شوقى ، وحامد العلابى ، حتى يرضى الانجيز ، ولا يقولوا إن الحاشية تدس الدسائس ؛ وهم وإن لم يعينوا أشخاصاً ، إلا أن المفهوم أنهم يعنون هؤلاء الثلاثة .

سألته : « وإذا سافر أفندينا وقصد مصر ، هل يظن أن الانجيز يمنعونه في الطريق ؟ » قال : « لا أقدر أن أجاب على ذلك ، ولكن لو حصل ، فأننى أستقيل . »

فسألته عما يريده الانجيز ، هل إعلان الحماية على مصر أو ضمها . فقال : « هذه نقطة غير واضحة . » سألته : « هل ينوون خلع أفندينا ؟ » قال إنه سأل الانجيز عن ذلك ،

فقالوا لا ، . وأكده عطوفته على شتهام بأن يرسل لانجلترا فكرة الفوائد التي يجنيها الانجليز من وجود أفندينا ، فقبل .

وفي ١٩ منه سافرت من مصر قاصداً الاسكندرية ، فانتظرتني في عطيتها محمد يكن باشا ، وحسن خالد بك نجل الشيخ أبي الهدى الصيادي ، فركبت منها إلى مأمورية الأوقاف الخديوية ، وتسلمت من مندوب الخاصة الثلاثة الآلاف جنيه انجليزي ، ثم توجهنا إلى وابور سالونيك الرومي .

وقد كلفني قبل قيامي محمد يكن باشا أن أعرض إلحاحه على الخديو بالعودة إلى مصر ، كما أن دولة البرنس محمد علي باشا كلفني ببلاغه أنه يباح هو أيضاً في ذلك ، أو على الأقل يلح في عودة الوالدة والأميرات .

وفي ٢٠ منه وصلت إلى ميناء يبريه باليونان .

وفي ٢٢ منه ركبت باخرة إيطالية ، نظراً لعدم استمرار الباخرة سالونيك إلى الاستانة ؛ وكانت تلك الباخرة مكتظة بكثير من السياح الروس والرومان ، حتى اضطر كثير منا أن ينام في طرقات الباخرة .

وفي ٢٣ منه وصلنا أمام مدخل الدردنيل الساعة السادسة صباحاً ، وانتظرنا للظهر حتى حضر الرفاص المخصص لسحب البواخر التجارية ، خوفاً عليها من الألغام التي كان الأتراك وضعوها في هذا المضيق . وقد لاحظت أنه منذ خروجنا من الاسكندرية حتى الآن ، لم نقابل وابوراً حربياً فرنسياً أو انجليزياً ؛ ودخلنا بحر مرمر في الساعة الثالثة بعد الظهر .

وفي ٢٤ منه وصلنا في الساعة السادسة صباحاً أمام رصيف غلطة ، وانتظرنا حضور أحد من سراي جبوقلي ، وأرسلت برقية إليها أخبر فيها بحضوري ، وابتظارى الرفاص ؛ ولما حضر ركبته وسارني إلى قصر جبوقلي . وبمجرد وصولي اجتمعت بأفندينا في حضرة الباشوات : محب ويوسف صديق واسماعيل أباطه وعثمان مرتضى ، فسألوني عن حالة مصر وعمما إذا كان صحيحاً ما سمعوه من حصول ثورة في القاهرة وفي الاسكندرية ، وشنق سبعة أشخاص ، وغلو أسعار الحاجيات لدرجة عظيمة ، وعمما إذا كان أعلن الحكم العرفي .

وعلمت منهم أن هذه الأخبار أشيعت في الاستانة ، واضطربت أفكار المصريين لأجلها كباراً وصغاراً ؛ فطأنتهم بعدم وجود شيء من ذلك ، وأن البلد في أمان ؛ وإنما

الأسعار ارتفعت أولاً ارتفاعاً فاحشاً ؛ ثم لما منعت الحكومة تصدير شيء للخارج ، أخذت في الهبوط ؛ ويمكن أن تكون الزيادة الآن عشرة في المائة .

ثم بلغت أفندينا الرسالة التي كلفني بها رشدي باشا ، فعرفته بمسألة ممانعة الانجليز في عودته إلى مصر ؛ وشرحت لسموه أن شتهام قال للبasha نقلاً عن اللورد سسل مستشار المالية الذي حضر مع ونجت باشا حاكم السودان لمصر قبل قيامي منها يوم واحد بأن اللورد كتشنر قال ما يفهم منه أن الأصوب عدم رجوع أفندينا لبلده الآن . ولما استفهم رشدي باشا منه عن السبب ، أجيب بأنهم يخشونه وحاشيته ، ويخافون أن يعرفوا إجراءات الانجليز في مصر في هذا الوقت ، ويدسوا الدسائس بين المصريين للقيام ضد الانجليز ، الذين لم تكن قوتهم كافية في ذاك الوقت . فتخبر رشدي مراراً معهم ، وطلب إرسال برقية لانجلترا بأن هذا المنع في غير صالحهم ، لأنهم يستفيدون كثيراً من وجوده ؛ حتى ولو فرض أنه حصل منه شيء ، لسهل عليهم منعه ؛ وأخيراً أجيب بأنه عند وصول العساكر الهندية لمصر يمكنه العودة .

وفي ٢٥ منه سألتني أفندينا عن مسألة إعلان مصر الحرب على ألمانيا والنمسا ، فأجبت بأن مقدمة الدكرتو الصادر في هذا الشأن تدل على أن مصر صارت كأنها انجليزية ، إذ قيل فيه : « نظراً لإعلان ملك الانجليز الحرب على ألمانيا ؛ ولما كان واجب الحكومة الانجليزية ، أن تتخذ كل الوسائل لصيانة ممتلكاتها ومستعمراتها من الخطر ؛ وبما أن الانجليز محتلون مصر ، وواجبهم يقضي بالمحافظة عليها من كل خطر ، فقد أشير على الحكومة المصرية باتخاذ الاجراءات الآتية .

ثم ذكر الدكرتو المواد المتضمنة الاحتياطات التي تتخذها كل دولة محاربة ضد عدوتها . فاستغرب الحاضرون ما قلته لأنه غير ما ورد برقية من رشدي باشا ، فقال أفندينا : « ربما أن شفيق قرأه فقط في الجرائد ، فقلت : « نعم » . وكأنه يقول إنه فاتني أن أفهم الحقيقة من رشدي باشا . ثم استعلم سموه مني عن سبب صدور هذا الدكرتو بعد أن أعلنت مصر حيادها ، فقلت : « إن القائم بأعمال وكالة ألمانيا توجه على ما بلغني إلى رشدي باشا وسأله : « كيف يتفق إعلان مصر الحياد ووجود الاحتلال الانجليزي فيها ، مع العلم بأن انجلترا محاربة لألمانيا الآن ؟ » ، وأنه على ذلك حصلت مخبرات مع انجلترا ، وطلب رجال الاحتلال استصدار هذا الدكرتو .

أردت ألا أذكر أمام الحاضرين أن رشدي باشا يرى خطراً كبيراً على مصر فيما

إذا دخلت تركيا هذه الحرب ضد إنجلترا، وأنه تكلم مع شيتهم في ذلك، وأنه في حالة دخولها يتعين تحديد مركز مصر من جديد، وإعلان استقلالها عن تركيا. وعلبت من رشدى باشا أنه أعطى شتهم مذكرة فيها أساس شروط إعلان استقلال مصر وهي:

أولاً — أن تحتل إنجلترا بعساكرها قناة السويس للمحافظة عليها.

ثانياً — تضمن إنجلترا لباقي الدول ديونها في مصر، فيكون لها مندوب بدلا من مندوبي الدول لدى صندوق الدين.

ثالثاً — ألا تضع مصر قانوناً على الأجانب إلا بعد تصديقها عليه.

وقد تحاشيت التسكلم في هذه النقطة أمام محب باشا؛ لأنه كان وقتئذ متوددا للحكومة العثمانية، وكان واسطة السعى للتوفيق بين أفندينا وبين الصدر، وقد توترت بينهما العلاقات إثر حادثة الاعتداء على سموه؛ غير أن الخديو دفعني إلى الكلام فأفهمته المسألة مضطراً، فسألني عن صورة المذكرة التي قدمها رشدى باشا إلى شيتهم، وأظهر أنه كان يجب على أن أحمل تقريراً وافياً بكل ذلك، فقلت إنني طلبت كل هذا من رشدى باشا، وقد وعدني؛ ولكنه لم يعطني شيئاً كتابياً. فأمر سموه محب باشا أن يحرر له جواباً بغرضه. ثم سألت أفندينا عما كان يرغب في أن أحضره معي من المعلومات، فقال:

أولاً — نتيجة التحريات التي حصلت في مصر بالنسبة لحادثة الاعتداء.

ثانياً — تفصيلات سبب استصدار الدكرية للقاضي بأن تكون مصر محاربة لألمانيا والنمسا.

ثالثاً — ما يقوله باقي قناصل الدول الجزائلية بالنسبة للحرب وحالة مصر.

رابعاً — المذكرة التي أعطاها رشدى لشيتهم بالنسبة لاستقلال مصر.

فقلت لسموه: إنني يامولاي قمت بالواجب على ولم أقصر فيه؛ لأنني قلت لرشدى إنني تحت أمره في هذا الوقت الصعب؛ وإنني مستعد للحضور عنده في أي وقت يريد. فشكرني ولكن لم يطلبني؛ وفهمت أنه كثير التحفظ، ثم إنني طلبت منه أن آخذ معي تقريراً مسهباً عن كل المسائل وصور البرقيات الشفوية التي أرسلها ولكنه لم يعطني شيئاً؛ واكتفى بالمعلومات التي شافهني بها ليلة السفر، فرد أفندينا: «إنني لا أقول إنك قصرت في واجباتك».

عباس يروى لى حادثة الاعتداء : فى ٢٥ اغسطس اختليت مع عباس ، ورغبت أن أسمع منه شخصياً وقائع الحادثة المذكورة ، فقال : « أنت تعلم يا شفيق مقدار الصداقة التى بينى وبين منير باشا سفير الدولة العلية بباريس ، فلما دعوته لتمضية بعض أشهر الشتاء فى مصر ، طلبت منك عمل الترتيبات اللازمة لهذه الضيافة ، فأعددت له ذهبية ، ورتبت له كل ما يلزمه من أكل وشراب وعربة لفصحته ، فعاد لوظيفته شاكراً ممنوناً من حسن الضيافة .

« فلما سافرت فى هذه السنة إلى باريس ، وعلم بعزى على قضاء شهر رمضان فى الاستانة نصح لى ، وأسر لى بطريقة خصوصية بحجة بما كان يتوقعه من الاعتداء على ، وألح بالأأسافر للاستانة ؛ ولكنى لم أعبأ بنصيحته واستبعدت وجود المؤامرة لاغتيال حياتى وسافرت إلى الاستانة غير هباب ولا مكترث . وعقب وصولى إليها توجهت إلى السراى السلطانية حسب العادة وتشرفت بمقابلة السلطان ، فرحب بى ، وأظهر لى عطفه الأبوى .

« وفى ٢٦ منه ركبت عربة سلطانية لزيارة الصدر الأعظم فى الباب العالى ، وبرفتى المهمندار الشاهانى ، وخلف العربة ياوران ، وبعض الجاويشية ، كما هى العادة . وكان جلال الدين باشا القبوكتخدا يتبعنا فى عربة أخرى ، وأمام الباب العالى مقر الحكومة التى كان يرأسها الأمير سعيد حلیم كصدر أعظم ، اعتدى على شاب مصرى ، كان منزوياً فى حانوت بابه مقفل ، فأطلق على الرصاص من مسدسه . هنا استوقفت عباس ، وسألته عما جال فى فكره بمجرد حصول الحادثة فأجابنى : « تمكنت بصعوبة من إخراج مفكرتى وكتبت : « أتهم سعيد حلیم ؛ لأننى كنت أشعر من زمن بعيد بعدائه لى ، وبالتفاف بعض المصريين حوله ينفذون إرادته . »

« ومن الغريب أنه عند إطلاق الرصاص على ، وقف الخوذى بدلا من الاسراع فى سيره وانكأ المهمندار للوراء فى العربة ليفسح المكان لتسكين المعتدى من فريسته ، الأمر الذى أثار كثيراً من الشبهات . »

ثم سألت سموه : هل تظن يا أفندينا أن البرنس حلیم كان يقصد من وراء هذه الحادثة أن يخلف سموكم فى مصر ؛ مع أنه رفض قبول العرش عندما دعاه كتشنر لذلك ؟ ، فأجاب : « نعم . »

عند ذلك حضر أحد الأغوات ، وقال : « إن دولة الوالدة تريد زيارة أفندينا ، فخرجت .

وما يجدر بالذكر أن الخديو كان في ذلك الوقت يقيم في أحد الباليين في جبوقلى ، بدلا من الكشك الذي في أعلى الجبل ؛ لسهولة معالجته ، وكانت تقيم معه خليلته ولوزانج ، عند انفراده ، أما البالى الآخر فكان معية للحاشية .

ولما تقابلت مع الخديو أمس ، عقب وصولي إلى جبوقلى ، وجدت ذراعه المصاب مرفوعاً وملفوفاً بقماش ، ولسانه يتلعم ، فأخذ يتحدثني عن الاصابات ، وكلامه بطيء . ونفسه ذو رائحة ؛ فسألت الدكتور كوتسكى بك طبيبه الخاص عن الاصابات ، فقال : « عند خروج سمو الخديو من الباب العالى ، أطلق عليه ثمانى رصاصات : منها ما أصاب خده ، حتى أسقط بعض أضراره وأسنانه وجرح لسانه ؛ ومنها ما أصاب ذراعه . » وفى ١٥ سبتمبر أملانى أفندينا خطاباً لرشدى باشا سلمه إلى الصباحى افندى . وسافر اليوم على باخرة « الحاج داود » ، ومما جاء فيه :

« إنه وإن كنا أرسلنا لكم تلغرافاً بأن صحة الجناب العالى ساعدته لعمل زيارات ، وأن الجروح التامت ، والحكماء أعطوا للمرة الأخيرة قرارهم بأن صحته رجعت إلى ما كان عليه ؛ إلا أننا نحيط عطوفتكم علماً بأن الذراع المصاب لم يأخذ حركته الأصلية للآن ؛ مع العلم بأن التحسن مستمر ، والمرجو أنه عن قريب يتم شفاؤه . أما الفم فإنه مع سقوط أربع أسنان ، يوجد أيضاً سن خامس انفصلت عنها أخواتها ، بحيث لا يمكن استعمالها . وإن الفك السفلى لم يأخذ موضعه تماماً بحيث إن الأسنان العليا لا تنطبق على التى تحتها كما كانت ؛ ونحن فى انتظار أخذ رأى طبيب الأسنان . وإن محل جرح اللسان يفتح وقت تناول الطعام ، ثم يرجع إلى ما كان عليه ، وهذا يسبب عدم فوات وقت كاف على الشامة .

عثمان مرتضى باشا يحدثني بما دار فى التحقيق : أردت أن أستقى بعض معلومات عن التحقيق من عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديوى ، وهو من كبار القانونيين ، فقال لى : « بعد حصول الحادثة استدعانى الخديو لآكون فى خدمته باستانبول ، ولاقوم بالتحقيق ، لكى نصل إلى العوامل الخفية التى دفعت المجرم إلى ارتكاب جريمته ، فقممت باستجاء الأخبار ، وتبين الوقائع من مصادر عدة ؛ وعلى الأخص ممن كانوا مع سموه حين الاعتداء عليه ؛ ومن اطلاعى على محاضر وأوراق الاعتداء تبين بوضوح :

أولاً — أن الشاب المجرم كان يتمرن على ضرب الرصاص منذ ثلاث سنوات . وقد وجدت فى غرفته صورة لإنسان بارتفاعه الطبيعى ، كان يقذفها بالرصاص من غدارته منصوباً إلى القلب ، حتى لا تخيب ضرباته عند الاعتداء .



صورة بالأشعة « راديوجرافير » أخذت في شهر ديسمبر بفينا ، تبين الاصابات بذراع الخديو وفه

ثانياً — أن ذلك المجرم كان يتعهده ويعاونه طبيب مصري مستخدم في قلم الأمنية العمومية ، بنظارة الداخلية ؛ وهو الدكتور احمد فؤاد . وكان له اتصال مباشر وثيق مع طلعت بك والصدر الأعظم .

ثالثاً — كرر لي ماسمعه من عباس ، عما حدث من المهمندار الذى أثار كثيراً من الشبهات .

رابعاً — وجود كبير رجال البوليس السرى وراء القاتل ، وإقدامه على قتله على الفور ؛ مع أنه كان فى قدرته القبض عليه استجلاء للحقيقة ، ولمعرفة العوامل الخفية التى استخدمت هذا المجرم فى الاقدام على جرمه الفظيع . وكان هذا سبباً أيضاً يجعل الناس حيارى من إدراك الغرض من وجود رئيس البوليس السرى وراء المعتدى ، ومن تسرعه فى قتله عقب ارتكاب الجريمة ، رغم أنه لم يبد منه أقل اهتمام بالقبض عليه عند أول طلقة أطلقها ، بل تركه حتى أطلق جميع رصاص مسدسه .

وعلى ذلك كله أرسلت موظفاً مصرياً (كان قد حضر لمعاونتى فى التحرى) إلى نظارة الحقانية ، ليستوضح كل هذه النقاط ، وليستوفى التحقيق الذى وقف جامداً — وعلى الأخص مع الدكتور فؤاد للأسباب الخطيرة المذكورة — فتباطأت النظارة فى إجابة الطلب ، فألححت من طريق آخر على نظارة الداخلية ، فحصل من الثانية ما حصل من الأولى واكتفت الحكومة العثمانية بما عمل فى الرسميات من المحاضر الأولية فى ضبط الواقعة ، وأسدل الستار نهائياً على هذا الاعتداء .

ولما وجد الخديو والحاشية أن الحكومة العثمانية لم تهتم باجراء التحقيق الدقيق فى الحادثة ، وخصوصاً الأمنية العمومية بنظارة الداخلية ، وعلى رأسها الدكتور المذكور من دعاة الصدر ، والذى لم يساعد مرتضى باشا وبدر الدين بك عند حضورهما ، بل إنه عمل على معاكستهما ، فلم يتبين ما وراء هذه الحادثة ؛ لذلك شعر الخديو والحاشية بالخطر من وجودهم فى الاستانة ، وتقرر انتداب البكباشى شفيق ، والبكباشى البشرى لابلأغ الخديو هذا القرار الخطير .

* تبشير عباسى للمصريين بسفارة . أرسل صديق فى ١٣ سبتمبر للقاء مقام برقية قال فيها : إن صحة الجنب العالى تحسنت فى العشرة الأيام الأخيرة ، وقام ببعض الزيارات ويسرنى جداً أن أبلغ عطفكم بأن الأطباء الذين عالجوه ، عادوه لآخر مرة اليوم وقدّموا تقريراً نهائياً عن صحة سموه ، ورد فيه أن الجنب العالى شفى تماماً من جروحه

بدون أن تترك أثراً ، وأنه أصبح متمتعاً بكامل الصحة . وقد بادرت بأخبار عطفوتكم بهذا النبأ السار الذى يهمكم معرفته ، لتنشروه للأمة المصرية .

* **وفاة مصطفى فرامى باشا** . فى برقية بتاريخ ١٣ سبتمبر أخبر القائم مقام بأن مصطفى فهمى باشا فى حالة النزاع ، فأرسل الخديو يبدى أسفه لذلك ، ويطلب منه عنوان زغلول باشا ؛ فرد القائم مقام فى ١٤ منه بأن الفقيد وأصهاره رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر . وفى ١٥ سبتمبر وردت برقية من المعية السنية بأن جنازة مصطفى فهمى باشا شيعت بالاكرام اللائق به .

وفى ١٥ منه أرسل الخديو برقية لمحمود صدق باشا ، يقول فيها : « علمت الآن الخبر المؤلم بوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، فقدموا عزائى للجميع أسرته ، وبأنى أشاركها فى مصابها الآليم ، وأقدر هذا الرجل حق التقدير لتودده وإخلاصه لعائلتي . »

وفى ١٦ منه رد محمود صدق باشا ببرقية ، جاء فيها : « إن عطف سموكم العظيم ترك أحسن الأثر لدى أسرة الفقيد فى هذا الظرف العصيب ، وقد كلفتني بأن أكون رسولها فى تقديم شكرها للأعتاب الخديوية . »

تعزية عباس لسعد والرد : وفى ١٥ منه أرسل عباس إلى سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية برقية يقول فيها : « تأثرت لوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، وأرى لزاماً علىّ بمناسبة هذا الحادث المفجع أن أعرب لكم عن عطفي الصميم ، وأتمنى لكم الصبر للاستمرار فى خدمة مليكمم وبلادكم مدة طويلة . »

جاء الرد فى ١٧ منه وفيه يقول سعد : « أرجو عرض إخلاصى وولائى لأعتاب أفندينا ، وشكرى الجزيل لعطفه العظيم الذى تنازل بتوجيهه إلىّ بمناسبة وفاة خادمه الأمين صهرى ، وهذا الاكرام العالى سيكون دائماً أحسن مخفف لمصابى ، وأقوى مشجع لخدمة الغاية السامية لمليكنا المفخم . »

« من ضمن برقية وردت فى ٢٥ منه ، قال رشدى إنه فى زيارته للوكالة الانجليزية قال له شيتهم : « إن برقية أفندينا لسعد بمناسبة وفاة مصطفى فهمى كان لها وقع سيىء ؛ لأنها لا تعتبر تشجيعاً للبعارضة لحسب ، بل تسبها . »

* الحاخ الانجليز بترك عباسي لمرستانة والرقامة في ايطاليا . سبق أن نوهنا عن زيارة سفير انجلترا لانفدينا في ٣ سبتمبر ، وإلحاحه على سموه بترك الاستانة والسفر إلى إيطاليا ، ولم يرق في نظر أنفدينا إلحاح السفير الانجليزى في أن يسافر إلى إيطاليا ؛ ولا سيما أنه من المحتمل أن يكون تدبير هذا الشأن بين انجلترا وإيطاليا ، أو على الأقل أن يفاجأ في أثناء سفره بمركب حرية تقوده إلى مالطه مثلاً . ويمكن أن نقول إن التهديد بدأ من هذا التاريخ .

وفي ١٤ سبتمبر زار محب باشا سفير انجلترا ، وسمع منه كلاماً جافاً بسبب امتناع الخديو عن تركه الاستانة ، والسفر إلى إيطاليا .

وفي ١٥ منه أرسل سفير انجلترا خطاباً لمحمد عزت باشا ، يدعو لزيارته ، فسأله عما ينويه الخديو بالنسبة لسفره لأوروبا ، فقال عزت باشا : « إن سفره غير مناسب في الأحوال الحاضرة ؛ لأن المصريين ، وحتى الأجانب ، ينتقدونه فيقولون عنه إنه يتنزه في حين أن مصر في خطر ؛ وكان الأصوب أن يوجد هو أيضاً فيها . ولا أفهم حكمة منعه مع أن هذا المنع في غير صالحكم . فقال السفير : « إنه ورد لسموه عشرة آلاف جنيه من مصر ليصرفها في نزهة البحر الأبيض والذهاب إلى أوروبا . »

فأجاب : « إن شقيق باشا أحضر ثلاثة آلاف جنيه لسموه ، وأنه إذا كان قد فكر في أن يتوجه إلى أوروبا وقتاً من الأوقات ، فانه كان ينوى أن يرافق نجليه إلى سويسرا للدراسة ؛ ولكن الخديو يفضل الإقامة هنا محل السيادة بما أنكم منعموه عن دخول مصر . فتأوه السفير وقال : « كيف نعمل وعندنا عسكري ككتشنر ، يقودنا ؟ ، وقد اعترف السفير للبasha بأن هذا العمل ليس في صالح الانجليز ؛ ثم طلب منه بصفته صاحب كتشنر أن يحرر له خطاباً خصوصياً يعرفه فيه بفكره ؛ فرد عليه عزت باشا : « كيف أن كتشنر الذى لم يسمع كلامك وأنت سفير ، يصغى لما أحرره له وأنا فرد بسيط ؟ ،

وفي ٢٢ منه بلغنى أن سفير إيطاليا تقابل مع الخديو ، وقال له : « إن طلب انجلترا ذهابكم بحراً إلى إيطاليا معناه : تفضل يا خديو إلى مالطه . »

وفي ٢٦ منه حضر الترجمان الأول للسفارة الانجليزية لغرضين : الأول أخذ ميعاد لزيارة السفير لانفدينا ؛ والثاني لابلغة طلب حكومته بأن يترك سموه الاستانة ليقم في إيطاليا .

فرفض سموه الكلام معه في النقطة الثانية .

فلما تقابل مع سموه أخبره بأن وجوده في الاستانة مشجع للأتراك على تجهيز مائة ألف عسكري لاجراج الانجليز من مصر . لهذا فان السفير سيطلب ابتعاده عنها ؛ لأن وجوده بها مضر بهم ، فأجابه سموه قائلاً : « أنا أعرف منك بأفكار الانجليز في لندرة نحوى ، مما علمته في هذا الصيف ، فلا تحاول شيئاً في هذا الأمر . ومع هذا فنتلك نقطة لا دخل لك فيها ، فسأشرحها للسفير . أما ما تدعونه من أن وجودى هنا أقنع الأتراك بإرسال حملة على مصر ، فانتى في غالب المدة التى أقفها في الاستانة كنت مريضاً ولم أخرج للزيارة إلا قليلاً ، ولم أتقابل مع الصدر إلا نادراً ، وليس لى اختلاط مع رجال الحكومة العثمانية . فلو صح ما تقولونه أكون أكثر مهارة من بسمارك ، ويحق لى أن أفتخر بهذا العمل . » ثم قال لنا أفندينا إن الترجمان كان قد بدأ كلامه « من العالى ، رغبة في التأثير على » ؛ ولكن لما رأى منى العزيمة والشدة في المناقشة ، خفض صوته .

ثم قال الترجمان إن دورية خيالة عددها ٢٠ نفرأ من العرب وصلت إلى رفح ، فخبثها النقطة المصرية التى على الحدود ، وبعد أن مكثت الدورية يومين في الأراضى المصرية رجعت ؛ وكان من الممكن أن تكون هذه الحادثة سبباً لقطع العلائق بين انجلترا وتركيا إلا أننا اقتصرنا على إرسال مذكرة للصدر في يوم ٢٣ سبتمبر للفت نظره الى هذه الحادثة . وقال أفندينا : « لئننى أستغرب ، لأن الصدر الأعظم واسماعيل حتى بك القوميسير العثمانى بمصر الذى كان عندنا أمس لم يخبرنى بشئ من ذلك ، فهل نية الأتراك غير سليمة معنا ؟ »

فأمر أفندينا عارف باشا بالتوجه إلى أنور باشا وتفهيمة المسألة ، واستحضار اسماعيل حتى للتكلم معه في هذه النقطة ؛ لنعلم هل الدولة لاتريد بقاءى هنا كطلب السفير . وقد حضر إسماعيل حتى والبرنس إبراهيم حلى ، وكلف أفندينا الأول بالذهاب لطلعت بك ، والثانى للصدر

نصيحة الأتراك له بالرفض : فكان جواب الصدر أن السفير لم يعلق أهمية كبيرة على مسألة الدورية ، وأن أفندينا ليس له أن ينزعج مما يقوله السفير ؛ وما عليه إلا أن يجيبه بأنه يفضل البقاء في الاستانة على التوجه لأوروبا

وكان جواب طلعت بك في يوم ٢٧ منه : أن لا أهمية مطلقاً للذاكرة التى أخبر

الترجمان بها أفندينا ، وألا يسمع سموه ما سيقوله السفير من حيث السفر ، ولا يعطى له أهمية ، ويجاوبه بأنه قرر الإقامة في الاستانة .

أما أنور باشا فقال أمس لعارف باشا : « إننى سأعمل ما يلزم مع الحكومة العثمانية لأجل منع السفير من إقلاق راحة الخديو بهذه الصفة ، لأنه ليس له حق فى منع سموه من الإقامة فى الاستانة ؛ ومع هذا فإن الكثير فات ولم يبق إلا القليل . »

* قطع عمر نفعه بارو تجلير . فى ٢٨ سبتمبر جاء السفير السير لويس مالت فى الساعة الحادية عشرة . وكرر ما قاله الترجمان ، ثم قال أن حكومته استشعرت بمغزى بعض التلغرافات التى ظاهرها بسيط ، وباطنها ذو معنى سياسى ؛ من ذلك التلغراف الذى أرسل فى العيد الصغير من الجناب العالى إلى حسين رشدى باشا ، وفيه يشير سموه إلى أنه كان يود أن يكون بين المصريين فى هذا العيد ؛ وأضاف إليه ملاحظة على إرسال برقية لسعد باشا عند وفاة صهره ، يفهم منها أن الخديو يثق بسعد باشا أكثر من رجال حكومته ، وكذلك أبدى ملاحظة على برقية محب باشا للقاء مقام يبشره بشفاء عباس ، وتبليغ ذلك للمصريين ؛ وقال إن هذه المسائل أولت بطريقة تشوش الأفكار . فأجابه أفندينا بأن لعلنى بأن سعد باشا محب لرشدى باشا ، وساعده فى الجمعية التشريعية ، وهو من الرجال الأكفاء ، أرسلت له كلمتى تشجيعاً على مساعدة رشدى باشا ؛ وسبب إرسال تلغراف محب باشا ، أنه أشيع أننى فى حالة صحية خطيرة حتى صرت معتوهاً ، فأردت تكذيب هذه الاشاعات ؛ أما بالنسبة لرشدى باشا ، فأننى أحبه ، وأثق به ، وهو من عائلة أصلها من قوله كأصلى ، ولا أرغب مطلقاً فى أن أجرحه فى شىء ما .

وتكلم السفير معه أيضاً فى عدم مناسبة وجوده بالاستانة ، بسبب ما يقال عنه من أنه يحض الأتراك على دخول الحرب ضد الانجليز ، وأن الأولى أن يسافر إلى إحدى مدن إيطاليا على نخت المحروسة ، والحكومة المصرية تكترى له قصرأ لطيفاً لمدة بضعة أسابيع . فقاطعه الخديو ، وقال : « بضعة أشهر . » ثم أضاف السفير : « وإن لأفندينا منافع مادية ومعنوية فى مصر ، فلا ينبغي له إهمالها ، فأجابه سموه بما أجاب به ترجمان السفارة ، وأضاف : « صحيح أن لى مصالح فى مصر ولكن لم يعن بها الانجليز ؛ لأننى لما اشتريت من الحكومة سكة حديد حلوان دفعت لها أربعة آلاف جنيه عن كل كيلو متر ، مع أنها لم تدفع لى إلا ثمانمائة جنيه للكيلو متر فى سكة حديد مربوط . » فقال السفير : « إن هذا الثمن جيد ، فأجابه سموه متمكناً : « أنا متشكر . » ثم قال :

أما منفعتي المعنوية فهي في عدم ذهابي لإيطاليا ؛ لأنه لا يمكنني أن أخرج في الطريق بل أكون محبوساً في القصر ، لأن كل من يراني يقول : هذا ملك غريب ! ترك بلاده في ساعة الخطر ليلهو بعيداً عنها .

ثم إن أفندينا جس نبض السفير فيما يختص بالإقامة في سويسرا ، فأجابه بأن الحال فيها غير مطمئنة ، وينتظر حصول قحط ، فاستنبط سموه من ذلك أنه لابد من وجود اتفاق بين إيطاليا وإنجلترا على إقامته في إحدى المدن الإيطالية ، حتى يكون محاطاً بالجواسيس ، ولا يمكنه أن يتمتع بحريته ؛ كما أن الإصرار على السفر فوق المحروسة ، أو وجد الشك عند سموه في نية الانجليز ، وأنه ربما كان الغرض القبض عليها في البحر ، وإرسالها إلى مالطة مثلاً ؛ حتى إن السفير لم يستحسن أن يسافر سموه إلى الضلمان . وقال : « أنا في المرة الأولى رأيت جنابكم ميالين للسفر ، ولكنني الآن أرى تغيراً ، وأجدكم غير مترددين في البقاء ؛ فربما أنكم مستندون إلى الأتراك » . فأجابه سموه : « حقاً فكرت في السفر ، ولم أكن قد ملكت صحتي ، وفضلته لتغيير الهواء ؛ ولكنني الآن في صحة تامة ، لا تحتاج إلى السفر ؛ خصوصاً وأنني بين أهلي وعشيرتي ورجال معبتي » . فقال السفير : « الأحسن أن تروى في طلبي ، ثم تعطيني الإجابة القطعية » . قال : « فليكن » .

ولكن السفير ظن أنه في تردد ، وأنه ربما يمكنه أن يؤثر على سموه ويأخذ جواباً مرضياً . فقال : « إنني أرى أن صالح أفندينا يقضي بإجابة طلب حكومتى ، فأعطيني رأياً صريحاً قطعياً الآن » . فأجابه : « إن تربيتي تمنعني من أن أخفي رأيي ؛ ولذا فأنني أرفض إجابة الطلب » .

وفي أثناء المحادثة قال السفير : « إن وجود سموكم في إيطاليا أقرب لمصر من الاستانة » . تليحاً لما ينتظر من رجوعه لبلاده ؛ فأجابه إنني متعود على السفر ، ولدي قدرة على أن أطوف حول أفريقيا حتى أصل إليها .

قال السفير : « فلي حينئذ أن أخبر حكومتى برفضكم ؟ » قال : « نعم » .

ثم سلم جنابه عليه ، فقال له سموه : « أنا أشكر لكم عنايتكم الشخصية بي ، وإنني متأكد من أنكم في تقاريركم التي ترسلونها لحكومتكم بخصوص حركاتي وسكناتي تراعون الحقيقة » . ولم يظهر على وجه عباس وهو يروى لنا مناقشته مع سفير إنجلترا شيء .

من التأثر لقطع علائقه مع الانجليز؛ ولكننى شعرت بأنه يفكر فى عواقب هذا الحادث لامن الوجهة السياسية، بل من الوجهة المادية؛ وقد أخبر والدته بنتيجة زيارة السفير، بعد مقابلة السفير الانجليزى فى ٢٨ سبتمبر، فكر الحديو فى مقابلة سفير إيطاليا، ليستعلم منه عن وجود مخاضرات بين حكومته وحكومة انجلترا فيما يختص بسفر سموه إلى إيطاليا، فأرسل له محب باشا يرجوه فى المقابلة، فحضر اليوم، وعلم منه الحديو عدم وجود محادثات من هذا القبيل، ثم أكد لسموه أنه إذا أقام فى إيطاليا فإنه يكون حراً فى أعماله وحركاته وسكناته كما لو كان هنا؛ وعرض عليه مخاضرة حكومته فى هذا الشأن ليتأكد من ذلك، فأجابه بالضرورة لهذه المخاضرة الآن، وطلب منه أن يبق فى نفسه ما عليه حتى الوقت المناسب. وقد استغرب السفير الايطالى منع الانجليز له من رجوعه لمصر، وقال إنها غلطة كبيرة؛ وكان الأحسن لهم أن يكون بمصر تحت نفوذهم.

* تابع المخبران الرسمية والمخابرات *

فى ٢٥ منه أ برق رشدى لمح ب يقول: وإن الوكالة البريطانية طلبت مراراً وقف الجمعية التشريعية إلى أن تنتهى الحرب، بحجة إمكان تداخلها فى المسائل السياسية، وضرورة اتخاذ وسائل قانونية عاجلة تقتضيها الظروف. فرددت بأن هذه الاجراءات ربما لا ترضى الرأى العام، وتعتبر تقهقراً فى وجهة النظام الدستورى؛ وإن الحل الوحيد هو تأجيل الجمعية التشريعية إلى تاريخ انعقادها المقبل. وكل قانون يصدر فى هذه الفترة يعرض بعد ذلك على الجمعية، فينظر فيه كالمعتاد، فقبلت الوكالة هذا الاقتراح، ومن جهة أخرى نرى أنه موافق نظراً للحالة الراهنة، وإن الرأى العام يقبله بدون اعتراض وفى ٢٦ منه أجاب محب بأن الحديو لا يوافق على تأجيل موعد افتتاح الجمعية التشريعية، لفائدة البلاد فى الظروف الحاضرة، لأنها لا تشتغل إلا فى المسائل الداخلية وأن القوانين التى تصدر بين دورتى الانعقاد، تعتبر مؤقتة، ولا يعمل بها فيما بعد، وتغادياً من المعارضة فى القوانين الهامة، التى كان يجب أن تعرض على الجمعية لابتداء رأيا فيها؛ فلذلك رأى سموه أن يتجنب بقدر الامكان إصدار قوانين من هذا القبيل.

فكل هذه المسائل لها أهمية عظيمة. وسموه يريد ألا تتخذ قرارات من هذا القبيل إلا بعد استشارته.

الرتب والنياشين: وفى ٢٥ منه أ برق رشدى لمح ب يقول: وإن السردار استعلم

عما إذا كانت الرتب والنياشين التي تمنح عادة بمناسبة عيد الأضحي للعسكريين والملكيين في الجيش يلزم عرضها على سموه ، أو يكتفى بطلب منه .

فرد عباس في ٢٧ منه : « بناء على الحالة ، أجلوا طلبات الانعام على العسكريين والملكيين برتب و نياشين ، والسبب هو منع استقالة الضباط المصريين للانجليز .

وفي ٢٩ منه أرسل عباس برقية للقائم مقام جاء فيها : « برقيتك المهمة لم تقنعني . سفير إنجلترا حضر أمس ليلغني رغبة حكومته الأكيدة بسفري إلى إيطاليا ، فرفضت . وبعد كل ما حصل لي ، فأنا أتساءل : كيف يمكنني أن أقبل حتى رجوعي إلى مصر ؟ والتفصيلات (١) بالبوستة .

كنت أحب أن أراك هنا لو أمكنك عمل اللازم .

وفي ٤ أكتوبر قال الخديو لمحب باشا : إذا لم تحضر برقية بعد يومين أو ثلاثة بسفر رشدي باشا للاستانة كطلبتنا ، فتذهب أنت وتقنعه بذلك ، ثم ترجع . وسأله عما إذا كان يمكنه الرجوع ، فقال : إنني أفعل كل شيء حتى أرجع ، ثم إن سموه أظهر تألمه أيضاً من عثمان مرتضى باشا ؛ لأنه لم يوافه بأخباره .

وفي ٧ منه أ برق عدلي لصديق بأن الخطابات الواردة منه لم تغير من رأيه ، وأنه يشارك القائم مقام في كل نظرياته حتى الآن .

في ٨ منه توجهت إلى جبوقلي ، فعلبت أن عدلي باشا ناظر الخارجية أرسل برقية مفتوحة ليوسف صديق باشا ، يقول فيها إنه أخذ خطاباته ولكنه يخالفه في رأيه ، وأنه مقتنع بما أرسله رشدي باشا في كل المخبرات حتى الآن ؛ فكأن رشدي وعدلي ، وطبعاً باقي إخوانهما من النظار — أي الحكومة — في جانب ؛ والخديو في الجانب الآخر .

وقد تألم الخديو من فحوى هذه البرقية ، وكان ألمه أشد لأنها جاءت مفتوحة (بدون شفرة) ؛ وقد علل سموه ذلك بأنه إما أن يكون الانجليز أمسكوا خطابات يوسف صديق ، وطلبوا من عدلي أن يبدي رأيه لهم ، فقال إنه على غير رأي يوسف صديق ، وحينذاك أملوا عليه البرقية ؛ وإما أنه أرسلها من تلقاء نفسه ، دون ضغط عليه ، فيكون عمله لإرضاء للانجليز — وما كان يعد فيه أن يعمل هذا العمل .

وقرر سموه أن يسافر لمحب باشا لا قناع رشدي باشا وعدلي باشا بوجهة نظره .

(١) التفصيلات المنوه عنها موجودة تحت عنوان « قطع العلاقات بين عباس والانجليز »

في ١٢ منه سافر محب إلى مصر بعد أن تناقش مع الخديو في موضوع مهمته، وهي إقناع رشدي باشا بالسير على الخطة التي اختطها سموه لنفسه، أي الاتفاق مع الأتراك ضد الانجليز، الذين لم يرضوا برجوعه إلى بلده، ولا بمعارضه عليهم رشدي باشا من استقلال مصر، مع إلحاحهم في خروج سموه من الاستانة والتوجه لإيطاليا؛ وأن يقنع رشدي باشا بأن يتخذ خطة حازمة أمام المحتلين، بدلا من قبول كل ما يطلبونه منه، لأنهم مجبرون على موالة المصريين الآن.

وفي ١٩ منه جاءت برقية من محب، بحمل موضوعه لا يعرفها إلا يوسف صديق يقول فيها: «إن الانجليز منعوا رشدي باشا من إرسال برقيات» (شفرة طبعا).

وفي ٢٠ منه سافر إلى مصر أحمد صادق بك وكيل الأوقاف الخديوية، بعد أن أنقضى ليلتين فقط في الاستانة، مزوداً بتعليقات من أفندينا لرشدي باشا، منها إرسال عدلي باشا ناظر الخارجية للاستانة للتفاهم مع أفندينا.

في ٢٠ أكتوبر حضر سفير هولاندة، وزار عباس؛ وكان قبلا قنصلا جنراليا لهذه الدولة في مصر، وله صلات ودية قديمة مع سموه وعائلته. ودار الحديث بينهما في منع الانجليز لأفندينا من الرجوع إلى مصر مع أنه كان يود ذلك، فقال السفير إن سفره على نخت المحروسة كان خطراً عليه؛ لأن الدواعر الانجليزية كانت تقوده إلى ماطلة.

كنت عرضت أول أمس على أفندينا أنه لا يحسن استمرار المؤيد المنسوب لأفندينا على اتخاذ خطة مخالفة لخطتنا، لأن الأهالي يكونون متحيرين في تصديق أي جانب؛ فنعاً لسوء التفاهم، يجب أن يعدل المؤيد خطته، وإننا نطلب حافظ عوض بك للاستانة. وبناء على الأمر أرسلنا برقية لعثمان مرتضى باشا بذلك؛ فجاء الرد أمس بأن حافظ بك يفضل عدم السفر لأسباب متعددة، فساءنا هذا الرد. وبما أننا كنا أفهمنا أحمد صادق بك أسباب طلب حافظ عوض، فقد قررنا الانتظار لمعرفة ما سيكون عند وصول المندوب لمصر.

وفي ٢٢ أكتوبر أرسل القائمقام برقية، وصلت في ٢٧ منه للياور النوبتجي، ذكر فيها أن محب باشا وصل؛ وليس لي إلا الرجوع إلى برقيات السالفة، وقد أوضحت فيها كل الوسائل المهمة التي اتخذتها. ولم أفند شيئاً مهماً إلا بعد إخطار سموه؛ ومع ذلك فإنه لم يصلي منه أي اعتراض على أعمالي.

وأما تأجيل اجتماع الجمعية التشريعية شهرين ، فكان قبل حضور محب باشا ، ولم
أتسلم البرقية التي قال محب بأن سموه أرسلها إلى بهذا الخصوص .

وفي ٢٥ منه حضر من مصر عبد الله أفندي سليم البشرى ومحمود خيرى أفندي ،
من المعية السنية ، وأخبرا بما يأتى :

أولاً — رشدى باشا لا يثق بعهود الأتراك ووعودهم .

ثانياً — أنه مخلص لأفندينا ، ومستعد للاستقالة ، إذا رغب سموه ؛ وأن
سبب عدم إجابته عن طلب بيان القوة العسكرية المحتلة ، والتي حضرت ، وتوزيعها هو
أنه لو سأل الانجليز عن هذا البيان ، لشكوا فى سؤاله ، وأولوه بأنه تجسس ؛ فضلاً
عن أنهم لا يصدقونه .

ثالثاً — قال إنه أرسل برقية عقب رجوع محب باشا

رابعاً — محب باشا لم يتمكن من إقناع رشدى باشا وعدلى باشا .

خامساً — عدلى باشا أرسل برقيته المفتوحة من تلقاء نفسه .

سادساً — بعض النظار قالوا عن أفندينا : « خليه هو هناك ونحن هنا نشتغل ،
أى أنهم مستغنون عنه .

سابعاً — الأهالى متذمرون من تسيطر الانجليز عليهم ، ولأخذ كل شئ بما فى
ذلك الأساور والحلى الذهبية ؛ ومتضررون من أن المستشار المالى قرر أن يكون قنطار
القطن بستة ريالات ، بعد أن كان يباع فى السنة الماضية بعشرين ؛ وأن كل من يأخذ
مبلغاً من البنك الأهلى فى نظير تسليم قطنه ، يشترط عليه قبول الثمن الذى يبيع به البنك
هذا القطن مهما كان منخفضاً .

ثامناً — الأهالى خائفون لأن الانجليز يهددونهم إذا قاموا ضدهم ، ومن جهة
أخرى فانهم خائفون أيضاً من تدمير الأهالى ؛ والجواسيس منتشرون فى كل البلاد ،
حتى على بواخر الشركة الخديوية ، لمراقبة الذاهبين والعائدين ؛ والتفتيش عليهم فى
الجمرك ، حتى على السيدات صعب جداً .

* رسالة انتقاد من عباسى على رشدى بعقبها ثقة وثناء .

علم الخديو بأن رشدى باشا قد انفعل من برقية سموه إلى مسعد باشا ؛ وظن
أن نتيجة ذلك تعيين مسعد محله عند رجوع سمو الخديو إلى مصر ؛ فأراد الجناب العالى

أن يمحوا أثر هذه البرقية بإبداء ثقته في قائمقامه ؛ فأرسل الخطاب الآتي بالفرنسية بتاريخ ٢٩ أكتوبر :

عزيزي القائمقام : لاحظت أن بعض قراراتكم اتخذت بحجة أنكم لم تصلكم منا أوامر بخصوصها ، فكان الواجب عليكم من باب الحيلة أن تتأكدوا من وصول بريقاتكم لنا ، وكان عليكم إرسال صورة بريقاتكم بالبريد أو برسول خاص .



حسين رشدى باشا

ولو أنكم استعملتم هذه الطريقة لما حصل سوء تفاهم ، مع أنه لم يصلنا منكم شيء من ٢٧ أغسطس إلى ٢٢ أكتوبر ، ففي هذه الظروف الصعبة ، كان من الواجب ، بالنسبة للمسائل المهمة ، ألا تتخذوا أى قرار قبل أن أعطىكم موافقتى عليه . فمثلاً بخصوص تأجيل الجمعية التشريعية ، علمنا أن قرار ردنا لكم بالبرق لم يصلكم ، فكان عليكم أن تطلبوا منا الرد تحريراً . وكذلك بما أن الحالة الحاضرة لا تستدعي الاحسان برتب ونيشين ، فقد علمنا من

برقية وردت لنا من السودان أنكم صرحتم ببعضها ، مع أننا فى ردنا لكم بخصوص ذلك ، أمرناكم بعدم منحها . فاحتياطاً لهذه الأحوال نلح عليكم أن تعلمونا بكل قرار مهم لأخذ رأينا ، خصوصاً فى المسائل الخطيرة التى سنواجهها . وقد سبق أن أعربنا لكم عن رضائنا بوجودكم على رأس حكومتنا ، وإننا ننتهز هذه الفرصة لتكرار هذا الرضاء والتأييد بثقتنا التامة بكم ، وإخلاصكم الوطيد لنا ولوطنكم . وإننا لا نشك فى صداقتكم وفطنتكم ، فعليكم أن تعملوا بشجاعة وثبات وصبر متواصل لصالح بلادنا العزيزة . واعتقدوا يا عزيزى القائمقام ، بأحسن عواطفنا .

• وفى هذه اللحظة وصلتنا بريقكم بخصوص مقالة طنين بتاريخ ٢٤ أكتوبر . ونحن لا نجد فيها ما يستحق الاهتمام ، فالجرائد فى مصر أو فى استنبول تنشر أخباراً كثيرة ليست صحيحة ، ولا تستوجب أن تعطوها هذا الاهتمام ، وعلى كل حال فإنا نستغرب كيف اطلعت على هذه الجريدة ، لأنها لا يمكن أن تصلكم فى تاريخ بريقكم .

* منع الحج ومنع التضحية واكتتابان للصليب الأحمر مصر جبراً . في ٢٩ أكتوبر أرسل رشدي للياور النوبتجي بريقة قال فيها : « جريدة طنين (التركية) نشرت حوادث يلزمنى تصحيحها لأنها تسمى شخصياً ، فادعائها منع الحج في هذه السنة ومخالفة فتوى المفتى ، وإقفال أبواب الأزهر ، كل ذلك افتراء محض . فالحقيقة هي أن الممالك التي كانت تمون مصر بالدقيق ، منعت تصديره بسبب الحرب . ومن جهة أخرى فاننا قررنا إنقاص زراعة القطن لزيادة زراعة القمح في سنة ١٩١٥ لتموين البلاد وللتقوى اللازمة لزراعته ؛ ولأجل ذلك فإن الحكومة منعت تصدير الكمية التي كانت ترسلها من القمح إلى الحجاز ، مما يؤدي إلى تعدي العربان على الحجاج . وفضلاً عن ذلك عدم وجود وابورات صحية كافية لنقل الحجاج . وأخيراً فإن الحكومة المصرية نظراً للحالة الحاضرة ترى نفسها غير قادرة على تنظيم خدمة كرتينات لائقة ، بحيث تقوم بمنع خطر الأمراض الوبائية عن البلاد ، الأمر الذي يستلزم وجود الحجاج تحت مراقبة طويلة ، بدلاً من إخراجهم بمجرد إتمام الاجراءات الصحية . وعليه فالحكومة عرضت كل هذه الملاحظات على المفتى ، الذي أصدر فتوى بأنه في هذه الحالة ينصح بعدم الحج في هذه السنة . والحكومة أعلنت هذه الفتوى على الجمهور ، وتركت له الحرية في اتباع النصيحة ، وطلبت فقط من المسافرين ترك مبلغ كاف للاتفاق عليه لرجوعه عند الحاجة كما حصل في سنة ١٩١١ ؛ ومع ذلك فإن الكسوة الشريفة أرسلت مع مخصصات مكة ، وكل ما أجرته الحكومة في هذه المسألة لم يثر استياء الجمهور ، والبلاد استمرت وستستمر هادئة .

وكذلك ما قيل من أن الحكومة منعت التضحية . كذب وإنما بالنسبة لأن البلاد معرضة لقمح المواشى ، ونظراً للحالة الحاضرة ؛ فإن الحكومة طلبت من كبار العلماء تحت رئاسة المفتى إبداء النصيحة للجمهور بانقصاص الضحايا إلى أقصى ما يمكن ، وقد صدرت الفتوى بالموافقة . وعليه ، فإن الحكومة اكتفت بنشر الفتوى دون أى تعليق عليها ، ولم تتخذ إجراءات أخرى .

ومن الافتراء أخيراً ما قيل من فتح اكتتابات عامة للصليب الأحمر الانجليزي جبراً . والحقيقة أن بعض الاكتتابات القليلة التي حصلت كانت تقريباً كلها من أفراد ، حتى أنه أشير بالنهي عن ذلك . ،

زيارة عباسي لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . في ٣١ أغسطس زار أفندينا الصدر الأعظم في « بني كوي » ، وهي أول زيارة عملها بعد الحادثة . وقد شكره على مساعيه الخاصة برجوعه لمصر ، وكانت الزيارة ودية للغاية .

ثم قابل السلطان في قصر يلدز ، وكان بمعيته الباشوات محب ومرضى وأبازله وصاحب المذكرات ، ويوسف صديق ، وغيرهم من الحاشية ، وكان ذلك في الكشك المسمى « جادر » ، الذي بناه السلطان عبد المجيد في نقطة جميلة لها منظر على البسفور كأنه بحيرة أمام الناظر ، وله منظر آخر على بحيرة صناعية في الجنة ؛ وقد نزل السلطان من يلدز إلى هذا الكشك ليسهل على أفندينا مقابلته . وكان الترتيب أن سموه يحضر بالرافص إلى سراي « جراغان » ، ومنها بالسيارة إلى الكشك المذكور ، مخترقاً الشارع من محل خصوصي . وقد استقبله على السلم الباشا بنجي ورئيس التشريفات ورئيس الأطباء وغيرهم ، فدخل أفندينا عند السلطان ؛ أما نحن فمكثنا مع حاشية جلالته مدة ٤٥ دقيقة ، بعدها حضر رئيس التشريفات ودعانا إلى مقابلة جلالته ؛ فخرجنا في البهو الذي كان بين غرفة السلطان وغرفتنا ، فوجدنا أفندينا واقفاً ، ثم حضر السلطان ، فأدينا التحية بأخذ السلام ، وقدمنا سموه إلى جلالته .

ثم زار في أول سبتمبر أيضاً سفير النمسا ، وقد رحب بسموه كثيراً ، وأظهر له ممنونية عظيمة لرؤيته في صحة تامة ، خصوصاً وأن الصلات الحسنة بين الاثنين كانت كبيرة وقديمة .

ومن هناك ذهب لسفارة أمريكا ، فلم يجد السفير ومنها زار سفير ألمانيا ؛ وسمع منه أن الألمانيين مصممون على سحق وتخريب الدولة البريطانية ، وعندهم مدافع برية ترمى إلى بعد ٣٢ كيلومتراً لاستعمالها بوضعها في كاليه عند أخذها ، لمنع وصول المراكب التجارية من إنجلترا ، لما هو معروف من أن المسافة بين كاليه وبين الشواطئ الإنجليزية أقل من ذلك أو تقرب منه ، وكذلك عندهم الطيارات المسماة « زبلن » ، فسيكون لها شأن في محاربة الانجليز ؛ وزار سفير إيطاليا ؛ ثم سفير روسيا ، ولم يجده فترك له بطاقته .

أما سفير إنجلترا فكان أفندينا قد آخر زيارته للغد ، فألح محب باشا في أن يزوره اليوم ، وأرسل الباشا جواباً للترجمان بذلك . ولكن هذا رد باعتذار السفير لعدم وجوده .

وزار أيضاً اليوم بعد الظهر سفير فرنسا ، فأبلغه أن الانجليز والفرنسيين لا يفكرون في اقتحام الدردنيل لمناعته ، بوضع الألماس مدافع كبيرة في الحصون ، وإلغام

البحر، مما يصعب معه على الأسطول أن يخترق الدردنيل. ثم حضر حسن بك رئيس تشريفات ولي عهد السلطنة، للسؤال عن صحة أفندينا من قبل سموه الملوكي، فشكره أفندينا وأمر بكتابة رسالة لطيفة لولي العهد ووقعها، وانتدب محب باشا وعارف باشا لجلها وتقديمها، ثم زيارة وحيد الدين أفندي وغيره من العائلة السلطانية، شكرهم من قبل أفندينا على سؤاها عنه مدة مرضه، والاعتذار لهم عن عدم إمكانه زيارتهم شخصياً. وفي يوم ٤ منه حضر سفير روسيا لرد الزيارة لسموه، وقال له: إن الأحسن وجوده بالاستانة، لينصح المتوسمين من الأتراك بعدم خوض غمار الحرب الحالية كما تريد ألمانيا، وهو يقبح عمل إنجلترا من حيث طلب خروجه من الاستانة، وقال السفير إن هذه الحرب تطول ستة أو سبعة أشهر.

وفي ٩ سبتمبر جاء سفير النمسا وقابل الخديو، ففهم من حديثه أن حالة الجيش النمساوي، سيئة وأنه ينتظر بفروغ صبر انتهاء القتال مع الفرنسيين، حتى تتمكن ألمانيا من إرسال نجدة عسكرية لمساعدة النمسا.

عباسي والصبر والحزب الوطني. في ٣ سبتمبر وردت للخديو رسالة من محمد فريد رئيس الحزب الوطني يهنئه فيها بسلامته من التعدي وبجول العيد، ويظهر امتنانه من عطف سموه على رجال الحزب مثل الصوفاني وغيره، وقال ما معناه: «إنه يلزمنا انتهاز الفرصة الثمينة الحاضرة للعمل معاً».

وفي اليوم نفسه كنت تحدث مع اسماعيل أباطه ويوسف صديق وعثمان مرتضى في تنظيم برنامج للسير بمقتضاه، ثم عرضه على أفندينا؛ ولكن علمت من الأول أنه لا يبت في شيء إلا بعد حضور محمد فهمي بك التشريفاتي من مصر، وإطلاعنا على الأوراق التي يحملها من قبل رشدي باشا. وقال أباطه باشا: «إن أفندينا يفكر في الذهاب والمكث في الضلمان، لأنه إذا ذهب إلى إيطاليا يدعى الحزب الوطني أنه يسعى ضد صالح مصر».

وفي ٧ منه ركب مع أفندينا واسماعيل أباطه وذهبنا إلى بيك في الصباح، وبعد وصولنا إليها حضر يوسف صديق، والدكتور سيد كامل، وكانا منتدبين لمرافقة محمد فريد بك، لأنه وصل من سويسرا للاستانة أمس الأول، فأخبر يوسف صديق أنه لما تقابل مع فريد صباح اليوم في الفندق، رأى منه ميلا للتفاهم مع الخديو، واعترف بأنه لا يمكن للحزب، ولا للأتراك عمل شيء بدون مساعدته.

ولما قابل فريد بك أفندينا أخذ يني عن نفسه تهمة التعدي ، ثم قال إنه يعتذر عما حصل منه من الخطأ ، لأنه كان مقتنعاً بأن أفعاله كانت في صالح الوطن ؛ فظاناً أنه أفندينا ، وعرفه بأنه لم يخطر بباله أنه تدخل في حادثة التعدي عليه ، وقبل اعتذاره بكل صفاء ، في هذا الوقت الذي يلزم فيه جمع شمل المصريين .

ثم أمره أن يتوجه لطلعت بك وأنور باشا لمعرفة ما بنوى الاتراك عمله في مصر ، وتبليغه لنا . وبعدها بقليل حضر الشيخ البوريني يرافقه الشيخ عبد العزيز جاويش الذي نفي عن نفسه تبعة الحادثة ، وتبرأ منها ؛ فقال له أفندينا : « أنا لا أخليك من المسئولية ، لأنه كان يجب عليك أن تنصح هؤلاء المتوسسين من الشبان أن يتبينوا الأمور ويعقلوها ؛ فإن مصر لا تنتفع من ضررى . وعلى كل حال فإن الوقت يقضى علينا أن نكون الآن كتلة واحدة ، للعمل لما فيه صالح مصر والمسلمين ، وأن نفكر في العمل الذي تنويه الدولة في مصر . »

فقال الشيخ جاويش : « أنا أعرف أنك يا أفندينا تحدثت مع أنور باشا ، وأعرف أنه متحقق من شيء ، وهو أن الدولة لا يمكن أن تعتمد في عملها على شخص خلاف أفندينا ، وأنه أخبر الاتحاديين بذلك . » ثم خرج الشيخ جاويش مسروراً بما سمعه .

وفي ٩ منه حضر محمد فريد بك إلى اليايى (قصر بيك) ومعه اسماعيل ليبب بك من أركان الحزب الوطنى ، الذى حضر من مصر وأفضى لسموه بحالة البلاد وأعمال الانجليز . وفي هذا اليوم قابل سموه على الشمسى بك عضو الجمعية التشريعية ، وتداولوا جميعاً فيما يجب عمله .

وفي ١٢ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل ليبب بك ، وقابلا أفندينا ، وأعلماه بحديثهما مع أنور وطلعت .

وفي ٥ أكتوبر تقابل سموه مع محمد فريد بك واسماعيل ليبب بك فى قصر بيك بعد الظهر ، وكلفهما بكتابة أسماء الفدائيين الذين يعول عليهم من أعضاء الحزب الوطنى ؛ وذكر أن الواجب التفكير فى طريقة تحريض الطلبة المصريين على القيام بواجبهم نحو الوطن .

وفي ٧ أكتوبر قابل الجناب العالى فى بيك فريد بك واسماعيل ليبب ، وتحدثوا فى الشئون المصرية .

وفي ١٢ منه جاء محمد فريد بك واسماعيل ليبب ، فجمعنى الخديو بهما بحضور

يوسف صديق والسيد كامل، وتباحثنا في الحالة، فقرر تحضير منشور من سموه يوضح فيه الغرض من إخراج الانجليز، والمحافظة على الأرواح، من مصريين وأجانب، والعفو عن المحكوم عليهم سياسياً، والوعد باعطاء الدستور التام.

وفي ١٤ منه حضر لجبوقلى محمد فهمى رئيس جمعية أنى الهول فى جنيف مع على الشمسى بك وكييل هذه الجمعية والعضو فى الجمعية التشريعية، ومعه أحد أصحابه مسيو فلاك مكاتب فرانكفورت روتنج، وقابلوا الخديو.

وفي ١٧ منه قابل سموه بعد الظهر فى بيك محمد فريد بك. واسماعيل لبيب ثم صاحب جريدة الألمانية كانت تطبع فى مصر (يجب أن نأخره) وعطلت عقب إعلان الحرب من انجلترا على المانيا، ثم محمد فهمى بك وعلى الشمسى بك، وأخيراً حضر أنور باشا ومكث مع سموه ساعة كاملة.

وفي ١٨ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك لجبوقلى بعد الظهر، وقابلهما سموه مع وجودى أنا ويوسف صديق باشا؛ ومن المحادثة علمنا أن البرنس ابراهيم حلى أخبر أفندينا بأن الصدر كله عن فريد، وانتقده على وضع شارة مكتوب عليها مصر للصريين؛ وأنه سأله عن

البرنامج الذى ينوى السير عليه، فأجابه بأن لا برنامج عنده، وعلى هذا حكم الصدر على الحزب الوطنى بأنه دجال؛ فقال فريد: «نعم إننى توجهت لمنزل الصدر وقابلته، ولم أرد أن أعلمه بشئ. لأننى لا أثق به، وإنه أرسل مع محمد راسم بك يقول: إن الصدر مستعد لمقابلته ليلاً بمنزله، ولكنه لم يتوجه إليه. فقال الخديو:

«إن الصدر لما رأى التفافكم حولى، استشاط غضباً؛



سعيد حليم باشا «الصدر الأعظم»

لأنه يرمى إلى غرض آخر ، يشتغل في تنفيذه مع الشيخ عبد العزيز جاويز والدكتور احمد فؤاد وحلى المسلى افندى ومحمد عماد الدين ، فقال فريد : « بلغنا أن في عزهم تشكيل حزب وطنى آخر ،

فقال الخديو : « إن غرض الصدر هو أن يكون خديوياً على مصر . » فقال فريد واسماعيل لبيب : « هذا مستحيل ، وإن المصريين لا يرضون بأحد غير أفندينا ، فأجاب سموه مقسماً ثلاثاً : « إننى لا أطمع إلا في خلاص مصر من الاحتلال ؛ ثم إن أرادت الأمة غيرى ، فأننى أسلمه الأريكة . فكرر الحاضرون قولهم بأنهم لا يرضون عنه بديلاً ؛ فقال سموه : « والذى يؤسفنى هو أن الصدر ملتف بمصريين مثبقيين يعلنون عداهم لنا ، مع أنه لا يليق بصدر هو رئيس حكومة ، أنا موجود في ضيافتها ، وهو من أسرقى ، أن يفتح بابه لمثل هؤلاء الناس . »

وفي ١٩ أكتوبر حضر إلى بيك الشيخ عبد العزيز جاويز وقابل الخديو ، ملتسماً منه أن يأمر محمد فريد بك بأشراكه معه في البرنامج الذى ينفذه ، مع أنه كان يبتعد عنا .

ولما خرج الشيخ جلس معى ومع الشيخ البورينى ، وأخذ الشيخ جاويز يذكر معلومات عن الحركة القائمة في فارس والافغان وفي عدن وفي الهند ضد الانجليز ؛ ولما جاء ذكر مصر ، والأمل في تحريرها ، ونشر التعليم في جميع جهات القطر ، قال الشيخ البورينى : « وعندها يعين الشيخ جاويز للاشراف على نشر التعليم . »

وفي ٢٠ أكتوبر حضر محمد بك فهمى ، وعلى بك الشمسى في بيك ، وقابلا أفندينا وأخبراه بما دار من الكلام بينهما وبين سفير ألمانيا صباح اليوم .

وفي ٢٣ منه دعا سموه لتناول الغداء في الكشك الكبير محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويز ، واسماعيل لبيب ، والأستاذ محمد فهمى ، وعلى الشمسى بك ، ثم جلال الدين باشا صهر سموه ، ويوسف صديق باشا وعارف باشا ، والدكتور السيد كامل افندى ، والشيخ البورينى ، وابراهيم ادهم بك الياور ، وصاحب المذكرات ؛ وهى أول دعوة أقامها بعد شفائه ، وحضرها بنفسه ، وأكل فيها لحماً ؛ وكان الحديث في أثناء الطعام ودياً ، والشيخ جاويز مسروراً ؛ وبعد شرب القهوة جلسنا مدة ساعة ، ثم انصرفوا ما عدا فريد بك واسماعيل بك .

وفي ١٣ نوفمبر سمعت من تصريحات الخديو ، أن حلى المسلى افندى الموظف

بالخارجية العثمانية، والذي ينتمى للصدر يجمع في غرفته الشيخ جاويش، والدكتور احمد فؤاد وفؤاد سليم بك لتأليف حزب، يسمى حزب مصر العثمانية، يرمى إلى جعل القطر المصري في صف الولايات؛ ولاحظ سموه أن فريد بك غير قوى ولا نشيط؛ وكان من الواجب أن يجمع هؤلاء تحت جناحه، فهو غير قادر على مقاومتهم وهم خصوم، ويجب على فريد بك أن يكون يقظاً لهذه التدابير التي يحكمها الصدر.

وفي ١٤ منه قابلت، والسيد كامل أفندي، واسماعيل لبيب بك، الجناب العالي، فأخبرنا أن البرنس ابراهيم حلمي باشا وسيف الله يسرى باشا حضرا عند سموه، وهما مكلفان من الصدر أن يبلغاه: —

أولاً — أن الصدر بلغه خبر بأن أفندينا عين فريد بك رئيساً للمجلس النيابي.
ثانياً — أن فريد قال إنه يجب خروج العساكر التركية من مصر بعد دخولها فيها بأربع وعشرين ساعة.

ثالثاً — ينتقد على فريد بك ادعائه بأن مصر للمصريين.

رابعاً — إذا كان الأمر كذلك فلا لزوم لتوجه أفندينا مع الحملة.

فقال سموه: «لو كان فريد بك يستهوى لهان الأمر من زمن بعيد، ثم شرح كيف أن فريد بك قد انضم إلى سموه بعد أن أرسل إليه خطاباً قال فيه: «إنه قد أن الأوان للاتحاد والوئام، وانتهاز هذه الفرصة لخلاص مصر».

وقال فريد بك: «لقد قابلني سيف الله يسرى باشا فعلا في طوقاتليان وأخبرني بما قاله الصدر عني، فأظهرت عدم اكتراثي بهذا الكلام، فرد عليه الباشا قائلاً: «يجب ألا تستخف بما أقوله لك، وإلا اضطر الصدر إلى اتخاذ إجراءات، فقلت: «إذا أراد الصدر أن أذهب إليه وأتفاهم معه فانتى مستعد لذلك».

ولما سمع الخديو ذلك قال: «لنتي أنوى زيارته لأبلغه جوابي عن هذا الكلام».
وفي ١٤ نوفمبر قال لنا سمو الخديو: «لقد طلبت من البرنس ابراهيم حلمي أن يحمل إلى الصدر ردى على جميع النقط التي أبلغني إياها، وقلت له إنه لا حق له في انتقاد حاشيتي لقولها: إن مصر للمصريين؛ لأن هذا مطابق للقرمانات التي تخول لمصر استقلالها الداخلي، وما قلنا يوماً بالانفصال عن تركيا فيما لها من السيادة الخارجية، والمصريون متعلقون بتركيا شديد التعلق، بدليل التبرعات الكثيرة التي جمعت في زمن الحرب

الطرابلسية، والحرب البلقانية. وأما ما أشيع عن فريد بك من قوله بعدم وجود الجيش التركي بمصر بعد دخوله فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة، فهذا غير صحيح؛ لأن هذا الجيش لا بد أن ينتظر نتيجة انعقاد مؤتمر الصلح الذي تعرض عليه المسألة المصرية؛ وذكر سموه أن البرنس ابراهيم قال له: إن الصدر ينتقد على كسوة سموه العسكرية، فأجاب بأنها ليست كسوة انجليزية، بل عملت بواسطة الأمريكين الذين كانوا قد حضروا إلى مصر بصفة أركان حرب في مدة جده، وليس في وجود كسوة عسكرية مخالفة لما هو في الجيش العثماني ما يستوجب النقد؛ لأن لباس الجيش البافاري مخالف للباس الجيش البروسي، فإذا كان رجال الدولة يريدون أن تكون مصر بالنسبة لتركيا مثل بافاريا لبروسيا، فلا محذور حينئذ من أن تكون للجيش المصري كسوة مخصوصة. وذكر سموه أن البرنس ابراهيم قال له: إن الصدر يهدد فريد بك بنفيه إلى سينوب، فقال سموه: «إلا هذه المسألة فليس للصدر سلطة عليه. وإذا كان هذا الأمر جازاً في تركيا فإنه لا يجوز في مصر».

وكان الصدر قد قال أيضاً إنه نبه على طلعت بك بالأقابل فريد بك، وكذلك على أنور باشا؛ فقال سموه: «إن الصدر يتكلم ضدنا من بعيد، فرسل إلينا كلاماً بواسطة البرنس ابراهيم، وأنا لا أستطيع السكوت على ذلك، فسأذهب إليه وأعرفه بأنني سأزور أنور باشا وطلعت بك وسفير ألمانيا، وأبلغهم هذا الكلام. ثم كلف سموه فريد بك زيارة أنور باشا والسفير، ومخاطبتهما في هذا الموضوع، وليعمل ترتيباً بأن يطلب طلعت بك مقابلة فريد بك، ويكون هذا بمثابة ترصية عن قول الصدر بأنه منع طلعت بك من مقابلة فريد».

وفي ١٥ منه تقابل فريد بك مع طلعت بك، ولما أخبره بما قاله الصدر في حقه، أجاب بأن أقوال الصدر لا قيمة لها، والدليل على ذلك أنه تقابل معه. ثم أضاف: «لا تعبروا هذه الأقوال التفاتاً، ولكن من جهة أخرى يلزم أن تصح للمصريين بأن يكفوا أقوالهم عن الكلام غير المناسب، فبعضهم يقول برجوع الخديو لمصر، وآخر يقول بعكس ذلك؛ وتغالوا فقالوا بتعيين كل من يكون في ولاية عهد السلطنة خديوياً على مصر، حتى يكون سلطاناً فينتقل إلى الاستانة، وولى عهده يذهب إلى مصر؛ وهكذا من الأقوال الدالة على الغباوة. فالأحسن أن تتفقوا وتتحدوا، فأجابه فريد بك: «إن المصريين جميعاً لا يريدون خديوياً غير عباس حلي باشا، ولما سمع الخديو هذه الرواية، قال: «هذه تدبيرة من عماد الدين وكيل الصدر، والشيخ جاويش، والدكتور أحمد فؤاد

وحلى المسلى افندى ؛ والغرض من ذلك إيجاد التشويش في الأذهان ، والترويج لأن تكون مصر ولاية عثمانية ، واتفق في الحال على أن ينشر فريد بك في الجرائد خبر مقابلته لطلعت ، بك فيكذب بهذا ادعاء الصدر

وفي هذا اليوم حضر اثنان من المصريين ، وهما (م . افندى وى . بك) ؛ فأخبرها سمو الخديو بمسألة الصدر ، وقال : « إنتى لم أتعاقد مع فريد بك ولا تكلمنا في تعيينه في أية وظيفة ، وأن مصر لا يمكن أن تكون إلا للمصريين ، فإذا امت بعيداً عن مصر ، فأرسلوا جثتي لتدفن فيها . فلا معنى لاتنقاد الصدر على فريد بك ، لأن هذا يقول إن مصر لأهلها ؛ نعم إنها ولاية ممتازة تابعة للسلطان وللدولة ؛ وقد قلت لعمى ابراهيم إنتى أعترف بخلافة السلطان وأعترف بسيادة الدولة على مصر والعملة باسم السلطان ؛ وفي الجواز المصرى أن حامله من التبعية العثمانية . »

وفي ٢٢ منه ذكر فريد بك أنه لما كان على محطة حيدر باشا لتوديع جمال باشا وكان واقفاً مع الشيخ جاويش ، مر عليهما جاويد بك ، فخيا فريد بك أحسن تحية ، ولم يقرى . الشيخ جاويش السلام ؛ فاذا قورنت هذه الحادثة بما سمع مراراً من طعن الشيخ جاويش في جاويد بك ، سواء أيام كان ناظراً المالية أو بعد استقالته ، استنتج من ذلك أن العداء مستحكم بينهما ؛ ولما كان من المعروف أيضاً في الاستانة أن خيرى افندى شيخ الاسلام في الدولة هو الذى أخرج الشيخ جاويش من موضوع الجامعة الاسلامية في المدينة وأبعده عنها ، وأنه ترتب على ذلك وجود عداوة بين الشيخ وخيرى افندى شيخ الاسلام ؛ فحينئذ يكون من المحقق وجود عدوين من كبار رجال الدولة للشيخ جاويش : أولهما خيرى افندى وثانيهما جاويد بك .

وفي ٧ ديسمبر ارسل سمو الخديو عارف باشا إلى الصدر ليلغى أن سموه سيحضر لزيارته غداً الساعة العاشرة صباحاً في « بنى كوى » ، فأجابه الصدر بأنه وإن كان مريضاً اليوم ، حتى إنه لم ينزل لمقابلة السفراء في الباب العالى ، فانه سيستعد لاستقبال سمو الخديو في الميعاد .

وفي اليوم نفسه ذهب الجناب العالى إلى مير كون وأخذ البرنس ابراهيم حلى باشا معه ، وتوجها لزيارة الصدر .

وبعد هذه الزيارة توجه سموه فقابل سفير ألمانيا . وربما كان قد أطلعه على ما دار من الحديث بين سموه والصدر ، وما دار كذلك بينه وبين طلعت بك و خليل بك

أمس . ولما عاد من زيارة سفير ألمانيا تناول الغداء في بيك ؛ وكان معه غير الحاشية كل من البرنس ابراهيم حلمي ، ومحمد عزت باشا .

وفي بداية تناول الطعام حضر الشيخ عبد العزيز جاويز ، فنزل الدكتور لسيد كامل بأمر الخديو لدعوته ، فتناول الطعام مع سموه والحاضرين .

وفي ١٠ ديسمبر قابل علي جلال باشا سمو الخديو بعد الظهر ، ودار بينهما حديث عده الخديو جرأة وقحة ؛ إذ قال لسموه (معرباً طبعاً عن أفكار الصدر) بأن سفره إلى الخارج خطر جداً .

فسأل سموه : : ومن أى وجه ؟ ، فقال جلال باشا ؛ إذ تسكثر التقولات عن سموه . فقال سموه ، إنه يسمع كثيراً منها وهو في الآستانة ، قال الباشا . ولكنها تضاعف وتسكثر عند سفره ، فقال له : : لهذا أسافر حتى لا أسمع شيئاً من هذا ، فقال الباشا بوقاحة إن سموه يعتمد على الأقاويل التي تحكى في طوقاتيان .

فرد سموه : : إن تلك الأقاويل التي تحكى في طوقاتيان تنقل إلى بنى كوى ، ثم أذن له سموه بالانصراف ، فاستأذنه جلال باشا بالانتظار في الطابق الأسفل ، فأذن له . مع أن الواجب كان الخروج في الحال من السراي .

وفي هذا اليوم ذكر يوسف صديق باشا أن سمو الخديو مهتم بمسألة انتداب البرنس ابراهيم حلمي باشا ، ليسير مع الحملة التركية ، حتى إذا وصلت إلى مصر ، كان دولته قائمقام خديو . وقد قبلت ألمانيا هذه الفكرة ، أما الصدر الأعظم فقال إنه لا يستطيع البت في هذه النقطة إلا بعد محادثة أنور باشا . أما طلعت بك فقال إنه سيستشير الصدر .

الارتفاع المتطلى بين ألمانيا وتركيا وعباسي . في ٨ سبتمبر زار أنور باشا أفندينا في بيك ، ومكث عنده نحو ٥٤ دقيقة ؛ وعلمنا منه أنه قال بأن تركيا لا يمكنها أن تدخل الحرب إلا بعد شهر ؛ وأن ألمانيا لا تنتهي من حروبها مع فرنسا قبل عشرين يوماً ؛ وأن رومانيا مترددة في دخولها الحرب مع تركيا وبلغاريا ضد روسيا .

وفي ١٠ سبتمبر سمعت من الخديو أن ألمانيا أرسلت للدولة ثلاثة ملايين جنيه وألني بندقية ، و ٥٤ بطارية مدافع وذخائر ، و ٦٠٠ ألماني يمدقون الرمي والمدفعية ؛ ووعدت الدولة أنها إذا دخلت في الحرب فإنها تعطياها جزءاً من الغرامة الحربية التي تأخذها من فرنسا ، تساعدتها على دفع ديونها .

وفي ١٢ سبتمبر سمع الخديو بأن نجل أمبراطور المانيا المسمى يواقيم أصيب في ميدان فردون بقطعة من قذيفة الشرنبل، وجرحته، فأرسل برقية لوالده يهنئه فيها بنجاة نجله، ويسأل له الشفاء. فأجابه غليوم برقية بعبارة لطيفة، وكلف سفيره بالاستانة بتليغها. وقد حضر السفير في هذا اليوم نفسه بصفة رسمية، وقابل افندينا، وسلمه نسخة من البرقية بعد أن قرأها عليه بالالمانية؛ وقد لاحظ سموه أن السفير لما قرأ الجملة الأخيرة «سعادة مصر» نظر إليه كأنه يقول: أفهم معنى هاتين الكلمتين جيداً.

أما البرقية فهي: «إنني أشكر لسموكم أحسن الشكر على برقيتكم التي أرسلتموها بمناسبة جرح ابني يواقيم؛ وأطمئنتكم بأنه في القريب العاجل يشفي من جراحه؛ ويعود لساحة الفخر. وإني أنتهز هذه الفرصة لتبليغ سموكم إحساساتي لشخصكم، وتمنياتى لسعادة مصر.»

فقال الخديو: هذه البرقية ذات معنى، لأنني في برقيتي لم اتكلم عن المانيا ولا عن الحرب، فكان الأمبراطور لا يقتصر في الرد على الشيء الشخصي، وقال «سعادة مصر» كأنه يقول: «إنني لا أنسى مصر.»

من خطاب سلمه عباس للصباحي في ١٥ سبتمبر لرشدي باشا جاء فيه: أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بالغاء الامتيازات الأجنبية، وأبلغته للدول؛ وقد حصلت مظاهرات فرح من الأمة ثلاثة أيام. ومجلس الوكلاء سيقرر في جلسته المقبلة تبليغ الالغاء لمصر لتنفيذه، فعندها يلزم على قائممقام الخديو أن يتروى جيداً، ويظهر الشجاعة والشهامة، وألا يقرر شيئاً إلا بعد عرضه على افندينا، وأن يلقى المسؤولية على سموه. في ٢٠ سبتمبر جاءت برقية في المساء من رشدي، بأن العساكر الهندية وصلت، وعملت الاجراءات اللازمة كالتبخير وغيره لمنع السكوليرا، فيما إذا كانوا يحملوها من بلادهم. وفي ٢١ منه أرسل افندينا عارف باشا لأنور باشا ناظر الحربية، يعلمه بورود برقية حسين رشدي، بوصول عساكر هندية إلى مصر.

وتقابل افندينا مع أنور باشا في سفارة المانيا، وتكلم معه؛ وأظهر له كل الاستعداد لمساعدة الدولة؛ وقد روى لي ذلك يوسف صديق باشا.

وفي ٢٨ منه أرسل الخديو برقية رداً على ما جاء من رشدي باشا بخصوص حضور عساكر هندية بمصر، فقال إنه لم يعرف مقدارها، ولا أنواعها، ولا المحلات التي عسكرت فيها، ولا التأثير الذي حصل للأهالي من حضورها؛ وطلب تعريفه عن ذلك.

وفي ٣٠ منه حضر أحد رجال الحرس الحديوي من مصر ، ومعه أشياء لسموه وخطابات ؛ وأخبرنا أن الهنود ، وعددهم عشرة آلاف ، وزعوا بين رمل الاسكندرية ومصر الجديدة ، وبليس ؛ وأن نصف فرقة الانجليزية في السويس ، وأخرى في الاسماعيلية وثالثة في بور سعيد ؛ وأن عدد العساكر الانجليزية في القاهرة ألفان ؛ وسافر الباقي وعدده أربعة آلاف إلى مرسيليا ؛ أما القوة الهندية فبعد أن استراحت سافرت هي أيضاً إلى مرسيليا ، وحلت قوة أخرى محلها ، تقدر بثمانية آلاف وزعوا كالأخرين . وبين الرجال من هو مسلم ومن هو وثني ، ومن هو حليق ومن هو بلحية .

ومعهم ثلاث بطاريات (ميدان) وفرقة مكسيم ، وأن العساكر الهندية تمر بشوارع مصر لارهاب أهلها ، ويقول الراوي إنهم ضعفاء ، حتى أن بعضهم وقع من تعب المرور في المدينة .

وذكر أن كثيراً من السكان عرفوا أن سبب بقاء سموه خارج القطر هو منع الانجليز له من الرجوع لبلاده ، وأنهم خائفون عليه .

في ٢ نوفمبر عرض الدكتور سيد كامل فكرة مؤداها أن سفر أحد المصريين إلى مصر مفيد في الوقت الحاضر : أولاً ليدل الناس المخلصين هناك إلى الانضمام إلى تركيا وحليفاتها ، بحيث تكون الحركة في مصر موافقة لحركتنا في الاسناتة ؛ وثانياً ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم ، ويقنع العدد الممكن منهم بصواب خطة الحديوي .

وفي ١٢ منه تكلم سمو الحديوي عن مقدار نفوذ سفير ألمانيا فقال : « إنني إذا حادثته في شيء مما يهمنا ، قال : بأنه يمتن لما وصل إليه من الاتفاق مع الأتراك ، وليس في استطاعته التدخل في التفاصيل ، ثم أضاف سموه : إننا في بداية الأمر أظهرنا لسفير ألمانيا ما نقدر على عمله وما لا نقدر ، ليعلم كل ما يمكننا عمله ، ولو كانت لدينا قوة ذاتية يعتمد عليها ، لرأينا سفير ألمانيا هو الذي يسعى إلى مقابلتنا .

وفي ١٥ منه أمر أفندينا الزائرين المصريين م . افندي وي . بك بالتوجه إلى سفير ألمانيا مع فريد بك ، وتفهمه أنهم متفقون مع سموه في كل شيء ، وأنهم يظهرون استيائهم من كلام الصدر .

وذكر (م . افندي) أنه اتفق منذ أسبوع مع السفير على أن يتوجه إلى جنيف ، ويكتب في جرائدها لمصلحة التجريدة المصرية ، ويفهم العالم أن الأتراك هم الذين قرروا ذلك ، وليس لألمانيا دخل ، يعني أنهم غير متوقفين ، أما (ي . بك) فقد تقرر أن

يرجع إلى مصر لفهم الناس - وخصوصاً أعضاء الجمعية التشريعية - بكل ما هو حاصل هنا من الاتفاقات بين ألمانيا ورجال الدولة بالنسبة للتجريدة ، وأن الغاية طرد الانجليز لا احتلال البلاد ، وبأخذ معه صورة من منشور الخديو وصورة من إعلان السلطان للجهاد (وسنشر صور هذه المنشورات فيما بعد)

أما مهمة (د. افندى) بسويسرا فهي أن يقيم في جنيف ، ويتقابل مع موسيو زجرلر الألماني ، الذي كان واسطة في إرساله إلى الاستانة ، ويتفق معه على خدمة المسألة المصرية ، ثم ليعلنا الأخبار غير السارة عن انهزام الجيوش الألمانية والنسأوية ، أو طلب مفاوضات الصلح بما لا تذييعه جرائد الاستانة ، وليكلم قنصل إيطاليا ويعطيه التأكيدات اللازمة بعدم التخوف من حركة المصريين وتركيا في مصر ، ويفيدنا عما يصل إلى سويسرا من أخبار مصر ، أى أن مهمة (د. افندى) هي أن يقفنا على ما لا يمكن أن نقف عليه في الاستانة ، وقد وضعنا لكل هذه الحالات اصطلاحات .

وقد أوصى أفندينا (م. افندى) بأن يكون كل ما يكتبه لمصلحة مصر قبل كل شيء ، وأخذ معه صورة فرنسية من المنشور الخديوى ، بحيث لا ينشرها إلا عندما تصل إليه برقية من عندنا ؛ كما نهينا على اسماعيل لبيب بك بذلك ، وقد أخذ معه ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور باللغة العربية .

وفي ١٩ منه لم يستطع (ى. بك وم. افندى) السفر إلى أوروبا ، وذلك لتأخرها عن القطة مبكرين ، وقد حضر بعد ظهر اليوم ثانيهما إلى سراى بيك ، وعرض على الخديو أنه كتب حديثاً باللغة الفرنسية عن أحوال مصر ، وكان قد خصصه لمسيو شويدلر الألماني ، باعتباره محرراً في (عتمانيتشلون) ، وباعتباره وكيلاً لشركة وولف التلغرافية الألمانية ؛ ولكنه فكر في إيصاله أيضاً إلى الشركة العثمانية التلغرافية ، فصرح وكيل هذه الشركة - وهو عثمانى - بأن في هذا الحديث نقطة خطيرة ، وهي النص على ضرورة المحافظة على فرمان تولية الخديو الحالى ؛ وفضل أن يرجع إلى الصدر الأعظم ، وطلعت بك في قبول نشر أو رفض هذا الحديث بواسطة الشركة العثمانية . وقد أظهر أفندينا عدم الاهتمام بهذا التردد من جانب وكيل الشركة العثمانية .

في ١٧ نوفمبر حضر إلى سراى جبوقلى (م. افندى وى. بك) وقد أمر سمو الخديو أن تؤلف جلسة منهما ومنى والدكتور سيد كامل لعمل شفرة يأخذ منها (د. افندى) نسخة لاستعمالها في مهمته بسويسرا ، وتبقى أخرى عندنا . وقد وضعنا فعلاً هذا القاموس

وفي ٢١ منه قال سموه : « لقد أعطيت كلمتي في نفس سفارة ألمانيا أن أسير بالصرافة مع العثمانيين . »

ولايضاح هذا أذكر أن سموه اجتمع في يوم من الأيام العشرة الأخيرة من شهر سبتمبر الماضي في السفارة مع أنور باشا ، فتعاهدوا جميعاً على أن يسيروا بالاتفاق والصرافة ، إذ كان السفير قد عرض إرسال تجريدة عثمانية على نفقة الحكومة الألمانية إلى مصر . وقد قبل أنور باشا هذا العرض .

وحدث في جلسة أخرى بين سمو الخديو ، وأنور باشا في سراي بيك ، أن كشف سموه عن تحرشات الصدر ، وسعيه للإساءة إلى سموه ، فد أنور باشا يده لجنابه العالي معاهداً له على أن يكون في خدمته في كل شيء ، وأنه وإن لم يكن ناظراً للدخيلة أو الخارجية ، فإن كل شيء يحتاج إليه سموه يكفي أن يخبر به أنور باشا وهو يقضيه له .

وفي ظهر ٢٥ منه حضر مسيو باول ، وهو الذي جاء بالأمس من برلين ، وقد كان ترجماناً أول بالسفارة الألمانية مع البارون مارشال سفير ألمانيا في عهد السلطان عبد الحميد ، وقد تعين بعد قنصلا لدولته في بيروت ، ثم تعين مديراً للبنك العقاري بمصر . وكان سموه يثق به تمام الثقة ، ويذكر أنه جاء إلى مصر ، فما خدم مصالح البنك الذي هو مديره أكثر مما خدم مصالح سموه ؛ أما سبب حضوره إلى الاستانة فهو أن سموه أمر يوسف صديق باشا بتكليف البنك الشرقي الألماني باستدعاء المسيو باول هذا من ألمانيا ، فأرسل البنك المذكور تلغرافاً يخبره فيه بأن الجناب العالي يطلب حضوره إلى الاستانة ؛ ولكن هذا التلغراف لم يصل ، وقد ظن سموه من عدم وصول هذا التلغراف إليه ، أن الحكومة التركية أرادت أن تمنع وصول المسيو باول ؛ إن لم تكن قد أرادت أن تقطع علاقات سموه مع الخارج . أما حضور المسيو باول إلى الاستانة فكان لمجرد المصادفة ؛ ذلك لأن الحكومة عينته في هذه الأيام قنصلا لدولته في دمشق . ولم يعرف ما جرى من الحديث بين الخديو وبين مسيو باول في هذه الزيارة ؛ ولكن سموه ذكر في أثناء تناول الغداء ، أنه وجد مسيو باول لا يعرف شيئاً مما حدث له ، وأن سموه لم يرد أن يعلمه بشيء منه .

وفي أول ديسمبر قابل مسيو شويدلر مدير شركة وولف الألمانية بالاستانة الخديو ؛ ومما علمناه منه أنه كتب بالأمس قطعة في جريدة « الأوسمانيشر » الألمانية عن زيارة سموه لسفير ألمانيا ، فرفضت المراقبة العثمانية على المطبوعات والجرائد نشر

هذه العبارة من الكتابة ، وهي عبارة « حقوق مصر » ، وأن الأتراك لا يحبون أن يقرأ الشعب العثماني اسم الخديو ؛ وبما رواه أيضاً أنه كتب بايعاز من سفير ألمانيا مقالة عن مهمة المارشال فون درجولتز ، وهذا المارشال تعين ليكون ياوراً لشخص السلطان ، وزكي باشا الذي كان قومنداناً للحملة الزاحفة على مصر تعين ليكون ياوراً للجلالة أمبراطور ألمانيا ، وهذا التعيين حسب التقاليد القديمة بين دولتين متحالفتين ، فأثرت مراقبة المطبوعات العثمانية حذفها برمتها أيضاً .

وأبدى مسيو شويدلر تخوفه من سياسة الأتراك بالنسبة لمصر ، فقال ، (وهو رأيه الشخصي بالطبع ؛ وربما كان أيضاً الرأي الذي يقال في سفارة ألمانيا) : إن الأتراك متى دخلوا مصر ، فأول ما يعملون هو طرد الانجليز من وظائفهم ، وإحلال رجال الاتحاد والترقي من الأتراك في هذه الوظائف ، وأن هذه الحالة ستكون سيئة لأنه يفضل أن يتعامل مع موظفين انجليز من أن يتعامل مع موظفين أتراك ؛ لأن الأولين وإن كانوا غلاظاً في المعاملة إلا أنهم شرفاء ، أما الأتراك فتغلب عليهم الرشوة ، ثم قال : إن مركز الخديو بعد دخول الأتراك مصر لا يكون أحسن مما كان قبلاً ، بل إنهم قد لا يرغبون في الخديو ؛ وقد لبث المسيو شويدلر مع الخديو نحو نصف ساعة .

وفي ٣ منه سمعت من صديق باشا أن سمو الخديو افترس فكرة هامة جداً ، ترضى الألمان وترضى الأتراك وترضينا ، وقال : « عسى أن يحضر اليوم طلعت بك والمساءلة تنتهي في عشر دقائق » .

وفي ٦ منه حضر يوسف باشا وأبلغ سموه أنه علم من جاويد بك أن طلعت بك و خليل بك سيزوران سموه ، في بحر هذا الأسبوع ، وعند ذكر العبارة الأخيرة ضحك سموه ضحكة السخرية ؛ لعدم تحديد يوم . واستمر يوسف باشا في روايته عن جاويد بك ، فقال : إن البك المذكور قال له بأن الغلطات الماضية لن تعود ، وأن الحالة تغيرت لأن سفير ألمانيا يتكلم الآن في هذا الموضوع باسم حكومته .

وقد ذهب يوسف باشا لمقابلة عماد الدين بك في منزله ، فأظهر له البك أنه من المصلحة والأوفق ألا يكون هناك حجاب بين الصدر وبين الخديو ؛ وأنه يحسن أن يتقابلا ويتزاورا ليزول كل سوء تفاهم .

وفي ٧ منه جاء طلعت بك ناظر الداخلية ، و خليل بك رئيس مجلس المبعوثان

وتشرفا بمقابلة الجناب الخديوى ، ولبثت الزيارة من الساعة الثالثة إلى الساعة الرابعة بعد الظهر .

وظهر فيما بعد أن موضوع المحادثة كان خاصاً بكدر سمو الخديو، فأكدوا لسموه أن إحساسهما نحوه لا يتغير ، وطلبوا منه أن يزور الصدر .

وفى ٩ منه ذكر الدكتور سيد كامل لشويدلر أن طلعت بك ، و خليل بك زارا سمو الخديو ، فأظهر سروراً عظيماً وقال : إن مسيو باول الذى زار الخديو يتكلم مع سفير ألمانيا بشدة عظيمة ، ولصحة الخديو ؛ وأنا أرى أن زيارة طلعت بك ، و خليل بك هى نتيجة محادثة ومسعى مسيو باول لدى السفير .

الحملة التركية على مصر . فى ١٨ سبتمبر اجتمعنا مع سمو الخديو ، فقال : وإن الأتراك يعملون أعمالاً هامة اليوم لتجهيز الحملة على مصر ، ويمدون الخط الحجازى إلى حدود مصر ، ونحن إذا لم نقيم بأى عمل ، فعند الحساب يقولون إنهم هم الذين قاموا وحدهم ، وطردهوا الانجليز ، فنخسر كثيراً من امتيازاتنا . فيجب عمل برنامج للسير على وجهه ؛ وإثنى آسف لخروج أركان الحزب الوطنى من مصر ، وحضورهم إلى هنا ؛ مع أن العمل هناك ؛ ثم يحسن بنا أن نستدعى أحد أقطاب حزب الأمة للاتحاد مع رجال الحزب الوطنى لعمل هذا البرنامج . فوافقنا جميعاً على ذلك ، فاقترح يوسف صديق باشا استدعاء سعد زغلول باشا ؛ ويكون حضوره بحجة الشكر الجناب الخديو على تعزيتيه ؛ ثم يحصل اجتماع تحت رئاسة أفندينا لرسم الخطة اللازمة اتباعها ، وتناقشنا فى الموانع التى تعوق حضور سعد باشا ، ومنها قرب موعد افتتاح الجمعية التشريعية ، ومنها أن الانجليز ربما يمنعونه من الرجوع لمصر بعد حضوره .

وحصل الكلام أيضاً فى عبد الحميد سعيد ، نجل ابراهيم سعيد باشا ؛ لأن له نفوذاً بين الشباب المنتمين للحزب الوطنى ، وأن محمد فريد بك نفسه يحسب له حساباً ، وقد حضر من مصر مع آخرين من الحزب ، خوفاً من اضطهاد الانجليز لهم .

وفى ٢٠ منه رأى محب باشا علامات التفكير الشديد على الخديو ، فسأله عن السبب ؛ فقال : أفكر فى حالتنا الحاضرة ؛ أرى أن الأتراك مجدودون فى التحضيرات ، فإن أنور باشا قال لى إنه سيطلب مد خط السكة الحديد الحجازية لغاية حدود مصر ؛ ولكن بلغنى أن مجلس الوكلاء رفض ذلك لعدم وجود نقود ، فإن الموجود منها يحتاج له الحال فى أمور أخرى أهم من ذلك .

وفي ٢١ منه بناء على أمر الخديو توجه عارف باشا لأنور باشا ، فعلم منه أن كل شيء سائر على ما يرام . وأن هيئة من ضباط أركان حرب تحت رئاسة أحد ضباط ألمانيا الأكفاء سترسل إلى الشام ، لعمل المباحث والترتيبات للحملة على مصر ؛ وأن جميع الاتحاديين مع الجناح العالي قلباً وقالباً .

وفي ٢٤ منه قابل الخديو الشيخ عبد الحميد الزهراوى رئيس المؤتمر العربى فى باريس سابقاً ، وهومن أعضاء مجلس الأعيان بالاستانة ، وأصله سورى ، فسأله سموه عن سفر شكيب أرسلان بك ، وعبد الرحمن يوسف باشا ، فأجاب بأنهما سافرا برأ ولم يعلم السبب ؛ وإنما قال إنهما غير مندوبين من طرف الحكومة ، وأن الأول لا يمكنه تحريك العربان ، اللهم إلا إذا كان إرساله لتهدئة خواطر الجبلين ؛ أما الثانى فلا علاقة له بقبائل البدو ؛ وأما من جهة ما سمعه أفندينا بأن هؤلاء العربان تعهدوا باحضار عشرين ألف رجل ، فقد قال الزهراوى — هذا ممكن بسهولة ؛ وإن الدولة لا يمكنها أن تقوم بأعمال حرية جدية إلا إذا اشترك هؤلاء العربان مع جيشها .

وفي ٢٢ سبتمبر بلغنى أن سفير إنجلترا لما تكلم مع الصدر الأعظم واعترض على تجاوز فرسان العرب حدود مصر ، وتمضية يومين ، ورجوعهم ثانياً ، أجابه الصدر : أى حدود تسلكمون عنها ؟ أنا أعرف أن لا حدود بيننا وبين مصر .

وفي ١٥ أكتوبر حضر محمد عزت باشا زوج فائقة هانم ؛ وأخبر الخديو أنه قابل سفير ألمانيا ، وعلم منه أن الدولة تتباطأ فى الزحف بجيشها على مصر ، فوجد سموه فى هذا الخبر مخالفة لما يقوله الاتحاديون ، من عزمهم على إخراج الانجليز من مصر .

وذكر أن السفير متذمر من عدم تسيير حملة عسكرية عثمانية بسرعة على مصر ويقول إن الوقت حان لسفرها ، وقد عرف سموه أن الحكومة الألمانية تود الإسراع فى هذه الحملة ، ليخف ضغط الجيش المحارب أمامها فى فرنسا .

وفي ١٢ أكتوبر حضر طلعت بك وزير الداخلية التركية فى بيك ، وزار الخديو فسأله عن الوقت الذى ستتحرك فيه الحملة على مصر ، فأجابه : بعد ثلاثة أسابيع . فقال سموه : إذا كانت الدولة لا تنوى السير الآن ، فأنا أتوجه للضلمان . فقال طلعت : لا مانع ، وعند تحرك الحملة نطلب سموكم للحضور .

وفي ١٧ أكتوبر حضر البرنس ابراهيم باشا حلى ، وأخبر الخديو أنه تغذى

أمس عند الصدر، وحرك فيه دم أجداده، فقال له: إنك يا برنس هنا على رأس الحكومة العثمانية التي فقد فيها رأس جدنا، وها هم أولاء الانجليز يحتلون القلعة التي فيها قبره، وما أمكنك أن تعمل فيها شيئاً.

فهاج هذا الكلام إحساسه وقال له: أما قولة فانتا في مخابرة مع الباغار على أن نستردها منهم مقابل جهة أخرى نأخذها من الأروام. وأما الانجليز فانتا سنعمل لا محالة على إخراجهم، ولكن لم يحن الوقت لذلك. وعلم منه أنه إذا زحف الأتراك على مصر فأنهم يحتلوها، ولا يخرجون منها كأنها ستتخلص من احتلال بريطاني، لتقع في احتلال تركي؛ وهذا ما لا ترضاه الأمة المصرية.

وفي ٢٣ منه بعد انصراف المدعين من المأدبة التي أقامها عباس لرجال الحزب الوطني، عقد سموه جلسة من فريد بك وإسماعيل لبيب ويوسف صديق وإبراهيم أدهم الياور وصاحب هذه المذكرات، فقال محمد فريد: إن سفير ألمانيا قال له إن الجيش التركي مجهز تجهيزاً حسناً من ملابس وغيرها؛ ولكن ينقصه التعليم العسكري اللازم، ولذلك لا يرى في الامكان عمل شيء قبل ثلاثة أسابيع، حتى تتمرن العساكر، وحتى يمكن القيام بعمل نافع.

وقد ظهر هذا النقص للبرالاي كريس الألماني، رئيس أركان حرب الحملة. ومعه ستة ضباط ألمان آخرون.

تقرر سفر الشيخ محمد عثمان إلى خان يوسف، وهي قرية في الأراضي العثمانية قريبة جداً من العريش.

ذهب عارف باشا على رفاص، مكوك الثالث، الذي أهداه أفندينا إلى حرم أنور باشا لتسليمه، وقد تقابل مع ناظر الحرية، فسمعه يقول: إن الدولة تسعى لعمل اتحاد دولي إسلامي، فهي تعمل على تحرير العجم والأفغان من الروس والانجليز، وتحرير مصر من الانجليز، وإيجاد رابطة أخوية إسلامية بين الدولة وهذه الممالك، ويكون الخديو ملكاً على مصر حراً في الإدارة.

قال أنور والذين يتساءلون: لماذا لا يتحرك الأتراك لتحرير مصر في الحال، نجيبهم أن مصر بلد متمدين وراق عامر بالبيوت الشائخة؛ فزيد نحن الأتراك ألا نتعجل في أمر تحريرها بالتخريب، وأن نصل إلى ذلك بكل تأن حتى تتمكن من إرجاعها لخديويها كما كانت عند ما تركها بدون خسارة.

سأل سفير ألمانيا فريد بك عن فهمي بك بعد أن أثنى عليه ، فأجابه : بأننا كلنا متفقون مع أفندينا ، فقال السفير : أنا مسرور لاتحادكم جميعاً . وأكد أن ألمانيا تريد تحرير مصر ، ولا تريد أن تكون ولاية عثمانية .

وفي ٢٧ منه اجتمعت مع فريد بك بعد ظهر اليوم في منزله ، وكان معنا اسماعيل لبيب بك ، والشيخ جاويش ، والدكتور سيد كامل ، فتحدثنا في الحالة الحاضرة ، وخصوصاً في ضرورة تفاهم الدولة العلية وألمانيا مع إيطاليا ، وفي ضرورة إصدار إرادة شاهانية للمصريين ، تعلن فيها أنها لا تنوى احتلال مصر ، بل إرجاع السلطة الخديوية كما كانت قبل الاحتلال الانجليزي ، وقال الشيخ : إن غاية الأتراك إيجاد اتحاد دولي إسلامي .

وفي ٢٨ منه لم يجد أفندينا الصدر في منزله ، وزار سفير ألمانيا ، وسرّ عندما علم منه أن حكومته قبلت ما اقترحه أفندينا ، من أن تفصل ألمانيا العام في مصر الذي طرده الانجليز ، يكون في معية سموه عند دخول الحملة في مصر ، لأن الخديو كان يخشى على نفسه لو احتل الأتراك مصر .

وكذلك حضر اليوم سفير ألمانيا لزيارة أفندينا في بيك ، وأعلمه أن حكومته توافق على أن يمثلها في مصر يكون في معية سموه ، إذا لم تمنع الدولة العلية في ذلك . وبالاختصار فإن سموه كان منشراحاً جداً .

وقابل أيضاً في بيك فريد بك واسماعيل بك ، والأستاذ محمد فهمي ، وعلى الشمسي بك بوجدى ، وعرفهم بحوادث مصر ، وبما قاله أنور باشا لسموه ، بأن الذخيرة المخصوصة بالمهاونات (لقذف القنابل) اللازمة لعبور الأتراك من القناة لم تصل إلى المعسكر ، لأنها في الطريق عند جبل طوروس ، وأن المنظور أن تبتدىء الحركة بعد أسبوعين أو ثلاثة .

وذكر في هذه الجلسة ما يشاع من أن الانجليز سيختارون الأمير حسين كامل خديوياً على مصر ، عند زحف الأتراك عليها .

منشور الخديو لرعاياه مصريين وسودانيين . في ٣١ أكتوبر اجتمعنا عند فريد بك بحضور الشيخ جاويش ، واسماعيل لبيب بك ، والدكتور سيد كامل ، وتكلمنا في المسائل الحاضرة ، ومنها الدعاية اللازم تنظيمها ، وخصوصاً وضع المنشور الخديوي للمصريين ؛ فوعد الشيخ جاويش باعداد مشروع ، وكلفنا الدكتور سيد كامل بوضع مشروع من قلبه .

وفي أول نوفمبر أرسل الشيخ جاويش صورة مشروع المنشور الخديوي، فاجتمع فريد بك، واسماعيل بك، ويوسف صديق باشا، وأنا، ونقحنا صورة أخرى كان الدكتور سيد كامل أعدها، وهي مرتبة، مكتوبة بطريقة سياسية.

وفي ٣ نوفمبر أقر أفندينا مشروع الدكتور سيد كامل، وأمر بترجمته إلى التركية وإلى الفرنسية.

وفي ٥ نوفمبر قابل فريد بك أنور باشا، فعلم منه أنه موافق على ما جاء في منشور الخديو، وسأل فريد بك عما إذا كان يخشى أن يطلع زملاؤه عليه، فقال فريد بك إن إطلاعه هو كاف.

وفي ٧ نوفمبر اجتمعنا عند فريد بك، وكان معنا اسماعيل ليبب والدكتور سيد كامل، وتكلمنا في المنشور الخديوي. فكان من رأي اسماعيل ليبب أن ننتظر ورود الأخبار الصحيحة من مصر عن تعيين البرنس حسين كامل، حتى ندرج ذلك في المنشور، واتفقنا على أن نتكلم مع أفندينا في هذه النقطة.

وقلت ولا يمكننا أن نطبع منشور أفندينا وننشره، فقال فريد: «أنا أرى من الضروري العمل في نشره وتوزيعه، فقال سموه: «وكيف يكون ذلك وفيه إشارة بأنني سأسير مع الحملة، مع أنني لا أعرف عنها شيئاً من ذلك للآن؟»، وأخيراً اتفق على أن ينشر بلاغ نعلن فيه مسألة وجود أفندينا بالاستانة، ومنع الانجليز له من الرجوع لمصر، ومخاطبة السفير له، ورد سموه: «إنما تؤجل كتابة ذلك حتى يقابل الخديو أنور باشا، ويسأله أسئلة حاسمة.

وفي ٩ نوفمبر قابل فريد بك الخديو، وعرض عليه فكرتين: أولاً طبع المنشور الخديوي حالا، وهو المنشور الذي تقرر إرساله باسم الخديو إلى مصر، وإلقاؤه بواسطة الطيارات، وغيرها

والثانية عمل حديث صحفي يتناسب مع الظروف الحاضرة، فقبل سموه. ولما كنا أحضرنا ما كينة رونيو، لطبع المنشور ابتداء الدكتور سيد كامل في تجربتها، وعرض المسودة على الخديو

وفي ١١ نوفمبر كتب الدكتور سيد كامل أول نسخة من المنشور الخديوي، ولما آتته قدمه للخديو بوجودي، فوقعه بالقلم الزجاج ثم قال ضاحكاً: «ألا تخشى يا سيد،

وأنت الذى كتبت المنشور بخطك، أن يقتلوك رمياً بالرصاص؟ ، فأجاب بالدعاء لسموه وللأمة المصرية بتحقيق الأمانى . ولما نزلت والدكتور سيد كامل لطبعه ، قلت : وإن



الدكتور سيد كامل

أفندينا يفكر فيك وأنت كاتب المنشور ، وقد استحييت أن أقول لسموه : وأنت يامولاي الذى وقعتة؟ ، إشارة إلى أن سموه بتوقيعه فى هذا اليوم ، أمضى مستنداً من الخطورة بمكان عظيم . أما القلم فأخذه اسماعيل ليب تذكراً لهذا الحادث العظيم . وكان الخديو قد تردد فى التوقيع الذى وضعه الدكتور سيد كامل فى آخر المنشور ، وهو خديو مصر والسودان وتسأل: أهذا اللقب صحيح ، أم أنه حاكم السودان العام ، كما جاء فى فرمانات .

فقال الدكتور سيد : نضع هذا اللقب مؤقتاً ، إلى أن يتحول قريباً إلى ملك مصر والسودان ، وهاك صورة المنشور :

إلى أبنائى الأعزاء من المصريين والسودانيين :

لا يخفى عليكم أن دولة أجنبية تحتل بلادى العزيزة منذ اثنتين وثلاثين سنة . وقد دنا الآن يوم الخلاص الذى طالما نشدتموه .. إن العهود الرسمية العلنية التى قطعها إنجلترا جعلت للاحتلال صبغة وقتية ، تزول بزوال الحججة التى توسلت بها إليه ، وهى توطيد عرش الخديو . ولكن هذه الحكومة لم تقتصر على تناسى وعودها المكشورة بالجلام عن البلاد ، بل تدخلت فى الشؤون الادارية والسياسية ، فبددت أموال مصر ، وأنكرت حقوقنا الشرعية على السودان ، وأحلت فى وظائف الحكومة الانجليز محل أبناء البلاد ، وعبثت باستقلال القضاء ، وسنت قوانين قيدت بها الحرية الشخصية ، وحرية الأفكار والأقلام ، وعقلت الألسن ، ومنعت الاجتماعات ، وحالت دون رغائبنا ، وتمنيات شعبنا ودون نشر التعليم والتربية . ولم تقف عند هذا الحد ، بل أبت علينا التمتع بنظام دستورى يتفق مع مقتضيات النهضة العصرية .

ولما نشبت نار الحرب بين الدول الكبرى ، رأت الحكومة الانجليزية أن تمنعنا

من العودة إلى مصر التي هي قاعدة إمارتنا، مقترحة علينا أن نغادر الاستانة إلى إيطاليا، فرفضنا اقتراحها هذا ؛ لأنه في اعتبارنا ماس بحقوق عرشنا، علاوة على أن تركيا صاحبة السيادة العليا على مصر، عدته عملاً مخالفاً للفرمانات الشاهانية . ولما كان جلالة الخليفة وحكومته راغبين في جعل هذه الفرمانات الشاهانية محترمة مصونة ، لخير أبناء مصر والسودان، رأى أمير المؤمنين أن يرسل إلى مصر جيشاً عثمانياً قوياً لاعادة الحالة فيها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ .

أما نحن فقد وطنا النفس على الاشتراك في هذه الحملة التي هي الآن في الطريق ، بحيث نظل ملازمين لها إلى أن يعقد الظفر بألويتها . ففي استطاعتكم إذن أن تمهدوا السبيل إلى هذا الظفر باتحادكم ومساعدتكم . وينبغي لكم أن تهونوا الأمر على هذه الحملة، وتؤيدوها بكل وسيلة مستطاعة، وتقدموا لاستقبالها بالترحاب والحماية الوطنية الماثورة عنكم، مستمدين الوحي من روح التضحية الراسخة في نفوسكم، وتعلقكم الصادق الشديد بجلالة الخليفة، وصدق ولائكم لنا، وحبكم للوطن العزيز .

ولما كنا واثقين بالنجاح بفضل العناية الالهية ، فنحن خديو مصر والسودان نعلن منذ الآن نظام الحكم الدستوري المؤبد لحقوق الشعب السياسية، وإلغاء القوانين المقيدة للحرية، وإعادة الضمانات اللازمة لاستقلال القضاء، والعفو العام الشامل عن الجنايات والجرائم السياسية . ونجهر أيضاً بعزمنا على نشر التعليم بين طبقات الشعب، والسير بالبلاد في طريق النجاح الأدبي والمادى، وبالأجمال اتخاذ جميع الوسائل المؤدية إلى توفير أسباب الأمن والسعادة لجميع سكان مصر والسودان .

أبناءى الأعزاء من مصريين وسودانيين : لقد سنحت الفرصة، فاغتنموها؛ وليكن شعاركم خلاص مصر وصون أرواح الأجانب وتملكاتهم، فخصمنا الوحيد هو جيش الاحتلال وأعوانه . وليكن الله الكلى القدرة عوناً لنا على تحقيق أمانينا القائمة على الحق والعدل والحرية .

وفى ١١ نوفمبر جاء مسيو فايس الألماني، وقابل الخديو؛ وكان سموه قد كلفني ويوسف صديق باشا أن نضع صورة محادثة ننشرها في الجرائد الألمانية تلغرافياً، وقد كان، وتسلم الكتابة . وكذلك أخذ ترجمة المنشور الخديوى .

وفى ١٣ منه قال أفندينا لما كلفني فريد بك في موضوع المنشور : منذ أسبوع كنت ميالاً للسرعة في كتابته حتى نعلم رأى الأتراك في النقط المذكورة فيه ، لأننى كنت

أشك في نياتهم وقتئذ ؛ ولكن الآن فهمت أنهم يريدون أن أرجع إلى مصر بشرط ألا يكون في رجوعي مشاركة لهم في الفخر الذي يريدونه لأنفسهم دون سواهم ، بتجريد الحملة العثمانية ، فالآن إذا لم تنجح ، وإذا لم تفرز ألمانيا في الحرب ، تكون النتيجة محالنا على هذا المنشور ، ثم ضحك سموه ، وظهر أنه لا يعتقد كثيراً في صحة الأنباء التي سمعها اليوم .

وكذلك صرح بضرورة سحب أربع نسخ كان قد أخذها فريد بك وإخوانه ، وقال إنه لا يشك في طهارة ذمتهم ، ولكن الاحتراس واجب ، وشدد على الدكتور سيد كامل في المراقبة على ما طبع من نسخ المنشور .

وفي اليوم نفسه قال سموه : إن الأتراك غير راضين عن منح الأمة المصرية الدستور الذي منحناه لها في المنشور الخديوي ، لأنهم يرون الدستور أكبر معارض لهم . والواقع أن حرية الأمة هي أكبر معارض لاحتلال العثمانيين ؛ غير أن الأتراك إذا كانوا يعارضون في حريتنا ، فنحن نكره ذلك منهم ؛ لأننا لا نحب أن يحل احتلال محل احتلال . ثم قال : إذا لم تنجح الحملة ، فليس من المستبعد أن نستطيع الحصول على استقلالنا الداخلي وحريتنا من جانب الحكومة الانجليزية .

وفي ١٤ منه قال الخديو إن هناك فكرة ترمي إلى إرسال عدد كبير من المنشور الخديوي للأمة المصرية والسودانية ، لتسليمها إلى اسماعيل لبيب بك ، حتى يذيعها على الحدود المصرية . ولكن سموه قال إن النيات هناك بالنسبة لنا غير ظاهرة تمام الظهور ، فيحسن أن ننظر مدة من الزمن فلا نتعجل بتوزيع هذا المنشور ، لأنه من المحتمل أن تتم المفاوضات الجارية الآن بالصلح بين الدول المتحاربة ؛ وأصدر التعليمات إلى اسماعيل لبيب بك بأن يتأهب للسفر غداً .

وفي المساء تناول اسماعيل لبيب بك ، وفريد بك العشاء على المسائدة الخديوية ، وبعد المناقشة في الموضوع سلم سموه أولها ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور .

وفي ٢١ منه لم يلبث الخديو أن غير فكره ، فصدر الأمر بإرسال برقية إلى القائم مقام توفيق فهمي بك الياور الخديوي ، بأن يتسلم الحقبة التي بها نسخ المنشور الخديوي من اسماعيل لبيب بك ، وصدر إلى هذا الأخير أمر بتسليمها ، وبانتظار جمال باشا في دهشق الشام ، والسير معه ، وتعريفه أن فريد بك سيلحق به قريباً .

وفي ٣٠ منه صدر الأمر تلغرافياً لتوفيق بك بإحضار الحقيقة التي فيها المنشور الخديوى، وأمر الدكتور سيد كامل بأن يحرق ما فيها بمجرد وصولها، وأن يحرق بقية نسخ المنشور؛ لأن ما جاء فيه بالنسبة للسلطان حسين غير محقق، ولأن الأتراك ملاحظات على بعض نقطه.

وفي ١٢ ديسمبر أحرق الدكتور سيد كامل النسخ الباقية بطرفه.

وفي ١٣ منه عاد في المساء أحد ضباط المحروسة، وكان في بعثة توفيق فهمى بك، ومعه الحقيقة التي بها الدعوة والتي كانت أعطيت لاسماعيل لبيب بك، فأحرق الدكتور سيد كامل أوراق المنشور التي كانت بها.

تابع الحملة التركية على مصر : في أول نوفمبر زار أفندينا أنور باشا، وعلم منه أنه حضرت برقية من الحدود المصرية بأن الانجليز أخذوا العرش تماماً، وأن قائد الجيوش العثمانية يطلب التعليلات لاحتلال هذه المدينة؛ إنما قال أنور باشا: إننا للآن غير مستعدين للزحف، ويلزمنا أسبوعان أو ثلاثة.

وسمعت الخديو يقول إن الانجليز يستعملون كل الوسائل لكي يترك جانب الدولة، فأرسلوا رومياً يدعى أنه نمساوى الأصل، وأنه متوطن منذ ثلاثين سنة في الاستانة، ليقول لسموه إن الأتراك يريدون به الشر عندما يترك الاستانة، قاصداً الالتحاق بالجيش (يعنى أنهم عازمون على قتله)؛ وأرسل الانجليز أيضاً فضيلة جميل منلا لاستالته نحوه، ولكن أفندينا لم يصغ لهذه الأقوال، وصمم على الخطة التي رسمها، وهى الاتفاق مع رجال الدولة.

وفي ٢ نوفمبر، في أثناء وجود الدكتور سيد كامل والشيخ البورينى لدى الخديو، أبدى الدكتور سيد كامل أمنية، هى أن يرى سموه فوق رأس الجيش بصفته قائداً عاماً له. فقال سموه: إن الفكرة خطرنا أكثر من نفعها، لأنه إذا حصل فشل، — لا قدر الله لها — فينسب ذلك إلى.

وفي ٣ منه أخبرنا فريد بك، نقلاً عن أنور باشا، أن القوات التركية احتلت العرش؛ لكن سمعنا من جهة أخرى أن الانجليز احتلوا العقبة، بأن أرسلوا إليها مركباً حربياً أنزل مائتى عسكرى، وهذا الخبر كدر أفندينا؛ لأن العقبة نقطة هامة، وسبق أن لفت نظر أنور إليها؛ لأنها تهدد الحملة التركية التي ستسير من جهة

العريش . وقد قطع التلغراف البرى والبحرى من العريش قبل انسحاب القوى المهددة منها ، وهدم الانجليز بالديناميت البئر الكبيرة هناك .

وقابل عارف باشا فى هذا اليوم أنور باشا لمعرفة المأمورين الذين سينقلون عفشنا ورجالنا الآتين من الضلعا إلى محطة آيدى ، والذين سيسافرون من الاستانة إلى الحدود المصرية ، وقد عزم أفندينا على أن يرسل الشيخ عثمان ورسمى أفندى للحدود هذين اليومين ؛ ليستطلعا الاخبار المصرية ، ويخبرانا حتى ترحف العساكر التركية .

وفى ٥ نوفمبر التمس البرنس ابراهيم حلمى باشا من الجناب العالى أن يأخذه فى معيته عند السفر إلى مصر مع الحملة التركية ، وقبل التماسه ، وقد أوصى على بدلة عسكرية ؛ كما قبل التماس على جلال باشا وسيف الله يسرى باشا لمرافقة سموه .

فى أثناء الانتقال فى الرفاص بين جبوقلى وبيك عرض الدكتور سيد كامل فكرة ، مؤداها أن سفر أحد المصريين لمصر مفيد فى الوقت الحاضر : أولا ، ليدل الناس المخلصين هناك على حالتنا هنا ، وبين لهم الطريق المستقيم ، أى الانضمام والاتحاد مع تركيا وحليفاتها ، بحيث تكون الحركة فى مصر موافقة كل الموافقة للحركة التى أقناها فى الاستانة ؛ ومن جهة أخرى ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم ، ويقنع العدد الممكن إقناعه منهم ليحضروا إلى الاستانة ، ويصاحبونا فى الحملة السائرة على مصر ، فأظهر سموه عدم ثقته بحضور جماعة من هذه الجمعية ، لا للشك فى إخلاصهم ، ولكن لضيق الوقت . وحيث بين الدكتور سيد كامل ، كيف أننا نكسب كثيراً فى حركتنا لو كان معنا على شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك ، وعلوى الجزار بك .

فقال سموه : هذا صحيح ، ولكن أظن أن الثانى مريض لا يمكنه الحضور ، وشعراوى باشا ربما استصغر أن يحضر مع علوى الجزار بك ، مع أن علوى بك رجل عامل ومخلص .

فقال الدكتور سيد كامل : وعلى كل حال نحن فى حاجة أن يكون معنا جماعة آخرون من غير الحزب الوطنى ، لأننى أخشى متاعبنا فى مصر ، وأن يقول فريد بك فى كل وقت : أنا الذى خلصت البلاد من الاحتلال . وفوق هذا فانه وأعوانه شديداً التعتت ، لا يرون الأمور إلا من وجهة واحدة ، ويتعصبون لها .

فقال سموه : صحيح أن فريد بك متعصب ، وأنا أصدق أنه سيكون رئيساً

للحزب الوطنى مدة عشرة أعوام ، ولكن ماذا تكون قوته عندما تكون هناك أحزاب
فى مجلس النواب المصرى الجديد ؟

وفى ٧ نوفمبر اجتمعنا أنا وفريد وليب والبورينى عند أفندينا ، فقال لنا سموه إنه
غير مطمئن على التجريدة ، لأنه لا يعرف عنها شيئاً أكيداً حتى الآن ، ولا يعلم إن
كانت العساكر التركية حقيقة احتلت العريش ، ويخشى أن الخمسين ألف هندى ، الذين
وردت برقية باستعدادهم فى بمباى للسفر إلى مرسليليا ، يقصدون ينبع وجده ، فيسيرون
ويحتلون دمعان ، فى سكة حديد المدينة . وأنا حتى الآن لم أعلم هل سأرافق الحملة ؟
وبأية صفة أرافقها ؟ هل مثل (شرابة الخرج) أو بصفى عاملاً ؟ وقد سمعت من الصدر
أننى سأرافق الحملة ، وقلت لطلعت بك : إذا كان الوقت لم يحن فأسافر للضلمان ، قال : عند
اللزوم نرسل لك للحضور . وأنور باشا يقول إن كل شىء سائر سيراً طيباً ؛ ولكن
كل هذا الكلام لا يعتمد عليه ؛ لأنه غير رسمى ، فلا وجود لارادة سنية ، وليس
هناك قرار من مجلس الوكلاء ، ولا من جمعية الاتحاد والترقى ؛ وسفير ألمانيا لا يتدخل
فى المسائل العسكرية .

وفى ٨ نوفمبر نشرت الجرائد التركية بلاغاً رسمياً قالت فيه : إن الجنود العثمانية
اجتازت أمس الحدود المصرية فى جهة العريش ، وأن خمس مراكز حربية انجليزية
حضرت للعقبة بقصد إنزال عساكر ، فصدتها الجندرمة التركية ورجال العشائر ، بعد أن
قتل منهم ضابط ونفر ، وبعدها انسحبت .

ولما كان المنتظر زيارة الحذيو لأنور باشا بمنزله اليوم ، أمر سموه يوسف صديق
باشا بوضع الأسئلة الآتية :

(١) الاستعلام عن إشاعة تعيين البرنس حسين كامل حاكماً عاماً لمصر .

(٢) ما هى التدابير التى اتخذتها الحكومة فى ذلك ؟

(٣) ما هو مركز سموه إزاء الحملة العثمانية وموعد قيامها للحدود ؟

وقد اجتمعت بسموه بعد ذلك مع فريد بك واسماعيل ليب بك ، فأخبرنا بأن
طلائع الجيش اجتازت الحدود المصرية من ثلاث نقاط ، وهى العريش والعقبة ونقطة
أخرى بينهما ، وأن الطريق الوسطى ظهر أنها صالحة لسير السيارات . ولما سأله سموه
عن وقت القيام مع حاشيته للحدود قال إن الوقت لم يحن ؛ لأن الجيش لا يبلغ

الحدود إلا في ٢٠ أو ٢٥ نوفمبر ، وأنه يريد أن يتأخر أفدينا عن السفر الآن حتى يجتاز الجيش قناة السويس ؛ وذلك من باب الاحتياط لذاته الكريمة ، فقال سموه : إن الأوفى أن يكون دخوله مع الجيش ، وإعلانه للدستور والحرية للأمة المصرية .

ولما علمنا احتمال سفر الجناح الحديوى على رأس الحملة العثمانية التي ستزحف على مصر لاجراج الانجليز منها ، تحادثنا مع سموه في الأشخاص الذين سيرافقونه ، فتقرر أن يكون من بين حاشيته دولة البرنس ابراهيم حلى ، والدكتور سيد كامل وأنا ، واتفقنا على تفصيل بذلات عسكرية ، وبالفعل تسلمت اليوم من محل ه اشتين ، بدلة عسكرية من قماش لونه رمادى كاكى سميك ، اتقاء للبرد .



شفيق باشا ببذله العسكرية

وفى مساء اليوم أبدى سموه رأيه فى إشاعة تعيينه قائداً ، بأنه يجب ألا تكون له القيادة لخطورتها ، ولأن هذه الحملة مكونة من عناصر غير متجانسة : ففيها مندوب من جمعية الاتحاد ، وهو اسماعيل حقي بك ، وضباط موالون لهذه الجمعية ، وآخرون معارضون لها ، وضباط ألمان . فاذا أضيف إلى ما تقدم أن مدافع الأسطول الانجليزى ، على ما يظهر أقوى من مدافع الحملة ،

اتضح أن قيادة الحملة أشد ما تكون خطراً ، ثم قال : يلزم أن نكون إزاء هذه الحملة بحيث لا تكون لنا قيادة العرب ، ولا نكون عجلة خامسة ، ولكن نكون بين بين .

وفي ٩ نوفمبر توجه سمو الخديو إلى الصدر الأعظم يهنئه بتعيين شقيقه الأمير عباس حليم ناظرًا للاستقبال. فلما بدأ الصدر الكلام، سأل أفندينا عن الوقت الذي سيسافر فيه للالتحاق بالحملة، فأجابه بما قال أنور باشا، فقال الصدر: إن تأجيل السفر حتى يعبر الجيش القناة، إنما هو من باب الاحتياط؛ ولما فاتحه الخديو في إشاعة تعيين الأمير حسين كامل على مصر، قال: إن الاستعلام من السفارات أمر لا يفيد. ثم قال: وانتظر يا جناب الخديو ما يحصل من حسين باشا، وانتقد الصدر الأمير حسين انتقاداً مرأً. وقد قال لنا الخديو: إن الصدر — بهذه المناسبة — لعن أجدادنا، قائلاً: «إن هذا الفرع بطل»، (يعني فرع اسماعيل).

تقابل يوسف صديق باشا مع شوكت باشا، وتكلم معه في صدد تكوين هيئة من كبار الاتحاديين لتعضيد الخديو، فوعد بالتفكير في ذلك وقال: إن في إمكانه الحصول من السلطان على أمر تعيين الخديو قائداً للحملة العثمانية.

وفي يوم ١٠ نوفمبر، قال يوسف صديق باشا: إن عارف باشا توجه يوم الثلاثاء لمقابلة مدحت شكرى بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي، وتكلم معه في شأن إهمال التكلم مع الخديو في مسألة الحملة على مصر، والاتفاق معه على نتائج هذه الحملة، فرد البك قائلاً: صحيح صحيح، إن هذا إهمال، وسأجمع الجمعية لهذا الغرض.

وفي ١١ نوفمبر اجتمع الخديو بفريد بك وليب بك وبني، وأظهر استياءه من رجال الدولة، وتركم إياه والتجريدة سائرة بدون علمه؛ وتساءل عما إذا كان ما يشاع عن العمل لتعيين الصدر خديوياً بدله صحيحاً.

وفي ١٢ منه قابل يوسف صديق باشا شوكت باشا، فقال له: ما على الخديو إلا أن يحدد اليوم الذي يرغب فيه السفر إلى الحدود، وهو يحصل لسموه على الأمر الشاهاني، بتوليته قيادة الحملة. ولكن الخديو غير مبال بتحديد اليوم، ويقول: إن الأمر بين يدي الحكومة العثمانية، فإن أرادت فعلت؛ أما السلطان فليس بيده شيء.

وقد حضر في الساعة الخامسة مدحت شكرى بك سكرتير جمعية الاتحاد، ومعه الدكتور ناظم، إلى قصر بيك، بناء على الكلام الذي حصل بين الأول وعارف باشا ويوسف صديق، وتقابلا مع أفندينا، وأعطياه أخبار الحرب في قفقاسيا، وبما أن سموه قد سمع انتقاداً على سكون المصريين، وعدم قيامهم ضد الإنجليز، ولما يعلمه من أن الأتراك أرسلوا كثيراً مما يسمونه عصابات وأسلحة وذخائر، سألها: ولماذا لم يحصل

ثورة من الجراكسة؟ فأجاب مدحت بك، بأن الأهالي والعصابات في سكون حتى يدخل الجيش التركي في بلادهم، لئلا يصيبهم ضرر.

قال أفندينا: كما يفعل المصريون؟

فقال مدحت بك: نعم!

ولما حدثهما سموه عن مسألة مصر، قالاً إنهما تكلمتا مع طلعت بك، فقال لهما إنه لا ينسى أن يتكلم مع أفندينا عندما يأتي الوقت، ويقرب سفر سموه للعودة إلى بلاده. وفي ١٣ نوفمبر، نشرت جرائد الآستانة حديثاً لسمو الخديو مع المسيو فايس، ولكن لاحظنا أن الجملة المختصة بمرافقة سموه للحملة، قد حذفت بأمر الحكومة العثمانية، كما أنها حذفت في تلغراف فايس الذي أرسله إلى جريدته.

أما ما يتعلق بسير سموه مع التجريدة، فأفندينا يقول: الظاهر يدل على أن الحكومة العثمانية لا تريد أن يكون دخول سموه مع الجيش العثماني. ومن حديث سموه مع السيد أفندي، يعلم أنه يعتقد بأن قيامه من الآستانة لا يكون إلا عقب اجتياز قناة السويس.

وفي ١٥ منه تقرر، بناء على إلحاحي، أن يسافر يوسف صديق للاتحاق بالأمير محمد علي باشا في أوروبا، والمرور على روما وبرلين؛ لاستطلاع آراء الدول الثلاث بالنسبة للتجريدة، والوثوق التام بأنها لا تمس الفرمانات الشاهانية.

قابل الصدر دولة والده الخديو، وقد جاء ضمن حديثه معها ما يأتي:

إنه بعد إعلان الجهاد، لا يصح أن الأمير محمد علي يبق في البلاد الأجنبية، وإلا فأننا نصادر أملاكه في مصر. وهذه جرأة متناهية، وخصوصاً لسيدة يجب احترامها.

ولما سمع أفندينا ذلك قال: وبأى حق يمكن الصدر أن ينفذ ما يقول؟

ومما قاله الصدر كذلك للبرنس ابراهيم: إن الجيش الزاحف على مصر جيش عربي؛ فإذا كان المفهوم عند الخديو وعند فريد بك أن مصر للعرب، فاني أخشى حينئذ من اتفاق يحصل بين العساكر الشامية والخديو والمصريين؛ ولهذا لا يصح أن يكون الخديو مضاجعاً للجيش العثماني، وإني أبذل جهدي الآن في المدافعة عن الخديو. ولكن إذا كانت أفكاره هي هذه، فلا يمكن الاستمرار على هذه المدافعة — وقال الصدر للبرنس ابراهيم: من هم المصريون؟ إنهم في نظري دلمبرياش، (أي حيوانات جفلك) وقد نسي أنه مصري.

وفي زيارة (ى . بك وم . افندى) لسفير ألمانيا بتاريخ ١٦ نوفمبر قال السفير الخديو يطلب أن يكون هو القائد العام ، وهذا يجرح إحساسات الأتراك ، وأن سموه ينتقد الجيش العثماني . فسأل «ى بك» السفير عما إذا كان يلزم إخبار سمو الخديو بذلك ، فقال : هي مسألة دقيقة ، ثم قال إنه في أول فرصة سيظمن سموه على هذه المسائل ، وودعهما السفير قائلا : مع السلامة ، أعلننا أهل بلدكنا قرب وصولنا . ولما سمع أفندينا هذا الكلام قال له :

« إننى ما تشبثت مطلقاً بقيادة القوة العثمانية الزاحفة على مصر ؛ لأننى لم أتعلم التعليم الحربى الألمانى ، ولا التعليم الحربى العثمانى ؛ والكلام الذى سمعناه كان من جانب الأتراك أنفسهم ، فقلت : أضيف إلى ذلك أن أفندينا لا يريد أن يتحمل تبعه هزيمة هذه التجربة ، فقال سموه : « هذا الكلام يقوله بعضنا لبعض ؛ لأننا نتوهم احتمال هزيمتهم فى مصر » . ثم استمر سموه قائلا : صحيح . إن يوسف باشا صديق قد أخطأ فى اختياره الكلام فى هذا الموضوع مع شخص غير ثقة (يقصد سموه شوكت باشا) ، ولكنى على أى حال ما تشبثت ، وما أعرت إسناد قيادة التجربة العثمانية إلى أية أهمية ، ثم إننى لم أتقعد على الجيش ولا غيره شيئا ، وإننى أحضر من جبوقلى إلى بيلك ، وأقوم من بيلك إلى جبوقلى ، وفى كل أسبوع أو عشرة أيام أركب سيارة مقفلة لزيارة سفير من السفراء ، فمن أين رأيت الجيش التركى حتى أسمع لنفسى أن أتقعد ؟ »

وفى ١٧ منه قال أفندينا : إنه سمع من الألمانى صاحب جريدة (إيجبت ناخرختن) أن الجيش العثمانى غير مستعد للزحف الآن ؛ لأن السكة الديكوفيل اللازمة لمداغ الهاون الضخمة لم تتم .

وفى ١٨ منه كان سمو الخديو قد كلف البرنس ابراهيم حلمى ، بأن يبلغ الصدر أجوبة سموه على تليغاته ، فتوجه أمس هو وعزت باشا إلى الصدر ، وقال الصدر له : يلزم تحديد برنامج قبل سفر الخديو عما يجب عمله عند دخول الجيش العثمانى فى مصر ، فقال : يجب ألا يسافر الخديو ليلا ، كأنه هربان ؛ بل يتوجه نهاراً عند السلطان ، ثم يسير إلى المحطة بالعز والاكرام .

سافر اليوم من الآستانة إلى الحدود المصرية عبد الحميد سعيد بك ، واسماعيل كامل افندى ، ومحمد عوض البحر اوى افندى ، ومحمد على افندى ، وهم من رجال الحزب الوطنى ؛ وبقى منهم عبد الملك افندى حمزة المحامى والدكتور احمد طاهر افندى ، لا انتظار القيام

مع شقيق الأول من أوروبا . وقد جاء اليوم ستة من الطلبة المصريين في جامعة لندرة ، وتقدموا إلى نظارة الحرية ، طالبين منها التطوع في القسم الطبي العثماني ، فقبلت النظارة طلبهم ؛ وفي أثناء مرورهم في هولانده كتبوا احتجاجاً على الحكومة الانكليزية في مصر بالنسبة لخطتها ، قالوا فيه : إن مصر تعيش حرة أو تموت . وهذا بعد ذكر قيام الجيش العثماني لتخليص مصر من الاحتلال الانكليزي

وفي ١٩ منه أوفد يوسف صديق باشا إلى سفير ألمانيا ، فعرفه أن سموه لم يطلب مطلقاً لنفسه رئاسة الحملة التركية ، ولم ير الجيش في حالة عمل ولا في الشككات حتى ينتقده بشيء ، فقال السفير : إن الأتراك لا يتحملون جرح إحساساتهم ؛ لأنهم يظنون في أنفسهم القدرة التامة ، مع أنه يوافق كل الموافقة على ما قاله يوسف باشا من أن القيادة إذا كانت في يد الحديو ، فهمة الحملة تكون سهلة ؛ لأن المصريين ينضمون إلى الجيش العثماني بسهولة

وفي ٢١ نوفمبر وصلت ورقة من وصفي افندي ، أحد مستخدمي السراي ، فخواها أنه تقابل مع فريد بك الذي أخبره بأن جمال باشا ناظر البحرية قد عين قائداً عاماً للحملة ؛ وأنه سيسافر بعد ظهر اليوم من محطة حيدر باشا ، ومعه الشيخ جاويش وفؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وآخرون ممن يريدون السفر معه .

ولما اطلع سمو الحديو على هذه الورقة غضب لسفر أولئك مع جمال باشا ، وقال : إنهم متى دخلوا مصر سعوا في جعلها عثمانية ، بحيث يصبح المصريون عبيداً كما كانوا في عهد الاحتلال الانكليزي ، ثم قال : إن هذه الحركة مقصودة ، وإنها من تدابير الحكومة العثمانية .

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً حضر محمد فريد بك ، وتشرف بمقابلة الجناب العالي ، وروى أنه سعى لمقابلة جمال باشا أمس ، فسأل عنه في منزله مراراً بالتليفون حتى علم بوجوده بعد تناول العشاء ، فذهب إليه تحت وابل من المطر ، وقابله في منزله ، فقال له جمال باشا إن تعيينه جاء بغتة وأنه يأسف ، لأنه لا يستطيع مقابلة الجناب العالي ، وكلفه أن يبلغ سموه أسفه على ذلك . ثم سأله فريد بك عما إذا كان صحيحاً أن بعض المصريين سيسافرون معه ، وخص بالذكر الشيخ جاويش والدكتور فؤاد ، فقال جمال باشا : نعم . وزاد على ذلك قوله : : ويمكن لمن يشاء من المصريين أن يسافروا معي ، ؛ وقد أظهر أنه لا يهتم بالملكيين السائرين معه ؛ وإنما يوجه اهتمامه إلى الجيش

وحده ؛ وطلب من فريد بك أن يسأل الخديو عما إذا كانت لديه معلومات وخرائط ، وقال فريد بك إنه علم من المصادر العثمانية أن سبب تعيين جمال باشا قائداً للحملة ، بدلا من زكي باشا العربي ، أن هذا الأخير مكلف أن يؤدي مهمة لدى إمبراطور ألمانيا ، نظرا إلى معرفته للغة الألمانية ، وإنه لما كان جمال باشا هو قائد أوردى الشام ، كلف القيادة بدلا من زكي باشا

وفي اليوم نفسه أمر سموه أن يقول فريد بك لجمال باشا عند توديعه إنه سيلحق به قريباً ، كما أمر عارف باشا أن يذهب مندوباً من سموه ، ليلق جمال باشا تحية وأسفه لعدم وجود خرائط . وقد ركب كلاهما يخط المحروسة إلى محطة حيدر باشا ؛ وفي الساعة الثالثة بعد الظهر جاء سراى جبوقلى يوسف صديق باشا ؛ وقد روى أنه كان ليلة أمس مع جماعة من كبار رجال الدولة ، يتكلمون فيما بينهم على مائدة واحدة ؛ وأن جمال باشا حضر إلى السكوب ، واختلى في غرفة من غرفه برفعت باشا ، سفير الدولة في باريس ؛ وأن يوسف صديق باشا قابل جمال باشا عند خروجه من الغرفة ، وبادله وهو واقف جملاً قليلة في موضوع تهنئته بتعيينه قائداً عاماً للتجريدة ؛ وقابل صديق باشا في السكوب نفسه سفير ألمانيا قائلاً له : هل يصح ألا يأتي جمال باشا وقد عين قائداً للتجريدة لزيارة الجناح الخديوى ؟ فقال السفير : إن هؤلاء الناس لا يعرفون الواجبات ، حتى لقد شكوا إلى معتمد حكومة الصرب أنه أرسل تهنئته بالعيد إلى جميع النظار ، فلم يرد عليه أحد منهم .

وفي الساعة الخامسة رجع عارف باشا إلى جبوقلى ، وأخبر أنه ودع جمال باشا باسم الجناح الخديوى ، وأن المسافرين معه من المصريين هم : فؤاد سليم بك والدكتور احمد فؤاد ؛ وأن الشيخ جاويش لم يكن من المسافرين ؛ وأنه قد ودعه جميع النظار ما عدا أنور باشا المريض . وكان مع جمال باشا كثير من الضباط الألمان ، فأظهر سموه استيائه لسفر بعض المصريين ، وخصوصاً الدكتور احمد فؤاد وقال عنه : إنه متهم في قضية التمرد على ، وأن الحكومة وجدت في مصر أوراًفاً تثبت اشتراكه في هذه الجناية ، حتى أنها طلبت القبض عليه .

وقال سموه : إن جمال باشا قد اعتذر عن عدم زيارته لى ، وقبلت اعتذاره . وقد رأى سموه بادىء ذي بدء أن يذهب صديق باشا وعارف باشا إلى مدحت شكرى بك ، والدكتور ناظم بك ، في مركز الاتحاد والترقى ليقولوا له : أيصح أن يسافر الدكتور

احمد فؤاد وهو متهم بوجود علاقة له بحادث الاعتداء ؛ فاقترح يوسف صديق باشا أن يذهب مباشرة ، ويتفاهم هو وطلعت بك ، فقال سمو الخديو : ولكن لا أحب أن تذهبوا إليه ، لأنه يوقفكم كثيراً قبل أن يقابلكم ؛ ولا أحب أن يعاملكم هذه المعاملة . وأخيراً انتهى رأى سموه بأن يذهب في اليوم التالي لمقابلة جاويد بك ، وأخذ رأيه في هذا الموضوع .

وفي ٢٢ نوفمبر قابل يوسف صديق باشا ، ومحمد عارف باشا ، جاويد بك المستقيل ، فأعرب له الأول عن ثقة سمو الخديو به ، ثم قال له إن القاعدة التي حصل الاتفاق عليها هي قاعدة الصراحة التامة بين سموه ورجال الدولة ، وأن جنابه قد سار عليها من بداية الأمر ؛ ولكن يظهر من بعض حوادث أخيرة ما لا ينطبق عليها .

ومن هذه الحوادث أن نسب إلى الجناب الخديوى رغبته أن يكون قائداً للتجريدة العثمانية ؛ مع أن سموه ما رغب في هذا قط ؛ وإنما هذه فكرة قال بها بعض المصادر العثمانية . ولو فرض أن الخديو يرغب فيها ، لكان نجاح التجريدة أعظم بوجوده على رأسها ، بعد أن منعه انجلترا من الرجوع إلى بلاده ؛ وذلك لما يترتب على وجوده من قيام المصريين بمساعدتها .



جمال باشا

ومن هذه الحوادث أن سمو الخديو لم يكلمه أحد قط في موضوع تعيينه قائداً للتجريدة ، وقد عين جمال باشا في هذا المنصب دون أخذ رأى سموه فيه ؛ وبعد تعيينه ، وقبل سفره إلى مصر ، لم يكلف نفسه زيارة سمو الخديو للوداع قبل السفر - كأن جنابه بعيد عن هذه المسألة غاية البعد .

ومن هذه الحوادث أيضاً أن القائد العام جمال باشا قد استصحب معه عنصراً من المصريين غير مرغوب فيه ، ومنه الدكتور أحمد فؤاد ؛ وعندئذ قطع جاويد بك الحديث قائلاً : . صحيح أنا الآن أفهم معنى إرسال هذا الشخص مع جمال باشا ، ثم استمر يوسف صديق باشا في الحديث قائلاً : إن الدكتور فؤاد هذا متهم بوجود علاقة

له بحادثة الاعتماد على شخص الجناب العالى ، فارساله جارح وغير موافق للمصلحة . ولاعتقاد الخديو فى معارفكم وفى ذكائكم ، رأى أن يأخذ رأيكم فيما تقدم ؛ ولو لم تكونوا فى الحكومة الآن .

فقال جاويد بك : صحيح أنى لست فى الحكومة ، ولكنى أشتغل مع أعضائها كما كنت أشتغل فى النظارة ، وأنى مشترك مع أفدينا فى أنه ما كان يحسن بالقائد أن يسافر قبل أن يقابل سموه ، كما أنه لم يكن يحسن به أن يأخذ معه شخصاً بتلك الصفة (مشيراً إلى الدكتور فؤاد) . ثم قال إنه سيقابل طلعت بك ، ويكلمه فى موضوع الدكتور ويخبر سمو الخديو بالجواب .

ثم إن يوسف باشا قال لجاويد بك : إننا واثقون أن المسألة المصرية مسألة دولية وليس للدولة العلية وحدها حق الاستئثار بها ، فقاطعه جاويد بك قائلاً له : وأنا أعرف أكثر من ذلك ، وهو أن الدول لا تتأثر بكلام الدولة — ولو كانت منتصرة — فى هذا الموضوع .

قال يوسف باشا : ولا تنس أن سفير إنجلترا لما عرض على أفدينا ذهابه إلى إيطاليا ، قائلاً إنها أقرب إلى مصر من الآستانة — وفى ذلك معنى كبير — أجابه الخديو بأنه لذلك يفضل البقاء فى دار الخلافة ؛ وقطع علاقته به ، لأنه تعهد وإياكم على أن يكون مع الدولة وألمانيا .

فقال جاويد بك : ونحن نشكر الجناب العالى على هذه الاحساسات . وقال يوسف باشا : فإذا استمرت هذه المعاملة الماسية للخواطر من قبل رجال الدولة ، فإن أفدينا يترك الآستانة ويتوجه إلى سويسرا ، حتى تنتهى الحرب ، ويعقد الصلح ، ويبت فى مسألة مصر .

فقال جاويد بك : هذا أمر فات أوانه (يريد السفر) .

فرد عليه يوسف باشا بأن الوقت لا يزال منفسحاً .

فقال جاويد بك : لا لا يا يوسف باشا ، لا تقل ذلك .

وأخيراً قال جاويد بك : إنه من الصعب حقيقة أن يسافر جمال باشا من غير أن يقابل الجناب العالى ، ولم يكن يليق إرسال الدكتور أحمد فؤاد ؛ أما بالنسبة للاتفاق على ما سيعمل فى مصر عند دخول الجيش العثمانى عاصمة البلاد ، فإنه كان يظن أن طلعت بك وأنور باشا قاما بهذا الواجب ؛ وعلى كل حال فإنه وعد بالتكلم فى هذه المسألة .

وفي ٢٣ نوفمبر كننا جميعاً في سرور ؛ لأن البرقيات الرسمية أنبأتنا أن مقدمة الحملة العثمانية قد وصلت إلى القنصة ، بعد أن حصلت واقعة بالقرب من القنطرة ، في جهة القطا ، أى على بعد ثلاثين كيلومتراً من شرق القنطرة ، وأن الهجاة المصريين انضموا إلى العثمانيين ، وأنه قتل قائد فئة من قواد الانجليز ، وملازم ، وكثير من الانفصار ، وأسر جملة منهم .

وفي هذا اليوم أرسل أفندينا يوسف باشا ، إلى البرنس عباس حليم ناظر النافعة للتكلم معه في إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة ، ومنعه من مصاحبة القائد العام وقد كنت أبحث مع فريد بك في نقط ضرورية وهى :

(١) مسألة الوفد الذى يجب أن ينوب عن الجناح الحديوى ، ورافق التجريدة العثمانية إلى مصر بهذه الصفة .

(٢) إذا كانت الوزارة موجودة عند وصول الجيش العثمانى إلى مصر ، فهل تحترم ؟ وهل للقاء مقام الحديوى أن يبدل من أعضائها ؟ وإذا طلبت الحكومة العثمانية شيئاً من هذا ، فكيف يكون الحل ؟

(٣) عند إعلان الاحكام العرفية ، كيف يكون تشكيل المحاكم ؟ وباسم من تنفذ الاحكام

(٤) ماهى القشلاقات التى تخصص للجيش العثمانى ، والتى تخصص للجيش المصرى ؟

(٥) من أين ينفق على تموين الجيش العثمانى مدة وجوده في مصر ؟

(٦) ماذا يكون الحال إذا أراد الاتراك تغيير المديرين ، أو إلغاء البوليس ، أو الجيش المصرى ؟

وبينما كنت أتكلم مع فريد بك في هذه النقط في ردهة الدور الارضى من سراى بيك ، نزل سمو الحديوى من الدور الاول ، وسألنا فيما نتكلم ، فأخبرته بالموضوع بصفة عامة . فقال : إن شاء الله نعتد في الغد جلسة هنا للمناقشة في ذلك .

ثم ذكر سموه أنه لا يحسن الدخول مع رجال الحكومة العثمانية في مناقشة النقط والتفاصيل ؛ لأنهم ليسوا رجال قواعد . ونحن اذا فتحنا باب هذه المسائل ، دخلوا فيها متعمقين ؛ وتكون النتيجة أنهم يظنوننا خصوصاً لهم ؛ فيكنى الآن أن نسعى في مسألة إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة . فقال الدكتور سيد كامل : إنه يحسن الاتفاق من

الآن مع العثمانيين ، على مبدأ أسامى ، وهو أن يبقى الجيش العثماني بعيداً عن التدخل فى شئوننا الادارية الداخلية ؛ ومتى تم الاتفاق على هذا المبدأ ، ترتب عليه المسائل الفرعية الأخرى ، التى لا يصح الكلام فيها الآن .

وفى ٢٤ منه حضر يوسف باشا ، وقال إنه قابل أمس البرنس عباس حلمي (وزير الأشغال) فى صدد الدكتور فؤاد ، فأظهر البرنس أنه لا قيمة لهذا الشخص ، وأنه يحسن بالخدو ألا يهتم بالجزئيات ، ولكنه مع هذا وعد بأن يتكلم مع طلعت بك فى موضوعه وفى هذا اليوم نفسه ، نشرت جريدة « طنين » نبذة ترجمتها جريدة « لانوركي » إلى الفرنسية ، ومؤداها . إرسال موظفين أترك من موظفى الجمر إلى مصر ، لاعتبارها من بعض الوجوه مشابهة لولايات الدولة .

وفى ٢٥ منه كان أفندينا كلف يوسف صديق باشا أن يذهب إلى سفير ألمانيا ويعلمه بمسألة الدكتور احمد فؤاد ، وما نشر فى الجرائد من أن جمال باشا أخذ معه ١١٨ شخصاً لاستخدامهم فى جمارك البلاد التى يحتلها الأتراك فى مصر ، وأن هذا القائد قد سافر دون أن يقابل أفندينا ؛ فاعترف له السفير بأن كل هذا لا يليق ومخالف للاتفاق ، وأنه سيتكلم مع أنور باشا فى الأمر ، واعترف له أيضاً بأن الأتراك يدسون للخدو فيما يتعلق بمركزه

وفى ٣٠ منه تقابل صديق باشا وعارف باشا مع جاويد بك ، ولم تدم هذه الزيارة أكثر من خمس دقائق ، لأنه أخبرهما بمقابلته طلعت بك ، وعرف منه أن لا شئ عندهم مطلقاً ، وأنه إذا كان طلعت بك لا يزور سموه ، فلأن عنده مشاغل كثيرة ، وكذلك بقية رجال الدولة

وقد اعتبر يوسف صديق باشا هذا القول مبهماً ، وغير دال على حسن النية ، ولكن لم يصرح بذلك لجاويد بك ؛ وعلى العكس من ذلك عارف باشا ، فقد اعتبر هذا الجواب مبهماً ، وقام فقبل جاويد بك

تحرير مرمية الحملة . وفى ١٥ أكتوبر حضر أنور باشا وتقابل مع عباس ، ومكث معه مدة طويلة ؛ وبعد خروجه علينا أن سموه تكلم معه بخصوص دسائس الصدر ضده ؛ وبما جاء فى الحديث أيضاً ، أن أفندينا سأل أنور باشا عما إذا كان يليق بالصدر أن يرسل قرار الحكومة العثمانية للحكومة المصرية ، بخصوص طرد متولى

أعمال ألمانيا والنمسا ؛ ولا يرسل سموه صورة القرار ، كأن ذلك لا يهيمه ، وكأنه ليس موجوداً في الآستانة ؛ فتعجب أنور لذلك ، وانتقد فعل الصدر . ثم قال سموه ما يفهم منه أنه مديده لأنور ، وتعاهد معه على ألا يخفى أحدهما عن الآخر شيئاً ، وأن يسيرا في خطة واحدة ؛ فأكد له أنور باشا أنه يأمل أن يرى سموه حراً في بلده ، مستقلاً في إدارتها ، كما كانت الحالة قبل الاحتلال الانجليزي ؛ ووعد بزيارته فيها ؛ فشكره سموه ، وأوصله عند نزوله إلى باب حديقة . يالى بيك .

وفي ١٩ منه تقابلت مع محمد عزت باشا ، فأخبرني أن سفير ألمانيا تغدى عنده أخيراً ؛ ومن كلامه أن رغبة الأمبراطور التي أبلغها للدولة العلية ، هي أن طرد الانجليز من مصر لا يترتب عليه جعلها إمالة عثمانية ، بل تكون مستقلة في أعمالها الداخلية ؛ وإنما في بعض المسائل الخارجية ، يجب على مصر أن تستأذن الباب العالي ، وأن تحفظ امتيازات الخديوية المصرية كما هي الآن ؛ وهذا مطابق لما قاله أنور باشا لأفندينا .

وفي ٣١ منه أكدت طلعت بك لفريد بك ، أن الحملة التي تسير إلى مصر ليس من شأنها أن تمس شيئاً مما في داخلية مصر ، فانه يعلم أن إدارتها منظمة ، وكل شيء مرتب ؛ ثم أضاف ، حتى أننا نرى أن نرسل لكم بعض المأمورين الأتراك ، لأخذ ما يهمننا في تحسين إدارتنا في الآستانة .

وكنت سمعت من مدة أن أفندينا اجتمع بأنور باشا عند زيارة سموه لسفير ألمانيا في المساء ، وتعاهد الثلاثة على أن يتحدوا على طرد الانجليز من مصر ، وأن تبقى مصر للمصريين مع حفظ امتيازاتها . وأن تكون مصر بالنسبة للدولة كباقاريا لألمانيا .

وفي ١٠ نوفمبر لاحظ إبراهيم حلمي باشا أن الجيوش العثمانية اجتازت الحدود المصرية ؛ مع أن الحكومة العثمانية لغاية الآن لم تخاطب الخديو رسمياً فيما يلزم اتباعه . فأجابه الصدر الأعظم بأنه مستعد للتكلم مع سموه قبل سفره في أحوال مصر ، ثم قال إن الجيش سائر إلى مصر ، ومهمته طرد الانجليز ، وإرجاع الخديو إلى أريكته .

وفي ١٣ نوفمبر تقابل الخديو مع فريد بك ولييب بك ، وقال لنا إن رجال الدولة عديمو الإدارة ، فلا ينظرون إلى الأمام ؛ ونحن لا يمكننا أن نغير ما تعودوا عليه . فقال فريد بك ولييب بك إنهما قابلا أنور باشا أمس ، وسألاه عما يراه في مسألة مصر وأفندينا والحزب الوطني فقال : نحن تعاهدنا مع الخديو ، وكررنا له القول بأننا لا نريد مطلقاً التدخل في داخلية حكومته ؛ ولا نرغب إلا في أن نراها

حرة وقوية ؛ وأنا تؤيد سموه في مركزه ، ونسير بالاتفاق معه ، ومع الحزب الوطني .
قال أنور : نحن نساعد حكومة إيران وأهلها كما نساعد مصر والمصريين . فهل
معنى ذلك أننا سنأخذ العجم ؟ هذا لا يكون .

وحصلت اليوم مظاهرة من الإيرانيين في الآستانة ؛ وقرروا طلب دخول إيران
في الحرب ضد روسيا ؛ وهذه المظاهرة حصلت بإيعاز من أنور باشا .

وفي ١٦ منه حضر إلى جبوقلي في هذا الصباح (ي . بك) أحد المصريين الذين
كلفهما الخديو بمقابلة سفير ألمانيا ، وأخبر أفندينا أنه هو وزميله (م . افندي) تقابلوا
أمس مع السفير ، وأخبراه بحديث البرنس ابراهيم حلمي مع الصدر ، وحديث سيف الله
باشا لفريد بك ، ورفع يده مستهزئاً وقال : لا تعبأوا بهذه الأقاويل ، فانها لا قيمة لها
من الوجهة السياسية ، وخصوصاً أنني سبق أن أخبرت الصدر بأن ألمانيا ستساعد الدولة
في حملتها على مصر ، بشرط ألا تمس فرماناتها ، ولا المعاهدات الدولية ؛ وأن تبقى
مصر للمصريين (وكرر هذه العبارة مرتين) ؛ فأجابه الصدر بأنه باعتباره مصرياً
يحافظ على فرمانات ، وعلى حقوق الخديوية ، وامتيازات مصر .

الصباحي يحمل الأوامر للقائم مقام بخصوص الحملة : وفي ٢٤ منه أمرني الخديو
أنا ويوسف باشا أن نحرر مذكرة إلى حسين رشدي ، تحتوي على ملخص الحالة السياسية
بيننا وبين الأتراك ، وما يجب عمله عند دخول الجيش التركي إلى مصر ، ومعاملة القائد
ونحو ذلك . وكانت الفكرة أن تكتب المذكرة على حرير بالشفرة المعروفة لرشدي
باشا ، أو بالكتابة المكشوفة ، ويخاط هذا الحرير بين البطانة والقماش . وأعرب
سمو الخديو عن رأيه في أن ينتخب رشدي رجلاً مصرياً لنظارة الحرية ، وتكون
مهمته تسهيل العلاقات بين الحكومة المصرية والجيش العثماني المحتل ؛ ورأى سموه
تعيين السرياور خديوي اسماعيل مختار باشا في هذه الوظيفة ، لأنه يحمل أكبر رتبة
عسكرية في مصر ، ولأنه مخلص لسموه . وقد عرض على سموه اسم حسني باشا ، فقال :
لا ، لا ، دعنا من هذا الرجل ، فانه تنجى عن السير معنا في حركتنا .

وقد كتبت المذكرة التي طلبها أفندينا ، وعرضها عليه يوسف صديق باشا ،
فأدخل بعض زيادات عليها ؛ وأمر بنسخها وتسليمها إلى محمد عبد الرحمن الصباحي
افندي ، على أن يسافر اليوم لتسليمها لحسين رشدي باشا ، وها هي ذى صورتها .

« حصل الاتفاق شفهيّاً بين الجناب العالي ، وأنور باشا ، وسفير ألمانيا في سفارتها ، على إرسال تجريدة عثمانية لمصر ؛ على شرط أن تبقى الإدارة الداخلية مستقلة كمنطوق القرارات . وقد علمنا أن أمبراطور ألمانيا أرسل تلغرافياً إلى السفير بأن مساعدته للحملة هي بهذا الشرط ، وألا يقبل مطلقاً أن تكون مصر ولاية عثمانية ، كباقي الولايات .

« تحسنت العلاقات بيننا وبين رجال الدولة ، وخصوصاً أنور باشا . إنما ظهر لنا أن للصدر أغراضاً وآمالاً ، وقد نفّس حوله جماعة تنادى بأن مصر للدولة ، وليست للمصريين . ولما لم تنجح هذه الفتن في مسعاها ، قالت بتعيين ولي عهد السلطنة العثمانية للخديوية المصرية ، وعلم الجناب العالي من السلطان بأن يوسف عز الدين أفندي طلب من جلالتهم ذلك . ولكن هذا الطلب لم ينظر إليه بعين الاهتمام ، وأن رجال الدولة لا يرغبون في تغيير شيء في الخديوية المصرية . وبعد أن كانت رئاسة الجيش الزاحف على مصر للجنرال زكي باشا ، العربي الجنس ، صدرت الإرادة بتعيين جمال باشا ناظر البحرية ، بدلاً عنه ؛ وإرسال زكي باشا لمهمة أخرى .

عود إلى الحملة . « سافر قائد الحملة يوم ٢١ نوفمبر بدون مقابلة الجناب العالي ، وأرسل يعتذر بواسطة فريد بك بضيق الوقت ؛ ويلاحظ أنه استصحب معه فؤاد سليم بك ، والدكتور أحمد فؤاد ، وحلى المسلى ، وبعد قليل يلحق بهم عبد العزيز جاويز ، فتم بذلك الجماعة المنتمية للصدر ، والتي تقول بأن مصر للدولة ؛ فضلاً عن أن أحدهم ، وهو الدكتور أحمد فؤاد الموظف بالبوليس السرى في نظارة الداخلية ، هو المشتبه في اشتراكه مع مظهر المعتدى على جناب الخديو . ولهذا طلبنا من طلعت بك ناظر الداخلية إرجاعه .

« وعلى كل حال فأننا لعدم ثقتنا تمام الثقة بعهود رجال الدولة ، الذين ربما كانت لهم أغراض خفية ، لا تظهر إلا بعد احتلالهم البلاد ، فإن أفندينا عزم على إرسال من يعتمد عليه ، للسفر إلى ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، للتحقق من تنفيذ وعود سفير ألمانيا لسموه ، وبأن تبقى مصر مستقلة في إدارتها بدون تدخل الدولة كما كانت .

« والدائر على الألسنة أنه بمجرد دخول الجيش العثماني ، تعلن الأحكام العرفية ؛ ونظر لأن المشهور عن القائد أنه قوى الشكيمة ؛ فانه يحسن أن تستعدوا لذلك وتفكروا من الآن في الخطة الواجب اتباعها معه .

« ومن رأى الجناب العالي :

أولاً - أن تقيموا في سراى عابدين عند دخول الجيش العثماني ، باعتباركم قائم مقام الخديو ، وتقابلوا قائده على الدوام هناك .

ثانياً - أن تخصص للقيادة العامة المقرر الذي فيه إدارة جيش الاحتلال .
ثالثاً - أن تقيم العساكر التركية في القشلاقات التي كانت مخصصة لجيش الاحتلال الانجليزي ، ولا يخصص لهم في أخذ أى قشلاق من قشلاقات الجنود المصرية .

(والعبارة الأخيرة أضافها الخديو بخطه)

رابعاً - أن يرحب بالجيش بدون مبالغة ، وتحفظ الحكومة كرامتها إزاءه .
خامساً - يستمر القضاء المصرى طبعاً كما كان ؛ ولو أعلنت الأحكام العرفية .
سادساً - تنتدب الحكومة مندوب إيطاليًا في صندوق الدين مستشاراً مؤقتاً للدالية ، على ألا يعتدى على الأنظمة الجارية في المالية المصرية .

سابعاً - أن تتفق الحكومة وبعض المتعدين ، على توريد حاجات الجيش العثماني من المأكولات ، وتصرف قيمة ذلك مما كان مخصصاً لجيش الاحتلال الانجليزي .

ثامناً - بمجرد انسحاب الموظفين الانجليز ، يعين في الحال من يخلفهم من المصريين ، وخصوصاً في رئاسة البوليس المصرى .

تاسعاً - لا يعمل أى احتفال رسمى حتى يشرف الجناب العالى ، وإذا اضطرتهم لتقديم بعض كبار المأمورين المصريين ، فيكون ذلك على الانفراد ، وبواسطتكم ثم أضاف أفندينا بخطه ما يأتى : يراعى عدم تدخل القائد العثماني في أمور الادارة ، وخصوصاً في مصلحة التلغرافات ، وبمجرد خروج الانجليز من مصر ، تجمع العساكر المصرية . إن أمكن في القاهرة . وإن أمكن أيضاً يجمع الجيش العثماني فيها ، بدلا من توزيعه في المديریات .

طلب الانجليز اعانات مالية من عباسى . في ٢٥ أكتوبر رأيت سمو الخديو في حالة عصبية ، وعلمت أنه أوفد ماهر افندى المحامى ، وعارف باشا لطلعت بك ، ليرجوا أن يتخذ الاجراءات للعفو عن مسجون من ضمن خدم سموه سلاحشور ، وهو متهم بالقتل ، فطلب طلعت بك إعانة مالية من سموه لمشتري ملابس تركية للجندمة التركية ، فغضب لهذا الطلب ، وقال إننى ما حصلت على عرشى برشوة ، حتى أستبقية برشوة .

وفي ٩ نوفمبر عقد سموه جلسة ، قال فيها بضرورة تكوين جماعة من حزب الاتحاد والترقي ، يعملون في مصلحة مصر ؛ وأن تستخدم كل الوسائل لتكوين هذه الهيئة من سبعة وعشرين عضواً ، لتعمل لنا في هذا الطريق ، بحيث لا نعطي نقوداً الآن ، بل نعد باعطائها بعد دخولنا مصر ؛ ويكون مثلنا في هذا مثل الشخص الذي يقول للسمسار : إذا اشتريت العقار الفلاني بواسطتك ، أعطيك كذا كذا ؛ وقال إنه لا يضر خزانة مصر ، دفع مائة ألف جنيه لتحقيق أغراضنا .

وذكر في هذه الجلسة بعض أسماء رجال الدولة ؛ وأمن يوسف صديق باشا على كلام سموه ، قائلاً إن الدكتور ناظم أحد كبار الحزب ، وطلعت بك نزيهان ، وأن الأول يعيش بعشرة جنيهات في الشهر ، ولا يمكن أن يشتري ؛ وذكر أنه تقابل مع شوكت باشا ، ووعدته بالكلام معه غداً تمهيد الطريق .

وفي ٢١ نوفمبر روى سموه ، أنه لا ينسى يوم حضوره إلى الآستانة في أول سنة للدستور ، وحضوره جلسة من جلسات مجلس المبعوثين :

قال سموه : وقد حضر لدي في اللوج ، الذي كنت فيه طلعت بك ، وثلاثة آخرون معه ، فبعد أن حيوني ، وشكروني على حضوري جلسة من جلسات المبعوثين ، طلبوا مني أن أساعدهم مساعدة مالية . وقد كنت أفهم هذه المساعدة وهم خارج بلادهم ؛ ولكن الذي لا أفهمه ، هو مساعدتهم مساعدة مالية وهم داخل بلادهم . فلما قلت : إن شاء الله ننظر في الموضوع ، انصرفوا بشكل مدهش ، كأنهم لم يجيئوني إلا لطلب المساعدة المالية ، ولكنهم بعد انصرفهم جاءني جاويد ، واعتذر إلى عما وقع من زملائه .

وفي ٢٤ منه قال يوسف باشا ، إنه قابل نحر الدين بك سفير الدولة في بطرسبرج ، وفهم منه أنه يلزمنا نحن المصريين ، أن نتأكد من الاتفاق مع ألمانيا بخصوص نتائج الحملة المصرية ؛ ولا نعتد إلا على وعددها ، وأنه مستعد لأن يسافر ، ويتخذ ما يجب في هذا الصدد ، مقابل مكافأة مالية طلبها .

وقال يوسف باشا إن عارف باشا قابل اسماعيل حقي بك ، القوميسير العثماني في مصر ، وروى عنه أنه من اللازم أن يكون عند سمو الخديو الآن مائة ألف جنيه ، لصرفها على من يساعدنا للوصول إلى غايتنا . فقال سموه : لا بأس بإيجاد الأشخاص الذين يساعدوننا ؛ ووعدهم بالمكافأة عندما نبلغ غايتنا .

تركية تعلن الحرب على روسيا وإنجلترا وفرنسا . في ٣٠ أكتوبر توجهت مع أفندينا لتشریفات العيد في سراى ضو له بغجه ، ورافقنا أيضاً يوسف صديق باشا ، وعارف باشا ، و ابراهيم أدهم بك ، واثنان من الضباط . فيوسف وعارف مرا أمام السلطان ، مثل باقي المأمورين العثمانيين ؛ وأما أنا ، فلا في مرتد رديجوت بدلا من الاسلامبولية ، تفرجت مع الضباط من فوق صالة العرش . وكان الخديو واقفاً مع الأمراء العثمانيين ، ومنهم ولي العهد عن يمين السلطان ؛ والوكلاء — ما عدا الصدر الذي قيل عنه إنه مريض (والحقيقة أنه كان غاضباً لما سمعه من تعدى الوابورات الحرية العثمانية على الموانئ الروسية دون علمه) — وقفوا عن يسار الخليفة . وقبل انتهاء التشریفات بقليل ، جاء يوسف وعارف لنا ، وأخبرنا بأن دارعتين من الأسطول العثماني تلاقتا مع مركبين « طوربيدو » ومدفعتين من الأسطول الروسي ، كانت تخفر وابورات وضع الألغام ، على بعد خمسين ميلا من بوغاز البحر الأسود ، فالدرعتان العثمانيتان أطلقتا النيران على هذه المراكب ، فأغرقتها ، وأسرتا سبعين نفراً ، وخمسة ضباط ، أحدهم ربان وأحضرهم إلى الأستانة ؛ ثم توجه الأسطول العثماني إلى الموانئ الروسية ، ومنها سواستبول وأودسا ، وأحرق ما بها من مخازن البترول ، والمخازن العسكرية ، وأغرق ما في الموانئ من الوابورات الروسية النقلة ، وعددها واحد وعشرون .

ولما خرجنا مع أفندينا ، أخبرنا بأن السلطان أعلمه بذلك ، وكان الخبر منتشرأ في بيوغلي أمس بعد الساعة الخامسة مساء ، من برقية وردت من قنصلية إنجلترا في أودسا إلى السفارة في الأستانة ؛ وسأل السفير الصدر في المساء عن هذا الخبر ، فقال إنه لا يعرف شيئاً ؛ ولما سأل الصدر أنور باشا ، قال الأخير : نعم إنني سمعت بهذه الاشاعة . فكأن الألمان هم الذين دبروا هذا الأمر بدون أوامر .

وفي ٣١ منه حضر أنور باشا ، وأخبر الخديو بما حصل من تخريب الأسطول التركي للموانئ الروسية ، فأخبره سموه بأنه لما زار الأمير سعيد باشا الصدر ، علم منه ما يفيد أن الحرب لا تكون بين الدولة وروسيا . ولهذا فانه استرجع الأسطول العثماني ، وأشار من النافذة إلى « جون » الألمانية ، وقال ها هو ذا الأسطول . وإن الصدر يلقى تبعة ما جرى في البحر الأسود على الألمان ، فقال أنور باشا إنه أعد جوازات السفراء الثلاثة (سفراء روسيا وإنجلترا وفرنسا) ، وأكد لأفندينا أنهم سيسافرون .

وبالفعل أتى لما كنت عند فريد بك — ومسكنه أمام السفارة الروسية — وجدت جموعاً كثيرة أمام السفارة تنتظر خروج السفير

ولما كان أنور باشا وأفندينا يتحادثان، حضر جمال باشا ناظر البحرية؛ ولهذا لم يتمكننا من الاستمرار في الكلام. وقد خطر ببال أنور باشا أن الحديو ربما يظن أنه متفق مع زميله على أن يحضر عقب زيارته، حتى لا يدع وقتاً للمسكلة؛ فأقسم أنور باشا بأن زيارة جمال باشا الآن هي من المصادفة، وأنه لا مانع من قبوله بوجود أنور باشا؛ لأنهما على وفاق تام — وقد كان ذلك.

وفي ٢ نوفمبر حضر الصدر، وزار أفندينا في بيك، وعلم سموه أن الروس تجاوزوا الحدود العثمانية قاصدين أرضروم، فسأله أفندينا عما إذا كانت الدولة في حالة حرب مع روسيا وانسكترا وفرنسا. فقال: لا. وقد حضر البرنس ابراهيم حلي، فقال إنه سمع الصدر يقول: مدمت في الصدارة، فلا أعلن حرباً. وقال عن الألمانين الذين أحدثوا واقعة البحر الأسود: سأؤدهم (يعني يهددهم). ولكن سموه قال بأن هذا يخالف قبوله نقود ألمانيا، ووجود سبعة آلاف ألماني في الجيش العثماني: البري والبحري، وأربعمائه مدفع؛ وهذه المساعدات كلها لدخول تركيا في الحرب.

وقد زار الحديو سفير ألمانيا، ومن المحادثة ظهر له أن الصدر لا يرغب في دخول الدولة في الحرب، وإلا فسيستقيل؛ وهذا يطابق ما قاله سفير النمسا. وأضاف سفير ألمانيا أن معتمد أمريكا طلب من أنور باشا وطلعت بك وجمال باشا أن يجتهدوا في منع الاستقالة. ولهذا اجتمع مجلس الاتحاد والترقي، وقرر باتحاد الآراء تأييد ما فعلته الحكومة بدخول الحرب، وعدم قبول استقالة الصدر، مع تغيير بعض الوزراء غير الموافقين على الحرب، وهم جاويد بك ووزير المالية، ومحمود باشا وزير النافعة، والبستاني بك ووزير الزراعة والبريد. ثم أثنى السفير الألماني على طلعت بك، وقال إنه أتى وتعاهد معه على السير مع ألمانيا، قائلاً: إن كسبت كسبنا، وإن خسرت خسرنا، وقال إنه يوجد وعد واتفاق بين انجلترا والصدر — على ماهو ظاهر من الأحوال — على ألا تحصل حرب؛ ومع هذا حصلت واقعة البحر الأسود. فأكد الصدر للسفير المذكور أنه إذا دخلت الدولة في الحرب، فانه لا بد أن يستقيل؛ فلما طلب السفير جواز السفر لقطع العلائق، طلب أيضاً من الصدر الاستقالة قبل خروجه، ولكن الصدر أرغم على البقاء من جمعية الاتحاد، كما تقدم

وفي ٣ نوفمبر بلغنا أن الأسطول الانجليزي أطلق النار مدة عشر دقائق على استحكامات الدردنيل، التي ردت عليه؛ ويقال إنها أصابت المراكب الانجليزية الكبيرة بعطب، فشببت النار فيها.

وبلغنا أن الجيوش التركية اجتازت حدود روسيا، وتوغلت فيها مقدار عشرين كيلو متراً، وأن عدد الأتراك ثلاثون ألفاً، وأن الروس مائة وخمسون ألفاً.

وفي ١٣ منه كان سمو الخديو قلق البال، لأنه سمع من السفراء خبر اندحار الألمان في روسيا، وأن ألمانيا عرضت الصلح على الدول المتحاربة، فقبلته روسيا وفرنسا، ولكن إنجلترا رفضته. وقد قال سموه إننا حتى الآن لم نأت بعمل يعتبر عدائياً نحو إنجلترا التي طلبت ألا نرجع إلى مصر، فقبلت طلبها؛ وموقفنا على العموم موقف شهامة.

وفي ٢٥ نوفمبر زار الجناح العالي سفير الولايات المتحدة، فعلم منه أن لأمريكا مربيين حربيين: أحدهما إير بشواطيء سوريا، والآخر في جزر الأرخيبيل؛ وأن رفاصاً أمريكياً كان يريد دخول أزمير، وعليه قائد المركب الحربي، فأطلقت عليه الحصون العثمانية طلقتين بدون رصاص، ثم طلقاً ثالثاً محشواً بالرصاص، فرجع القائد، وأرسل برقية إلى سفيره في الاستانة، طالباً منه الإذن في ضرب حصون أزمير، فمنعه السفير، فاغتاظ القائد وشكاه إلى حكومته، فاضطر السفير أن يطلب من أنور باشا تقريراً يبرر به أوامر المنع، فتم له ما أراد.

وقال السفير إن الضباط البحريين بين الأمريكيين جميعاً، حتى الذين يقيمون منهم في أمريكا، هم في جانب إنجلترا، وأن رأيه أن الحرب العامة لا تستمر أكثر من ثلاثة أشهر، ومن المحتمل عقد الصلح بين ألمانيا وفرنسا. ولكن ليس مع إنجلترا إلا إذا كانت ألمانيا تحاصر ولو جزءاً من سواحل إنجلترا، لقطع المواصلات عنها؛ وعند ذلك تضطر أن تطلب منازلة ألمانيا بحرياً. فإذا أمكنها أن تمحو الأسطول الألماني، ولو أفقدها ذلك ثلث مراكبها الحربية، فعندئذ تقبل الدخول في الصلح.

البعثات الخديوية للحام بالحملة التركية. في ٥ نوفمبر أبدى الخديو كدره من عارف باشا؛ لأنه كلفه مهمة، هي الحصول على بعض استعلامات، فلم يقم بها؛ وقد أملى سموه الأسئلة التالية ليحضر أجوبتها عارف باشا، وهي: —

- (١) المدة التي يقطعها القطار المخصوص من الاستانة إلى « بوزات » ، وهل يسير ليلاً ونهاراً ، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟
- (٢) المسافة بين بوزاتى وقولاق بوغاز ، وبأية صفة تقطع ؟ وهل توجد سيارات أو عربات ؟
- (٣) ماهى المسافة بين قولاق بوغاز واسكندرونة بالسكة الحديد ؟ وهل تقطع نهاراً وليلاً ، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟ وما هو الأفضل : طريق اسكندرونة - حلب ، أو طريق معمورة - حلب ؟
- (٤) المسافة بين اسكندرونة لحلب ٢٤٠ كيلو متراً على ما يقال ؛ فهل المسير على عربة أو سيارة ؟ وكـم يستغرق قطعها ؟ وأين يكون المبيت ؟
- (٥) من حلب لنابلس ، من أى طريق يكون المسير ؟ وهل توجد عربات للتغير ؟ وماهى المسافات والساعات اللازمة لقطع كل مسافة ؟
- (٦) من بعد نابلس إلى الحدود المصرية ، هل يوجد طريق للعربات والسيارات ؟ ومعرفة المسافات والساعات ؟

(٧) ما كيفية نقل العفش ؟ هل يكون على عربات ، أو على دواب ؟ وقد تقرر أن تكون التجريدة إلى الحدود من قبل الخديو مؤلفة من الشيخ محمد عثمان ، واليوزباشى محمد افندى زكى ، والملازم الثانى أحمد سلام افندى ، من ضباط المحروسة ؛ وعسكريين سودانيين ، وسائس ؛ ومعهم من الركائب أربعة خيول وهذه هى الأوامر التى صدرت مساء اليوم :

(١) تجهز ثلاثة خيول للركوب ، ورابعها الحصان الأبيض ، وعليها أربعة سروج ، منها اثنان خصوصيان ، واثنان عاديان ؛ وأدوات نظافة وعليق وتبن لمدة ثلاثة أيام . تشحن الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة ٦ نوفمبر ، ومع الكل سائس واحد وعسكريان سودانيان

(٢) عند الوصول لنابلس تترك الخيول وأدواتها والسائس وعسكري سودانى والملازم سلام ، ويترك مع الأخير خمسون جندياً عثمانياً ، ومثلها انجليزياً ، ويخصص من كل من المبلغين خمسة جنيهات للصرف على الملازم والسائس والعسكري ، لحين وصول عبد الله افندى البشرى ؛ وحينئذ يسلم المبلغ الباقي ، ثم يقوم الشيخ عثمان ، ورسمى

أفندى، وعسكري سوداني للعريش، ويتخذونها مركزا

(٣) بواسطة الشيخ القالوجي والشيخ كريم من أهالي العريش، يبحث عن الأشخاص الذين كانوا مستخدمين في الحكومة المصرية، وفصلوا منها. وبعد ذلك يؤخذ من كل فرد منهم على حدة ما عنده من المعلومات، وذلك في محل أمين محكم؛ ثم يعمل عنها ملخص في رسالة ترسل مع مخصوص للحكومة العثمانية هناك، ويكتب عليه «مهم، ليسرع في إرساله لجبوقلي بالبريد السريع؛ أما الأخبار المهمة التي يلزم إرسالها بالبرق، فترسل بالشفرة».

(٤) إذا رفض مأمور التلغراف تسلم البرقية، يخبر قومندان عموم الجيش في الشام بذلك؛ وإذا لم يرد منه ترخيص، فيرسل لنا برقية مفتوحة بذلك.

(٥) عند قيام أى بوستة من طرفهم، يرسلون برقية مضمونها: «اليوم بوستة مهمة، مثلا».

(٦) عند الوصول إلى العريش، يلزم جمع من كانوا في خدمة الحكومة وفصلوا، من عساكر، وسعاة، وعمال تلغراف، ومخبرين ويسلمون لرسمى أفندى، لترتيبهم حسبما كانوا قبل فصلهم؛ إلا الذين يكونون في خدمة الجيش العثماني.

(٧) يقيم الشيخ عثمان في العريش، ويكون رسمى أفندى مع الدوريات التركية، بعد الاتفاق مع ضباط الجيش، بحيث لا يكونون مشتمين من ذلك.

(٨) يكون البوليس في العريش مع رسمى أفندى في الدوريات.

(٩) تتحقق من الأشخاص الذين يتجسسون لحساب الانجليز، ويخبر عنهم.

(١٠) عند الوصول إلى طوروس، يستفهم بطريقة غير محسوسة عما عمل من الاستعداد لترحيل حملة الخديو.

(١١) ترسل برقية من آخر نقطة يصلون إليها، إن كان بالعريش تلغراف.

(١٢) يرسل من كل محطة كارت بوستال، كتنوير مختصر عن كل ما يرى.

(١٣) أخذ عليقة ثلاثة أيام من أطنه، وخمسة أيام من نابلس، بمعركة سلام أفندى.

(١٤) مقابلة قومندان الجيش بالشام، والتكلم معه في شأن إرسال التلغرافات.

الشفرة وغيرها بجانباً عند النقطة المركزية للحملة، ويؤخذ منه جواب للمركز بذلك، ويستعلم منه عن آخر نقطة فيها تلغراف.

(١٥) يرسل تلغراف من أطنه لعبد السلام الحسيني بالقدس، للحضور لنا بلس؛ ويستفهم منه عما إذا كانت توجد هناك خيام جاهزة، وما نوع قماشها، وما حجمها؟ ويكتب بذلك مذكرة.

(١٦) يبحث عن الخيام بالشام، ويعلم حجمها، وعدد خاناتها، وثمنها، وجنس قماشها؛ ويرسل بها مذكرة.

(١٧) يبحث في العريش عن محل للمعسكر الخديوي، وهل جرى في القلعة شيء؟

(١٨) إذا كانت الحكومة لم تحتل العريش للآن، فيكون مركز الحملة خان يوسف بالليل، ونهاراً بالعريش؛ مع الحذر.

(١٩) عند وصول الحملة إلى النقطة النهائية، يرسل تقرير لعبد الله أفندي البشري صورة منه لسلام أفندي؛ وصفاً للرحلة.

(٢٠) الإقامة بالعريش تكون بمنزل كريم أو القالوجي أو بالقلعة، إن كانت سليمة.

(٢١) عند الوصول إلى غزة يستعلم عن كيفية ورود المخابرات التي كانت جارية بين قنصل أنكلترا بها ومحافظ بور سعيد، ومن هم الذين كانوا أرسلهم.

(٢٢) يجمع العربان والمشايخ، ويخطب فيهم بالواقع، لتفهمهم سوء معاملة الانجليز للخديو، واستعداد سموه للدخول لمصر عن طريق البر... الخ.

وقد سمع عارف باشا من نظارة الحربية (ولعله من سليمان نعمان باشا الحكيم) أن سمو الخديو سيكون قومنداناً عاماً للحملة التركية.

وفي ٦ نوفمبر جاء طاهر رمزي باشا رئيس الياوران الخديوي سابقاً، وطلب من أفندينا أن يكون في خدمته عند الزحف على مصر، كما أن الدكتور رؤوف باشا التركي الذي توطن في مصر، وحضر للاستانة، طلب ذلك.

وفي ١٥ منه سافرت البعثة الثانية إلى الحدود، وكانت مؤلفة من القائمقام توفيق فهمي بك ياور الجناح الخديوي، ومسعود أفندي عمر الملازم، والصول موسى محمد، وهما من السودانيين، وسبعة خفراء من الأتراك (قوروجية)، وأربعة من العساكر المصريين، وتركيبين من سائقي السيارات، وثلاثة خيمية، وأربعة سياس من المصريين؛



توفيق فهمي بك

ومصريين ومعهم تعيينات ومهمات وخلافه . وكان يرافقهم اسماعيل لبيب بك ، حاملاً نسخ المنشور الخديوي^(١)، ومعه ٥ من الشبان المصريين الذين كانوا يدرسون الطب في لوندرة .

وفي غروب يوم ١٦ منه ، وردت برقية بالشفرة من الشيخ محمد عثمان بدمشق الشام ، يقول فيها إنه تقابل بكريس بك رئيس أركان الحرب الألماني مع قائد القوة هناك ، وأن كريس بك أجابه إلى كل طلباته ، وبالطبع منها إرسال تلغراف بالشفرة ؛ وقد علم الشيخ أن التجريدة العثمانية لا ينتظر سيرها على مصر قبل سبعة أسابيع ، وذلك لاتمام المعدات اللازمة لهذه الحملة ؛ وأن ألقي عري ، بقيادة ممتاز بك (صديق أنور باشا ، وكان معه في طرابلس ، ومنذوبه على الحدود المصرية) قد تحرکوا على سكة العريش ؛ وأن ألقي عري آخرين تحرکوا بقيادة ضابط آخر من جهة طريق العقبة . والمهم في هذه البرقية هو أن الجناح العالي يستطيع الآن أن ينتظر مدة في الاستانة إلى أن يقرب تحرک الجيش الحقيقي بعد سبعة أسابيع ؛ وهذا ما يفسر أن أنور باشا كان على الدوام يدعو أفندينا إلى الانتظار .

(١) لم يكن المنشور قد أعدم حتى هذا التاريخ ، كما سبق في المذكرات

ومع هذه البعثة عشرون خزاناً من الصاج للبياه ، و ١٨ حصاناً و ٤ بغال وخيام ، ومنها اثنتان جبلتان لسمو الخديو ، و ١٢ للكبراء والياوران ، و ١٠ خيام للخدم والعساكر و ٢ للطبخ و ٢ للراحض و ٣٠ سرجاً للخيل . و ١٠ بطانيات صوف للكبراء ، ولوازم الراحة والنظافة والنور . وقد انضم في أفيون قره حصار إلى هذه البعثة جزء منها كان قد سافر قبلها ، مؤلف من طبيب ، وصيدلي ، و ٣ من ملازمين الثواني ، و ٤٣ صف ضابط وعساكر سودانيين

وفي ١٧ منه وصلت برقية ثانية بالشفرة من الشيخ عثمان ، هذا نصها :

« كريس بك غير موافق على إرسال بعثة عبد الله فوراً إلى العريش ، ويستحسن بقاؤها في دمشق أو بيت المقدس ، حتى يعمل ترتيب ؛ لأنه يخشى أن إرسال حملة الجناح العالي من ينبع إلى العريش ، ومعها باشجاويش وثمانية أنفار ، يلتفت إليها . أما نحن فلا مانع من وجودنا بالعريش ؛ وهو يلح في رجاء المحافظة على كتان سر حركاتهم ، وينصح ألا يقوم الجناح العالي من جبوقلي ، إلا بعد أن يخبركم هو بذلك ، لأنه أعلم من غيره .

وفي ١٨ منه رأى الخديو عمل يومية عن تنقلات البعثة من أفراد ومهمات . وأمر بجمع الأوراق المتعلقة بذلك ، كما أمر رمزي طاهر باشا بمراجعتها .

وفي ١٩ منه سافر من الاستانة إلى أزمير ، ومنها إلى الضلطان ، سواق السيارة الفرنسي مسيو ايفاسور ، ليكون هناك في الضلطان ، ويرحل سيارتين إلى الاسكندرونة ، فينتظر بها الأوامر ليقوم إلى جهة تعين له فيما بعد ، انتظاراً لمرور الجناح العالي بها . وفي ٢٣ منه وصل القائمقام توفيق بك فهمي قائد البعثة الثانية إلى الاسكندرونة ؛ وكان المقرر أن تبقى بها بقية البعثة حتى يصل إليها الجناح الخديوي .

وفي ١٠ ديسمبر انتقد سموه على محمود أفندي رسمي الضابط الذي أرسله إلى غزه ، لأنه أطاع جمال باشا ؛ وذهب إلى دمشق بدون إذن سموه .

في ١١ منه ، في أثناء انتقال سموه من جبوقلي إلى بيبك ، أخرج من جيبه ثلاث برقيات من القائمقام توفيق فهمي بك ، قومندان البعثة الخديوية ، يقول فيها : إنه صدر أمر من جمال باشا بواسطة قومندان الجهة ، أن يقوم في الحال من بيلان ، وهي الجهة التي هو بها ، ويرجع إلى الاستانة ؛ وأن أحد الضباط المصريين الذين هم تحت أمره في قولاق بوغاز ، صدر له أمر بهذا المعنى ، فأجابه توفيق بك على ذلك بأنه لا يستطيع أن يتحرك إلا بأمر من الجناح الخديوي ، وأنه كتب إلى مرءوسيه بهذا المعنى . وبعد هذا طلبت السلطة المحلية أن تنقل الأشياء والحيوانات من بيلان إلى الاسكندرونة ، وأن يبقى هو في بيلان إلى أن يصدر أمر الجناح الخديوي بالقيام ، فرفض توفيق بك أن يصدر بهذه الإشارة بالمثل ، وأنى أن يتحرك إلا إذا صدر له أمر أفدينا .

وفي ١٢ منه توجه سموه إلى بيبك ، وقابل البرنس ابراهيم حلي باشا ، وسيف الله يسرى باشا ، ومحمد عزت باشا ، ثم محمد فريد بك ؛ وقد أطلعهم سموه على

البرقيات الواردة من توفيق فهمى بك ، فكان وقعها سيئاً جداً على فريد بك .

سمور الخديو في ظروف مختلفة . تحت هذا العنوان سجلت حالات الخديو النفسية ، وشعوره في بعض الظروف التي كانت تحيط به في الأستانة ، وبال قضية المصرية : ففي ٤ نوفمبر كان سموه يفكر كثيراً في المصريين بعد إعلان الحرب ، ويتساءل عن حالهم مع الانجليز ، ويقول إن الموجودين الآن خارج القطر من السعداء ، فالحمد لله على وجودنا في الأستانة . وقال أيضاً : وأظن حالة رشدى باشا على الخصوص صعبة حرجة ؛ وأظهر التأسف والحنان على رجاله ، وعلى المصريين عموماً .

وفي ٥ نوفمبر قال الخديو : إننى أشعر أن علىّ واجباً ساءُديه دائماً متى رجعنا إن شاء الله لمصر ، وهو أن أمتنع تدخل الحزب الوطنى أو أى حزب آخر في أمور الجيش ، بل أجعله بعيداً عن السياسة ؛ وأجعله في الوقت نفسه مطيعاً لى .

وقال سموه : إن ملك أسبانيا موجود في وسط أحزاب ثورية ، وديمقراطية ، وجمهورية ؛ ولكن القوة التي يعتمد عليها في بقاء ملكه هي قوة الجيش ؛ فانها في قبضة يده .

وفي ١١ نوفمبر كنت بحضرة الخديو مع فريد بك ولبيب بك ، فتأثرت بما فاه لنا به سموه ، خصوصاً قوله : « إننى أهتم بالمسألة المصرية ؛ لأننى أعرف أن دم الأهلئ نشيط ؛ ويجب أن يعمل ، ويتقدم ، وياخذ بالعلوم العصرية ، ويسير في طريق النجاح ؛ وحرام أن تترك أمة لها هذه الصفات التي لولها لما كنت أهتم بها ، وأشتغل لمساعدتها ، ولا كتفيت بالثلاث والعشرين سنة في الحكم ، وقعدت في بيتى . فاهتمى بالحملة واجب علىّ ، كما يجب منع كل شقاق يحصل بين الأهلئ . نعم إنه توجد أحزاب ، ولكنها ترمى إلى غاية واحدة ، وهي خلاص البلاد من أى احتلال أجنبي . فأنا أساعد الجميع ؛ لأن غايتهم غايئى . »

وفي ٢١ نوفمبر بعد أن تناول سموه الغداء ، أعرب عن أسفه ، لأن الأمة المصرية ليست بقادرة على إثبات حقوقها ، وحفظ كرامتها بقوتها الذاتية ؛ وروى أنه لما كان ولياً للعهد ، كان يقرأ بعض أشياء ووقائع في الصحف ، فلا تعجبه بعض التصرفات التي يقرأ عنها ، ويفضى باحساسه هذا إلى المرحوم والده ، فكان يصغى لما يقول ؛ إلا في مرة من المرات ، دعاه فيها أن يسكت قائلاً له : إن من يقول بقولك يجب أن يعتمد على قوة من الأمة ، والأمة — مع الأسف — ليست بذات روح . ومما قاله سموه في هذه

الجلسة في سياق الكلام عن حياته السياسية : إنني لما توليت الحكم كنت صغير السن ، وأقيمت ثلاثا وعشرين سنة أنتقل فيها من شدة إلى أخرى : فقابلني في أول أمرى مسألة إسقاط نظارة مصطفى فهمى باشا ، وبعدها حادثة رياض باشا في الفيوم ، وطلب منى التوقيع على بلاغ رسمى باستحسانى لما شاهدته من نظام الجيش ، فسألته الانتظار حتى نبلغ القاهرة ، وربما تكلمت مع قنصل انجلترا الجنرال فى ذلك . وطلبت منه أن يعدل عن خطته ، فصور لى أنه لابد من التوقيع قبل دخول القاهرة وإلا حدث ما لا تحمد عقباه ، فوقعت . وما قصد الانجليز بذلك إلا أن يمسوا نفوذى ، وينقصوا من سلطتى . وقد بقيت بعد هذا الحادث فى حياة كلها صراع ، ودخلت البلد ولم يكن فيه غير مستشار الداخلية ، ومستشار الحفانية من الموظفين الانجليز ؛ ثم ما لبثوا أن ملثوا المصالح المصرية بهم . والمصلحة الوحيدة التى بقيت بأيدينا ، وهى مصلحة الأوقاف ؛ وكنا نظن أنها تبقى دون أن يمسه الاحتلال ؛ لأن لها علاقة بالدين ، ولكنهم فى السنة الماضية أخذوها منا . وقد بلغ من تأثرى المترتب على هذا الصراع الدائم أنى اعتقدت أن شتاء السنة الماضية هو آخر شتاء لى فى مصر ، وأن الانجليز سيمنعوننى فى صورة من الصور من العودة إلى بلادى . هذا فضلا عن التهديدات التى كانت موجهة إلى شخصى . ثم انتقل سموه إلى فكرة أخرى ، قائلا : لقد عشنا طول مدة الاحتلال الانجليزى ونحن نقول : يجب ألا نعمل هذا حتى لا يغضب الانجليز . وإنى لأخشى أن نقول من جديد متى دخل الجيش العثمانى مصر ، يجب ألا نعمل هذا حتى لا يغضب العثمانيون ، فنبقى على الدوام عبيداً لغيرنا . إنى لست رجل مصلحة ، وإنما أنا أبحث عن مصلحة مصر ، قبل كل شئ .

فاذا كان دخولنا مصر لا يحقق مصلحتها ، فاذا يفيد دخولنا إياها ؟ وماذا تجدى عليها عودتنا إليها ، إذا كنا نجد فيها جماعة قد حولوا المصريين من كونهم عبيداً للانجليز إلى كونهم عبيداً للعثمانيين ؟ وكيف يضمن أى مناسلا مته ، إذا دخل مصر فى هذه الظروف ؟

ثم وجه الكلام إلى فريد بك قائلا : لا يبعد أن هؤلاء الناس يأخذونك أنت وغيرك للاعدام أو للسجن ، فهذه حالة سيئة .

وسكت سموه ثم قال : إننى رجل إذا قلت كلمة شرف ، تمسكت بها ، وإنى أحمد الله على هذا الخلق . وقد أعطيت السفارة الألمانية كلمتى : أن أكون صريحا مع العثمانيين ،

وصافيت رجال الحكومة العثمانية ؛ ولكن هؤلاء الرجال لم يظهروا لنا صفاء يقابل صفاءنا .

وقد اقترحت في نفس هذه الجلسة ثلاث اقترحات :

(١) أن يسافر فريد بك مع الحملة العثمانية

(٢) أن يرسل معها قوميسيرا يمثل السلطة الخديوية ، وذلك لأنه عند دخول الجيش يجب أن يعلم الناس أن هذه السلطة لازالت قائمة ، ولأنه من الواجب اشتراك هذه السلطة مع الجيش العثماني في القيام بالأعمال التمهيدية اللازمة لحين رجوع الجناب العالي إلى مقر ملكه .

قلت إن هذه الخطة كان قد اتبعها المرحوم توفيق باشا في الحوادث العراقية ، إذ أوفد سلطان باشا وبعض ضباط المعية مع الجيش المحتل (وهنا قال فريد بك : وكان مع سلطان باشا والدى أيضاً)

وفوق هذا فإن على الحملة مندوباً يمثل جمعية الاتحاد والترقي ، وهو اسماعيل حقي بك ؛ ومندوباً آخر يمثل ناظر الحرية أنور باشا ، وهو ممتاز بك . فمن الواجب أن يسير معها مندوب يمثل السلطة الخديوية

أما الخديو فلم يبد رأياً في هذا الموضوع .

(٣) أن يسافر أحد رجال الجناب العالي كيوسف صديق باشا مثلاً إلى أوروبا ، لتعرف الحالة هناك بالانضمام إلى الأمير محمد علي ، وتكوين هيئة منها للحصول على التأكيدات من بعض الملوك بعدم من امتياز مصر .

وفي هذا اليوم قال سموه : إن بدرى بك ، الذى تولى التحقيق من قبل الدولة فى حادثة الاعتداء ، كان يعارض فى القبض على الدكتور فؤاد ، ويقول : إنى أقبض على كل من يطلبون القبض عليه إلا الدكتور ، فليأذا ذلك ؟ وهل بعد كل هذا يسمحون له بدخول مصر ؟ وقال سموه : ولا شك أن دخوله علامة على نيات لانعرفها ، فهم سيولونه إدارة الضبط ، وعند ذلك تصبح البلد سيئة الحال . ثم سكت سموه قليلا ، وقال : ماذا تكون الحال إذا أمرنا ناظر الحقانية فى مصر بالقبض على الدكتور فؤاد ومحاكمته ؟ وحينذاك يكون أول إشكال بيننا وبين العثمانيين .

ثم قال سموه على أثر إشارة أباها جلال الدين باشا : إنى رجل عشت مرفوع

الرأس، وأفضل أن أعيش فرداً فقيراً على أن أكون خديوياً في ظروف لا أستطيع فيها أن أخدم بلادى .

وبالجملة فقد كان الخديو في غاية التأثر اليوم من هذه الحوادث، وكان كلما أبدى أحد رجال الحاشية أن هذه تدابير الشيخ جاويز أو الصدر الأعظم، يقول : لا، هذا عمل رجال الاتحاد والترقى .

وفي ٢٢ منه قال الخديو عن خطة الانجليز إزاء سموه : إنهم ينتظرون قيامى من الاستانة إلى مصر بطريق البر، ليعتبروا هذه الحركة عصياناً لحكمومتهم، فيشرعوا بعد ذلك في تعيين البرنس حسين كامل، وفي وضع أيديهم على أملاكى الخاصة .

وفي ٢٤ منه ذكر سموه أن الأتراك يفكرون في الطرق والوسائل الواجب اتباعها لمنع المظاهرات لسموه في أثناء مرور ركابه العالى في البلاد السورية . ومما فكروا فيه أن يجعلوا جلالة السلطان محمد الخامس يصاحب سموه بطول الطريق، حتى إذا حدثت مظاهرات تكون معتبرة كأنها موجهة لجلالته لا لسموه .

وفي ٢٥ منه ظهرت وطنية سموه بأجلى مظاهرها في أثناء تناول الغداء، وكان الكلام دأراً على الوطنية، فقال : كيف لا تكون لى وطنية مصرية ؟ إننى لو رفضت عائلتى هذه الوطنية لتبرأت منها . وكان هذا بمناسبة قول الدكتور سيد كامل، بأنه عمل بدلة نفر عسكرية، ووضع له أزراراً مصرية . فقال أفندينا : نعم، وفاء بالعبارة المتقدمة .

في أول ديسمبر بعد مقابلة عباس لسفير ألمانيا، وكلام سموه له بشدة عن معاملة الأتراك السيئة له، روى لنا ما جرى بينهما وهو متألم أشد الألم، حتى أنه قال :

إننى لم أخطئ مرة في عمرى مثل هذا الخطأ، ولم أقع على بوزى (وجهى) مثلاً وقعت في هذه المرة . وأنا لا أدري بأى وجه أقابل الناس بعد وقوعى في هذا الفخ (أى بعد الثقة في رجال الدولة العثمانية، وعدم مقابلتهم المثل بالمثل) . بأى وجه أقابل حسين رشدى باشا، وقد أرسل يقول لى أن سياستى عظيمة الخطأ ؟ وعدلى يكن باشا وهو الذى كتب تلغرافاً مفتوحاً بأنه لا يوافق على هذه السياسة ؟ والمسكين محب باشا الذى بقينا نقتعه بصواب سياستنا حتى قال : ها إنى معكم ؟ وأبأظه باشا الذى كنا نقول دائماً إنه لا يلبث على مبدأ ؟ وعثمان مرتضى ؟ هؤلاء الناس محقون ونحن المخطئون !

وذكر الدكتور سيد كامل سموه أنه من الضروري ترك الاستانة في أقرب وقت ، والاقامة في الخارج إلى أن تنتهي الحرب ، وأن ما يجب أن يعنوا به في الوقت الحاضر هو الخروج من أرض الدولة .

فقال الخديو : المسألة أن نخرج مسلمين . ثم قال : لستم أنتم الذين أصابكم الرصاص الذي أصابني .

وذكر الدكتور سيد كامل أنه يجب بعد الخروج من حدود الدولة ، أن تصحح سياستنا قومية ، بحيث لا الانجليز ولا الأتراك يستطيعون أن يعيبوا علينا خطتنا ، لأننا نخلصون لمبادئنا في خدمة مصر ، من أول الأمر إلى النهاية .

فقال الخديو : إن الأتراك أظهروا اشمئزازهم لفكرة مصاحبة سموه للجيش العثماني إلى مصر ، حتى أن ولي العهد عز الدين أفندي طلب أن يرافق هو هذا الجيش بدلا من الخديو الذي هو أجنبي ، على قول ولي العهد . والخلاصة أن سموه كان يتألم لأنه وثق بالأتراك ، وتعاهد معهم ، خانوا عهده؛ حتى أنه قال :

« إنني لا أكاد أصدق أن هؤلاء الأتراك وهم مسلمون مثلي يمدونني هذه الخديعة » .
في ٧ ديسمبر توجه الجناب الخديوي إلى بلك ، حيث زاره فيها الدكتور خيرى باشا الطبيب الخاص لجلالة السلطان ومعه ثابت بك ، ودار الحديث بينهما وبين سموه في مسألة زواج الأمير عبد المنعم من إحدى كريمات السلطان ، فأظهر سموه نفوره وعدم ارتياحه لمحدثه في مثل هذه الظروف الحاضرة . ثم قال بالفرنسية : كنت أَرْضَى أن أصفح ، ولا أكلم في مسألة زواج . هل هذا الوقت وقت زواج ؟ وفي أثناء تناول الطعام اليوم ، صرح الجناب العالى بشدة ميله إلى فرنسا ، وأسفه على المصائب العظيمة التي تحيق بها في الوقت الحاضر .

وفي ١٠ منه حادث سموه حاشيته كالمعتاد ، فظهر أن ينظر إلى مستقبل القطر عند دخول الأتراك نظرة سوداء ، فقد طعن في إدارة الأتراك ، وتكلم عن عدم كفاءتهم للحكم ، وذكر خطبة لسعد باشا زغلول عن حكم المصريين لأنفسهم وقال : إنني أحمد الله لأنه لا طريقة للبواصلة بيني وبين سعد باشا . وسيعلم الأتراك من كلام سعد باشا أن هذا هو إحساس المصريين بدون تأثر مني . أما الفريق الديني المتطرف من الحزب الوطني وعامة الشعب فيسجد الأتراك ، ويظهر سرورا لتوليهم الحكم في القطر .

ثم أبدى سموه تخوفه الشديد من أعمال الأتراك في مصر ، وأنه يتوقع منهم التخريب ؛ ولكن الذى يخافه أكثر هو ليس التخريب المادى ، بل إفساد الأفكار وتسميمها ، حتى أن سموه يتوقع أنهم متى دخلوا القطر ، هبأوا ثورة في البلاد سيئة العاقبة . وكان دائماً يقول : إن الأتراك بمجرد دخولهم ينشئون في طول القطر وعرضه جمعيات للاتحاد والترقى ، فيقسمون الشعب أحزاباً غير مفيدة للبلد ؛ وكذلك يستعمل القائد بحال باشا سلطته ، ويمتص دم المصريين ؛ ويجلس أحد المصريين المعادين لنا على بابهِ كتشريقاتى ، ليدخل العمدة والأعيان ، فيأتونه بالمال والعقار . ثم قال سموه : ومن يدري إذا كانوا يستعملون ضدى السلاح من جديد (مشيراً بذلك إلى حادثة الاعتداء) . واستشهد سموه على ما تقدم بأن الأتراك أدخلوا إلى مصر كمية عظيمة من الديناميت ؛ ثم عاد فأبدى خوفه الشديد من أن ينقاد المصريون إلى الأتراك انقياداً أعمى ، وقال : إن الأتراك ينوون إبقاء جيش منهم في القطر (وهذا ما سمعته أنا أيضاً عندما كنت في روما من السفير العثمانى) يقدر بثمانية آلاف عسكري ، لتعليم الجيش المصرى . ثم عاد سموه فأظهر أن الحزب الداخلى إلى مصر مؤلف من فؤاد سليم بك ، والدكتور أحمد فؤاد ، وحلى المسالى افسدى ، وأمشاهم ، سيشتغلون بأعداد حركة ثورية في مصر .

وقد حاول جميع الحاضرين تخفيف هذه الصورة السوداء التى رسمها سموه . ولكنه لم يقتنع ، وقال : سأذكركم بكلامى هذا فيما بعد ، فلا تنسوه .

وفصل سموه سياسة الأتراك نحوه في هذه الأيام الأخيرة ، قائلاً : إن رجال الحكومة هنا كانوا يريدون أن يدخلوا مصر ، ثم يضطروا مجلس النظار إلى قبول شروط يضعونها له ، ثم يعودوا فيقولوا الى ها قد قبل مجلس النظار شروطاً كيت وكيت ، فأقبلها أنت بالمثل ، ويجعلوا دخولى إلى مصر معلقاً على قبول هذه الشروط . ولما علمت أن هذه ألويبتهم ، عمدت إلى طريقة لا قبل لهم بها ، فلم يستطيعوا مجاوبتى . وسنساfer من هنا حيث نحبط سياستهم القاضية بالزامنا قبول شروط يتوقف عليها دخولنا مصر .

وقال جنابه العالى بخصوص ما نقله محمد راسم بك عن قول محمد سعيد باشا : أنا أرفض رئاسة مجلس النظار ؛ لأن خديو مصر ليس هو الذى يعينى ، بل يقول : لأن الخلافة في حرب مع إنجلترا وهذا كلام كاذب يقصد به التلق بادية . ذى بده إلى رجال الحكومة العثمانية .

وفي ١٤ منه قال سموه إنني قد انتهيت من دورى فى الخديوية المصرية ؛ لأن الانجليز إذا انتصروا فلا أستطيع أن اشتغل معهم .

قلوب إيطاليا من الحملة التركية والتأميمات واسترداد القلوع لعموم الجهاد .

فى ٦ نوفمبر بناء على تمهيد يوسف صديق باشا لدى سفير إيطاليا ، وبناء على أمر الخديو ، زار اليوم فريد بك السفير المذكور ، وأكد له بصفته رئيساً للحزب الوطنى ، أن الأهل لا يبعضون إيطاليا ؛ وأنه فى حالة دخول الحملة إلى مصر ، لا تقوم الأهل بأى عمل عدائى ضدها ، وأنه يرجو أن تتحسن طرق المواصلات بجزأ بين طرابلس ومصر ، ويتسع نطاق التجارة ؛ فأظهر السفير ارتياحه لقول فريد بك .

وقد قال الخديو إن بعضاً من رجال الحزب الوطنى جرى مع الطليان على خطة تجعلهم لا يحسنون الظن بهم ، لأنهم طلبوا مبلغ مليون فرنك عن كل أسير من الطليان عند السنوسى ، وكانوا أربعين ألفاً ، ونزلت المساومة إلى ألف فرنك عن كل واحد ، وقال عبد الله طلعت بك لسموه بأنهم طلبوا مبلغاً كبيراً فى البداية ، حتى يصلوا إلى المبلغ الصغير فى النهاية

وفى ٧ منه اجتمعنا عند فريد بك ، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل . وافتتحت الجلسة بالحديث عما نشرته الجرائد التركية والالمانية فى سياسة الدولة مع إيطاليا ، وأن الأتراك لا يضمرون لها سوءاً من تجريدتهم على مصر . فقلت إنهم عملوا ما يجب عليهم ، كما أن فريد بك روى الحديث الذى حصل بينه وبين سفير إيطاليا وفى ٢٥ نوفمبر زار سمو الخديو سفير إيطاليا ، فقال له السفير إن سفيرى ألمانيا والنمسا حضرا ، وأكدا لى أن التجريدة التركية لا تغير شيئاً فى حالة مصر السياسية ، ولا فى الخديوية . ولكنى أسمع الآن أقوالاً كثيرة ، منها أن الأتراك ينوون ردم القناة ، فأين تذهب مصالح إيطاليا فى هذه القناة ؟ ثم أسمع أنهم يريدون جعل مصر ولاية عثمانية ، وهذا يخالف ماسمعتة أولاً ؛ وأنه يوجد خلاف بينكم وبينهم . فقاطعه سمو الخديو قائلاً : لا . ليس بيننا خلاف .

فأجاب السفير : إننى سمعت أنهم أرسلوا الدكتور احمد فؤاد إلى مصر . فاستغربت هذا الخبر . قال أفدينا : بكل هذا إن شاء الله يزول ، وأؤمل أن الايطاليين يكون لهم حظ وافر ، ومناصب بمصر أرقى مما هم فيها . فسر السفير من هذا الكلام ، وقال : إننى لا أعلم

كيف يتمكنون من نزع السلاح من أعوان السنوسي إذا حضروا لمصر، وتسلحوا، وأخذوا ما يلزمهم من الذخيرة (وهي فكرة سياسية تقوم لها إيطاليا وتقعده، وتلح في عدم مكث الأتراك في مصر حتى لا يشتد ساعد السنوسيين).

وفي ٢٧ منه وردت إشارة تليفونية على سراي بيك من يوسف صديق باشا، يقول فيها بأن السفارة الإيطالية أرسلت برقية بالأمس تبلغ كلماتها ألني كلمة، وشملت المسائل التي تهمنا وتهمها، وذكر أن سفير ألمانيا تكلم مع طلعت، وأنور باشا، و خليل بك رئيس مجلس المبعوثان، لاعطاء التأمينات لسفير إيطاليا بخصوص الحملة التركية على مصر اشتداد القلق لاعلان الجهاد: وقد أعلنت الدولة الجهاد الديني، فكان ذلك سبباً في اشتداد قلق الإيطاليين (*) :

فتوى إعلان الجهاد :

إذا هوجم الاسلام من قبل أعدائه هجوماً ما، يهدد كيانه، ويجعل البلاد الاسلامية عرضة لغضبهم وغارتهم، حتى خيف على النفوس الآمنة بها أن تقع في ذل الأسر والاستعباد، ودعا الخليفة إزاء هذه الحالة جميع المسلمين في مختلف الأقطار للذود عن حوزة الاسلام، والدفاع عن عربنه. فهل يفرض عليهم أجمعين، شاباً كانوا أو شبوخاً، مشاة أو فرساناً، المبادرة إلى إجابته بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم؟ عملاً بقوله تعالى «انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم». الجواب: الله أعلم، يفرض عليهم ذلك فرض عين

كتبه الفقير إليه تعالى

خيرى بن عوني الأركوبي

عني عنهما

هل يفرض والحالة هذه على المسلمين القاطنين في البلاد التابعة للدولة الانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها من الحكومات التي قد أظهرت الآن عداءها للكامن نحو الخلافة الاسلامية، وأرادت أن تطفيء نور الاسلام - لا قدر الله - بأن هاجمت مقر الخلافة، وسائر بلادها بخيلها ورجلها وأساطيلها، أن يشقوا عصا طاعتها ويبادروا إلى قتالها؟ الجواب الله أعلم، يكون ذلك فرضاً عليهم. كتب الفقير إليه تعالى

خيرى بن عوني الأركوبي

عني عنهما

وإذا تخلف، والحالة هذه، بعض المسلمين عن أداء واجبه؛ في حين أن الغرض لا يتم إلا بتنبية الكل لنداء: «انفروا جميعاً». هل يقتصر بتخلفه هذا إثمًا عظيمًا، يجلب غضب الله عليه، ويستحق العقاب؟ الجواب: الله أعلم، يستحق ذلك.

كتبه الفقير إليه تعالى

خيري بن عوفى الأركوني
عفى عنهما

وإن قاتل، والحالة هذه، المسلمون القاطنون في البلاد التابعة للحكومات المحاربة جيوش الدولة الإسلامية، ولو كان ذلك باكره من الحكومة المذكورة، بأن تقتلهم أنفسهم أو أقاربهم؛ هل يحرم ذلك عليهم قطعاً، ويعتبرون قتلة يستحقون نار الجحيم؟ الجواب: الله أعلم، يكونون مستحقين له. كتبه الفقير إليه تعالى

خيري بن عوفى الأركوني
عفى عنهما

ولو حارب، والحالة هذه، المسلمون الذين تحت إدارة الحكومات المعادية للدولة الإسلامية وحليفاتها ألمانيا والنمسا؛ وهى إنجلترا وفرنسا وروسيا والصرب (يوغسلافيا الآن) وقره طاغ الموالية لها؛ هل يأثمون بذلك وينالون أليم العذاب؟ الجواب: الله أعلم. يأثمون لأن الدولة تتضرر من عملهم هذا. كتبه الفقير إليه تعالى

خيري بن عوفى الأركوني
عفى عنهما

وفي ٢ ديسمبر بينما كنت في القطار في ميلانو قاصداً روما وجدت طليانياً يظهر عليه أنه من السياسيين، إذ تبين لي في محادثة دارت بيننا، تخوف إيطاليا من إعلان تركيا الحرب الدينية، فقلت له إن الدولة لا تعنى البلاد الإسلامية الواقعة تحت حماية إيطاليا، وأنها أعطت التأكيدات القوية بذلك، فقال: ولكن كيف يمكن منع التعصب الديني، وقد قام العرب الآن بمحاربة الإيطاليين؟ والخلاصة أني فهمت منه أنهم لا ينظرون إلى حرب الدولة في مصر بعين الارتياح.

وفي أثناء وجودي أيضاً في روما، ظهر لي أن القلق سائد فيها من جراء الحملة التركية على مصر، ومن إعلان الجهاد، سواء كان ذلك في دوائر الحكومة، أو بين الأفراد. فليراجع القارىء ذلك في محله.

كيف تخابر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين

في مالطة . لما دخلت تركية الحرب انقطعت المراسلات بين عباس والقائمقام ، وأعد الانجليز للوقوف عدته ، وتيقظوا لخطورة الساعة ، ونشروا عيونهم في أرجاء البلاد ، تراقب وتتجسس وتعمل ؛ وكان الذين يقدون من الخارج ، وعلى الأخص من بلاد الأعداء ، أو من البلاد التي تأملها — موضع تفتيش دقيق ، ومراقبة صارمة ؛ فكيف استطاع سمو الخديو أن يدخل إلى مصر — وهو على هذه الحال — رسائله ؟ هاك الجواب :

في ١٩ نوفمبر سافر الباشجاويش على إلى الضلمان . وكان الغرض أن يندس بين العمال السنوسيين الذين فيها ، ويرحل معهم إلى مصر ، باعتباره بحاراً ممن كانوا يشتغلون بجهة رودس ، وأوقف عمله ، ف يرجع إلى مصر ؛ ومتى وصل إلى الاسكندرية يقابل بعض المصريين ، ويعلم منهم أخبار مصر ، ويكتبها في ورقة ، ويضعها بين شقي لوح خشب ، من صندوق يحمل فيه ملابسه ، ويهربها ، ويحضر بها إلى الأستانة .

وفي هذا اليوم تشرف (ف . افندى) بمقابلة الخديو في جبوقلي ، وأمر أن تكون عودته إلى مصر ، ونفقاته في الطريق ، على الجيب الخاص .

وقد كلف (ف . افندى) بأن يقابل عند وصوله إليها أحمد صادق بك ، ويعرفه بأن الأخبار مقطوعة عنا ، وألا يترك بوسنة تسافر إلا يرسل شخصاً معها إلى جبوقلي ، يودعه أخبار مصر ، وأن يرسل أحمد قبودان ، وأبرهيم قبودان في بريدين متوالين ، ويستمر على إرسال الرسل ؛ وأن تكتب الأخبار — بالجبر أو الرصاص — على حرير أبيض يخاط داخل بطانة معطف أو جاكته أو سروال ، وألا يكون الرسول من المعروفين بعلاقتهم مع السراي ، ولا تؤخذ له تذكرة إلى الأستانة مباشرة ؛ وإنما إلى رودس أو إلى حيفا ، بحجة الذهاب إلى المدينة المنورة .

وكان في الأستانة محمد افندى أبو نافع ، أحد المتمين إلى الخديو ، وهو معروف بالجرأة والافدام ، فكلفه الخديو بادخال رسائله إلى مصر ، ودفعها إليه ، وقال له : هذا وقتك يا أبا نافع ، فأجابه باستعداده لتنفيذ أوامره ، ثم قال : هذه هي الرسائل وادفعها يديك لأصحابها ، وكتب هذه الرسائل في جبوقلي بحب باشا ، وصاحب هذه المذكرات ، ويوسف صديق باشا ، وعبد الله البشري بك ، والدكتور سيد كامل — باملاء سموه . وقد وقع على بعضها ، ووقعنا نحن على الآخر .

وكان الدردنيل مقفلاً في ذلك الوقت ، والأتراك يعملون على ملئه بالألغام ، وتحصينه ، فأخذ أبو نافع ، القطار إلى دده أغاج ، ومنها استقل الباخرة الأمريكية التابعة لشركة الحاج داود إلى مصر . فلما وصل إلى بيريه ، أرسل عيون الانكليز برقية مستعجلة إلى السلطات الانجليزية بمصر ، يلفتون نظرها إلى مصرى قائم مع هذا الوابور .

وقد علمنا فيما بعد أن الباخرة وصلت في المساء ، وفي صباح اليوم التالي ، صعد على ظهرها بعض الضباط الانجليز ، وحصلت مشادة كبيرة بينهم وبين القومندان ، فكانوا يصرخون فيه بالانجليزية التي لا يعرفها ، وهو يصرخ فيهم باليونانية التي يجملونها . وجاء المسيرى بك إلى المركب في الساعة العاشرة ، واجتمع أبى نافع ، ونصح إليه أن يعدم الرسائل التي يحملها ، وأفهمه بأن موظفى السراى أوصدوا أبوابهم حين علموا بقدمه ، خيفة أن يمر برسائله عليهم ، وسافروا إلى مصر . ولكن الموقف كان يتطلب رجلاً كأبى نافع حقاً . . . فانه أعطى كلمته لمولاه بأنه يوصل الرسائل لأربابها ، وكان عليه أن يعمل الممكن وغير الممكن لتحقيق الارادة السنية . وكيف كان يستطيع إعدام الرسائل والجند تحيط بالمركب من أسفل ، والضباط يملأونها من أعلى ؟ وهو إذا حاول حتى إحراقها ، أوقع نفسه في شبهة جسيمة ! فلما انتصفت الساعة الحادية عشرة كانت المشادة بين ربان المركب والضباط الانجليز قد بلغت أشدها . فانتزه أبو نافع ، الفرصة ، ونقل حقيبته إلى الغرفة التي تجاور غرفته ؛ وكانت لقنصل الروسية في بيروت ، ومعه أسرته ؛ ثم أسرع فتدخل في المناقشة بين القومندان والضباط الانجليز ، وترجم بينهما من الانجليزية وإليها باليونانية ، ففرح الطرفان بوساطته ، وزال سوء التفاهم من بينهما . ثم دعاهما للبدء بتفتيش غرفته ، ولما فرغوا منها وجاوزوها لغيرها ، أعاد حقيبته إليها . وبهذه الحيلة نجح في اجتياز العقبة الأولى من مخاطرته .

وكان أبو نافع (حماية اسبانيولى) ، والخبر الذى وصل السلطات كان عن مصرى يحمل الرسائل ؛ فلما دفع إلى الضباط بجوازه أدخلوا سيبله ، على أن يقصد إلى الجرك ليفتش مرة أخرى . وفي ذلك الوقت وصل منيب أفندى من موظفى السراى الخديوية ، ومعه فلوكة من فلائك المحروسة ، يسيرها ستة من البحارة المصريين الأشداء ، فنزل معهم ، واستقلها إلى ناحية الجرك . فلما غاب عن المركب ، ودنا من الجرك ، أمر البحارة فأتجهوا بسرعة وبخفة لناحية الحوض الذى ترسو المحروسة فيه ، ثم خرج من رصيفها إلى السراى ؛ ولما لم يجد أحداً بها توجه إلى المخططة رأساً . وهناك وجد كبار

الموظفين ، وكان أباطه باشا معهم ، يقصدون الرحيل بقطار الساعة السادسة مساء إلى القاهرة ، فركب معهم ؛ وكان الذعر من وجوده بينهم يقرأ على جباههم ، وسلمهم الرسائل التي تخصهم . ثم استقل هو قطار الركاب إلى القاهرة ، وسلم الرسائل إلى أصحابها . ذلك تفصيل وصول رسائل سمو الخديو إلى أصحابها ؛ أما مضمون هذه الرسائل فكانت توصية من سموه لسكبار مملكتيه بأن يقفوا في صف بلادهم ، وألا يأمنوا خصومها ، وبأنه اعترم على أن يعمل على تحرير بلادهم ؛ وطلب إليهم أن يكونوا عند حسن ظنه بهم .

قبض الانجليز على بعض المصريين الموالين للخديو ونفيهم إلى الخارج : لما سافر عبد الله البشري افندى بالأمر إلى دده أغاج ، اتصل ببخارة الباخرة سعيدية . وقد علم من التحريات التي أجراها :

أولاً — أن الحالة في مصر على ما هي عليه ، وأن مصلحة الخاصة الخديوية والمعية السنية تشتغلان كالمعتاد .

ثانياً — أنه قبض على بعض المصريين ، وأودعوا سجن القلعة أو طره ، ومن بينهم محمد ابراهيم افندى رئيس القسم التلغرافي في المعية السنية ، وحسن حلمي بك ، وحامد العلالي بك من رجال التشريفات ، وياور آخر ، والمظنون أنه حسن حسني شفيق افندى — وقد أرسلوا إلى مالطة .

ثالثاً — أن البرنسات : محمد علي ، وعزيز حسن ، وكال الدين ؛ ومحج باشا قد أخرجهم الانجليز من مصر ، على أن يقيموا في إيطاليا .

فقال سموه عندما علم بهذه الأخبار ما يأتي :

« إن حامد العلالي بك كثير الكلام ، فهو ينتقل من فندق إلى آخر ويتكلم ؛ ولسكن الذي لا أفهم له معنى هو القبض على حسن حلمي بك الغلبان . » ثم قال سموه إنه من الغريب لما كان في الاستانة ، كان يقول إن المصريين يقاومون عن آخرهم هجوم الأتراك على بلادهم ، ولما دخل عند الانجليز قبضوا عليه .

وقد قبض الانجليز على أبي نافع لتسليمه الرسائل لأصحابها . وقد كتب سمو الخديو كتاباً للمعتقلين المصريين ، هذا نصه :

« عزيزي حسن :

« علمت بخبر اعتقالك ، وأمين حلمي ، وأبي نافع ، والصباحي ، والعلالي ،

وعبد الرحيم صبحي ، وإرسالكم إلى مالطة ؛ فبقدر ما ساء في الحبر على حريتم ، قد سرفى إخلاصكم وحميتكم . إننى أعطف من قلى عليكم ، وأقدر تضحيتكم . ولا شك أنكم تحتملون الأسر بالشجاعة المعهودة فيكم . إن الله أعظم من أن ينسى لبلادنا مظلالم خصوصنا . وإذا كان من ألمى أن أعرف بما أصابكم في سيل البلاد ، وفي سبيلى ؛ فأنى مبهج في الواقع لمضى الانجليز في التشكيل بالبلاد ، وبأهلها ؛ ليعلم من يحسن الظن بهم أن هذه فعالمهم . ولما تصح البلاد لهم فما يفعلون غداً إذا تحقق لا قدر الله حكمهم بضمها للأملك الانجليزية ؟ أقبلكم فرداً فرداً ، وأرسل إليكم تحية مزوجة بشوق وعطف وسلام ؟

عباس حلي

وفي ٢٣ نوفمبر حصلت مباحثة أمام أفندينا ، كان موضوعها كيفية إرسال تعليمات إلى رشدى باشا عند دخول الجيش التركى إلى العاصمة ، خوفاً من أن جمال باشا يستأثر بأعمال مصر الداخلية ، وربما ارتبى الأهالى على أقدامه ، وتملقه رجال الحكومة أكثر من اللازم . فأجاب أحدنا بأن (ى . بك) ينوى دخول مصر ، فيمكن أن ترسل إليه أوامر أفندينا ، وهو يبلغها إلى رشدى باشا ؛ فقال سموه إنه لا يمكننا الاعتماد على البك المذكور ، لأنه ربما منعه الانجليز من دخول مصر ؛ واقترح إرسال الميسو سمناق المهندس المعمارى ، وابنه الموجود في إيطاليا . وفكر ابراهيم أدهم بك في تكليف الشيخ حازم الموجود بالمدينة المنورة بهذه المهمة . وطلبنا حضوره إلى حيفا ، وهو مقدم المحمل المصرى ، ومعروف عند الحكومة ، وذكى ، وله معاملة مع المالية المصرية . فلاحظ أفندينا أنه ربما منع من دخول مصر ، ولم يتقرر شيء .

وفي ١٤ ديسمبر بينا كان عباس في الرفاص ، قاصداً المحطة للسفر منها إلى فينا ، وجه كلامه إلى الشيخ البورينى إمام سموه ، فقال إنه مكلف بمأمرين ليقضيهما بمجرد وصوله إلى مصر :

الأولى : عليه أن يسعى ، ولو بالواسطة ، لتعريف احمد صادق بك بتوصيل نقود سموه ، ذهباً كانت أم ورقاً مصرياً ، إلى إيطاليا ، باسم احمد شفيق باشا ؛ ويكون التوصيل إما بواسطة رسول لا يعرف أنه من السراى ، سواء كان وطنياً أو أجنبياً ، أو بواسطة بشكو دى روما .

الثانية : هى أن يأخذ معه أوراق التوكيل الرسمية ، ويضعها تحت بطانة الحقيبة .

وبمجرد وصوله ، يتفق مع عثمان مرتضى باشا ، واحمد صادق بك في عمل الوقفية اللازمة بحضور مأذون العقود في المحكمة الشرعية .

وكان سموه اشتغل منذ عشرة أيام في إعداد توكيل شرعى للشيخ البوريني ، يخول له حق وقف جميع أملاك الجنب العالى في مصر . وقد وضع في التوكيل جميع شروط هذا الوقف بالتفصيل .

غرض مصر بين عباسى وعز الدين وسعيد سليم . في يوم ٢٠ نوفمبر توجه سمو الخديو ، ومعه يوسف صديق باشا ، وعارف باشا ، وتوجهت معهم لتهنئة جلالة السلطان بالسنة الهجرية الجديدة . فعلم سموه من جلالاته ، أن جمال باشا عين قائداً عاماً للحملة المصرية ، ثم قال جلالاته : « إنه يوجد مناظر لسموك ، وهو الأمير يوسف عز الدين افندى ولى عهد السلطنة ؛ وقد توجه إلى الصدر وقال له : بما أنه غير معترف بولاية عهده ، فهو يطلب تعيينه خديوياً على مصر . » ثم إن جلالاته قال لسموه إن الأحسن الانتظار في الاستانة ، وعدم الاستعجال في الالتحاق بالحملة . وقد كان الخديو يعتقد في تعيين جمال باشا ، أن الحكومة العثمانية تريد بذلك أن يكون بمصر رجل قادر على العمل عند دخول الجيش العثمانى ؛ ويظهر سموه تخوفه ، وخصوصاً أنه كان يحسن أن يتقابل القائد مع سموه قبل سفره للتفاهم معه . ولكن جمال باشا مسافر غداً ، ويقول سموه إن هذا القرار لابد أنه صدر اليوم ، وهكذا فان قرارات الحكومة تستصدر في آخر لحظة .

أما عن طلب ولى العهد أن يكون خديوياً ، فان سموه أجاب السلطان بأنه إذا صدرت إرادته بهذا التعيين ، فان سموه يرافقه إلى مصر ، ويجلسه على الأريكة ؛ كما علمنا أن يوسف عز الدين طلب أن يرافق الحملة الزاحفة على مصر . أما قول جلالة السلطان بعدم الاستعجال للالتحاق بالحملة ، فظن سموه أن رجال الحكومة العثمانية طلبوا من السلطان أن يفهمه ذلك .

وقد جاء البرنس ابراهيم حلمى ، وقال إنه سمع من الصدر بأن جمال باشا تعيين قائداً للحملة بدلا من زكى باشا ؛ لأن الأخير عين مندوباً عثمانياً لدى إمبراطور ألمانيا . ويقال إن فون ادرغرايز باشا سيعين مندوباً ألمانياً لدى جلالة السلطان . وسأل الصدر الأعظم البرنس ابراهيم عما إذا كان مستعداً للسفر . فقال : نعم ؛ ولكن في أى وقت نسافر ؟ فقال الصدر : إننا لا نريد أن يتوجه الجنب الخديوى قبل عبور الجيش العثمانى

قناة السويس؛ لأنه لو انتصر الانجليز على العثمانيين هناك، مع وجود الخديو، فالتأثير يكون سيئاً. وقال البرنس ابراهيم للخديو، إنه يرى أن معنى ذلك هو أن الأتراك يريدون أن يظهرُوا أنهم هم الذين فتحوا مصر وحدهم؛ وبعد دخولهم عاصمة البلاد يقولون لسموه: «اتفضل ادخل».

أما بالنسبة لمطامع الصدر سعيد حليم باشا فان كل من يقرأ هذه المذكرات يجد فيها شعور الخديو بأن الصدر راغب كل الرغبة في عرش مصر، وهذه الرغبة كان يحسها أيضاً سفير ألمانيا ورجال الاتحاديين. ومن ذلك أنه في يوم ١٤ نوفمبر سمع فريد بك أنور باشا، في حديث دار بينهما بخصوص معاكسة الصدر للخديو ورجال الحزب الوطنى يقول: «إن الصدر يحلم بالخديوية المصرية حتى صار متوسلاً بهذا الحلم،

مزعزعي السياسة في إيطاليا ومحادثات هامز ومقابلتي مع الملك ومار يفيينا

مع الحديث ومحادثات أخرى مع المصريين وغيرهم. في ٢٥ نوفمبر تقرر سفرى إلى إيطاليا لمهمة سياسية لدى ملكها؛ ومن الأوامر التى تلقيتها: —

١ — إبلاغ الملك تحيات عباس واحتراماته له؛ وأنه لا ينسى الصداقة الموجودة بينه وبين العائلة الخديوية من قديم.

٢ — التماس نقله من الضلبان إلى إيطاليا على مركب حربى، إذا أضمر الأتراك سوءاً.

٣ — مساعدة جلالته لو انتصرت انجلترا لتسوية حالته المادية.

٤ — أخذ رأيه فى إمكان نجاح الحملة التركية من عدمه؛ والسعى فى أن تطلب إيطاليا ألا تمس الفرمانات الخديوية.

٥ — التأكيدات له بأن مصر تحافظ على صلاتها الودية مع إيطاليا إذا نجحت الحملة.

ومن الأوامر أيضاً، استطلاع الحالة فيها وفى سويسرة. وقد أمر باستخراج الجواز، ووضعت شفرة مع سموه بجمل متنوعة متفق على معانيها؛ وودعته كما كنت ودعت أسرتى مساء؛ ثم نزلت إلى بيك لهذه الغاية؛ وأخذت من الوالدة خطابات للاميرين محمد على، وكال الدين؛ وخطاباً لابنتها الأميرة نعمت هانم، وآخر لمحب باشا من حرمه؛ ونزلت، وقضيت الليلة فى فندق شاهين باشا، بالقرب من محطة سرركة جى

وأخيراً أمرني الخديو بمعرفة أسباب خروج الأمراء ، ومحـب باشا ؛ وعلى أى شرط تم ذلك ، ومعرفة أخبار مصر الحقيقية ، وأفكار رجال الحكومة المصريين والمحتلين والأخبار العسكرية والجيش المصرى وأفكار ضباطه — يعنى الحالة العسكرية والادارية والسياسية .

وفى أول ديسمبر ، وصلت إلى لوزان ، وقابلت هكسيوس ، وعلبت منه أن سويسرة ملائى بالجواسيس لحساب ألمانيا ، وانجلترا وفرنسا ؛ وقد أفصحت له عما أعلمه عن حالة أفندينا مع الأتراك والألمان . ثم حضر فهمى أفندى قبل منتصف الليل ، فآخبرته كذلك بما أعلمه وقص على ما يعلبه ؛ ومن ذلك أنه باق على قرارنا الذى قررناه فى الاستانة بخصوص إرسال مندوب سرى لمصر . ثم سلمته صورة من الأوامر المطلوب توصيلها إلى حسين رشدى باشا ، بالاحتياطات اللازم اتخاذها عند دخول الجيش العثمانى مصر .

وفى ٢ ديسمبر سافرت من لوزان فى الساعة السابعة ، ووصلت إلى ميلانو فى الساعة الرابعة .



عـب باشا

محادثة مع محـب باشا : وفى ٣ منه وصلت فى الساعة التاسعة والنصف إلى روما ونزلت فى فندق الكنتنتنـال أمام المحطة ؛ وكان فى انتظارى هناك محـب باشا ، فتحدثت معه إلى الظهر وأبلغته تحيات الخديو وأن ثقته به كما كانت ، وأنه آسف لخروجه من مصر وحضوره إلى إيطاليا ؛ فقال إنه كان متخوفاً من الوشايات به عند أفندينا ، حتى أنه كان ينتظر أن يستدعى إلى الاستانة ؛ فلما لم يأت خبر بذلك توهم أن سموه غير راض عنه ، وخصوصاً أن

ذلك قد انتشر فى مصر عقب البرقية التى أرسلت إلى القائمقام الخديوى ، بالألا يحضر إلى الاستانة حتى يصل أحمد صادق بك . فأفهمته أن السبب هو أنه كان قد تقرر استدعاء عدلى باشا لاقناعه بأن يقنع رشدى باشا بتفصيل الخطة التى رسمها أفندينا ، ولم

يوافق عليها رشدى باشا . وبناء على ذلك كان من المستحيل استدعاؤه مع عدلى باشا . وقال لى محب باشا : إن رجال الحزب الوطنى كانوا قد ظنوا أننى غير مخلص ، وإننى انجليزى ؛ ولكن لما علموا بمعاملة الانجليز السيئة لى ، جاءنى ليلاً محمود فهمى حسين بك ، وقال لى إن الحزب الوطنى كان يظن بك سوء ؛ ولكنه تحقق الآن من وطنيتك . ثم قال إنه يعلم بوجود دكرتو على يساض بتعيين الأمير عزيز حسن رئيساً لمجلس النظار ، بدلا من رشدى باشا ، لاصداره وقت اللزوم ؛ وبوجود منشور من أفندينا للأمة المصرية لتحريرها على الثورة ؛ وآخر من قائد التجريدة العثمانية . وأنه يوجد كشف بأسماء مائة وخمسين شخصاً - منهم محمد سعيد باشا - منوى إعدامهم . قال محب باشا وإن بدر الدين بك أخبره بأن المقابلات بين أفندينا وفريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش كانت سرية ، ثم حدثنى عن خروجه من مصر ، قائلاً إنه تكلم مع الانجليز بأنفة ، وأفهمهم بأنهم أخطأوا بمنع أفندينا من الرجوع إلى مصر ، لأنهم أجبروه بذلك ، على أن ينحاز إلى الأتراك ؛ فاشمأز الانجليز من هذه اللهجة ، وقالوا لرشدى باشا بأننى أتفوه بأشياء لا يصح النفوه بها . ومن جهة أخرى فإن القائم مقام الحديدوى قد نفر منى لمناقشأتى له فى بعض المسائل الاقتصادية ، فتهور على ، وأجأنى إلى الخروج من مصر . قال محب باشا : ثم قابلنى رشدى باشا فى اليوم الثانى على انفراد ، وسأله عن سبب هذه المعاملة ، فانهمنى بأنى أسعى لاحتلال مركزه ، إذ كنت أخالفه فى كل مسألة ، اتباعاً لأوامر أفندينا . فأقنعته بعدم صحة ذلك ، خفت سورة غضبه .

ثم قال : وكان الانجليز يرغبون أن يأخذوا منى معلومات عن حركات أفندينا وسكنتاته وأفكاره ، فبخلت بها . فلهاذا ، وللسببين المذكورين . قرروا عدم وجودى فى مصر وقال أحدهم أن أنصد مالطة .

ولما قابلنى شيتهم قال لى إنه يرى منحنى أجازة أقضيها فى الخارج ؛ وطلب منى تعيين البلد . فقلت أذهب إلى لندن ، فرفض . فسأله أن يختار لى بلداً آخر ، فتقرر سفرى إلى إيطاليا . ثم طلبت مساعدة مالية فأعطونى ثلاثمائة جنيهه قرصاً وضمنوا لى رابى (والذى أعليه من آخرين أنه أخذ ثلاثمائة جنيهه ثم احتسبوا له ثلاثة جنيهات عن كل يوم قضاء فى الاستانة ؛ مع أنه كان فى أجازة ، وضمنوا له راتبه فى مدة الحرب .)

وأبلغنى محب باشا ، أن النظار جميعاً ضد الأتراك ، ما عدا حلى باشا ناظر المعارف ؛ ثم قال : والانجليز يقولون إنه ليس فى إمكان عباس حلى باشا أن يرى

جو مصر مطلقاً ، لأنهم يعتقدون أن له يدأ قوية في تجريدة مصر ، وأنه خانهم ، وأنه سائر مع الحملة .

وقد دعاني البرنس عزيز حسن للعشاء عنده ، وكان معنا نافي بك سفير تركيا ، ومحب باشا ، ومحمد يكن باشا ، واثنان آخران ، أحدهما يسمى فنسى من السفارة التركية وكان في مصر ويعرف العربية والألمانية .

محادثة الأولى مع البرنس محمد علي باشا : وفي ٤ منه ، قابلت البرنس محمد علي باشا وسلبته خطاب والدته ، وطأته على صحتها ، وأخبرته بالحوادث التي دارت بين شقيقه والانجليز والأتراك ، وطلبت منه أن يرافقني إلى سراي جلاله ملك إيطاليا لتبليغ جلالته سلام أفندينا واحتراماته ، فرفض قائلاً : إنني عزمت على ألا أتدخل في شيء ما . لأنه لم يرسل لي بطاقته ردأ لزيارتي للسراي ؛ ولو أن رئيس الوزراء أرسل إلي بطاقته ردأ على بطاقتي لفعلت ! ومن ذلك استدلت على أن رجال الحكومة لا يريدون خرق الحياد حتى في هذه الأمور ؛ وإلا لكان الملك استدعاني لزيارته . ثم طلبت من البرنس أن يرافقني إلى برلين لمقابلة الإمبراطور أو من يتدبه جلالته لتقديم احترام أفندينا وشكره له على عنايته بتجريدة مصر ، فأجابني البرنس بالرفض أيضا .

محادثة الأولى مع مسيو بتشيلي : وفي ٥ منه قابلت مسيو بتشيلي رئيس مجلس إدارة بنك دي روما ؛ وكان معي محمد يكن باشا وعبد الحميد شديد بك ؛ فبلغته سلام أفندينا ، وتوصية سموه لي أن يكون كل أمر أريد عمله بعلمه ونصيحته ؛ وأخبرته أن المطلوب استحضار نقود من مصر إلى هنا لتوصيلها إلى أفندينا في الاستانة ، فقال : إن ذلك صعب ، وإننا ننظر في تقديم نقود لأفندينا من هنا ، وفهمت أنه لا يدرى شيئاً كثيراً من معاملات البنك . وعلى كل حال فقد وعد بالنظر في المسألة مع عبد الحميد شديد بك ؛ ثم كلمته في الحالة السياسية بين إيطاليا والدولة بالنسبة للتجريدة العثمانية على مصر ، وبأن الأتراك وأفندينا وسفيري النمسا وألمانيا أعطوا التأكيدات لسفير إيطاليا بأن غرض الحملة هو إخراج الانجليز فقط ، وإرجاع حالة مصر إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ؛ أعني أن تستمر مصر حافظة لامتيازاتها ، وبعد الصلح تخرج العساكر التركية منها . قلت : إنه ربما كان هذا التصريح الشفهي غير كاف ؛ فيمكن إيطاليا أن تطلب استصدار إرادة سلطانية بهذا المعنى ؛ فتكون حجة قوية على الأتراك .

فقال المسيو بتشيلي : لست سياسياً ، ولا يمكن أن أبدى أية نصيحة في هذا الموضوع . ولما علم منى أننى أعرف مسيو دومرتينو ، الذى كان قنصلاً عاماً في مصر ، ويشغل الآن وظيفة في وزارة الخارجية ؛ طلب أن أتكلم معه في هذه المسألة أو مع رئيس مرافقى الملك ؛ وفهمت من مسيو بتشيلي أن لهذا الرئيس كلمة مسموعة عند جلالته . وقد أرسلت خطاباً إلى كبير أمناء الملك ، طلبت فيه مقابله لتبلغ رسالة من الجناب الخديوى لجلالة الملك ، فأجاب بأنه يقابلنى غداً صباحاً :

محادثتى مع كبير الأمناء : وفى ٦ منه توجهت صباحاً إلى سراى الملك وقابلت كبير الأمناء وأبلغته سلام الخديو وأفهمته أننى حضرت للاستعلام عن حالة البرنس محمد على ، وباقى البرنسات والبرنسيات ؛ وأن دولة الوالدة هى التى طلبت من سمو الخديو ذلك ، فأرسلنى لهذا الغرض ، وأمرنى أن أحضر إلى السراى لتقديم واجبات الاحترام من لدن سموه لجلالة الملك ؛ لأنه لا ينسى مطلقاً الوفاة الحسنة التى لقىها فى السنة الماضية ؛ وأن سموه يبذل كل جهده فى تأييد هذه الرابطة الودية ؛ وذكرت أن علاقات سموه بسفير إيطاليا فى الاستانة متينة جداً . فقال : نعم إنى أعلم ذلك . ثم قلت : إنى تحت أوامر جلالة الملك فى كل ما يريد من الاستعلامات عن الحالة السياسية فى الاستانة ومصر . فأخذ الجنرال مذكرة بذلك ، وسألى عن مدة مقامى فى روما ، فعرفته بأنى عازم على التوجه إلى نابولى ، لمقابلة الأمير كمال الدين (*) على أن أرجع فى المساء ، وأنى ربما أقمت بروما أيضاً يومين أو ثلاثة . ثم شكرته على حسن استقباله .

محادثتى مع نابى بك : وزرت نابى بك سفير الدولة ، فأبلغته تحية أفندينا فشكر . ثم تكلمت معه فى الأحوال الحاضرة ، فعرفنى أن الايطاليين متخوفون من التجريدة على مصر ، فظلمهم كثيراً . وأنه لما جاء (ع . بك) أخيراً طلب من البرنس محمد على أن يصرح للاطليان من قبل الخديو بذلك ، فرفض ، فقلت له : إنى مستعد لاجراء اللازم فأرشدنى إلى دومرتينو ، وقال : إن علاقاته به طيبة جداً . وفهمت من كلام السفير أنه بعد إخراج الانجليز من مصر ستبقى فيها حامية تركية ، وهى التى ستحافظ على قناة السويس ، وأن امتيازات مصر لا تمس . وبعد دخول الجيش العثمانى مصر يسافر

(*) وقد سافرت فى اليوم نفسه إلى نابولى ، وتقابلت مع البرنس والبرنيس ، وعلمت منهما أن سبب خروجهما من مصر هو عدم اتفاقه مع والده فى المسائل السياسية ، ففضل البرنس الابتعاد عن مصر ، وقد سلت لها خطابات الوالدة .

الخدوي إليها ، كأنه احتلال عثماني بدل الاحتلال الإنجليزي ؛ قال : وليطمئن
الطلبان على طرابلس الغرب ، اتفقنا على أن نائب السلطان فيها يصدر منشوراً يقول
فيه : إن إيطاليا حليفة لحلفائنا ، وإنه على المسلمين أن يعتبروها حجة للخليفة ، حتى
يهدأ العرب ويخمدوا إلى السكون ؛ لأن إعلان الجهاد حرك فيهم التعصب الديني كما
يدعي الطليان .

وقال السفير : إنني على العموم مجتهد في إزالة سوء التفاهم بيننا ، حتى نصل إلى
غايتنا من التجريدة .

أما السنوسي ، فإن الأخبار الواردة من مصر تقول بأن المخابرات جارية بينه
وبين الانجليز .

وفي هذا اليوم أرسلت إلى أفندينا برقية رمزية أقول فيها : يقيم محب باشا في
نابولي حراً بعد أن أعطى عهداً ؛ ويقال إنه جاء بمهمة من قبل الانجليز ، ويعتقد أن
الحالة في مصر سيئة بالنسبة للانجليز ، وأن الرأي العام في جانب حملة تركيا ، وأن
رشدى وبقية النظار ضد ذلك ، وأن الأحكام العرفية أعلنت في مصر ، وأن الجنود
المصريين لا يحاربون ، لأن عدد الجنود الانجليز يبلغ سبعين ألفاً .

وفي ٦ ديسمبر أرسلت برقية إلى محمد فهمي أفندي بجنيف أستعلم منه عن الخطاب
الذي كنت سلمته إليه ، ليحمله أحد المسافرين المصريين إلى مصر ، لتوصيله إلى
صاحب العطفة حسين رشدى باشا ؛ فوردت لي يوم ٧ منه برقية يقول فيها :

« أعيد إليك الخطاب داخل مظروف موصى عليه ، نظراً لسفر الشخص الذي
كان سيحمله إلى مصر . » وفي اليوم نفسه تسلمت المظروف المنوه عنه .

وفي ٧ منه وصلني كتاب من الجنرال تيموني رئيس مرافقي جلالة ملك إيطاليا ،
ينبئني فيه بأن جلالاته سيقابلني مقابلة خصوصية في الساعة الثانية والثلاث بعد ظهر يوم
١٠ ديسمبر .

وفي اليوم المذكور ذهبت إلى قصر جلالة الملك في الميعاد المحدد للمقابلة ، وكنت
أرتدي الريدينجوت كنص الدعوة ، وفي أثناء انتظاري حضر ناني بك سفير الدولة من
لندن جلالاته ، وأفهمني أن جلالاته سأل عني ، فأخبره بما يعلمه عن وظيفتي وعلاقتي
بالجناب الخديوي .

محادثة مع الملك . وقد تشرفت بالمشول بين يدي جلالة الملك ، ولم يكن في المقابلة شيء من أهة الملك ، وقد دعاني إلى الجلوس بجانب جلالتسه . وبعد أن أبلغته



مكتور عمانويل

تحيات وتعظيمات الجناب الخديوى ، شكر أولا ؛ ثم سألنى عن حادثة الاعتداء ، وعن المعتدى ، وعن التحقيق ، وعن صحته ؛ فأفهمته بكل معلوماتى ؛ فلم يبد أية ملاحظة . وامتد الحديث إلى علاقات الخديو بالأتراك ، وإلى التجربة التركية التى سبغت إلى مصر ؛ فأعربت لجلالتسه عن تأكيدات الجناب الخديوى لجلالتسه بأن لا خوف على علاقات الجوار الحبية بين مصر وطرابلس ؛ وبعد ذلك أبلغته أوامر الخديو ، فأجابنى بأنه لا ينسأه ، وأنه مستعد لطلباته ، وقال : إن الحملة التركية إن كانت منظمة ، يمكنها اختراق سيناء وعبور القناة .

وقد كان شعورى بعد هذه المقابلة الملكية ، أننى ألفت جلالتسه على جانب عظيم من الدعة واللفظ ، وأنه يذكر مصر والأسرة المحمدية العلوية خير ذكرى .

محادثة الثانية مع نابى بك : وفى ١١ منه زرت نابى بك وأعلمته بنتيجة مقابلتى لجلالة الملك ، وكذلك ما قلته بالنسبة للصلوات الحبية التى بين مصر وإيطاليا ، حيث أكدت لجلالتسه ألا محل لما يبدو من التخوف على طرابلس من هذه التجربة .

وفى هذا اليوم كنت أرسلت برقيات إلى يوسف صديق باشا بكل ما أقوم به من الأعمال التى كلفت القيام بها ، فوردت لى اليوم برقية من بىك فى الاستانة يقول فيها :
« البرقيات الثلاث المرسلة منكم وصلت ، وهذه البرقية هى أولى برقياتنا . انتظروا فى روما حتى تصلكم تعليمات جديدة . »

محادثة الثانية مع بتشيلي : فى ١٢ منه كنت تكلمت مع عبد الحميد شديد بخصوص

عمل ترتيب لاستيراد نقود من الخاصة الخديوية بمصر للجناب الخديوى ، ولاستيراد نقود لى خاصة ، فانهتبت معه على ما يأتى :

أولاً — حسابى الخصوصى : يكتب جواب منى (وقد حصل) لبنكو دى روما فى مصر ، أن يحول مبلغ ألفى جنيهه ، ثم ألفين آخرين على روما ، وأنه من أول يناير الآتى يحول كل أسبوع ٢٥٠ جنيهًا ، حتى ينتهى الحساب .

ثانياً — بأن يعرف عثمان مرتضى باشا ، بأن يدفع كل ما أمكنه من النقود الموجودة فى الخاصة ، لتوصيلها لأفندينا ، بواسطة بنكو دى روما ؛ على أن يكون هذا باسم عثمان باشا إلى أحد تجار الاستانة ، وربما يكون نافع زاده .

محادثة الثانية مع البرنس محمد على : وفى ١٣ منه تحادثت مع البرنس محمد على ؛ وكان من رايه أن تأخر الأتراك عن التقدم لمصر ، سبب ضرراً كبيراً ؛ لأن المصريين كانوا فى غاية الحماسة لما علموا بالتجريدة على مصر ، وكانوا يظنون أن الأتراك سيدخلون البلاد بعد بضعة أيام (خمسة عشر أو عشرين يوماً) حتى أن بعض المشيعين له فى المحطة قالوا : إنه لا يصل إلى إيطاليا حتى يقفل راجعاً ، عندما يسمع بدخول الأتراك مصر .

محادثة الثالثة مع مسيو بتشيلى : وفى ١٤ منه قابلت مسيو بتشيلى مع شديد بك فى الموعد المحدد ، فكانت مقابلة ودية ، تحت سوء الظن به الذى حصل عندما قابلته أول مرة ؛ لأننى كنت وجدته متحفظاً جداً . أما فى مقابلتنا اليوم فانه كان صريحاً ، فهو أولاً : أبدى إحساساً شريفاً نحو الخديو ، وقال إنه محب له ويتمنى له كل خير ، ويود أن يراه على تخت الخديوية قريباً فيتوجه للهنئة . ثانياً : قال بأنه يعتبرنى بالنسبة له صاحباً ، ولا دخل للباشوية ولا للرياسة فى البنك ؛ وما تسكلم فيه يكون لغرض الوصول إلى ما يرغبه الجناب العالى . ثالثاً : قال : لا أخفى عليك أن الحالة السياسية هنا مضطربة جداً ، وأن الأفكار ميالة للحرب أكثر من السلم ، ولكنى أنا شخصياً بصفى فرداً من أفراد المحافظين ، لا أود الحرب ؛ إلا أن الأفكار متجهة ضد الدولة ، وهى لم تحسن صنعا فى دخول هذه الحرب ؛ لأنه يرى أن النمسا ستقع على رأسها خسائر الحرب ، وانجلترا تمنى أن تسير وراء نصائحها ؛ فانها تميننا بالجزر ، وبجزء من آسيا ؛ وفرنسا تعدنا بترستا وترتينو ؛ ومن جهة أخرى فان ألمانيا والنمسا تعدانا بالسافواى وجهات أخرى ؛ وكل فئة تطلب دخولنا فى الحرب معها ، حتى أن انجلترا تطلب أن نرسل جيشاً إلى مصر ؛ ولكن هل من صالحنا أن نعمل بنصيحة أحد الطرفين ؟

للمستقبل وحده الحكم في هذا ؛ لأننا نفعل ما تجبرنا الحوادث على عمله ، فكل حادث اعتدائي من الدولة العثمانية يهيجنا . فمن ذلك مسألة إعلان الحرب الديني (الجهاد) والتجريدة على مصر ، وخوفنا من أن الأتراك يغيرون على الحدود الطرابلسية ، وحادثة الحديدية — كل هذه الحوادث لها أثر سيء .

فأجبت بـأن سوء التفاهم بالنسبة لإعلان الجهاد الحربي من قيام طرابلس ، وبالنسبة للتجريدة على مصر ، أمره واضح ؛ والدولة العلية وحلفاؤها أعطت التأكيدات بأن ذلك لا يمس طرابلس الغرب ؛ أما مسألة الحديدية ، فلم يكن لها من الأهمية مثل المسألتين الأوليين .

فقال : من يضمن لنا أن الدولة تنفذ وعودها ، وهي مشهور عنها أنها لا تفي بوعودها ؟ أما بالنسبة للجناب الخديوي ، فاني — بكل أسف — أعلم بأن في حاشيته من الرجال من يتكلمون ضده ، وهم أقرب الناس إليه ؛ فليحذر هؤلاء الناس .

فسأله عن الطرق الموصلة لتهدئة الخواطر في إيطاليا ، حتى تتجنب الحرب معها ، فنصحتني بأن أتقابل مع مسيو دومرتينو ، وأحادثه في الموضوع أولاً ، ثم أرجع إليه ، ونظر فيما يقوله ، وفيما يلزم لإجراؤه .

محادثتي مع محمد يكن : واجتمعت بمحمد يكن بك وأخبرته بحديثي مع بتشيلي ، فقال لي إنه سمع أن دومرتينو قال لشخص بمناسبة الحالة الحاضرة وتجريدة مصر ، وعلاقة الخديوي مع إيطاليا : إن الانسان لا يمكنه الاعتماد على ما يظهره سموه من المودة والاخلاص لايطاليا ، والشاهد على ذلك هو أنه أبعد عنه رجالا إيطاليايين كانوا يقومون بخدمات جليلة له . فأجابه محدثه : إن سموه معذور في إبعادهم ؛ لأنهم كانوا خائنين ، وليس ذلك دليلا على عدم إخلاصه لايطاليا ؛ فأننا نعرف مقدار الخدمات الجليلة التي بذلها لنا في طرابلس . لهذه الأسباب ، قررنا أن نستشير مسيو بتشيلي فيما إذا كان يحسن أن نتكلم مع دومرتينو صراحة بعد أن يعلم ما قاله بالنسبة للجناب العالي ، ولو أن بتشيلي لما سأله عما إذا كان دومرتينو يحفظ السر فيما أقوله ، ولا يعلم به أحداً من السفراء ، قال لي : اطلب منه كلمة شرف ، واحك له كل ما بدا لك . ولو أن كلام بتشيلي شخصي ؛ إلا أنني فضلت أن أحتاط لذلك ، وأسأله مرة ثانية ، فجاءني الرد بواسطة شديد بك أن دومرتينو رجل عاقل ، ولا يضيع مصالح أمة لأجل شخص واحد ، مثل فرديناند دومرتينو (*) .

(*) فرديناند دومرتينو هو ابن جاك دومرتينو باشا ، الذي كان رئيس الديوان الخديوي الأفريقي . ومن أسرة دومرتينو الذي كان بوزارة الخارجية . وقد فصله الخديو لمنازعات مالية مع الخاصة .

محدثي الثالثة مع ناي بك : وفي ١٥ منه توجهت مع محمد يكن باشا لزيارة سفير الدولة العثمانية ، وقلت له : إن الايطاليين متدمرون من الدولة العثمانية ، وأفكارهم متهيجة ؛ ويقولون : إذا دخلت إيطاليا الحرب ، فيكون ذلك ضد الدولة ، وفي إمكانها أن تسوق مليوناً ونصف مليون من عساكرها . فقال السفير : أعرف أن الأفكار متهيجة ، ولكن أعرف أيضاً أن الذين يريدون الحرب هم رئيس أركان حرب إيطاليا ، ومسيو مارتيني ناظر المستعمرات .

فقال محمد يكن باشا : وأن الأخير مدين ، ويريد أن يصطاد في الماء العكر ، حتى يتمكن من تسديد ديونه ، من أموال فرنسا وانجلترا ؛ إنما علم الباشا بمن يوثق بكلامه أن الملك طلب بياناً بالموجود في مخازن الجيش ، ليعلم إن كان ينقصه شيء ؛ لأنه قال : إنني مشغول عن نتيجة الحرب ، فلا أوافق على الدخول فيها إلا إذا تحققنا من أنه لا ينقصنا شيء ؛ ولما اطلع على البيان وجد كثيراً من النقص .

ثم قال الباشا : يقولون إن استعداد إيطاليا ينتهي في أبريل القادم ، ولكن الرجل الذي أخبرني بعدم استعداد إيطاليا ، يؤكد أن الاستعداد لا ينتهي قريباً ، بل يكون في سنة ١٩١٦ .

قال السفير : أو مل أن تصلني برقية من الصدارة ، ترضى الايطاليين في مسألة الحديد ، فينتهي الأمر بسلام .

محدثي مع البرنس عزيز حسن : وفي ١٥ منه قابلت البرنس عزيز حسن ، وعلمت منه أنه ترد رسائل على البرنس جميل من شقيقته حرم نخامة الصدر ، وفيها أخبار مهيجة عن مصر وأفندينا ، وتذاع هنا بين المصريين وغيرهم . وقد قال البرنس عزيز باشا إنه لما كانت هذه الأخبار ضارة ، ولا سيما إذا وصلت إلى مصر . فقد خاطبت سفير الدولة العثمانية في هذا الشأن ، فوافق على رأيي ، ووعد بأن يكتب للصدر لمنع إرسال مثل هذه الخطابات المشوشة . وكذلك ذكر البرنس عزيز أنه تكلم مع الملحق العسكري في سفارة ألمانيا ، وطلب منه أن يرسل الخبر للسفارة الألمانية بالاستانة لمنع هذه الخطابات .

وبهذه المناسبة قال الملحق : إن ألمانيا لم تساعد الدولة العثمانية في التجربة على مصر ، إلا بشرط أن تخرج منها بعد انتهاء مأموريتها ، وألا تمس الامتيازات ، وأن يرجع الجناح الحدوي لعرشه ؛ وكذلك علم البرنس من السفير العثماني أن مجلس الوكلاء قرر هذا الأمر ، وأبلغ القرار المذكور إلى إيطاليا ، وهذا يؤيد ما قاله ناي بك من قبل ،

فإذا صح ذلك كان خطوة إلى الأمام . أما مقابلات السفير المتعددة للملك ، وتردده على وزارة الخارجية ، فيرجع إلى ما حصل في قنصلية إيطاليا بالحديدة (*) .

وفي هذا اليوم تلقيت بريقة من يوسف صديق باشا يقول فيها : عرجوا على فندق الأمبريال بفينا مع (ي . بك) إذا كان ذلك لا يزال ممكناً ؛ وإلا فأخطروه تلغرافياً ، وقبل أن يجتاز حدود رومانيا .

وفي ١٦ منه حادث البرنسين محمد علي ، وعزيز حسن ؛ ومن رأيهما أن يكتب أفندينا خطاباً للبرنس حسين كامل ، يقول فيه إنه يعتمد عليه في المحافظة على العرش الحديثي ، كما أنه هو (أفندينا) حينما يرجع لمصر لا ينسى خدماته .

البرنس جميل : وقد حضر البرنس جميل عند البرنس عزيز ، وقال له : إن انجلترا قررت إعطاء مصر استقلالها التام ، وستكون سلطنة ، والبرنس حسين يكون سلطاناً ؛ وتعطى مصر دستوراً ؛ فيكون فيها مجلس أعيان ، ومجلس نواب ، وحرية تامة ؛ وتشمل السلطنة السودان والشام وجزيرة العرب .

مقابلتي مع دومرتينو : وقد توجهت في الساعة الحادية عشرة لوزارة الخارجية ، فلم أجد دومرتينو ، لأنه كان توجه إلى مجلس النظار . وبعد انتظاره ساعة رجع ؛ فقاباني مقابلة حسنة ، وأبلغته تحية الجناب العالي له ، وأنه يذكره دائماً بالخير ، حتى أن سموه عازم على إسناد وظيفة المستشار المالى لجنابه ، إذا تيسر خروج الانجليز من مصر ؛ فشكر سموه على إحساناته نحو شخصه ، ولكنه امتنع عن الكلام معي في المسائل السياسية ؛ فأدركت من هذا أن إيطاليا تميل إلى دخول الحرب في جانب فرنسا وانجلترا .

محادثتي الرابعة مع نابي بك : سبق أن قال لي نابي بك : إن محمد يكن باشا توجه لوزارة الخارجية ، وأعلن بالنسبة عن أفندينا أن لا خوف على الطليان من التجريدة العثمانية ؛ ولكن إذا سمحت الفرصة فانيؤكد ذلك للحكومة الطليانية ، فوعده بذلك . وبالفعل لما قابلت الملك أكدت له ذلك ، ولما قابلت دومرتينو فعلت ذلك أيضاً ، وإنما اعتقادي أن الخوف سائد بين الطليانيين الرسميين وغير الرسميين .

وفي ١٧ ديسمبر تلقيت تلغرافاً من محب باشا في نابولي يقول فيه : « ما زلت مريضاً ولا أستطيع الحضور . أرسلت مخصوصاً بقطار الساعة السادسة لتسليمك النقود والخطابات لحرى بالفندق . أشكركم . »

(*) وكان قد وقع خلاف بين السلطة التركية ورجال قنصلية إيطاليا بالحديدة .

وتلقيت تلغرافاً من الأستاذ فهمي من لوزان يقول فيه : « أرسلت تلغرافياً إلى (ي. بك) بانتظار صديق باشا بفينا، وقد علمت بصفة سرية بأنه سيكون مصحوباً (والظاهر أنه أراد أن يقول بأن سيكون مع سمو الخديو) . سأبلغكم الرد . »

سافرت في منتصف الليل من روما إلى فينا ، وكنت مدعواً للغداء عند ناني بك السفير ؛ وكان البرنس عزيز باشا مدعواً هو ويكن باشا وحرمة . ولما علم بعزمي على السفر ، زجاني أن أعرب للصدر عن حقيقة الأخبار في إيطاليا ، والأفكار السائدة فيها ، وتخوف الحكومة من الحملة ورجاها ؛ حتى أن المسيو دومرتينو لما وردت برقية الصدر بخصوص الحديدية ، وقدم السفير للذكر صورة بالتركي ، سأله دومرتينو : كيف يمضي الصدر على البرقيات ؟ كأنه في شك من البرقية الواردة بشأن مسألة الحديدية . وكلفني أن أقدم احتراماتي للجناب الخديوي .

وقد رافقتي للحظة البرنس عزيز حسن ويكن باشا .

المساعي لخروج الخديو من الاستانة وإقامته في فينا . في أول ديسمبر ، روى يوسف صديق باشا ، أن سفر سمو الخديو الذي تجرى عنه المخابرات الآن ليس إلى سويسرا ، وإنما إلى فينا ؛ وأن سموه حادث سفير ألمانيا في موضوع سفره إليها ، وأن السفير وافق على ذلك ، وأنه على أثر مقابلة سموه ، تقابل السفير مع طلعت بك ناظر الداخلية ، الذي أبدى أنه غير معارض في سفر الخديو إلى فينا ؛ وذكر يوسف باشا أن السفير ذاهب اليوم لمقابلة أنور باشا ، ومجادثته في هذا الخصوص .

وفي هذا اليوم نفسه شرف سمو الخديو بيك ؛ وقد ذكر أنه لما قابل أمس سفير ألمانيا ، لم يلبث في جلسته طويلاً ؛ لأنه كان في جلسة مع سفير النمسا ، فاضطر سموه أن ينتظر بضع دقائق ، إلى أن انتهت جلستهما ؛ ولم تطل الجلسة بعد ذلك بينه وبين السفير أكثر من عشر دقائق ؛ ولكن سموه في هذه الدقائق القليلة تكلم بشدة مع السفير ، حتى أنه لم يجد جواباً غير الموافقة على جميع ما قاله سموه ؛ وقد كانت شدة كلام سموه باللغة الحد ، مما جعل السفير يقوم من فوق كرسيه ، ويبالغ في التلطف معه .

وقد أبان له سموه تصرفات رجال الحكومة العثمانية ، حتى جعله يقر بأنها تصرفات غير حميدة في حق الجناب العالي ؛ ثم ذكر السفير بالكلمة التي قالها لسموه في أول زيارة قابله فيها ، بأن باب السفارة الألمانية مفتوح في كل وقت لسموه ، عند حصول أي شيء من الأتراك ؛ فلم ينكر السفير قوله ، بل قال : نعم إنني قلت هذا حقيقة . وعندئذ قال

له سموه : « وإذن هذا هو الوقت ، وقد جئت إليك ، فلم يستطع أن يجاوبه بشئ غير المصادقة على أقواله . ثم قال : إن التجريدة العثمانية القائمة إلى مصر ، إنما هي قائمة بنفقات ألمانية . فقال له سموه : إننى لا أطلب منكم أن تعدلوا عن التجريدة العثمانية ، لأنى أعلم أن مصلحتكم فى ذلك ، وأنكم لا تعدلون عنها لأجل خاطر واحد اسمه عباس حلى .

وعلى أثر ذلك أبان السفير أنه لم يكن مقصراً بالنسبة للخديو قائلاً :
 إن الأتراك أصبحوا يشمتزون منى ، لأنهم يظنوننى متغالياً فى الكلام فيهم عن سموكم ، وقد قال لى خليل بك رئيس المبعوثان إنى لست وصياً عليهم ، وأنه يرانى أزيجهم كثيراً بشأن سموكم .

وقد فهم سمو الخديو صراحة من السفير أن خليل بك هذا صرح له فعلاً بأن الأتراك لا يرغبون فى الخديو .

وفى ١١ منه زار طبيب الخديو الدكتور كاوتسكى سفير النمسا ، وحادثه فى ضرورة سفر الجناب العالى من الاستانة . وعلمت أن الخديو كان يكره أن يجعل من أسباب خروجه صحته وحاجته إلى الراحة .

وفى اليوم نفسه حضر مسيو بادل إلى سراى بيك ، وحمل إلى الجناب العالى خبراً مؤداه أن حكومة ألمانيا وافقت على سفر سموه ، على شرط أن يكون ذلك إلى فينا أو برلين فقط ؛ وأنها عينت المسيو بادل لمرافقته ، ووافقت على تعيين البرنس ابراهيم حلى باشا ليكون نائباً عن سموه مع التجريدة العثمانية ، وقائمقامه عند دخولها مصر ؛ وبناء على أمر سموه حررت الارادة السنية ، ووقع عليها الجناب العالى ، ثم أبقاها عنده لوقت اللزوم . وقد فرح الجميع لهذه الأخبار ، وظهر على وجه الخديو الارتياح ؛ وأمر الدكتور كاوتسكى أن يكتب رسالة شكر لسفير ألمانيا . ثم عين يوم الاثنين القادم لسفره إلى فينا . فوافق الدكتور كاوتسكى على ذلك . وفى هذا اليوم أرسلت أوامر باحضار توفيق فهمى بك إلى الاستانة ، وإرسال ابراهيم أدهم بك إلى الضلمان .

وفى ١٣ منه صدر الأمر باعداد الجوازات لمن سيسافرون مع الجناب العالى ؛ وفى أثناء اشتغال سموه بهذا قال أمام السيد خيرى افندى الضابط إنه أعد ألوبة للصدر يتجاوز بها عن الشرط القاضى بوجود سموه فى النمسا أو ألمانيا فقط .

وكان سموه يريد أن يسافر من محطة كوجك جكمه ، بدلا من أن يأخذ القطار

من الاستانة . ولهذا أمر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى افندى باكتراء سيارة واختيار الطريق .

وفي هذا اليوم تقابل سموه مع الصدر بعد الظهر ؛ وقال لنا بعد ذلك إنه نصح فيما يطلبه ، فقد بادر الصدر بقوله : إننى لىكى أثبت للحكومة العثمانية أننى فى سفرى من هنا لا أزال غير راض عن تصرفات الحكومة الانجليزية ، فانى لا أنوى السفر إلى إيطاليا حسب رغبتها .

وقال سموه : « إننى سأبلغ ذلك للسلطان ، ثم لسفير ألمانيا ؛ وبعدها أكون حراً فى الذهاب إلى أية جهة أرغب فيها » . فقال الدكتور سيد كامل : « ما عدا إيطاليا ، فسكت سموه » .

وفي ١٤ منه توجه الخديو إلى بيك بقصد المبيت فيها ، والسفر منها غداً صباحاً إلى المحطة ؛ وبمجرد تحرك الرفاص من جبوقلى ، قال سموه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، توكلت على الله ، وشفع هذه العبارة بما يأتى : « هذه هى بداية السفر » .

وبعد ظهر اليوم ذهب بملابسه السوداء الرسمية (الرديجت) لزيارة جلالة السلطان فى سراى ضو له باعجه مودعا ، وقال جلالته لسموه : إن شاء الله تعود إليها قريباً . ثم زار سموه سفير ألمانيا فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

وفي المساء حضر من جبوقلى البرنسان عبد المنعم وعبد القادر ، لقضاء الليلة فى بيك مع سموه ، استعداداً للسفر .

وذهب الجناب العالى مساء إلى جبوقلى ؛ وراقب إحضار الحقائق ، وما يتبعها ، وإنزالها فى بيك ؛ وبات فيها هذه الليلة رمزى طاهر باشا ، ويوسف صديق باشا ، والدكتور كاوتسكى ، والدكتور سيد كامل ، والدكتور مورو ، وعبد الله البشرى افندى ، وابراهيم أدهم بك ، ومحمود خيرى افندى ؛ والجميع يرجون أن يخرج سموه من الاستانة بخير . وقد اتخذ جنابه العالى الاحتياطات اللازمة ؛ ومنها إعطاء المسافرين معه مسدسات يحملونها فى أثناء سير سموه إلى المحطة .

وفي ١٥ منه استيقظ الجميع فى الساعة الرابعة صباحاً ؛ وتناولوا طعام الفطور ثم انضم إليهم جلال الدين باشا (القبوكتخدا) . وقبل الساعة الخامسة نزل سموه من الحریم ؛ وكانت قد استحضرت عربتان من عربات الأجرة لركوب سموه سرّاً ؛

ولكنه أمر باعداد عربة الوالدة ؛ بالرغم من معارضة يوسف صديق باشا الذى قال إنه يجب أن تتبع عربة الخديو عربة أخرى . فقال سموه : لا لزوم لذلك ؛ ويكفى أن يركب بجوارى رمزى طاهر باشا ، وأمامى نحر الدين أغا (وهو حارس سموه الشخصى) والباقيون ذهبوا بجرأ إلى شرك جى .

وفى ١٩ منه رجعت من مهمتى فى إيطاليا إلى فينا ، فوجدت مع الخديو البرنسين عبد المنعم ، وعبد القادر ، ومسيو بادل الألماني ، ويوسف صديق باشا ، و (ى . بك) وخبرى افندى الضابط .

وفى المساء سافر البرنسان مع خبرى افندى ، للانتساب فى مدرسة لانسى ، بضواحي جنيف ، وتديرها مدام برونل ، كريمة هكسيوس ، مؤسس المدرسة ، وأخت شارل هكسيوس ، صديقى .

وفى ١٩ منه زار الخديو السكونت برشتولد ، وزير خارجية النمسا ، وسفير ألمانيا ، ردأ لزيارتها له .

ولما اختليت بالخديو ، قال لى إنه كان واثقاً من أن فى وجوده بالاستانة خطراً على حياته ، وذكر أنه لا يرجع إليها مطلقاً ؛ ولهذا اتفق رأى على أن ينوب عنه البرنس ابراهيم حلى باشا لمرافقة الجيش التركى ؛ وليكون قائمقام خديو مدة غياب سموه عن مصر ؛ وعلت أن الأتراك كانوا لا يرغبون فى ترك سموه الاستانة . ولكن المسيو بادل من جهة ، وسفير ألمانيا من جهة أخرى ، سهلا له السفر ؛ وقد وعد أفندينا الأول بأن يكون مستشاراً مالياً عند رجوعنا لمصر ، وقد عين الآن قنصلاً عاماً لألمانيا فى دمشق .

تهديد سفير ألمانيا للاتحاديين : وقد علمنا فيما بعد أن الجدل اشتد بين سفير ألمانيا و خليل بك عندما ملح له بأن الأتراك ليسوا تحت الوصاية ، وذلك عند الكلام على مسألة خروج الخديو ؛ فأجابه السفير قائلاً : « حينئذ أنا أمر بسحب جنودى وضباطى فى البحر والبر ، وأطلب أن تدفعوا لى السبعة الملايين من الجنهات التى أقرضتها ألمانيا للدولة ، فأجاب خليل بك وهو مرتبك : « أنا لا أقول بأننا لا نسمع نصيحة ألمانيا ، فرجا منه السفير ألا يخرجوه فى معاملاتهم لدرجة تضطره لاجبارهم على عمل الواجب .

هربت عباسى بغيرنا مع جريبارس عن مائدة العشاء . وفى ٢٠ ديسمبر زار سمو الخديو مسيو جريبارس وزير اليونان المفوض لدى حكومة النمسا ، وكان قصداً جنرالاً لدولته فى مصر مدة طويلة ، وبينه وبين الخديو صداقة قديمة ، فأظهر سموه له كدره من معاملة الأتراك له ؛ واقتناعه بأن الاعتداء الذى وقع له كان مدبراً ؛ لأن الممندار الذى كان على يسار العربية زج بنفسه داخلها ، بحيث عرض الخديو لرصاص الجاني ؛ ولأن سائق العربية أوقفها عند أول طلقة ، مما سهل له الأمر فى إطلاق الرصاص . قال الخديو : وهذا ليس بعيداً على الأتراك ؛ لأنهم سعوا أيضاً فى اغتيال حياة ملك اليونان بوساطة يونانى استأجروه ، وتوصلوا لغايتهم ؛ كما أنه اتضح أن الطليانى الذى أراد قتل ملك إيطاليا فى سويسرا ، كان للترك أصعب فى إقدامه على هذا الفعل . قال : وملك إيطاليا أخبرنى بأنه لم يسعنا إلا أن نعلن أن الجاني مجنون ؛ وأن شقيق لما تقابل معه سأله الملك عن القاتل وجنسيته . وقيام رجال الجندرمة بقتله فى الحال ؛ ولعل هذا معنى لم يفهمه شقيق ؛ ولكنى أنا فهمته ! فكأنه يقول : كما حصل لى حصل للخديو ! ثم أضاف : وهذه أضرار أعطانها الملك .

ثم إن أفندينا أفهم جريبارس بأنه ليس فى نيته مقابلة أمبراطور ألمانيا ؛ وأنه حضر لاستشارة بعض الأطباء فى أمر الإصابات التى أصيب بها .

رأى عباسى فى هل مسألة السودان . فى ٦ ديسمبر كان بعض الحاشية فى حضرة الجتاب الخديوى ، ودار الحديث فى مسألة الرى فى مصر والسودان ، فقال سموه :

« إن الذى يريد أن يحكم مصر ، ويوفر لها أسباب السعادة والهناء ، يجب أن يكون قابضاً على السودان ،

ومع هذا فإن سموه لم يكن يتخوف من إنشاء الخزانات التى تمكن إقامة الجبال فى السودان ؛ لأن النيل الأبيض كاف لرى الجزيرة ؛ وإنما كان يخشى أن تنمو زراعة القطن فى السودان ، فتتحول السوق إلى هذه الجهات ؛ وينخفض سعره فى مصر .

« ولاحظ سموه أن المصريين نسوا شرطاً من شروط الاتفاقية بين مصر وإنجلترا بخصوص السودان . وهذا الشرط يقضى ألا يزرع فيه القطن . وعليه كان يرى سموه أن الواجب الاهتمام بالمحافظة على هذا الشرط .

ثم انتقل إلى مصر فقال إنه يرى أن تقام قنطرة تشبه الخزان في مديرية جرجا ،
فتمتصن للوجه القبلى ربه الصينى . وأشار أيضاً إلى إيجاد قنطرة أخرى في شمالى زفتى .
يوفر بها الرى للجهات النائية ؛ وثالثة على الفرع الغربى ؛ بحيث لا تكون المناوبات
صعبة بالدرجة التى هى عليها الآن ؛ وبحيث تتوافر المياه اللازمة لرى جميع أراضي
القطر بالراحة ؛ وكان يتكلم فى كل ذلك كخبير عارف بحاجات القطر .

ثم رجع إلى مسألة السودان ومستقبله ، وقال :

« يجب أن تتفق مصر مع انجلترا على أن تبقى المنطقة الشمالية فى السودان ، والنى
بها المسلمون للبصريين ؛ أما المنطقة الجنوبية منه ، والنى لم يدخلها الاسلام فتبقى
للانجليز ؛ وبذلك تحل مسألة السودان . »

ثم قال :

« صحيح أن فى هذا الاتفاق غرامة على مصر ؛ ولكن هذا هو كل ما يمكننا عمله
لذريقنا . وعليها أن نربها على أن تكون فى المستقبل قادرة على استرداد الجزء الجنوبى
من السودان ؛ لأن النيل كله يجب أن يكون فى قبضة مصر . »

كيف استقبل عباسى خبر عزله وتولية السلطان حسين . فى ١٠ ديسمبر
ذكر يوسف صديق باشا لسمو الخديو ، أن محمد راسم بك ، حضر من إيطاليا ؛ وروى
أن الانجليز عرضوا مراراً على رشدى باشا أن يستقيل ، وهو يماطلهم ورفض الاستقالة .
وروى أيضاً أنهم عرضوا على محمد سعيد باشا أن يكون رئيساً لمجلس النظار ، فقال إنه
لا يستطيع تولى هذا المنصب ، والخلافة فى حرب مع الدولة الانجليزية ؛ وأظهر سموه
ارتياحه فى الخبر الأخير ؛ ثم روى راسم بك أن سعد باشا ألقى فى مصر خطبة أو كتب
مقالة ، أو عمل حديثاً صحفياً ؛ فقال : إنه كان يطعن على الدوام فى السياسة الانجليزية
فى مصر ؛ ولا يزال يرى أن أعمال الانجليز غير مرضية ؛ ولكنه مع هذا لا يجب
مطلقاً أن يرى مصر تحت حكم الأتراك .

وقد ذكر صديق علاوة على ذلك أن الانجليز أذاعوا فى فرنسا وفى الخارج
حديثاً لسعد زغلول باشا ؛ وأن جريدة الطان نشرتته . وقال أيضاً : إن الانجليز أعلنوا
عزل الخديو . وأن جريدة الطان كتبت مقالا افتتاحياً فى هذا الموضوع ، قالت فيه :
« إن انجلترا قد أحسنت فى عزل الخديو ؛ لأنه لم يكن صديقاً لانجلترا أو لفرنسا . »
وفى يومى ٢٠ و ٢١ ديسمبر جاءت أخبار برقية ، تنبئ بأن الحماسة الانجليزية

أعلنت على مصر ؛ وأنها صارت سلطنة ؛ وأن البرنس حسين كامل عين سلطاناً عليها بلقب صاحب السمو ؛ وأنه احتفل به أمس بموكب خرج من سراى نعمت الله هاتم أفندى زوجة نجله كمال الدين باشا ؛ وأن الأهالى تلقوا هذا الانقلاب بدون اهتمام ؛ وأن جلالة ملك إنجلترا أنعم على البرنس بنيشان الحمام ، وعلى حسين رشدى باشا بوشاح ميشيل وسان جورج ؛ وأن الوزارة الجديدة شكلت كما كانت قبلاً ، ما عدا محب باشا فقد حل محله فى الأوقاف عدلى باشا ، الذى كان فى الخارجية ، وهذه النظارة ألغيت .

وأنه بالنظر لكون الخديو انضم إلى أعداء الملك ، فقد حرم من الرجوع لمصر ؛ ولكن حفظت له أملاكه الخصوصية .

هذا هو ملخص أخبار مصر .

قرأت حاشية الخديو هذه البرقيات ؛ وترددت فى إبلاغها لسموه ؛ ولكنى مثلت بين يديه وعرفته بالانقلاب ، بطريقة مناسبة ؛ فكانت إحساسات سموه بالنسبة للانقلاب ما يأتى :

أولاً — أنه لم يظهر كدره لقبول البرنس حسين كامل باشا منصب السلطنة . وقال : « فى محله وأنا أميل لهذا الحل » .

ثانياً — أنه يأسف لكون مصر صارت تحت حماية أجنبية ؛ وكان يود أن تكون حرة .

ثالثاً — أنه تكدر جداً من قبول النظار — وخصوصاً قائمقامه حسين رشدى باشا — بعد أن حلفوا يمين الطاعة له أن يتركوه . ويشغلوا مع خلفه ؛ وذكر أن هذا يدل على أنه لا يوجد مصرى واحد ، يفضل الاستقالة ، ويرفض النيشان الانجليزى ؛ ليحفظ كرامته (مشيراً بذلك إلى رشدى باشا) . ثم قال : « الحمد لله إننى لم أخطئ فى رفض وجودى بايطاليا ؛ فلو أتى ذهبت لرغب الانجليز الآن فى عودتى إلى مصر ، وإرغائى على قبول الانقلاب ، أو معاملتى معاملة لا أرضاها

فلو عباسى بعد الانقلاب فى مصر . لم يمض إلا القليل بعد أن علم عباس بنجله وتولية عمه السلطان حسين كامل حتى ظهر على وجهه القلق والنفكير . فأردت الترويح عنه بأن عرضت على سموه الخروج فى رياضة : إراحة لأعصابه ، فوافق

ولما كنت أعلم عن الخديو أنه يعتقد بالتفاؤل والتشاؤم من بعض الأقدام والأشخاص، وكانت هناك سيدة التحقت به أخيراً ولم أكن مستريحاً لالتحاقها به - انتهزت هذه الفرصة وعرضت بشؤم هذه السيدة على سموه، لأنها لم تكذب لتتحقق به حتى أعلن عزله ! ولكن هذا التعريض لم يفلح، لأن سموه رد على قائلاً : « ولكنها ساعدتني مادياً في هذه الظروف الحرجة ، ناسياً أن هذه المساعدة إنما هي من أمواله في الحقيقة .

وبعد ذلك سألته عن أسباب قلقه ، ففهمت أنه لم يكن لضياح عرشه ؛ فانه كان يتوقع هذا الحادث الخطير قبل إعلان الحرب العظمى بسبب العداء التي كانت بينه وبين اللورد كيتشنر . إنما كان قلقه لسببين آخرين :

الأول — تخوفه من مصادرة الانجليز لأملأكه ؛ بسبب انضمامه لأعدائهم ، والعمل على إرسال حملة تركية لمصر .

والثاني — عدم صدور إرادة شاهانية بتحديد مهمة هذه الحملة ، والتصريح فيها برجوع سموه إلى عرشه ، وحفظ امتيازات مصر كما كانت قبل الاحتلال الانجليزي .

أما السبب الأول فقد سمعته يقول عنه : « هأنذا قد تركت الاستانة وصرت بعيداً عن الأتراك والحملة ، ولم ألتحق بها ؛ فليس هناك ما يحمل الانجليز على مصادرة أملأكي ، فرد عليه الدكتور سيد كامل قائلاً : « وهل هم لم يكونوا يعرفون حتى قبل قطع علاقات سموكم بهم أنكم تشجعون على إرسال الحملة وترفضون السفر لاطاليا ؟ » فقال : « على كل حال أنا لا أتوقع السير مع الحملة كما يظهر لي . »

وقد فكر سموه في القيام بمساع أخرى لحفظ أملأكه بوساطة ألبير ملك بلجيكا ثم لما انتدبني عباس للذهاب إلى الاستانة عند تولية طلعت باشا الصدارة ، قمت بمساع لضمان تعويض الخديو عن أملأكه إذا صودرت .

وسيرى القارىء في الجزء الثالث تفصيلات عن هاتين المخابرتين .

أما السبب الثاني فقد علم القارىء بالاتفاق الذي تم بين عباس وأنور باشا وسفير ألمانيا بأن يعملوا معاً مسترشدين بآراء سموه في الحملة العثمانية الزاحفة على مصر وإتماماً للفائدة أثبت ما رواه لي يوسف صديق باشا عما حصل ليلة هذا الاتفاق .

قال . « قلت لأفندينا إنه يجب قبل الكلام في هذا الاتفاق أن تعترف بما فعلته مع السنوسيين والايطاليين ضد الأتراك ، وأن تشرح الأسباب التي دعكت إلى ذلك ، وتذكر أنور باشا بكل ما فعله الأتراك ضدك ؛ وبعدها تتصافحون وتتعاهدون على السير معاً . فوافق الخديو على ذلك ، وتم في هذه الجلسة الاعتراف من الطرفين بكل ما حدث في الماضي ، والاتفاق على نسيانه ، والعمل بالاتحاد . وتقرر كذلك أن يدبر الخديو في مصر حركة ثورية ؛ حتى إذا ما دخل الجيش العثماني ، قام الأهالي بالثورة ضد الانجليز ، غير أن هذا الاتفاق لم يطمئن عباس ، فانه كان يرى أن سير الحملة ببطء جداً ، وأنه لا يوجد قرار رسمي يعتمد عليه في نتيجة الحملة ؛ ولهذا فكر في عمل المساعي لمقابلة الامبراطور شخصياً أو باتدائي لهذه المهمة .

وقد علم القارىء فيما سبق ، أنني عندما كنت في روما تحدثت مع البرنس محمد على في أن أرافقه في هذه المهمة ، وأنه تنحى لالزامه خطة الحياد . عندئذ تخابرت مع الأستاذ فهمى في « جنيف » ليتصل بسفير ألمانيا في « برن » ، ويعمل ما يلزم في « برلين » لتحديد موعد مقابلتي مع الامبراطور ؛ وأن يكون الأستاذ برفقتي . وقد قام بهذه المساعي ؛ وجاء الرد بأن الامبراطور ترك برلين إلى ساحة القتال ، وأنه كلف ناظر الخارجية بأن يقابلني بالنيابة عن جلالته وبصحبتي الأستاذ فهمى . وقد طلبت منى السفارة أن أخبرها بيوم قياىمى إلى برلين ، وبالطريق الذى أنخذه للوصول إليها . وفهمت أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية على هذه الزيارة . وكانت مهمتى لدى الامبراطور هى أن أقدم لجلالته تحيات الخديو واحتراماته ، وأن أشكره على عنايته ورعايته للحملة التركية على مصر ، وأن المصرين لا ينسون هذه المساعدة ، ثم أتأكد من جلالته أن الحملة لا تمس الامتيازات التي نالتها مصر من تركيا ، وأن تعود الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال مع عودة سموه إلى عرشه .

هذا ولما كنت إذ ذاك على وشك السفر من روما ، لم أرسل الرد للسفارة ريثما أعرض المسألة على الخديو الذى علمت بحضوره إلى فينا . وعند وصولي إليها ومحادثتي معه اتفقنا على أن يقوم محمد بك فريد بالسفر إلى ألمانيا مع الأستاذ محمد فهمى ؛ وقد تقابل مع سفير ألمانيا في فينا وأعلمه باعتذارى عن السفر ، واتدابه هو وزميله للذهاب إلى برلين ، فسلمه خطاباً لوزير الخارجية الألمانية بخصوص هذه المقابلة .

وقد تأكدنا أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية كبرى على المحادثة مع الوطنيين

خشية أن يعتبر سفر الخديو من الأستانة اختلافاً بين سموه وبين العثمانيين ؛ ولهذا أرسلت سفارة ألمانيا في الأستانة إلى القنصل في جنيف بأن سفر سموه كان لأشغال خصوصية ، وأنه على وفاق تام مع الاتحاديين .

وقد عمل فريد بك حديثاً مع مكاتب جرنال و النيو فرای بریسیه ، في فينا عن مطالبنا التي نرجو تحقيقها في الارادة

أما الخديو فانه لم يكتف بمقابلة فريد وفهمى لوزير الخارجية ، بل كان يرغب كل الرغبة في مقابلة الامبراطور ليحادثه : لا في مسألة مصر فقط ، بل في القيام بمساع لتقريب فرنسا من ألمانيا . وسيرى القارىء تفصيلات هذه المساعي في الجزء الثالث

الحفاوة بالخديو في فينا . بعد خروج الخديو من الأستانة والسفر لفينا اهتمت الدوائر الحكومية باستقباله والحفاوة به ، وكذلك سفير ألمانيا وتركيا

وقد أرسل برشتولد وزير خارجية النمسا إلى سموه في ٢٤ ديسمبر يهنئه بعيد الميلاد ، ويقدم له لوجين في الأوبرا وفي تياترو البرج ، وقال في خطابه : « أرجو أن تجيئنا السنة الجديدة بسلام مشرف وطيد الدعائم ، وأن يتاح لسموكم العودة إلى بلادكم الجميلة ، وقد رد عليه الخديو شاكرًا ثم قال : « إننى من جيتى أدعو الله دعاء حاراً أن تكون سنة ١٩١٥ سنة سعيدة لنا جميعاً ، وأن يتوج النجاح جيوش صاحب الجلالة الامبراطور وحلفائه . وإننى أمام علائم العطف التي لم ينقطع جلاله الامبراطور عن إبدائها نحوى ، أجد من واجبي أن أبتهل إلى الله التقدير أن يحفظ حياته الثمينة زمناً طويلاً ، وأن يهب شعبه المجد والرخاء » وختم الخديو الخطاب بتهنئة وزير الخارجية بعيد الميلاد والعام الجديد

وقد دعا سفير الدولة سموه وحاشيته للغداء يوم ٢٩ الجارى ؛ وكنت أنا ويوسف صديق باشا بين المدعوين

وفي يوم ٢٩ منه ذهبنا تلبية للدعوة ؛ وكان من بين المدعوين وزير خارجية النمسا وزوجته ، وسفير ألمانيا وزوجته ، والسكونت تولجاش من رجال وزارة الخارجية والسكونتس زوجته ، والسكونت ما كيو سفير النمسا في روما

وبعد انصراف المدعوين اختلى السفير ووزير الخارجية بالجانب الخديوى مدة نصف ساعة ، دار الحديث خلالها عن الانقلاب الذى حصل في مصر ، ثم قال وزير

الخارجية: « وعلى ذلك لا بد أن المخصصات انقطعت ، فرد سموه بالايحاب ، فقال السفير: « وماذا ستفعلون ؟ نعم المعروف أنكم من الاغنياء ، ولكنكم الآن في خارج مصر ، فرد سموه قائلاً : الحمد لله فانتى غنى وعلى رغم أننى في خارج بلادى ، فانتى قد لا أحتاج لشيء ، وقد لاحظنا نحن على الخديو اعترافه بأنه غنى ! فقال : أنا أعرف بأفكار هؤلاء الناس ، والقاعدة عندهم أن الغنى هو الذى يعتنى به ، أما الفقير فلا يؤبه له . وهذا مثلاً ناظر الخارجية ، فهو رجل عادى من حيث كفاءته ، ولكن ثراؤه واتماؤه لولى العهد هو الذى أوصله لهذا المركز . »

سُوءة مختلفة . فى ٤ أغسطس جاءت الأوامر من لندرة بوضع المراقبة على البرقيات من مصر وإليها .

وفى ٥ منه رجع رجال الوكالة الانجليزية إلى مصر ؛ وقصصل جنرال انجلترا فى الاسكندرية عرف رشدى باشا باعلان انجلترا الحرب ضد ألمانيا رسمياً . فأخذت النظارة تبحث فى ضرورة إعلان نوع من الأحكام العرفية ، خوفاً من وقوع اعتداء من الخارج ، وأخذت الجنود الانجليزية فى إقامة استحکامات أمام الواجهات الخارجية لسراى رأس التين . وكذلك أمام الشكنات الحكومية ، وثكناتهم ؛ وأحضروا المواد من طرفهم .

وفى ١٤ منه أ برق مرتضى لرشدى بأن المصريين بأوربا خابرونا بالصعوبات التى يلاقونها من البنوك لأخذ نقودهم ؛ والمرجو إخبارنا برقياً عن الاجراءات التى سيتخذها .

وفى ٢٥ منه اجتمع الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر ، والشيخ محمد حسين مخلوف ، والشيخ ابو الفضل الجيزاوى ، عند رشدى باشا . ودار الحديث فيما إذا كان من المناسب تأخير افتتاح الدراسة فى الأزهر ، وفى المعاهد الدينية الآن ، خوفاً من حصول هياج بين الطلبة ؛ خصوصاً إذا أعلنت تركيا الحرب على انجلترا . وبعد المداولة ، تقرر افتتاح الدراسة ، على أنه إذا حصلت أية مشاغبة تأمر الحكومة بتأجيل الدراسة فى كل المعاهد . وجرى البحث فى شأن سفر الحاجاج فى هذه السنة ؛ ويرجو رشدى أن يكون الخديو فى مصر حين الفصل فيها .

وفى ٣١ أغسطس أ برق يوسف صديق باشا للقائم مقام يرجوه تبليغ الخاصة الخديوية تسليم كل المبالغ الذهبية ، والباقي من المخصصات ؛ بعد تنزيل ما يلزم منها

لإدارة الخاصة إلى محمد فهمى بك ، ليحضرها معه عند سفره إلى الإستانة ؛ وكذلك يسلم له مراسلاته ومراسلات السراى .

وفى ١ سبتمبر أ برق إليه يرجوه أيضاً تسليم محمد فهمى بك الوقائع الرسمية التى نشرت الديكريئات الخاصة بقرارات الحكومة المصرية عن حالة الحرب ؛ وكذلك مجموعة الوقائع من أول أغسطس .

وفى ١٠ منه أرسلت برقية إلى القائمقام ، بأن قومندان المحرسة أخبر بحصول ضجة من رجاله بسبب عدم دفع رواتبهم ؛ وطلب سموه سرعة إرسالها ؛ كما طلب أيضاً استعلامات عن حالة المصريين فى أوروبا .

فرد على سموه فى ١٤ منه بأن المصريين رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر ، ما عدا البرنس عمر طوسون .

وفى ١٦ سبتمبر جاء الدكتور خيرى باشا حكيم السلطان ؛ وثابت بك أنوبجى باشى لدعوة أفندينا من طرف السلطان ، لحضور حفلة توزيع الجوائز على متخرجى مدرسة البحرية ؛ ومشاهدة استعراض المراكب الحربية ، ومن ضمنها المدرعة « جون » ، و « برسلاو » ، الألمانيةتان ؛ فأرسل أفندينا تلغرافاً لجلالته صباح ١٧ منه بالاعتذار لتوعلك مزاجه (والحقيقة لعدم استحسانه وجوده فى جم غفيرة فى الخيمة التى سيكون فيها المدعوون) . ولكن التلغراف لم يصل قبل قيام جلالته ، مع أنه أرسل قبله بثلاث ساعات ، لاهمال حصل من الجندى (مراسلتنا) الذى أوصل البرقية لمكتب التلغراف أو من مأمور التلغراف ؛ فأرسل جلالته يستعلم عن سبب التأخير ضابطاً من الجندرية برفاص ؛ وقال إن جلالته انتظر ربع ساعة على يخط إرطغرل (وكان عليه السلطان ، وولى العهد وحيد الدين أفندى ، ومجيد أفندى ؛ وهم الذين يأتون بعد ولى العهد) . فأفهمته أن سموه أرسل تلغرافياً اعتذاره للسلطان ؛ وأعطيت له صورة منه .

وفى ١٧ منه أرسل رشدى يقول إن وطن باشا يلتبس من أفندينا أن يصرح له بأجازة للحاق بالآية فى فرنسا ؛ وأن الحكومة المصرية أجازت مثل ذلك لغيره ؛ وبما أن وطن باشا من الموظفين فى خدمة سموه ، رأيت من الواجب على أن أعرض طلبه ؛ وأنا متأكد أن سموه لا يرفض هذا الطلب ، فإذا حصل ؟

وفى ١٩ سبتمبر علمنا أنه حصل شقاق بين الوزراء العثمانيين ؛ فالبعض يطلب الدخول فى الحرب ، والبعض الآخر لا يقول بها ؛ فالذين لا يطلبون هم جاويد بك ؛

وطلعت بك، وجمال باشا. أما الصدر فيصوره أفندينا أنه في الظاهر مع الألمانين؛ وأما في الباطن فهو مع الانجليز.

في برقية من صديق في ٢٨ سبتمبر، رجا فيها القائم مقام باعطاء التعليمات لأحمد صادق بك، لسحب أسهم البنك العقاري المحفوظة فيه باسم الدائرة الخاصة، وإرسالها إلينا، بعد وضعها في غلاف، وختمه بالشمع الأحمر.

وفي هذا التلغراف تعليمات عن كيفية إرسالها؛ وأن كشف النمر يحفظ بطرف أحمد صادق بك، وسيرسل له خطاب مناصحة هذه البرقية، لتقديمه للبنك إذا وجدت صعوبات.

في ٤ أكتوبر دعى سفير أمريكا وزوجته لتناول الشاي في كشك صاحب منلا وحضر يوسف صديق باشا ومحب باشا.

في ٥ أكتوبر اشتغل الخديو باعطاء التعليمات اللازمة لمحمد فهمي بك التشريفاتي قبل سفره لمصر.

وأهم هذه التعليمات نقل الأشياء الثمينة التي بالقصور إلى تفتيش أدفينا؛ مع وضع نظام لحراستها؛ وإرسال الأشياء الثمينة الأثرية منها من سيوف الاسرة الخديوية وخلافها للاستانة.

وفي ٧ أكتوبر نزلت لشراء خزانة كبيرة ليضع فيها الخديو الأوراق الثمينة كالعقود والأسهم وغيرها. وقد أمر سموه باستحضار كل ذلك من مصر ليكون في مأمن.

وفي ٣٠ منه هرع إلى سراي بيك كثير من الزائرين لتهنئة أفندينا بالعيد، وكلهم تقريباً من المصريين؛ وفيهم فريد بك، والشيخ جاويش، وباقي أركان الحزب الوطني، ويوسف ضيا باشا رئيس الياوران سابقاً، وكان قد قطع العلائق مع السراي من وقت انفصاله منها؛ وكان الجناب العالي مسروراً.

وفي ٥ نوفمبر كان الخديو أوفد يوسف صديق باشا إلى سفارة إيطاليا؛ ليستعلم عما إذا كان شقيقه البرنس محمد علي موجوداً بمصر؛ وهل عين البرنس حسين حاكماً عليها؛ وهل ضمت لانجلترا؟

والسفارة الإيطالية وردت لها معلومات من حكومتها، تقول إن الانجليز عينوا البرنس حسين كامل مستشاراً لهم، وأن التعيين المذكور أثر تأثيراً سيئاً في المصريين.

ثم ورد خبر آخر بواسطة هذه السفارة ينبيء بأن البرنس محمد على والبرنس عزيز حسن يستعدان لترك مصر .

في ١٢ نوفمبر كانت خزانة الساحلخانة بجبوقلى فى عسر مالى ؛ وقد حضر لى من مصر مبلغ من النقود الذهبية ، فسلمت منه خمسمائة جنيه انجليزى للخزانة سلفة أستردها من الخاصة بمصر وقت رجوعى إليها .

فى ١٩ منه كان جمال باشا ناظر الحرية قد استأذن من الجنا ب العالى أن يتفضل ويأذن باستخدام المحروسة مع الأسطول العثمانى لمرعتها ، لمعاونة المدرعات . فأجاب سموه بالقبول ؛ كما كان قد أذن باستعمال التلغراف اللاسلكى . فأرسلت البحرية بعض المهندسين للكشف على المحروسة ؛ ولكن لما وجدوها غير صالحة للاستعمال كمدرعة ، أرسلت الحكومة جواباً بالشكر وبعدم لزومها ؛ والجواب مؤرخ بتاريخ اليوم .

سافر اليوم إلى دده أغاج عبد الله البشرى افندى ليقابل هناك بعض المستخدمين فى الباخرة سعيدية الآتية من الاسكندرية ؛ ويعلم منهم بعض أخبار مصر ؛ أو يصاحب بعض ركبها ، ويعلم منهم شيئاً عن الحوادث المصرية .

وفى هذا اليوم سافر من الاستانة اثنان من مهندسى المحروسة الوطنيين ، قاصدين دده أغاج ومنها إلى الاسكندرية . ولكن الوا ب و المخصوص تأخر سفره إلى المساء ، فاضطرا إلى الانتظار إلى غد أو بعد غد وكذلك تأخر سفر (الدكتور ر . افندى) عن ميعاده اليوم .

فى ٢٢ منه تشرف بمقابلة الجنا ب العالى فى سراى بىك ، محمد فريد بك ؛ وقدم لسموه أبا سعيد الهندى صاحب جريدة « جهاد إسلام » ، التى تصدر فى الاستانة باللغات الثلاث : العربية والتركية والأوردية ؛ وقدم لسموه أربعة من الطلبة المصريين الذين جاءوا من لندرة أخيراً .

فى أول ديسمبر جاء فى سراى بىك قبل الظهر ياور من نظارة الحرية ، اسمه غالى عاطف ، ومعه جواب بامضاء أنور باشا ، يطلب فيه من سمو الخديو تسليم آلة التلغراف اللاسلكى التى فى الباخرة المحروسة ، فأبلغه سموه بأنه سيصدر الأوامر اللازمة فى هذا الموضوع .

وبعد الظهر أمر سموه عارف باشا بالذهاب إلى نظارة الحرية ، لا بلاغ أنور باشا

بموافقة سموه على نقل هذه الآلة من الباخرة المحروسة ، ووضعها تحت تصرف الجيش وإدارته .

وفي هذا اليوم أيضاً أمر سمو الخديو بتحضير بيان بأسماء جميع الموجودين في سراى جبوقلى ، لترحيل من يلزم ترحيله منهم إلى مصر بالباخرة سعيدية ، من بواخر الشركة الخديوية ، التي أرسلت اليوم أنها ستقوم .

في ٨ ديسمبر ذكر سموه أن الحكومة العثمانية عثرت على أوراق في نادى العرب بالاستانة تدل على أن جماعة منهم يحرضون العرب من أهل سوريا ، على ألا يسيروا في هذه الحرب التي يرونها مشئومة . قال هذا سموه ، والظاهر أنه كان يرمى إلى إشعار السيد عبد الحميد الزهراوى بأن يترك الاستانة مؤقتاً ويهرب منها . ولكن سموه خشى أن يبلغه ذلك مباشرة ، ثم يسأل عن أوعز له بالهرب ، فيقولون : سمو الخديو .

في ١٤ منه عند ظهر اليوم خرج سموه لابساً ملابسه الرسمية العسكرية ؛ وكذلك رمزى طاهر باشا ، والميرالاي ابراهيم أدهم بك ، والصاغ محمد خيرى افندى ؛ ثم يوسف صديق باشا ، وعارف باشا . وقصد سموه سراى مجلس المبعوثان لحضور حفلة الافتتاح ؛ ثم عاد سموه وحاشيته لتناول طعام الغداء .

كلمة شكر

لا يفوتنى أن أقدم بالشكر إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون على ملاحظاته القيمة وعلى تفضله ببعض الصور النادرة ، وكذلك إلى حضرة الدكتور حسين بك هيكال الكاتب القدير على مقدمته النفيسة التي صدرت بها القسم السابق ، وإلى الدكتور محمد عبد الله عنان على تنسيقه المذكرات ، كما أشكر الصحافة العربية والأجنبية وبعض الكتاب البارزين على تقييدهم الجميل لها .

كلمة ختامية

لم يبق من مذكراتى سوى الجزء الأخير ، وما سيحويه : الجمعيات العربية الجهنمية لاثارة الفتن والقتال بمصر ضد الانجليز ، بولو باشا والعمل لصالح فرنسا وحدها مع ألمانيا ، الخبايا بين عباس وانجلترا بواسطة ملك البليجيك ، رجوع عباس إلى الاستانة بعد اتفاق مع الاتحاديين وأنا أرجو الله أن يوفقنى لاجراج هذا الجزء الأخير ، وكشف هذه الخبايا للحقيقة والتاريخ ، والله ولى التوفيق

تصويب الأخطاء التي وقعت في هذا الجزء

الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ	الخطأ
٩ ٢٤	شكى	شكا	١٤ ٢٦١	أرام	أرام
١٨ ١٥	اصطل	اصطل	٢٣ ٢٦٦	السعرية	السعرية
١٩ ٢٤	أثمانهم	أثمانها	١٢ ٢٦٧	الآخرة	الآخرة
٢١ ١	كانت أن العلاقات	كانت العلاقات	٢١ ٢٧٦	أحدأ	أحدأ
٦٤ ١٩	احمد شوقي افدى	احمد شوقي بك	٢٦ ٢٦٧	أخذ بوزع منها	أخذ بوزع منها
٧٩ ١١	عنهما	عنها	٤ ٢٧٩	باشا	باشا
٨٢ ١٣	جهة	جهة	١٠ ٢٨٠	تعيينه	تعيينه
٨٢ ١٨	لمصر	مصر	١٩ ٢٨٣	لمدن	لمدن
٨٣ ١١	هو	هي	٩ ٢٩٣	بمجرد أن الخامسها	بمجرد أن الخامسها
١٠١ ٢٤	للدفاع عن شناعة	للتدبير بشناعة	٢٦ ٢٩٩	لا انتخابات	لا انتخابات
١٥٩ ٤	أخرى	أخيرة	٢٤ ٣١٣	محمد حلى باشا	محمد حلى باشا
١٦٩ ١	محمد القاضي جمال الدين افدى	محمد جمال الدين افدى	١٧ ٣٢٥	الطليانين	الطليانين
١٨١ ٩	وأديت	وأدت	٢ ٣٣٠	ين	ين
١٩١ ١	ووصل	وصل	٧ ٣٣٣	التي وضعناها	التي وضعناها
١٩٥ ١١	بيفرغد	بيغرد	١٥ ٣٤٧	خامس	خامسة
١٩٨ ١	فيه	فيها	٢٣ ٣٧٥	المتعينين	المتعينين
٢٠٥ ٢	بلعية	الجمعية	٣ ٣٨٥	نوفر	نوفر
٢٢٦ ٤	التواصى	التوصيات	٥ ٣٨٥	التركية	التركية
٢٢٨ ٥	تتهى	ينتهى	١٢ ٤٠٠	المبعوثين	المبعوثين
٢٢٩ ١٧	تخرجه	تخرجه	١٤ ٤٠٠	المبعوثين	المبعوثين
٢٤٣ ١٤	تنشأ	تنشأ	١٤ ٤٠٤	بوزا	بوزا
٢٤٥ ١٢	تنابذ تنابذاً	تنابذ تنابذاً	١٣ ٤٠٧	للازمين	للازمين
٢٤٧ ٦	المنابذة	المنازعة	٣ ٤١١	ثلاث	ثلاثة
٢٥٣ ١	وقيم	وقيم	١٦ ٤١٢	له	لها
٢٦٠ ٢٥	مما	وقيم	١٧ ٤١٧	عون	عون
		مما	١٨ ٤٢٩	ف واللفظ	ف واللفظ

1991--



